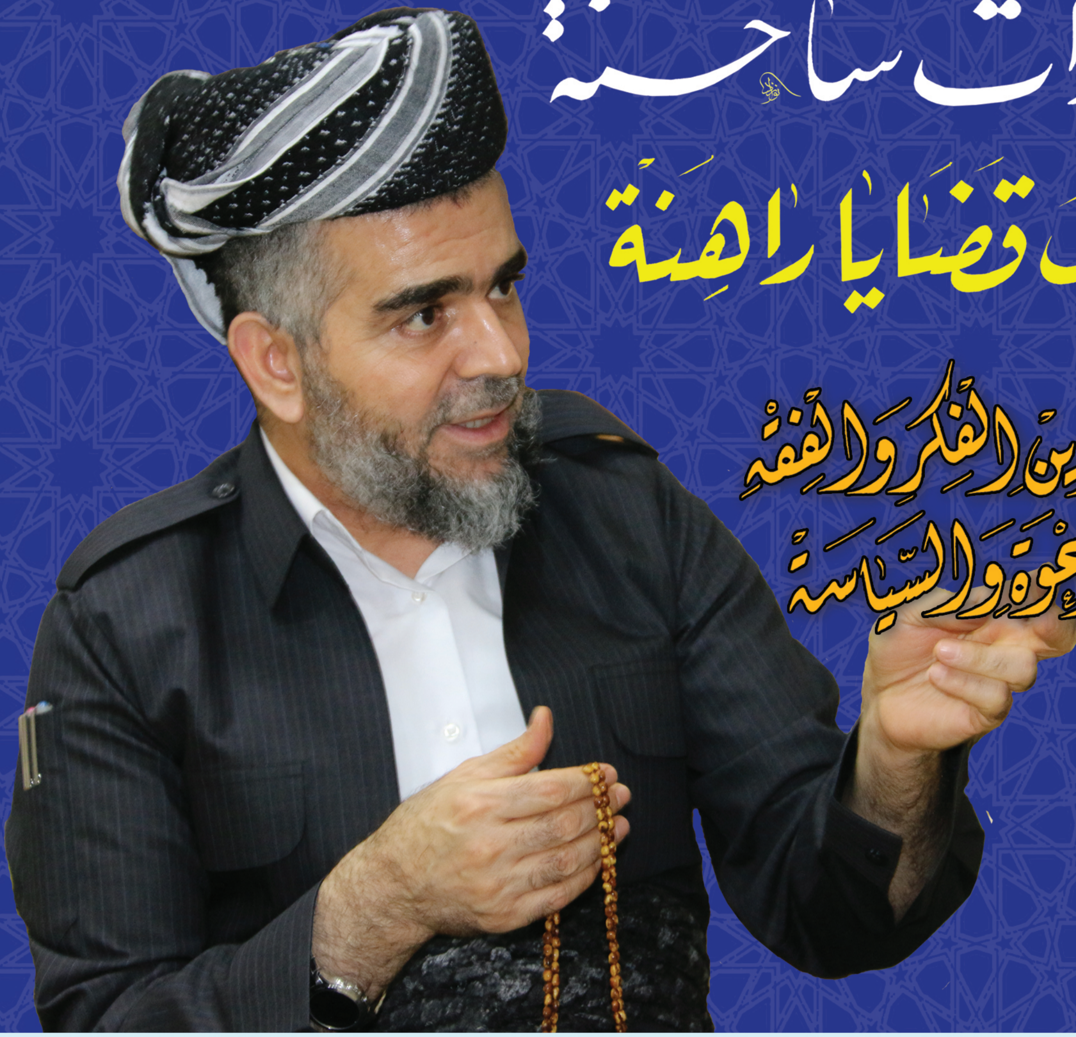


حوارات ساخنة

حَوْلَ قضايا راهِنة

في مَيادين الفِكرِ والفِقهِ وَالدَّعْوةِ والسِّياسة

الشيخ علي باپير

السيد عبدالفتاح السيد

حوارات ساخنة

حول قضايا راهنة

في ميادين الفكر والفقه والدعوة والسياسة

الشيخ علي باپير

ameer.maktab@yahoo.com

/AliBapir /AliBapir /MediaAmeerOffice

www.alibapir.net

السيد عبد الفتاح السيد

حوارات ساخنة

حول قضايا راهنة

في ميادين الفكر والفقه والدعوة والسياسة

لقاء صحفي مع الشيخ علي باپير

السيد عبدالفتاح السيد

الناشر	:	مركز القاهرة للدراسات الكوردية
التصميم	:	جمعة صديق كاكه
الخط	:	نوزاد كويي
الطبعة	:	الأولى ١٤٣٩ هـ -٢٠١٨م
رقم الإيداع	:	٢٠١٧/٢٦٥٠٩
الترقيم الدولي:		٩٧٨.٩٧٧.٨٥١٣٦.٧.٧

مركز القاهرة للـــدراسات الكردية
Cairo Center For Kurdish Studies

٤٦ المنطقة ١٩ العمرانية الثانية. الحي ١١. مدينة ٦ أكتوبر
الجيزة. جمهورية مصر العربية
ت / ٠٠٢٠١٢٢٢٦٢٩١٨٦
E-mail: ccksofficial@gmail.com

ameer.maktab@yahoo.com
/AliBapir /AliBapir /MediaAmeerOffice
www.alibapir.net

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍۖ أَن
تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثۡنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ
تَتَفَكَّرُواْۚ ...٤٦﴾ سبأ

ameer.maktab@yahoo.com

/AliBapir /AliBapir /MediaAmeerOffice

www.alibapir.net

إهداء

إلى الباحثين عن الحق بموضوعية
وحياد وانفتاح، بعيداً عن الأنانية
والتعصُّب والإنغلاق.

ameer.maktab@yahoo.com

/AliBapir /AliBapir /MediaAmeerOffice

www.alibapir.net

ameer.maktab@yahoo.com

/AliBapir /AliBapir /MediaAmeerOffice

www.alibapir.net

مقدمة

الحمدلله حق حمده، والصلاة والسلام والبركات على عبده، محمد نـــبـــي الله الخاتم، ورسوله الأعظم، ونوره الأَتم، وآله السائرين على دَرْبه، من الصَّحب والأزواج والقرابة والتابعين لهم بإِحسان: المنخرطين في سِلْك حِزْبه.

قرّائي الأَعزّاء!

هذا الكتاب الذي بـــين أيديكم هو مجموع حوارات – ثلاث وثلاثون (٣٣) حلقة، كل حلقة استغرقت نصف ساعة- أجراها معي الأخ: السيد عبدالفتاح الســـيد، مـــدير مركز القاهرة للدراسات الكوردية، بـــين يومي: ١٤/١٢/٢٠١٦ و١٩/١٢/٢٠١٦م، ويومي: ٥/٤/٢٠١٧ و٦/٤/٢٠١٧م، في أربـــيل.

تَطرَّقْنا في هذه الحوارات الى مختلف القضايا الساخنة التي يدور حولها الجدال والنقاش في مجالات: الفكر والفقة والدعوة والسياسة والإِجتماع.

وهذه إيضاحات أربعة حول هذه الحوارات:

١- هذه الحوارات جرت بصورة مباشرة وجهاً لوجه، وليس بأسلوب كتابة الإسئلة وإِعطائها للمجيب، وتَلقِّي الأجوبة كتابةً، فيما بعد.

٢- يُلاحَظُ شيء من التكرار والإِعادة في بعض المواضيع، إِذ كانت أجوبتي تابعة لأسئلة المُحاور الكريم.

٣- نُشِرت هذه الحوارات بحلقاتها الثلاث والثلاثين في موقع: (مصر العربـــية) بعد أخذ الموافقة الخطية مِنِّي، فجزى الله العاملين فيه خيراً، ولهم الشكر الجزيل.

٤- قمت ببعض التعديلات التي لاتَمُسُّ جوهر الحوارات ومحتواها، بل تُغْنيها

وتُقوِّيها، ومنها عزو الآيات المباركة الى سورها، وتخريج الأحاديث النبوية من مَظانِّها.

ووضَعْتُ عناوين مناسبة للمحاور، حسب محتوياها، ورَقَّمْتُ العناوين البالغ عـــددها تسعة وأربعون(٤٩)، بغية تسهيل مراجعة المواضيع.

وأشكر الأخ: السيد عبدالفتاح السيد: مدير مركز القاهرة للدراســـات الكورديـــة، وأسألُ الله تعالى له التوفيق والتيسير في أُموره.

وختاماً:

- أسأل الله تبارك وتعالى أن يبارك في هذه الحوارات، ويجعلها سبباً لإِزالة كثيرٍ من الغَبَشِ والغموض عن وجه الإِسلام الناصع المُشرق.
- هذا جُهْدُ المُقِلّ، فما كان فيه من الحق والصواب، فهو فضلٌ من الله الكريم الوهاب، وأحمد الله تعالى عليه، وما كان فيه من الخَطإِ والزَّلل، فهو مِنِّي والإِسلام منه بريء.
- وأشكر مُسْبَقاً كلَّ من يُنَبِّهُني الى ما ينبغي التنبـــيه عليه وتصحيحه، إذ (كُـــلُّ ابْنِ آدَمَ خَطّاءٌ، خَيْرُ الْخَطّائِينَ التَّوّابُونَ) [١].

سبحان ربك العزّة عما يصفون. وسلام على المرسلين. والحمدلله رب العالمين.

١٨ ذي الحجة ١٤٣٨ هـــ

٢٠١٧/٩/٩م

أربـــيل/إقليم كردستان العراق

١) أَخْرَجَهُ أَحْمَد برقم: (١٣٠٧٢)، وَالتِّرمِذِيُّ برقم: (٢٤٩٩) وَحَسَّنَهُ الألباني في (المشكاة) برقم: (٢٣٤١).

تقديم

هذا الكتاب ولقائي مع الشيخ علي باپير

لهذا الكتاب قصة أرى أنها تستحق أن أرويها لتساعد في رسم صورة واضحة عما سيرد خلال صفحات الكتاب، كما ترسم ملامح قريبة وربما تفصيلية عن الشيخ علي باپير أمير الجماعة الإسلامية.

بحكم تخصصي في الشئون الكوردية، وبعد أن أسست مركز القاهرة للدراسات الكوردية، كأول مركز عربي ومصري يختص فقط بالشئون الكوردية، كنت حريصًا في كل أنشطة المركز على مشاركة مختلف أطياف المشهد السياسي الكوردي، وأن تتاح الفرصة لجميع الأحزاب والقوى والتيارات السياسية الكوردية للمشاركة والتعريف بنفسها والتعبير عن نفسها وأفكارها ومواقفها.

وفيما يتعلق بإقليم كردستان العراق، ورغم سيطرة الحزبين الكبيرين هناك ــ الديمقراطي الكوردستاني والإتحاد الوطني الكوردستاني ــ على المشهد السياسي، إلا أن الشارع السياسي تحتل فيه أحزاب وقوى أخرى مساحات لا يستهان بها، ومنها الجماعة الإسلامية وزعيمها أو أميرها الشيخ علي باپير.

وأعترف أن الجماعة وأميرها لم يكن عندي معرفة كافية بهما، ما دفعني للبحث عن مزيد من المعرفة تساعدني في تخصصي، ولهذا وفي إحدى زياراتي لإقليم كردستان،

سعيت للقاء قيادات الجماعة ومعها قيادات حزب الإتحاد الإسلامي.

وإذا كانت الظروف غير ملائمة وقتها ــ عام ٢٠١٤ ــ في نظر قيادات الإتحاد الإسلامي للقاء صحفي وباحث مصري، فإن الجهود التي بذلها أصدقائي لترتيب موعد مع الشيخ علي باپير نجحت حيث وافق الشيخ على لقائي في مكتبه بمدينة أربيل.

سافرت من مدينة السليمانية إلى أربيل خصيصًا لمقابلة الشيخ.

قبل الموعد المحدد كنت أمام مقر الجماعة الإسلامية ومكتب الأمير، وكانت الدهشة أن المقر لا يتميز أو يختلف عن البيوت المجاورة أو بيوت المدينة، كنت أتصور أن المقر سيكون متميزًا عن غيره بالضخامة والفخامة والحراسات، لكني وجدته على الصورة التي ذكرتها، ولا يختلف إلا ببضع رجال للحراسة ولافتة على واجهة المبنى.

وإذا كان هذا هو حال المبنى من الخارج، فلم يكن غريبًا أن تكون البساطة هي السمة المميزة للمبنى من الداخل، لا مكان هنا للفخامة المبالغ فيها، وكان هذا هو أيضًا حال مكتب الأمير الذي يستقبل فيه ضيوفه، مهما كانت درجاتهم ومناصبهم وحالهم الإجتماعي.

بدأ الشيخ علي باپير لقاءنا بالقاء تحية الإسلام كاملة، في صوت مميز ولغة عربية سليمة ورصينة، ووجه باش بابتسامة صادقة تدرك أنها خارجة من أعماق القلب لا تشوبها شائبة المجاملة أو البروتوكول، مرتديًا الزي الكوردي المعروف الذي يعتز به كثيرًا ويرتديه بصفة دائمة.

صافحني الشيخ بحميمية وكأننا أصدقاء منذ عشرات السنين، مرحبًا بي في كردستان وأربيل ومقر الجماعة الإسلامية، وزاد ترحابه كوني مصرياً من بلد الأزهر الشريف من مصر أم الدنيا.

قبل أن نبدأ حوارنا الصحفي سألني عن آخر التطورات في مصر وعن حال المصريين، ثم بأدب جم رجاني أن ألتزم الأمانة في نشر ونقل ما يقوله، مؤكدًا أنه واثق من أمانتي وخلقي.

وجاءت إجاباته على أسئلتي صريحة ومباشرة وجريئة فيما يتعلق بالأحداث في مصر وكردستان، وعميقة تعكس رؤية وفهمًا صحيحًا وشاملاً وعميقاً للإسلام في الأسئلة المتعلقة بتنظيم الدولة الإسلامية (داعش) وغيره من التنظيمات المتطرفة، والوجه الحقيقي للإسلام وشريعته.

ومع نهاية اللقاء أهداني الشيخ بابير كتابين، الأول (**أمير وراء القضبان**) تتصدر صورة الشيخ غلافه، ويتناول فترة اعتقاله على يد الأمريكان في سجن كروبر ببغداد لنحو عامين، والثاني (**القواعد الشرعية والأسس العامة للجماعة الإسلامية الكوردستانية**).

كان هذا أول لقاء جمعني بالشيخ علي بابير، الذي ترك خلاله بصمة في نفسي، ووضع اللبنة الأولى لما سيكون فيما بعد.

المحطة الثانية كانت عندما تم دعوتي ضيفًا على الأستاذ ضياء رشوان في برنامجه (منابر وسيوف) على قناة (الغد العربي) للحديث عن تنظيم أنصار الإسلام الكوردستاني.

وكعادتي أعددت للأمر بالعودة إلى ما لدي من دراسات وأوراق وكتب عن الإسلام السياسي في كردستان العراق، وكان من بين ما راجعت الكتابين اللذين أهداهما لي الشيخ.

والحقيقة أنني كنت أعتقد أن (**أمير وراء القضبان**) مجرد كتاب عن أمير الجماعة الإسلامية تمجيدًا فيه وله، لكنني وجدت الأمر غير ذلك تمامًا، فالكتاب بمثابة مرجع عن التيارات الإسلامية في كردستان العراق وتجاربها وعلاقاتها ببعضها البعض وبالسلطة الحاكمة في العراق وإقليم كردستان، وعن الجماعة الإسلامية منذ بواكير ظهورها.

استفدت كثيرًا من الكتاب وما به من معلومات خلال مشاركتي بالبرنامج.

ومن صفحات الكتاب تولدت لدي الفكرة، فكرة التعرف أكثر على الجماعة الإسلامية وأميرها.

والحقيقة أن منطلقي في ذلك هو البحث الدائب عن الحقيقة، الذي لا يشبعه ما لدي من معرفة بالجماعة وزعيمها، وأعترف أن هذه المعرفة كانت منقوصة أو مشوشة بفعل أغلب المصادر التي استمدت منها هذه المعرفة، والتي كانت تتخذ مواقف سلبية من الجماعة وزعميها، وصل الأمر إلى المساواة بين الجماعة و(داعش)!!.

ولأن "أن تسمع من الشخص أفضل من أن تسمع عنه"، فقد فكرت في الإقتراب أكثر من الجماعة وزعيمها، لتكوين صورة كاملة حولهما، تنطوي بلا شك على عدد من الفوائد لي كصحفي ومتخصص في الشئون الكوردية.

وهنا جاء دور الصديق (كوردو أحمد) عضو الجماعة الذي يعيش في أوروبا، فاتحته برغبتي هذه فوجدت منه تأييدًا وترحيبًا، والتزامًا منه بأن يساعدني في الترتيب والتنسيق للأمر، وهو ما تحقق بعد ذلك، فلولا جهود الأخ (كوردو) لما تم الأمر، فقد عرض الفكرة على الشيخ علي باپير والذي لم ينس لقاءنا، وأبدى موافقته الفورية، مرحبًا بي في أي وقت، بل بادر بعدها بأيام واتصل بي ليؤكد مجددًا الترحيب بي في أي وقت، لتتم الزيارة واللقاء والصحبة في نهاية عام ٢٠١٦م.

في مقر الجماعة بمدينة السليمانية، كان اللقاء الثاني، والأول خلال الزيارة مع الشيخ، وكان قادمًا من أربيل، وبنفس الترحاب والروح استقبلني بالأحضان الأخوية، لنتذكر سويًا لقاءنا الأول والحوار الصحفي، أهديته نسخة من كتابي متضمنًا نص الحوار الذي سبق ونشرته بالقاهرة، فوجيء الشيخ بأني نشرت كل كلمة قالها، رغم أن جانبًا ليس قليل منه لم يكن في صالح النظام الحاكم في مصر، وكان يسبح ضد التيار في مصر. أسعده ذلك فشكرني على أمانتي، فأكدت له أن هذه طبيعتي وأسلوب حياتي ومبدأي الأهم في عملي الصحفي.

في اللقاء اتفقنا على أن أصحبه في نشاطاته ولقاءاته وزياراته، لأرسم صورة متكاملة عنه وعن الجماعة الإسلامية، وأن يكون بيننا العديد من الجلسات والحوارات في هذا الصدد.

وطوال أسبوعين كنت ملازمًا للشيخ في تحركاته وزياراته ولقاءاته سواء الحزبية أو الإجتماعية والميدانية، دارت بيننا حوارات كثيرة خلال رحلات السفر لعدد من المدن والقرى، وعلى الطريق أثناء زياراته داخل المدينة، وكذلك عقب الصلوات وخلال تناول الطعام سويًا، علاوة على عدة أمسيات دافئة جمعتنا في ليالي كردستان الباردة، تطرق الحديث فيها إلى مختلف الأمور والقضايا، أحاديث كان عنوانها الأبرز الصراحة والشفافية، اكتشفت عن طريقها وجوهًا متعددة لشخصية الشيخ علي باپير، السياسي، القائد، عالم الدين، المصلح، المفكر، الأب، الأخ، المعلم.

وطوال الأسبوعين والصحبة، كنت أراقب وأرصد وأسجل كل صغيرة وكبيرة، كل كلمة، وهمسة ولفتة وإيماءة، وملامح وتعبيرات الوجوه، لأقف بعدها على الحقيقة بما لدي من فراسة وحدس وخبرة كافية لأكتشف الغث من السمين، والحقيقي من المزيف المصطنع، والصادق من المدعي، والطبيعي من المتكلف.

وأشهد أنني لم أجد في الشيخ علي، إلا رجلًا مؤمنًا صادقًا على طبيعته دون تكلف، متواضع أشد التواضع، شديد الأدب، مكارم الأخلاق أصيلة في تركيبته، رجل يفعل ما يقول وباطنه كظاهره، وفي نفس الوقت سياسي عتيد وعظيم الخبرة والحنكة، يعرف ماذا يقول ويفعل، في الوقت المناسب وبالطريقة المناسبة، يدير شئون الجماعة بكفاءة وفق مباديء راسخة من الشورى والمودة، وهو فوق كل ذلك عالم دين ومفكر من طراز خاص، يملك رؤية فريدة وعميقة في فهم الدين الإسلامي على حقيقته كما أراده الله عزوجل، حيث لا إفراط ولا تفريط، رؤية تدرك تمامًا أن الإسلام لكل زمان ومكان، هو دين لجميع البشرية دون تمييز، لمن يدينون به ولغيرهم.

وهو عالم دين استوعب كل المذاهب والطرق والرؤى والإجتهادات والتيارات، ليخرج برؤية وفكر خاص به، لا يتصادم مع أحد لمجرد التصادم، ولا يتوافق مع أحد إلا لوجه الله ولخدمة الإسلام والمسلمين.

ولعل ذلك هو ما أخرج هذا الكتاب الذي كان التصور في البداية أن يتناول الشيخ علي باپير والجماعة الإسلامية الكوردستانية، من الناحية السياسية وحدها، لتتطور الفكرة وتتسع أكثر لفائدة أكبر، بأن يتناول قضايا إسلامية وفكرية مهمة وساخنة وآنية، كانت محور الحوارات التي جمعتني بالشيخ علي باپير، والتي أتمنى أن أكون قد حققت فيها بعض التوفيق في اختيار القضايا والأسئلة المهمة فيها، والتي تشغل بال المسلمين وغيرهم في هذه الأيام.

وفي النهاية لا يسعني إلا أن أشكر بشدة الشيخ علي باپير، على سعة صدره وما أتاحه لي من أوقات لإجراء الحوارات، وللصحبة الطيبة معه.

كما أتوجه بالشكر إلى كل من لم يبخلوا علي بالمساعدة في إنجاح الزيارة والحوارات والصحبة، فلا أنسى فضل الأخوة (نجاة أحمد) و(حيدر مظفر) والجهود الضخمة التي قاما بها، وأتوجه بعميق الإمتنان للشيخ (حسن بابكر) على طيب المشاعر وصدقها، وعلى دوره الكبير البارز في ترتيب وتنظيم كل ما تعلق بالزيارة والحوارات والجولات.

كما أشكر جميع الإخوة في قناة (الجماعة) فلولاهم ما كانت الحوارات التلفزيونية مع الشيخ لتخرج بهذا الشكل المحترف والمميز.

والشكر لكل الإخوة قيادات الجماعة الإسلامية وأعضائها، وجميع العاملين في مكتب الشيخ، وأفراد الحراسة والسائقين، أصحاب القلوب الطيبة والنفوس النقية المخلصة، الذين جمعتني بهم صداقة وأخوة، وكان بيننا كما نقول بالمصري(عيش وملح).

إلى هؤلاء جميع أوجه شكري وتقديري وامتناني.

السيد

١٨/١٢/١٤٣٨هـ

٩/٩/٢٠١٧م

القاهرة

١
مدخل

السادة المشاهدون!

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

يُسْعِدُنا أن نرحب بكم في لقاء هو الأول من نوعه في الإعلام المصري، من كردستان العراق، تلك الأرض التي أنعم الله عليها بشعب طيب يراعي دين الإسلام مراعاة كاملة[١]، وأيضاً هذا الشعب تعرَّض لكثير من المظالم والإِضطهاد، طوال عقود طويلة على أيدي الأنظمة الحاكمة.

من عاصمة إقليم كردستان العراق، يسعدنا أن نرحب بكم في لقاء مهم للغاية، يعطي صورة كاملة عن القضية الكوردية وعن الشعب الكوردي، وعن فصيل مهم من الفصائل السياسية والدينية في إقليم كردستان العراق، وهو الجماعة الإسلامية في كردستان العراق، يسعدنا أن نلتقي، وهو اللقاء الأول لنا ولأي وسيلة إعلامية مصرية، مع الشيخ الأمير علي باپير، أمير الجماعة الإسلامية في كردستان العراق.

السلام عليكم يا شيخنا الأمير! ويسعدنا أن نرحب بكم.

ـ وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، ونحن نرحب بكم في بلدكم الثاني كردستان العراق، فأهلاً وسهلاً ومرحباً بكم، وبكل الشعب المصري الطيب.

---

١) هذا حسن ظن – أخينا السيد عبدالفتاح – بِنا، لكن الواقع ليس كذلك.

بارك الله فيكم يا شيخنا، في البداية نحن في مركز القاهرة للدراسات الكوردية، وهو أول مركز عربي ومصري متخصص في الشئون الكوردية، ورأى أنه من الأهمية ومن الواجب عليه أن يقوم بهذه المهمة التي للأسف، طوال عقود طويلة لم ينتبه إليها أحد.
المركز هدفه الأساسي توضيح الصورة الكاملة عن الشعب الكوردي: تأريخه وثقافته، إسلامه ونضاله الطويل وقضيته العادلة في الأجزاء الأربعة، سواء في العراق أو تركيا أو سوريا أو إيران، هذه هي المهمة الرئيسية والهدف الرئيس لمركز القاهرة للدراسات الكوردية، وبالتالي كانت زيارتنا بدعوة كريمة من سيادتكم إلى إقليم كردستان العراق لنقف على حال الجماعة الإسلامية وعلى تأريخ الجماعة الإسلامية، وأن نتعرَّف عليكم، ونعطي صورة عن قرب للمشاهد والمتابع والقارئ المصري عن الشيخ علي باپير كأمير للجماعة الإسلامية، تأريخه النضالي، ومواقفه السياسية ومشروعه الفكري والديني . يسعدنا مرة ثانية أن نرحب بكم ونرجو من سيادتكم - لأن هذا هو اللقاء الأول لنا معكم وللمشاهد والمتابع المصري والعربي - أن تعطينا مزيداً من التفاصيل لبعض الوقائع والأسماء والأماكن إن شاء الله تعالى.

ــ وأنتم مرحب بكم ثانية وثالثة وكذلك أنا أبارك لكم جهودكم في هذا المركز، وأرجو الله تبارك وتعالى أن يبارك في جهودكم، وكما تفضلت: الشعب الكوردي بأمس الحاجة الى أن يعلم عنه الغير وخصوصاً إخوتنا العرب، والذي بين الشعب الكوردي والعربي تأريخ طويل وقديم وعميق، نحن بأمس الحاجة أن يعلم عنا إخوتنا في الشعب العربي: مَنْ هو هذا الشعب؟، وكيف وضعه السياسي؟ ووضعه القومي؟ وتطلعاته وتياراته الفكرية والسياسية، والإتجاه الإسلامي سواء في إقليم كردستان، أو الأجزاء الأخرى من كردستان الكبرى؟، لهذا أنا أشدّ على أيديكم عندما فتحتم هذا المركز للإهتمام بالكورد والشعب الكوردي والوطن الكوردي، فجزاكم الله خيراً ولكم ألف شكر.

٢

تعريف شخصيٌّ موجز

في البداية نريد من حضرتك تعريفاً موجزاً بك والجماعة الإسلامية ؟

ـــ أنا اسمي الثلاثي: علي بابير وتمان، من مواليد (١٩٦١م) ولدت في قرية تابعة لناحية (سنگسر) وهذه الناحية بدورها تابعة لقضاء بشدر، والذي مركزه مدينة (قلعة دزة)، وهذه المدينة قضاء تابع لمحافظة السليمانية، ولدت كما قلت: في سنة ١٩٦١م ودخلت المدرسة الإبتدائية في سنگسر ثم انتقل أهلنا إلى قضاء (رانية)، وهناك واصلت الدراسة الإبتدائية إلى أن أكملتها، بعدها دخلت متوسطة المعهد الإسلامي وأمضيت سنة، وبعدها صارت نكسة (١٩٧٥م) نكسة ثورة أيلول، إثرَ ذلك انتقلتُ إلى مدينة السليمانية لإكمال الدراسة، وأمضيت هناك خمس (٥) سنوات، من الثاني المتوسط إلى أن أكملت السادس الثانوي، وكنت طوال سنوات الدراسة: الأوَّلَ على جميع زملائي، وفي نفس السنة التي أكملت فيها السادس الثانوي، أكملتُ أيضاً حفظ كتاب الله المبارك، وكنت أحفظ يوميا جزءاً من القرآن، فأكملت حفظ القرآن الكريم كُلِّه في غضون شهرٍ.

ثم في عام [١٩٨٠-١٩٨١] دخلت إلى المرحلة الجامعية: كلية (الشريعة والعلوم الإسلامية) في مدينة النجف، وفي المرحلة الثانية أي عام [١٩٨١-١٩٨٢] صدر أمر بالقبض عليَّ من قبل النظام، فهربت من النظام ولجأت إلى كردستان إيران، قضيت فيها

فترةً، بعد ذلك ذهبت إلى طهران، ثم رجعتُ بعد أن تدخَّلَ بعض وجهاء ورؤساء العشائر في القضية وتوسَّطوا لي، وعالجوا مشكلتي مع النظام في ذلك الوقت، وأديت امتحان الإمامة والخطابة، هنا في مدينة أربيل سنة ١٩٨٣م، وتعينت كإمام وخطيب في مسجد النورسي في مدينة رانية، وهكذا إلى أن تزوجت فيما بعد في عام ١٩٨٤ للمرة الأولى.

وفي غضون ذلك كنت منخرطاً في العمل الإسلامي، بل وقبل ذلك عندما كنت في الثانوية الإسلامية في السليمانية، شاركت في تأسيس نواة تنظيم [حركة الرابطة الإسلامية] وذاك اليوم لم يكن الإسم مشهوراً، لكن أنا شاركت في الإجتماعات التأسيسية لهذه النواة التنظيمية، ثم اشتهرت الحركة باسم حركة الرابطة الإسلامية وشاركت في بعض الإجتماعات والأسفار، إلى أن أعلن عن الحركة في عام ١٩٨٥ كحركة مسلحة خاضت النضال ضد النظام البائد، وفيما بعد تغير الإسم إلى [الحركة الإسلامية] كإسم عام.

ثم خرجتُ مع مجموعة من زملائي لأنه لم يَعُدْ بالإمكان أن نبقى مختفين، حيث كنا نعمل مختفين، فخرجنا وشَكَّلْنا قوة عسكرية تحمل اسم [سيد الشهداء حمزة] في منطقة جبل [قنديل]، فأستوطنا في منطقة قنديل: قرية [قلا توكان]، وأمضينا سنة تقريباً هناك، ثم صار ما صار: فَجَرَتَ قضية الصلح بين العراق وإيران، فأضطُرِرْنا أن نستوطن الشريط الحدودي بين العراق وإيران، إلى أن حدثت انتفاضة عام ١٩٩١م وفيما بعد رجعنا الى المدن، ومرة أخرى بدأنا النضال السياسي عندما تخلَّصنا من هيمنة النظام البائد، وفي كل المراحل كنا مع شعبنا، ثم خضنا انتخابات ١٩٩٢م الإنتخابات الأولى في إقليم كردستان والتي من جرائها ونتيجتها صار لنا برلمان وحكومة وبقية المؤسسات والأجهزة التي كونت هذا الكيان السياسي في إقليم كردستان، هذا باختصار.

نعلم أن عام ١٩٩١م هو عام انتفاضة الشعب الكوردي ضد النظام العراقي السابق: نظام صدام حسين وحزب البعث، كانت بداية لتجربة سياسية: أن يحكم الكورد في العراق أنفسهم للمرة الأولى، أنت والحركة الإسلامية شاركتم بقوة في هذه العملية السياسية، هل كان لكم في البرلمان مقاعد وفي الحكومة وزراء أو ممثلين ؟

ــ في الإِنتخابات الأولى وضع الحزبان الكبيران، شرْطاً: الحزب الديمقراطي الكوردستاني بقيادة السيد مسعود بارزاني، والإِتحاد الوطني الكوردستاني بقيادة السيد مام جلال طالباني، وهو أنَّ أي حزب لا تصل نسبة أصواته: (٧%)، لا يقبل في البرلمان، ونحن لم نتمكن من اجتياز هذا الحدِ الفاصل الذي وضعوه، واعتبرناه ظلماً، وفيما بعد رفعوا هذا الشرط، وللحقيقة يجب أن نقول إنه حدث تزوير خلال هذه الإِنتخابات من قبل الحزبين ضد بعضهما البعض، وضدنا نحن أيضاً، وهذا ما أقر به كل منهما، ونحن لم نجتز هذا الفاصل، و لم ندخل البرلمان، في دورة البرلمان الأولى.

ameer.maktab@yahoo.com

/AliBapir /AliBapir /MediaAmeerOffice

www.alibapir.net

٣

تعريف بالجماعة الإِسلامية الكوردستانية

متى تم تأسيس الجماعة الإسلامية ؟

ـــ الجماعة الإسلامية هي امتداد للحركة الإسلامية السابقة، وفي سنة ١٩٩٨ اتحدت الحركة الإسلامية بقيادة الشيخ عثمان عبد العزيز يرحمه الله والذي خلفه عليها شقيقه الشيخ علي عبدالعزيز رحمه الله فيما بعد، وحركة النهضة الإسلامية بقيادة: الشيخ صديق عبدالعزيز شقيق الشيخ عثمان والشيخ علي، فحدث اندماج واتحاد باسم [حركة الوحدة الإسلامية]، وكان لنا ملاحظات حول هذا الإتحاد وكيفية الإندماج، ثم عُقد أول مؤتمر لحركة الوحدة الإسلامية في قرية (طويلة) التابعة لقضاء حلبجة المتاخمة للحدود الإيرانية، وهناك من جرّاء عدم التزام الشيخ علي عبدالعزيز ومن معه، بنتائج المؤتمر، حدثت مشاكل – لا أريد الخَوض في تفاصيلها – آضطرتنا أن نعلن عن أنفسنا باسم الجماعة الإسلامية، وانتخبوني أميراً لهذه الجماعة يوم ٣١/٥/ ٢٠٠١.

إذن تأسيس الجماعة الإسلامية كان السبب الرئيسي فيه هو غياب الديمقراطية ، أنه لم تكن الحركة الإسلامية تدار بشكل ديمقراطي وتحترم قرارات المؤتمر والأفكار الموجودة في الحركة نفسها ؟

ـــ نعم، لكن نحن نستعمل كلمة [الشورى] لأن لي ملاحظات على الديمقراطية ذكرتها في كتابي: [مسائل عصرية رائجة]، طبعاً الديمقراطية كآلية للإدارة والحكم

ليس لنا عليها ملاحظات، لكن لنا ملاحظة أساسية على الديمقراطية من حيث جوهرها، وهي: إعطاء حق التحليل والتحريم لغير الله سبحانه وتعالى، هذه هي الملاحظة الأساسية لنا على الديمقراطية، أما مسألة الإِنتخابات، وكون السلطة بـيد المجتمع، وتحقيق الحقوق والحريات وما شاكلها، فهي من ضمن ما أتت به الشريعة الإسلامية وهي نقاط اتفـاق بـين الديمقراطية والشورى.

نعم ملاحظاتنا على منهج الشيخ علي رحمة الله عليه ومن معـه في إدارة الحركـة، تَتَلخَّصُ في الآتي:

أولاً: أنه ما كان يلتزم بالمنهج والنظام الداخلي.

ثانياً: ما كان يراعي الشورى ونتائج الإِنتخابات التي تجري ولا يلتزم بها.

ثالثاً: قضية بـيت المال، كنا نحرص أن يكون بـيت المال واضحاً وفيه شفافية.

رابعاً: أن تكون العلاقات مع الأحزاب ومع الدول والمنظمات واضحة ونابعة مـن مؤسَّسة شرعية، وليست وفق مزاج شخصي.

خامساً: أولاد الشيخ وأقاربه كانوا يتدخلون في كل الشئون، بدون أن يكون لهـم محل في إعراب الحركة أو قيادتها، حسب أعرافنا الحزبـية.

هذه الأسباب الخمسة كانت الأسباب الحقيقية وراء نشوء الجماعة الإسلامية، ونحن لم نستعمل كلمة (انشقاق)، لأن الأغلبـية الساحقة في الحركـة الإسـلامية السـابقة انضوت تحت لواء الجماعة، فمثلاً: من ضمن تسعة وعشرين من أعضاء القيادة، كـان منهم ستة وعشرون مؤيدين لنا، وكان ثلاثة فقط من الطرف المقابل، وحتى الشيخ علي إنما أبقيناه بشروط، وهو لم يلتزم بها، فَفَقَد شَرعيَّته! والآن نحمد الله، عندما نتذكر هـذا التأريخ، أننا صبرنا وكظمنا غيظنا ونأينا بأنفسنا عن أي صدام، وهم حـاولوا كـثيراً وتعرَّضوا لنا، ولكن نحن نَأَيْنا بأنفسنا عن كل ذلك، إذْ كنـا عنـدما نتـذكر تجربـة الإسلاميين في الجزائر وأفغانستان وأماكن أخرى، كان هذا يُخيفنا، فكنا نضغط علـى أعصابنا ونضبط أنفسنا وأفرادنا، والحمد لله نجونا بسلامة.

٤

سبب اختيار اسم (الجماعة الإِسلامية)

لماذا اخترتم اسم الجماعة الإسلامية بصفة خاصة ؟ وهل لجماعتكم علاقة بالجماعة الإسلامية في مصر، أم أنه مجرد تشابه في الإِسم؟

ـــ لا، هو مجرد تشابه، (الجماعة الإسلامية) هي اسم عام، كما أن (الحركة الإسلامية) اسم عام: الحركة الإسلامية في إيران، الحركة الإسلامية في تركيا، في السودان، في مصر، اسم عام، فنحن لكى نميِّز أنفسنا عن الإِسم السابق، أطلقنا على أنفسنا هذا الإِسم، مع أن الإنضواء تحت العنوان السابق لا يُكسب أحدا شرعية، لماذا؟ لأن (الحركة الإسلامية) عندما اندمجت مع (حركة النهضة)، شكَّلتا (حركة الوحدة الإسلامية)، إذن (الحركة الإسلامية) و(حركة النهضة) لم يَبقَ لهما وجود، أي لم يبقَ لهما وجود شرعي، وإنما وجِد شيء ثالث، وهو (حركة الوحدة الإسلامية)!

أَجَلْ، هو مجرد تشابه في الإِسم، بل ومنذ زمنٍ طويل كان لنا ملاحظات على كثير من الحركات التي تتبنَّى العنف والشدة في التعامل مع المجتمع، ومع الحكومات، لماذا؟ لأننا لم نر إلا الدماء والأشلاء والخسائر، لم نر فوائد تُجنى من هذه الإِصطدامات، وهذا ما عملنا به نحن في واقع إقليم كردستان، عندما أعلنَّا عن الجماعة الإسلامية آستُهدِفنا من قبل: (الإتِحاد الوطني الكوردستاني) مرتين، قُتل أحد قياديينا، وهو الشيخ عبد الله

قصري، تقبلّه الله شهيداً، في سيطرة (طاسلوجة) وأربعة من حمايته، ثم تعرضت مقراتنا لقصف أمريكي بالصواريخ، وكانت أصابع الإتهام موجهة نحو الإتحاد الوطني، أنهم هم الذين وشوا بنا، وهم الذين ورّطوا الأمريكان بأن الجماعة يجب أن تُقصف مقراتها، هكذا كان يُقال، ومع هذا، صبرنا وكظمنا غيظنا، لأننا كنّا ندرك أنَّ: الإقتتال الداخلي نزيف للطرفين، والخاسر هو الشعب والمجتمع ككل، فلنصبر إلى أن تتوضح الصورة، وتتَّضح مظلوميتنا للشعب، وهكذا فعلنا وهذا هو ما حصل.

إذن: ليس لدينا أي ارتباط مع (الجماعة الإسلامية في مصر)، نعم كشخص التقيت ببعض الإخوة: منهم: (طلعت فؤاد قاسم) وكان قيادياً في الجماعة، وذلك في بيشاور بباكستان في عام[١٩٩١]، كذلك التقيت بالشيخ (عمر عبدالرحمن) في جدة عام [١٩٩١] أثناء سفر الحج، وكان لقاءً عابراً، ولم يكن لقاء مبرمجاً له.

أنت ذكرت أنكم منذ تأسيس الجماعة كانت لكم ملاحظات على الجماعة الإسلامية في مصر أو مثيلاتها من الجماعات التي تنتهج العنف في الدعوة أو في التغيير. يعني نستطيع أن نقول ونؤكد أن الجماعة الإسلامية في كردستان العراق، هي ضد العنف بشكل كامل، ضد التطرف بشكل كامل، ولا تلجأ إلى أسلوب العنف في التغيير أو في الدعوة.

ــ أخي العزيز! ما قامت به (الجماعة الإسلامية المصرية) من المراجعات فيما بعد، وأنا قرأت مراجعاتها، وما قامت به (جماعة الجهاد) أيضاً، نحن عملنا مُسْبَقاً بما وصلنا إليه بعد المراجعات! وأنا لي كتيب (الأصول الشرعية والخطوط العامة للجماعة الإسلامية) عندما تقرأ هذه الكراسة -والتي شرحتها في كتاب ضخم في ٦٠٠ صفحة باللغة الكوردية، وهذه الكراسة موجودة باللغة العربية- تجدُ أننا نسير على منهج الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في التعامل مع الناس: لم أر نبياً صلوات الله وسلامه على الجميع، بدأ بالعنف في معاملة المجتمع، بل أيٌّ من الأنبياء لم يستخدم العنف حتى في مقابل العنف، على سبيل المثال:

١- في سورة الأعراف يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ (٦٥) قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٦٦) قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ (٦٧) أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ (٦٨)﴾الأعراف، كما ترى! حتى الكلمات الجارحة التي يستعملها أعداء الأنبياء، والمقصود به هنا هو: الطرف المقابل لنبي الله الكريم هود عليه الصلاة والسلام، وهم الملأ المستكبرون من قوم عاد، هو لم يجبهم بنفس الأسلوب، ولم ينزل من مستواه العالي الذي يليق بالأنبياء خلقًا وكرمًا، إلى مستواهم الهابط، بل قال: اني (لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ).

٢- ثم نجد في سورة الشعراء، أن قوم نوح عليه الصلاة والسلام يقولون: ﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ (١١٦)﴾الشعراء، يُهدِّدونه بالرجم بالحجارة، لكنه هو لا يُهدِّد، وإنما يلتجئ الى الله سبحانه وتعالى ﴿قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ (١١٧) فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (١١٨)﴾الشعراء.

٣- وكذلك نرى قوم لوط يقولون: ﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ (١٦٧)﴾الشعراء، في نفس السورة المباركة.

٤- وكذلك قوم إبراهيم عندما هددوه بالحرق، إذ قالوا: ﴿حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ (٦٨)﴾الأنبياء، فتدخل الله: ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ (٦٩)﴾ الأنبياء.

٥- وكل الأنبـــياء عليهم الصلاة والسلام يجمعهم الله تعالى في صعيد واحد في سورة إبراهيم، ثم للننظر ماذا تقول أعداء الأنبـــياء المتمـــثِّلين في المـــلأ الطواغيـــت: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَاۖ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٣﴾ ﴾إبـــراهيم، إذن: هـــــم يخيِّرونهم بـــين خيارين أحلاهما مُرٌّ: إما الإخراج من البلد، أو يرتـــدوا عـــن الدين، لكن الأنبـــياء عليهم الصلاة والســـلام يقولـــون: ﴿ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا ﴿١٢﴾ ﴾إبراهيم، هذا هو منهج الأنبـــياء عليهم الصلاة والسلام.

٥

أهم الأسس في منهج الجماعة الإسلامية

لو تذكر أهم الأسس والثوابت في منهج الجماعة الإسلامية؟

ــ من الصَّعْبِ أن أُلخِّصها، ولكن بإيجاز: الجماعة الإسلامية رأت نفسها بأنها يجب أَن تكون تابعةً لِمَنهج النبي الخاتم محمد صلى الله عليه وسلم، والذي بنى الكيان السياسي، ليس على أساس استخدام العنف والتهديد والإرهاب، وإنما على أساس إِقناع الناس، فعندما جرت اتفاقية بيعة العقبة الأولى[١]، ثم الثانية[٢]، في سنتي: الثانية عشرة والثالثة عشرة من البعثة، أي قبل الهجرة، بعد ذلك أذن الرسول صلى الله عليه وسلم لأصحابه بالهجرة والخروج إلى المدينة، بعدما لم تبق دار من دور الأنصار إلا ودخلها الإسلام طواعية، عند ذلك أقيم الكيان الإسلامي.

ونحن نعتبر شعبنا شعبًا مسلماً كبقية الشعوب المسلمة، لكن حدث فيه انحراف وابتعاد عن جادة الشريعة، وحصلت بدع وأغلاط وأخطاء، فيجب أن نصحِّح الأخطاء ونزيل الإنحرافات، والاّ فنحن نعتبر الشعب الكوردي شعباً مسلماً وملتزماً بالإسلام على الأقل على الصعيد الفردي وعلى الصعيد الأسري، وشعائر الإسلام تُقام، لكن هناك

١) أنظر: صحيح مسلم: ١٧٠٩، ومسند أحمد: ٢٢٧٥٤، عن عبادة بن الصّامت.

٢) أنظر: مسند أحمد: ١٤٤٥٦، عن جابر بن عبدالله الأنصاري.

طبعًا أغلاط وانحرافات، ليس داخل إِطار الشعب الكوردي فحسب، وإنما داخلَ إِطار الأمة ككل، فيجب تصحيحها وإرجاع الأمة إلى الإِلتزام بالإسلام في كل النواحي: عقيدةً وعبادةً وسلوكًا وسياسةً وحكمًا ، لكن هذا يراد له وقت، و يحتاجُ تربيةً وتخطيطاً وتوعيةً، وهذا ممّا لن يحصل بالإكراه والإجبار أبدًا.

٦

نظرة الى واقع الأمة الإِسلامية

الشيخ علي! نريد منكم أن تطْلِعَنا على رؤيتكم عن حال الإسلام والمسلمين كمفكر إسلامي؟

ـ المسلمون الآن مع الأسف، ابتعدوا عن الإسلام فهمًا وتطبيقًا:

أولاً: اعوجَّ فَهْمُ المسلمين لدينهم المتجسِّد في الكتاب والسنة، وهذا لم يحدث في هذا العصر فقط، وإنما حدث هذا الإِنحدار والجمود والتراجع منذ أزمان سحيقة، ويُرْجِعُهُ بعضُ العلماء والمفكرين إلى القرن الرابع الهجري، إذن بعدما اكتملت التيارات الفكرية والعقيدية، والمذاهب الفقهية، والطرق والمدارس التزكوية في التصوف والأخلاق، حدث بين الأمة تراجع وجمود فكري حيث قرَّر كثير من العلماء في ذلك الوقت: إِقفال باب الإِجتهاد، وإنما يتحرك الإسلام في الحياة، وَيثْبِتُ حَيَوِيَّته من خلال الإِجتهاد، لأن الإِجتهاد هو التجديد الذي عناه النبي صلى الله عليه وسلم عندما قال: (إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا). [1]، فالتجديد هو في فهم الدين، وليس في الدين ذاته، لأن الدين المتجسِّدَ في القرآن والسنة، ثابت، القرآن هو القرآن، والسنة النَّبويَّة غربَلَها العلماءُ، وميَّزوا الصحيح من السقيم، وصنَّفوا السنة إلى:

١) أخرجه أبوداود: ٤٢٩١ وصححه السخاوي في (المقاصد الحسنة): ١٤٩؛ والألباني في (السلسلة الصحيحة): ٥٩٩.

متواتر وآحاد، والآحاد إلى: صحيح وحسن وضعيف وموضوع، وهذا النوع الأخير لا يُسْنَدُ إلى النبـــي صلى الله عليه وسلم.

وعليه: المقصود بالتجديد في الحديث النبوي الشريف، هو تجديد النظـــر في الـــدين والفهم للدين حسب المستجدّات التي يواجهها المسلمون، فعندما يقفل باب الإجتـــهاد يعني: أن يُقْفَلُ باب الإستفادة ونيل الأنوار والفيوضات في شتى المجالات مـــن الـــوحي الربّاني. ويعني أن نَجْمُدَ على ما استنبطه السابقون: السلف الصالحُ ومن بعدهم –ومنهم الأئمة المجتهدون– من الكتاب والسنة.

ولعلمك: الآن توجد ثمانية مذاهب فقهية مدونة لهـــا أتباعهـــا: الحنفـــي والمـــالكي والشافعي والحنبلي والإباضي والظاهري والزيدي والجعفري، هذه المذاهب الثمانية هي التي بقيت من ضمن مذاهب أخرى كثيرة جدًا، مثل: مذهب الليث، ومذهب الطبري، ومذهب سفيان الثوري، ومذاهب كثيرة أخرى للعلماء.

فإذا ما أغلقنا باب الإجتهاد، يعني: أنّنا أغلقنا باب التفكير في الوحي، فالوحي صالح لكل زمان ومكان، لكن فكر البشر نسبـــي، ربما يصح في هذا الحال ولا يصح في حال آخر، وربما يصلح لهذا الزمان ولا يصلح لزمان آخر، وهكذا فعل العلماء، فالعلمـــاء لم يعملوا بهذه المقولة الخاطئة: لم يترك السابق للاحق شيئًا! وإنما اللاحق اجتهد كما اجتهد السابق، والجيل السَّلف الصالح، الذي يشير إليه الحديث النبوي الشريف: {**خير النـــاس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم**}[1]، يقول كثير من العلماء: المقصود بـــالقرون الثلاثة، هو: قرن الصحابة، ثم قرن التابعين، ثم قرن تابعي التابعين، وأكثرهم يجعل القرن سبعين (٧٠) سنة، لذا يقولون: نهاية هذه القرون الخيِّرة الثلاثـــة هـــي: عـــام (٢١٠) الهجرية، وبعضهم يوصلونها إلى نهاية المائة الثالثة ، على أي حال، المهم هو أن: اتبـــاع السلف الصالح ليس اتّباع فتاويهم وآرائهم واجتهاداتهم وأفكارهم، وإنمـــا هـــو اتبـــاع منهجهم الذي تعاملوا به مع الوحي ومع الواقع، السلف الصالح كيف تعاملوا مع الواقع؟

---

١) متفق عليه: البخاري ٢٦٥٣، مسلم: ٢٥٣٣.

كانوا ينظرون إلى الواقع الذى تحدث فيه وقائع ومستجدات وأشياء لم تحدث في السابق، فيرجعون إلى الوحي ويُعْمِلون عقولَهم الحرَّة وقلوبهم الجريئة، فيستنبطون أحكام تلك المستجدات والوقائع، هكذا فعل السلف الصالح، إذن: اتبّاعهم هو أن نفعل كما فعلوا، لا أن نقلّد ما استنتجوه واستنبطوه، لأن هذا تقليد ذمَّه الله سبحانه وتعالى في أكثر من آية، عندما قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُواْ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ١٠٤﴾المائدة، فهذا ذم من الله سبحانه وتعالى لتقليد الأتباع للسَّلف السابقين، في مقابل الوحي المعصوم والهُدى الرباني!

نعم تراجع الأمة بدأ منذ تلك الأزمان، ومن الواضح أن العثمانيين عندما جاءوا، قاموا بالفتوحات من الناحية العسكرية، ولكن بصورة عامة حدث تراجع ثم تراجع، إلى أن سقطت آخر دولة والتي كانت تمثل المسلمين أو الكيان السياسي للمسلمين، في عام ١٩٢٤م على يد كمال أتاتورك في تركيا.

ameer.maktab@yahoo.com

/AliBapir /AliBapir /MediaAmeerOffice

www.alibapir.net

٧

سبب إلصاق طابع الإِرهاب بالإِسلام والمسلمين

لماذا في رأيك: يرتبط الإسلام في ذهن البعض في وقتنا الحالي بالإرهاب؟

ــ إكمالا لما بدأناه سابقًا أقول: إنَّ تخلُّف المسلمين دينيًا ودنيويًا، حصل نتيجة ابتعادهم عن الوحي وتمسُّكهم بالتراث على حساب الوحي المعصوم، وتمسكهم المُتَعصِّب المُتَزمِّت باجتهادات السابقين وأقاويلهم التي لم تعد مناسبة، وجزاهم الله خيرًا عليها، لكننا نرى الشافعي رضي الله عنه، عندما كان في العراق كان له مذهب في الفقه، وعندما جاء إلى مصر وأهل مصر، هناك رأى واقعًا آخر وبيئةً أخرى وأعراف وتقاليد أخرى، تختلف عن التي رآها في العراق، فَجَدَّد اجتهاده وفهمه للإسلام –من الناحية الفقهية– فحصّل لنا مذهبًا آخر هو مذهَبُهُ الجديد.

والمذاهب الفقهية ليست في كُلِّ مواضيع الإسلام، لأن هناك قواطع وثوابت في الإسلام لا مجال للإِجتهاد فيها، وإذا اجتهد المسلمون فيها، إِنّما يجتهدون لكيفية تبليغ هذه القواطع وتوضيحها ثم تنزيلها على الواقع، لكن المذاهب والإِجتهادات إنما تكون في المتغيرات أو في القضايا التي تركها الشرع كمنطقة فراغ، ولم تحسم الأدلة الشرعية أمرها.

إذن: الفقهاءِ من جانبهم، ومدارس التصوف والتزكيـة، ومـدارس علـم الكـلام والتوحيد والعقائد، والعلماء الآخرون في مختلف مجالاتهم، كانوا يُقَدِّمون الأمة ويطوِّرون الأمة، وأمورها الدنيوية والدينية، عندما كانوا يجتهدون، وإنِ التخَلُّفَ حدث عندما ترك المسلمون إعمالَ عقولهم في مجال الإِبداع والتفكير والإِجتهاد، واتبعوا الأسـلاف، بـل قلَّدوهم تقليداً!

أما لماذا –في هذا العصر– أخذ الإِنطباع من المسلمين بأنهم أهل تطَرف وعنف؟

أخي العزيز! عندما ننظر في كتاب الله سبحانه وتعالى كما أشرت في السابق، لا نرى أياً من الأنبـياء عليهم الصلوة والسلام، ليس أنَّه لم يستخدم العنف فقط، بل حـتى لم يُهدِّد بالعنف! بل الأنبـياء عاملوا واقعهم بمداراة وحكمة وحنكة وبتحمل، ولكـنَّهم عليهم السلام كانوا أهل مداراة و لم يكونوا أهل مداهنة، والمداراة أن تضغط على نفسك ليسلم دينك، بـينما المداهنة أن تضغط على دينك، لتستفيد دنيوياً ولتحفظ مصلحتك، إذن: من أين حدث هذا الإِنطباع؟ حدث من جراء أن بعض المسـلمين تحـت وقـع الضغوط التي تعرَّضوا لها من قبل الأنظمة الحاكمة المستبدة، والتي أتت بالإِنقلابات وكان دَيْدَنُها الإِنفراد بالعباد والبلاد، والإِستحواذ على الثروة والسلطة كما نـرى، وكـذلك الضغوط التي مورست على الشعوب والمجتمعات الإسلامية من قبـل القـوى الكـبرى الشرقية والغرْبـية، فنتيجة هذه الضغوط – كما هي القاعدة أن: لكل فعـل رد فعـلٍ مساوٍ له في القوة ومعاكس له في الإِتجاه– لجأت بعض الحركات الإسلامية إلى العنـف من جرّاء الأجواء غير الطبـيعية المفروضة على العالم الإِسلامي، محليًا وعالميًا، وأنـا لا أُبرِّرُ العنف، ولكني أُفَسِّر الواقع وأقول: نتيجة هذا الواقع الضّـاغط والأجـواءِ غـير الطبيعية، التُجيءَ الى العنف من قبل بعض المجموعات الإِسلامية، فمثلاً داعـش: لمـاذا رفعت برأسها وترعرعت في سوريا والعراق؟ لأن في كلٍّ من سوريا والعراق، أقسى مـا رأينا من الإِضطهاد الطائفي والحزبـي والإقصاء والتهميش، وسدّ المنافذ أمـام العـيش الكريم والحياة الحرة الطبـيعية، أمام مكوِّن أساسي، فحدث رد فعل يسـاوي الفعـل

ومضاد له في الإتجاه، وبالتأكيد نحن لا نبرر لداعش ولا لغير داعش، التي هي أسوأ حلقة من حلقات العنف الإسلامي على مر التأريخ، لأن ما مارسته داعش من الوحشية والتعذيب، وقطع الرؤوس، والتحريق، وتشويه الجثث، والإستهانة بالبشر، لم يُرَ له مثيل من قبل على يد أي مجموعة إسلامية على مر التأريخ، أقول على يد أي مجموعة إسلامية، أما على يد غير الجماعات الإسلامية، كالتتار والمغول وهولاكو وستالين وهتلر، فقد حصل أكثر من ذلك، ولكن هذا لا يحسب على الإسلام.

إذن: أُخِذَ هذا الإنطباع من هذا الواقع المفروض على المسلمين، وأعتقد أن المسلمين إذا ما تغيرت أوضاعهم الإقتصادية والسياسية المأزومة، وعاشوا أوضاعًا طبيعية واعتيادية، لم تحصل لديهم مثل هذه الحركات العنيفة، ولهذا شَبَّهْتُ هذه الحركات العنيفة في كتابي: [نقض التطرف ودحض أفكار المتطرفين] بالقيح والصَّديد الخارج من جسدٍ مريض، فقلت: إن داعش وغيرها من الحركات العنيفة أو المتبنِّية للعنف والقسوة، تُشْبِهُ القيح والصديد الذي يخرج من الدماميل والجروح المتقيِّحة، والجسد الإسلامي الآن مريض، ولهذا يخرج منه هذا الصديد والقيح، وإلا فإن الأمة الإسلامية عندما تكون معافة وسالمة، لا يفكر أحد باللجوء إلى مثل هذه الأساليب التي تتصادم مع النصوص الشرعية وروح الشريعة، إذ نرى: رسولَنا محمداً صلوات الله وسلامه عليه، يعرِّفه سبحانه وتعالى في الآية رقم (١٠٧) من سورة الأنبياء بكونه ﴿رَحۡمَةً لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾، فالرسول جاء رحمةً للعالمين، ولم يقل: وما أرسلناك إلا رحمةً للمسلمين، وإنما للعالمين، يعني مسلمهم وغير مسلمهم، من مسيحيين ويهود وبوذيين ومجوس وملاحدة، إذ كلمة (العالمين) كلمة شاملة للجنس البشري، بل للإنس والجن، والرسول رحمةٌ كما يقول عن نفسه {**إنما أنا رحمة مهداة**}[1] ولهذا رددتُ على مثل هذه الروايات التي تُنْسَبُ إلى

---

١) أخرجه ابن سعد في (الطبقات) (١/١٩٢)، وأبو سعيد ابن الأعرابي في (المعجم) (ق١٠٦/٢)، وقال الألباني في (السلسلة الصحيحة) (١/٨٠١) بعد كلام طويل... فإذا ٱنضمّ الى ذلك رواية مالك بن سعيد قوي الحديث فارتقى الى درجة الحسن أو الصحة، والله أعلم.

الرسول عليه الصلاة والسلام في كتابي (**نقض التطرف**) والتي تتصادمُ مع الشريعة السَّمْحاء، فعلى سبيل المثال: عندما يُنسب إلى الرسول عليه الصلاة والسلام أنه قال: [بُعِثْتُ بينَ يَدَيَّ السَّاعَةِ بِالسَّيْفِ][١]، [٢] ومعلوم أن الرسول الخاتم عليه الصلاة والسلام لم يُبعث بالسيف، إنما أُرسل بالهدى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾التوبة، ثم الرسول عليه الصلاة والسلام لم يلجأ إلى السيف وإلى القوة إلا حينما اضطر الى ذلك، وذلك عندما آعتُدِي على الإسلام والمسلمين، أو عندما سمع أن الأعداءَ المتربصين سيهاجمون الدولة الإسلامية الفتية، فآستعمل الهجوم كوسيلة للدفاع.

أريد أن أقول: إن هذا الإنطباع انطباع خطأ، نعم هناك أخطاء تُمارَس من قبل مجموعات إسلامية، لكن لو قارنّا بإنصاف بين المجموعات المتبنِّية للعنف أو المتطرفة والمتشددة، كداعش وأخواتها، وبين جمهور التيار الإسلامي المتبنِّي لحالة الإعتدال والإتِّزان، سواء في تركيا، أو العراق، وفي شرق آسيا وفي مصر، وغيرها من البلدان العربية، فالمتطرفون أقلية، اذ التنظيمات الإسلامية التي لا تؤمن بالعنف، وإنما تردُّ على العنف وترفضُهُ وتنتقد داعش وغير داعش، كم النسبة بينهما؟ المتطرفون والغلاة حجمهم بالنسبة الى التيار الإسلامي المتّزن: نسبة واحد إلى مائة، ولكن يتم تضخيم هذا الجزء الصغير، وتُسلّطُ عليه الأضواء، لحاجة في نفس يعقوب قضاها، كما يقول المثل، وذلك بغية تشويه الإسلام والمسلمين.

وقلت في كتابي السالف الذكر: إن تنظيم داعش الإرهابي خدم ـ شعر أم لم يشعر ـ جهتين:

١- خدم بعض الدول الغربية، التي تنتشر فيها الدعوة الإسلامية المتَّزنة المخاطبة للعقول والقلوب، الدعوة الإسلامية السائرة على منهج الأنبياء عليهم الصلاة

---

١) أخرجه أحمد برقم: (٥٦٦٧) تعليق شعيب الأرنؤوط: إسناده ضعيف.

٢) سنتحدث عن هذا النص لاحقاً، سنداً وَمتْناً.

والسلام، تنظيم داعش خدم هذه الدول المعادية للإسلام الأصيل النابع من القرآن والسنة، اذ تقول تلك الدول لشعوبها: انظروا هذا هو الإسلام، فإذا تمكّن، يفعل كما تفعل دولة داعش!

٢- وكذلك خدم بعض الدول التي شعوبها مغلوبة على أمرها من قبل حكامها المتسلِّطين على رقابها، فيقول هؤلاء الحكام لشعوبهم: هل تريدون أن تتغير الأوضاع، ويأتي داعش؟ أم تريدون أن يستمر الوضع، فنحن جاهزون ؟! كما يقول المثل: (أَرِهِ الموتَ يرضى بالحُمّى).

هذا ولا تُعفى المؤسَّساتُ الدينية الموجودة في الدول العربية والإسلامية، من أنها كانت مُقَصِّرةً في إبراز الوجه الحقيقي للإسلام، وبعض المؤسسات عارضت فكرة الإجتهاد، كما قلت، وبالتالي هذا أدى إلى ظهور هذه الأفكار المنحرفة، أقصد أن هناك جانباً من المسئولية على المؤسسات الدينية، وكذلك على التيار الإسلامي، أنه لم يستطع أن يُقدِّم الإسلام الحقيقي للمواطنين وللعالم، وبالتالي برزت هذه التنظيمات المتطرفة !

ـ الذي أقوله بهذا الصَّدد: هو أنَّ تخلُّفَ المسلمين وتراجعهم فكريًا وسلوكيًا وسياسيًا واجتماعيًا واقتصاديًا، يعني دينيًا ودنيويًا، هو تراجع جميع المسلمين، فالمسلمون، بقادهم وعلمائهم ومؤسساهم وحركاهم وحتى التيار الإسلامي، ليس بالمستوى المطلوب، فنحن لا ننأى بأي جهة عن هذا التخلّف والتراجع، لكلِّ واحدٍ نصيب، وخصوصًا -كما تفضلت- المؤسسات الرسمية الدينية، والتي تدعمها الحكومات، لو كانت هي بالمستوى المطلوب، ولو كانت موثوقة فيها من قبل الشباب، لما التجأ الشباب إلى أخذ الفتاوى من الفيسبوك والمقالات التي تكتب تحت أسماء مستعارة ومن قبلِ أشخاصٍ مجهولين، إذ الذي يجد الماء الزلال الصافي، لا يلتجيءُ إلى الماء الكدر ليشرب منه، إلا اذا اضطر، والحكومات المتسلِّطة على رقاب المسلمين في العالم العربي وغير

العربــــي، جعلت هذه المؤسسات الرسمية مجروحة العدالة وغير موثوقة، بسبب تغلغلـــها فيها، وتلاعبها بها وإملاءاتها عليها، وإفراغها إياها من محتواها، بحيث أفقد الناس الثقـــة بها، فيلتجئون إلى أفكار وفتاوى ومراجع أخرى، وبقدر ما تعيد هذه المؤسسات النظـــر في نفسها وتُصلح أمرها، تُرجع ثقة الناس بها، وهذا سبب مهم جدًا في أن يعود الشباب المسلم إلى الثقة بهذه المؤسسات والمراجع، سواء على مستوى العلمـــاء والشخصـــيات والكُتاب والمؤلفين، أو على مستوى المؤسسات: كالأزهر، ودار الإفتاء، واتحاد العلماء، ووزارات الأوقاف، وغيرها من المؤسسات الرسمية، فالحكومات عندما تتدخل في شئون هذه المؤسسات وتُفْرِغُها من محتواها، هذه خيانة ترتكبها الحكومات بحق هذه المؤسسات أولاً، ثم بحق الشعب، وخصوصًا طبقة الشباب المتطلع إلى الحق والفقه المُتَّـــزن الجديـــد، وإلى حياة أفضل.

٨

كيفية مواجهة التطرُّف

هذا يجرنا إلى السؤال حول كيفية مواجهة مثل هذه التنظيما المتطرفة وأفكارها، وما الذي تقوم به جماعتكم بصفة خاصة هذا الإِطار؟

ــ أفضل طريقة للرد على الغلاة والمتطرفين، هي أن نعرض الإسلام كما هو، وكما أنـزله الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم، والذي جسَّده الرسولُ عليه الصلاة والسلام في طريقَتِهِ النبوَّية وسنَّته المباركة، وأنا أعتبر أن السنة النبوية تجسيد وتطبيق للكتاب، بعض الناس يتصوَّرون خطأً: أنَّ القرآن والسنة شيئان مختلفان، أو متقابلان! ولكن كما بيَّنتُهُ في موسوعتي (الإسلام كما يتجلى في كتاب الله) ليس هذا التصوُّر صحيحاً، بل الحق: أَنَّ السُّنة ليست إلا تطبيقا وتجسيدًا للكتاب من قبل النبي الحكيم (محمد صلى الله عليه وسلم على أرض الواقع، ولا أقول ما يقوله بعض من يسمون أنفسهم بالقرآنيين، بأنه لا يوجد لدينا مصدر للدين والوحي إلا القرآن! لا ولكن السُّنة ليست شيئاً غير القرآن، لأن جوهر السنة هو القرآن، والرسول الأعظم والنبي الخاتم (محمد) صلوات الله وسلامه عليه، عندما طبَّق القرآن على أرض الواقع، سُمِّي هذا التطبيق بالسنة، فسُنَّةُ النبي، هي طريقتهُ صلى الله عليه وسلم في تجسيد الإسلام على أرض الواقع، فجوهر الإسلام هو القرآن: الوحي المنزل من الله سبحانه وتعالى، والذي تلاه

الرسول صلى الله عليه وسلم وجسَّده في حياته الشخصية والأسرية والإجتماعية والسياسية وغيرها.

إذن: الخطوة الأولى والأساس في معالجة التطرف والغلو، وتقويم الإعوجاج الفكري والنفسي والسلوكي الذي أصيب به بعض الشباب، هي: أن نَعْرِضَ الإسلام، كما هو في الواقع، والإسلام إذا ماعُرِضَ كما هو في القرآن والسنة النبوية الصحيحة، تقبله الفطر والعقول السليمة. وقد أكدت هذا في كثير من كتُبي وخُطَبي أنه: إذا رأيتَ مسألةً ما تُنسب إلى الإسلام، تصطدم بالعقل والفطرة، أو الواقع والعلم، فاعلم من البداية أن هذه المسألة ليست من الإسلام، وهذا لم أقله أنا فقط، بل قاله أئمتنا وعلماؤنا رحمهم الله، فعلى سبيل المثال: يقول ابن تيمية رحمة الله عليه في كتاب (**درء التعارض بين العقل والنقل**): (ما معناه: أي حديث منسوب للنبي صلى الله عليه وسلم إذا ما عارض القرآن، أو عارض الواقع والعلم والعقل معارضة حقيقية، فاعلم أنه ليس من النبي في شيء)، وذلك لأن النبي محمداً صلى الله عليه وسلم، وكذلك كل الرسل كانوا في قمة العقل والعقلانية والفكر الرصين، إذن: إذا ما نُسب شيء إلى النبي عليه الصلاة والسلام، يصطدم بالعقل، فهو لم يقلْهُ النبي عليه الصلاة والسلام، لكن العقل السليم والعلم الصحيح، وليس كل ما نُسِبَ إلى العلم وإلى العقل!

نعم، عندما يُعرض الإسلام كما هو، يقبله كل عقل سليم، وتقبله كل فطرة سليمة، ولهذا لا مندوحة لنا إذا ما أردنا أن نجدِّد الدين، وإذا ما أردنا أن نُنْزِلَ الإسلامَ على واقعنا، وبالتالي: نَسُدَّ الطريق أمام الغلوِّ والتطرف الفكري والسوكيِّ، أن نعود إلى الدين في منابعه الأولى، وهي المُتمثِّلة في الكتاب والسنة، أو الوحي الإلهي، إذ الوحي هو علم الله سبحانه وتعالى، وعلم الله سبحانه وتعالى صحيح مائة بالمائة، هذا لا شك فيه، وكلّ مَنْ يشك في ذلك، لا يعتبر مسلمًا، اذْ وحي الله نابع من علمه ﴿ قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾الفرقان٦، ومعلوم أن الوحي المتمثِّل في القرآن الكريم وفي السنة المباركة، يصلح لكل زمان ومكان، لكن ما أَستنتجه أنا أو غيري، ليس من

المفروض أن يكون صحيحًا في كل وقت وفي كل مكان.

ولكيفية عرض الإسلام، كما هو في القرآن والسنة، يجب أن نختار أحسن الأساليب، يقول سبحانه وتعالى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ ...﴿١٢٥﴾ ﴾النحل، فيجب أن نعرض الإسلام بالأسلوب الذي هو أحسن، أي: بأفضل الأساليب والوسائل العصرية، في الحديث النبوي: (**إنّا معاشر الأنبياء أُمِرْنا أن نكلِّم الناس على قَدَر عقولهم**)[1]، ويقول سيدنا علي رضي الله عنه: (**حدِّثوا الناس بما يَعْرفون، أَتُحبُّون أَنْ يُكَذَّب اللهُ ورسولُهُ!**)[2] أي: لا تقولوا شيئًا لا تسعه عقول الناس، وقولوا ما تقولون، بحيث تُدْخِلوه في قلوب الناس وتُقْنعوهم به، ويكون مُبَسَّطًا وواضحًا ومفهومًا، والإسلام المتجسد في الوحي المعصوم، هو هكذا فعلاً.

ولكن ماذا نفعل بكل هذا التراث الذي أنتجه لنا العلماء على مر العصور والدهور؟ هل نضرب به عرض الحائط؟ ما أنتجه المفسرون في مجال تفسير القرآن، وما أنتجه المحدثون وشُرّاح كتب الحديث، في مجال السنة، وما أنتجه الفقهاء والأصوليون، في مجال الفقه وأصوله، والمؤرِّخون في مجال التأريخ، وعُلماء العقيدة والتوحيد في مجال علم الكلام، وما أنتجه أهل التصوف في مجال التزكية، هل نضرب بكل ذلك عرض الحائط؟! لا، بل نختار منه وننتقي ما ينفعنا ونعرضه على ميزان الكتاب والسنة، ولكن لانُلْزِمُ أنفسنا بغير الوحي، لأن غير الوحي ليس ديناً مُلْزِماً، المُلْزِم لَنا هو الدين المتجسد في الكتاب والسنة، وهو الوحي، أما غير الوحي، فهو فهم للوحي، والفهم يمكن أن يكون صحيحًا، وقد يكون خطأً، إذن لا نُلزِمُ أنفسَنا وغيرنا بغير الوحي، لكن نستفيد منه ونحترم العلماء وندعو لهم بالخير، ونُثَمِّنُ جهودَهم ونستفيد من تجاربهم.

---

١) أخرجه الديلمي عن ابن عباس مرفوعاً، ينظر: (المقاصد الحسنة فيما اشتهر على الألسنة للسّخاوي، رقم:١٧٧.

٢) أخرجه البخاري برقم: (١٢٧)، موقوفاً على علي رضي الله عنه.

ameer.maktab@yahoo.com

/AliBapir /AliBapir /MediaAmeerOffice

www.alibapir.net

٩

تجديد الخطاب الديني

نواصل حديثنا فيما تفضلت به حول كيفية مواجهة التنظيمات الإرهابية والمتطرفة ، وعندي سؤال يتعلّق برؤيتكم للمصطلح الذي يفرض نفسه الآن، ويتداوله الكثيرون في البلاد العربية والإسلامية وهو: ﴿تجديد الخطاب الديني﴾، كيف يكون هذا التجديد ؟ ومن يقوم به؟ وماهي ضوابطه؟

ـــ أولا أنا أكمل لك حديثنا السابق، أنت سألت: كيف نواجه الفكرَ المتطرِّف؟ فقلتُ: الخطوة الأولى والأساس للتصدّي لظاهرة الغلو والتطرف هي: عرض الإسلام كما هو، وبأسلوب واضح وسهل وعصري يتماشى مع العقول والواقع، ثم خطوة مهمة أخرى في هذا المجال، كما ذكرت في كتابي (**نقض التطرف**) هي: القيام بمعالجة مشاكل المسلمين، وبإِصلاح أوضاعهم المأساوية التي يعيشونها: الوضع السياسي المتأزم، والإِقتصاد المُنهْار، والتدهور الفكري، وعندما تُعالَج مشكلات المسلمين وقضاياهم، عند ذاك يفقد التطرف موضع قدم، اذ كما أشرت سابقاً: إنما يحدث التطرف في الأوضاع السِّيئَة والأجواءِ غير الصحِّية، كما يخرج الصديد والقيح من الجسد المريض، ويُصابُ بالحُمَّى وأعراضٍ أخرى، فإذا ما عولج الجَسَدُ، لا تبقى هذه الأعراض .

أما بالنسبة لمَا تفضلت به عن [تجديد الخطاب الديني]، أرى أن هذا المصطلح نابع من الحديث النبوي الشريف {**إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ**

لَهَا دِينَهَا، أو مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا أمر دِينَهَا} كما في سنن أبـي داود[1]، ربما اقتبس هـذا المصطلح من الحديث النبوي، والتجديد كما قلنا سابقاً: يقصد به: تجديد فهم الإِسـلام المُتَجسِّدِ في الكتاب والسنة، هذا هو الذي يجب أن يكون المقصود، ولا شك أن هـذا صحيح، يجب أن نجدِّد كيفية فهْمنا للإسلام وتطبـيقنا له في كل عصر ومكان، حسب ما يقتضي ذلك العصر ويستَلْزِمُهُ ذلك الزمان، وهذا هو الذي فعله أسلافُنا الصالحون.

لقد قلت أكثر من مرةً: لما جاء ابن تيمية رحمة الله عليه، وهو الشخصية الموسـوعية والمجاهدة، والمتمسكة بالكتاب والسنة، والمتبحرة في علوم الشرع، عندما جـاء وهـو حنبلي المذهب، هل اقتفى أثر أحمد بن حنبل رحمه الله في كل شيء، وفي كـل صـغيرة وكبـيرة؟ على الرغم أَن الإمام أحمد كان عنده المسند الذي يحتوي على أربعين ألـف (٤٠٠٠٠) حديث! هل اكتفى ابن تيمية بما اكتفى به ابن حنبل رحمة الله عليهمـا؟ لا، لماذا؟ لأن الظروف التي عاشها ابن تيمية كانت تختلف عن الظروف التي كان يعيش فيها أحمد آبن حنبل، الظروف التي حدثت في زمن ابن تيمية وقبله، كانت ظروفـاً جديـدة جداً، إِذْ جاء المغول والتتر من الشرق، والنصارى من الغرب، وهجمـوا علـى بـلاد المسلمين، وحدثت حروب صليبـية، وصار هجوم هولاكو على بغداد، وأسقط الخلافة العباسية في بغداد، وحدثت أمور كثيرة لم يكن للمسلمين سابق عهد بها، لهذا احتـاج المسلمون –ابن تيمية وغيره– أن يُجَدِّدوا فهمهم للدين، وأن يعـودوا إلى الـوحي: إلى الكتاب والسنة، لاستخراج واستنباط الأحكام والتوجيهات والتعليمات الجديـدة الـتي يجب أن يلتزم بها المسلمون في العصور التي عاشوها، فابن تيمية عاش في القرن السـابع الهجري والثلث الأول من القرن الثامن الهجري، (توفي سنة:٧٢٨هـ)، وكان ابن تيمية رحمة الله عليه ذا مشرب سلفي ومتقيداً بمذهب الإمام أحمد بن حنبل في الفقه، لكـن لم

---

١) أخرجه أبو داود في السنن: ٤٢٩١، والألباني في (السلسلة الصحيحة): ٥٩٩، والسخاوي في المقاصد الحسنة: ١٤٩.

يقيِّدْ نفسَه بكل ما التزم به أحمد بن حنبل رحمة الله عليه، لماذا؟ لأنه رأى أن هذا لا يكفي، ويجب أن يتحرر من بعض القيود المذهبية كي يمكنه أن يعيش في عصره.

أنا أقول دائماً يجب على العالِم أن يعيش في عصره ولا يعيش في عصر غيره.

فتجديد الخطاب الديني إذَن، هو: أن نعود للوحي، ونستنبط منه من ناحية معرفة الوجود، والإيمان والعقيدة، والعبادة، والسلوك والأخلاق، والفكر، والسياسة والحكم، والإقتصاد، نعود إلى الوحي في كل هذه النواحي، ونستنبط منها الأحكام التي يقتضيها ظرفنا وعصرنا الذي نعيش فيه.

أما من هو الذى يقوم بهذا؟

نقول: يقوم به مَنْ يتوجه إليهم المسلمون ويعتبرونهم مرجعهم ويثقون بهم، ولهذا قلت في السابق: إنه يجب على الجميع وخصوصاً الحكومات: أن تُعيد الإعتبار للمؤسسات الرسمية حتى تكون بالمستوى الذي الناس يثقون بها، ويعتبرونها مرجعهم ويعودون إليها، كي لا يروا أنفسهم مضطرين للحصول على أجوبة أسئلتهم، وحلول مشكلاتهم، أن يلتجئوا إلى هذا أو ذاك، ومن الواضح أن الفكر الذي يعيش في الظّلام، فكر غير سليم، الفكر الإسلامي الصحيح هو الذي يعيش تحت الشمس، أما الفكر الذي يعيش في الخفاءِ وداخل الجحور، فهو فكر غير سليم! لذا يجب أن نعيد الإعتبار للمؤسسات الدينية الرسمية، وهذا هو الوضع الطبيعي لأي مجتمع، أن تكون مؤسساته الرسمية موثوقة ومعتبرة لديه.

ثم بالإضافة الى المؤسسات الرسمية، فمسئولية تجديد الخطاب الإسلامي، هي مسئولية المراكز والشخصيات والجمعيات وكل المجموعات التي تعمل للإسلام، وتعمل للإبقاء على الإسلام، وتعمل جاهدة لإرجاع الناس والمجتمع إلى الإسلام، هؤلاء هم الذين يقومون بتجديد الخطاب الديني.

ameer.maktab@yahoo.com

/AliBapir /AliBapir /MediaAmeerOffice

www.alibapir.net

١٠
ضوابط تجديد الدِّين

ما ضوابط هذا التجديد ؟ أهو تجديد مطلق دون ضوابط؟

ــ لا توجد مطلقات في دائرة العالم الإنساني، إنما توجد نسبيات، فغير الله كلُّهُ نِسبي ونحن جزء من هذا العالم، وقدراتنا جزئية محدودة، نسمع ونرى إلى مدى، وكذلك العقل مداه محدود ونسبي، فلا توجد مطلقات لذا يجب أن يكون تجديد الخطاب الديني أيضاً مقيداً بضوابط؛ ضوابط من الشرع، ومن اللغة العربية، والأصول العقديَّة، وأصول الفقه، والعقل والمنطق، والمصلحة، مصلحة المسلمين ومصلحة الإسلام، أجل هناك ضوابط تَجِبُ مراعاتها، عندما نتحدث عن تجديد الخطاب الإِسلامي، اذ هناك هرطقات وشطحات كثيرة في هذا المجال، ولكن من البديهي أن التجديد ليس شأن كل أحد، فمن لا يلتزم في نفسه الإِلتزام الشخصي، ولا يعتقد بالإسلام، ولا يتعبد لله سبحانه وتعالى، أَنَّى يَتأتّى منه التجديد؟! نسمع بأن هناك مثقفين لا يلتزمون بالإسلام ويتحدثون عن الإسلام، ولا يلتزمون بالشريعة في حياتهم، ويطالبون بتجديد الخطاب الإِسلامي! أنت يا هذا! ألزِم نفسك بالإسلام أولاً، التزم ثم أَلزِمْ الآخرين، لأن من لم يكن لنفسه، فكيف يكون للآخرين؟ ومن لم يلتزم في نفسه، كيف يثق فيه الناس؟ وكيف يقبلون منه؟

نعم، عندما نتحدث عن تجديد الخطاب الإسلامي، يجب قبل كلَّ شيءٍ: حفظ أصول الشريعة وقطعيات الدين التي لا مجال فيها للإِجتهاد: (الربا حرام، الزنا حرام، الكذب حرام، الصدق واجب، والأمانة واجبة...الخ) فقطعيات الدين، سواء ما ارتبط منها بالعقيدة، أو العبادة، أو بالسلوكيات الشخصية، أو الناحية الإِجتماعية، أو الناحية السياسية، فمثلاً: الشورى شيء أساسيٌّ في الإسلام: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ...﴾ (٣٨) الشورى، إذن: الحكم العائلي والوراثي، والحكم العسكري والإِنقلاب، مرفوض، فكل ما هو من قطعيات الدين، يَجِبُ أن تُصانَ ولا تُمَسَّ، وتوجد قطعيات في كل نواحي الدين، خصوصاً في مجال التعبُّد: العقيدة والشعائر والسلوك، هناك قطعيات كثيرة، فالقطعيات يجب ألاَّ تُمس، إنما المتغيرات هي المجال الأرحب والأوسع للتجديد والتطوير، إذ يقول علماؤنا: [هناك إجمال في المتغيرات، وتفصيلٌ في الثوابت] أي: شريعة الله الحكيمة أجمْلَت في الحديث عن المتغيِّرات، ونصوصها فيها قليلة جداً، والمقصود بالمتغيِّرات: النواحي التي تتغيّر وتَتطوَّرُ كثيراً في حياة البشر وهي: الحكم والسياسة، والإِقتصاد والمال، والحرب والسّلم، والعلاقات، والإِجتماع..

والحكمة في ذلك هي: عدم تقييد وتكبيل العقل عن الإِبداع في تلك المجالات المتغيرة التي لا يصلح فيها الاّ الإِبداع، والتطوير والتجديد، ولكن الشريعة الحكيمة فَصَّلت في الثوابت والقطعيات التي إما أنهَّا قَلَّما يعترَيها التغيّر، أو أنها لا يعتريها التغيّر أصلاً، وذلك مثل جوانب: معرفة الوجود، والإِيمان والعقيدة، والعبادة، والأخلاق والسلوك، والأحوال الشخصية...

وحكمة هذا أيضاً معلومة مفهومة: إذ الجوانب القطعية والثابتة في التَدين – فرداً ومجتمعاً– طالما لا يطرأُ عليها التغيّر والتطور، لذا وجب الدخول في تفاصيلها وجزئياتها، ووضع النقاط على الحروف فيها.

الثوابت الشرعية فيها تفصيل: الإِيمان والعقيدة، قضاياه مُفَصَّلَةُ في الشريعة، والعبادة كيف نؤديها؟ وأنواع العبادات التي نؤديها: الصلاة والزكاة والصيام والحج والدعاء

والذكر والوضوء والغُسْل... كلها مُفَصَّلة ومثبتة في النصوص، ومن الناحية السلوكية: كلُّ الرذائل هناك نصوص تندِّد بها: الكذب والخيانة والنفاق وغيرها، والفضائل كلها مأمورة بها ومثبتة، وكذلك الأحوال الشخصية: كيف تتكون أسرة، بطريقة واحدة: زوج وزوجة، على أساس عَقْدٍ برضا وقبول من الطرفين، بينما هناك في الغرب أنواع عدة للزواج! أما المتغيرات فتحدثت عنها الشريعة بإجمال، كي لا تُكبِّل أيدي الناس ولا تمنعهم من الإِجتهاد، وتركت فراغات كثيرة في مجال المتغيرات المتعلقة بالسياسة والحكم والإقتصاد والإِجتماع والحرب والسلم والعلاقات، والقضايا التي تَتَجدَّد وتتغير وتتطور في حياة الناس.

هناك علمانيون مُتستِّرون بالإسلام، يتحدثون عن الفكر الإسلامي وعن الثقافة الإسلامية، لكنهم غير ملتزمين بالإِسلام! يا هذا! أنت إذا لم تلتزم بالإسلام فكيف تتحدث عنه، وكأنك حريص عليه وتريد أن تشرحه لنا؟! بل إن البعض منهم فسَّر القرآن! فكيف تفسِّر القرآن وأنت لم تعتقد بعد بالإسلام كمنهج للحياة، وإنما تعتبر الإسلام كشيء تأريخي عفا عليه الزمن، أَوَلا تعلَمُ أنك اذا نظرت إلى الإسلام كتراث بشري عاش في تاريخ ما، ومضى عليه الزمن، ولا يصلح لهذا العصر، إذن أنت لست مسلماً!! لأن الله سبحانه وتعالى يقول للنبي الخاتم: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا ...﴿٢٨﴾ ﴾سبأ، ويقول سبحانه وتعالى: ﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ...﴿١٥٨﴾ ﴾الأعراف، والخطاب للناس على مر العصور، نعم بعض الكتاب والمفكرين، من الإِخوة العرب، وغير العرب من الإيرانيين والأوروبيين، يعتبرون أنفسهم مسلمين، لكن يتحدَّثون عن الإسلام وتأريخانية الإسلام، وأنه يجب أن نلتجيء إلى علم التأويل (هيرمينوطيقا) العلم الذي استحدثه الغربيون ليتعاملوا مع [الكتاب المقدس] المحرَّف، لكن القرآن هو كتاب الله المعصوم، فلسنا بحاجة إلى علم التأويل نتعامل وفقَهُ مع كتابنا المعصوم، والذي لم ولن تَتغيَّر منه

حرف، لكن أنا قرأت الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد، أكثر من مـــرة ودرســـته ونقدته في موسوعتي: (**الإسلام كما يتجلى في كتاب الله**)، وعنـــدما نقـــارن بــــين [الكتاب المقدس] بعهديه القديم والجديد، وبـــين القرآن، يبدو (الكتاب المقدس) الذي لَعِبتْ به يدُ التحريف، في جنب القرآن، وكأنه حكايات العجائز! اذ القرآن هو وحـــده كتاب الله المحفوظ والوحي المعصوم في يد البشر.

إذن مثل هؤلاء المفكرين والباحثين الذين ينظرون إلى الإسلام هكذا نظرة، والـــذين تأثروا بالغربـــيين وبمناهجهم وأساليبهم في تعاملهم مع كتبـــهم المقدســـة، هـــؤلاء لا يعتبرون مراجع للفكر الإسلامي، ولا يُؤَهِّلهُم وضعهم أن يُقـــدِّموا للمســـلمين تجديـــدَ الخطاب الديني، بلْ هم يقومون بتخريب الخطاب الديني!

١١

فصل السياسة عن الدين، بدعة غربية لا محل له في الإِسلام

الشيخ علي باپير! أنت أمير الجماعة الإسلامية في كردستان العراق داعية إسلامي، ورجل دين أو عالم دين ، عَمِلت بالسياسة وناضلت كثيراً، هل تتفق مع من يطالب بفصل الدين عن السياسة والدولة ، يقول: إن الدين شيء والسياسة شيء؟

ـــ في الإِسلام يوجد العلماء وغير العلماء، لكن لا يوجد رجال الدين، الرجالُ المسلمون كلهم رجال الدين، فلا توجد في الإسلام طبقة تسمى [رجال الدين] ووجود رجال الدين كطبقة معيَّنة، طبقة أكليروس، ديدن اليهود والنصارى، لكن في الاسلام لا توجد طبقة خاصة بفهم الإِسلام، وقد شرحت هذا في كتابي (**علماء الإسلام مَنْ هم، وما هي صفاتهم؟**) لذا لا نجِدُ في القرآن [يا أيها العلماء!] وإنما نجد: [يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ] لأن المسلمين كلهم ملتزمون وملزمون بالإسلام، والعلماء ليسوا طبقة معينة ذات شارة معينة ومميزات خاصة وزي خاص، إنما أهل العلم في الإسلام يكونون من مختلف الشرائح: الرجال والنساء، الفقراء والأغنياء، فالعالم هو من يكون لديه علم بالقرآن والسنة، أي الشريعة الربانيّة.

وبالنسبة لسؤالك حول فصل الدين عن الدولة، يجب أن نفصِّل في الجواب، لأن كلمة (الدين) -كما قلت في كتاب لي باللغة الكوردية (**التيار الإسلامي والعلماني.. نقاط الإِشتراك والإِفتراق**)-. كلمة الدين عندما تستعمل بإطلاق، تُخدع الناس، كيف؟ عندما نستعمل كلمة الدين بإِطلاق [الدين] فهي تشمل -في أحد معانيها- الدين المسيحي، والدين اليهودي، والدين المجوسي، والإسلام، وغير الإسلام، فالمعنى العام لكلمة الدين هو المنهج، منهج الحياة، إذن: العلمانية دين، والليبرالية دين، والإِشتراكية دين، وكل المذاهب البشرية التي أراد البشر من ورائها، تنظيم حياقم، تعتبر ديناً، فهناك دين أرضي، كما أن هناك ديناً سماوياً، لذا: عندما نقول: هل يجوز فصل الدين عن الدولة؟ نقول أي دين؟ إذا قصدت الدين المسيحي، فهو ليس له شريعة، وليس فيه حكم وسياسة، ولا دخل للدين المسيحي الحالي بإدارة العباد والبلاد، طبعاً الدين المسيحي المحرَّف، لأن الله سبحانه وتعالى لم يرسل نبياً صلوات الله وسلامه عليهم، إلا لتنظيم حياة البشر في كل المجالات: الفردي والأسري والإجتماعي والسياسي... الخ، وما جاء سيدنا المسيح عليه الصلاة والسلام إلا لتنظيم حياة مجموعة من البشر، وهم بنو إسرائيل، لأن عيسى أُرسل خصيصاً لبني إسرائيل: ﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُم مُّصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَمُبَشِّرَۢا بِرَسُولٖ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِي ٱسۡمُهُۥٓ أَحۡمَدُ ... ﴿٦﴾ ﴾**الصف**، جاء عيسى خصيصاً لبني إسرائيل، كما يقول في الإنجيل {ما أرسلت إلا إلى الخراف الضالّة إلى بيت اسرائيل}[1].

أجَلْ: الدين المسيحي الحالي بعدما حُرّف بعد سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام، والذي يتمثل في الأناجيل الأربعة وبقية الكتب الملحقة بالأناجيل، والتي تسمى كلها بالعهد الجديد، والتي لا ذكر للسياسة والحكم والدولة فيها، إنما هي مواعظ روحية أخلاقية فردية، هذا الدين المسيحي الحالي، مفصولٌ عن الدولة والحياة، عملياً وواقعياً.

---

١) التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، العهد الجديد، إنجيل متّى، الإصحاح ١٥: ٢٥. ص١٩٢٣.

أما إذا قصدنا بالدين: الإسلام، فإننا إذا أردنا فَصْلَ الإسلام عن الدنيا والسياسة، فإننا نظلم الإسلام، لأن الإسلام له شريعة، وهذه الشريعة تتحدث عن الدولة والحكومة، وعن تحقيق العدل، وتوفير الحياة الكريمة للناس، وتتحدث عن الحرب والسلم والعلاقات الدولية، وكل أمور الحياة التي يحتاجها الإنسان في حياته الشخصية والأسرية والإجتماعية، تحدَّث عنها القرآن، إذن عندما نفصل الدولة وإدارة البلاد عن الإسلام، نظلم الإسلام، لذا لا يمكن فصل الإسلام عن الدولة، فعلى مدار ثلاثة عشر قرناً، الدين والدولة في الإسلام مندمجان بعضهما في بعض، إلى أن فصلهما كمال أتاتورك، فهل ما فعله أتاتورك تؤيدونه؟ كما قال علي عبد الرازق في كتابه (**الإسلام وأصول الحكم**) والذي رد عليه العلماء، منهم: محمد الطاهر بن عاشور، والدكتور محمد عمارة، وكثيرون غيرهما، ردوا عليه وخلعوه من ملابس العلماء، بسبب قولته التي أيَّد بها فِعْلَة أتاتورك، وكان مؤيداً لما قام به أتاتورك، وأتاتورك فعل ما يناقض ما قام به المسلمون منذ بعثة النبي صلى الله عليه وسلم وتأسيسه للدولة الإسلامية، إلى ثلاثة عشر قرناً، فهذا -فصل الإسلام عن الدولة وإدارة البلد- شيء غريب عن الإسلام.

ثم -من جانب آخر- بالنسبة للمسيحية: الكنيسة ظلمت العباد والبلاد وفرضت قيوداً كثيرة على الناس، وشرحْتُ هذا الأمر في كتبي، وكثير من العلماء تحدثوا عن هذا الموضوع عند الحديث عن: كيفية نشوء العلمانية كرد فعل للكنيسة وتدخلاتها، حيث كان هناك ثالوث مشئوم: البابا والإقطاع والمَلِك، هذا الثالوث هو الذي انتفض في وجهه جماهير الناس وعزلوهُ وأبعدوه عن الحكم، وحصروا الدين المسيحي داخل جدران الكنيسة.

لكن وضع الإسلام والمسلمين يختلف: إذ حاربت الكنيسة وأربابُها العلماءَ والفكر والفلسفة والحرية، لكن علماء الإسلام ماتوا مشنوقين ومسجونين ومطرودين، بسبب الدفاع عن حياة الناس وكرامتهم.

ameer.maktab@yahoo.com

/AliBapir /AliBapir /MediaAmeerOffice

www.alibapir.net

١٢

حكم التفجيرات العشوائية واستهداف الأَبرياء

نعلم أنكم تحبون مصر، فلها وللشعب المصري مكانة خاصة في قلوبكم، وأنتم متابعون للأحداث في مصر ،ومؤخراً شهدت مصر عدة تفجيرات، أحدها استهدف كنيسة للإِخوة الأقباط المسيحيين في مصر، راح ضحيته العشرات بين قتلى ومصابين، وللأسف هناك جماعات أو تنظيمات إسلامية أعلنت مسئوليتها المباشرة عن هذه التفجيرات، فما رأيكم في هذه التفجيرات، خاصة دور العبادة، وبصفة أخص دور العبادة لغير المسلمين في مصر؟

ــ حسب ما قرأت في جريدة (الشرق الأوسط) بالأمس، (١٣/١٢/٢٠١٦م) أنَّ مَنْ تبنَّى التفجيرَ رجلٌ انتحاري متطرف، إذن ليس بالضرورة أن يكون طرف إسلامي ما متبنِّياً لهذا التفجير، فالذي تبنَّى هذا التفجير، ربما هو غير منتمٍ لأي جماعة إسلامية، على أي حال، أنا لا أنأى بكل المسلمين عن مثل هذا التصرف، لأن في المسلمين من هم مُنْحَرِفون وغير مستقيمين، ومن هم مخدوعون وبسطاء وسذج ، لكن الجماعات الإسلامية الأصيلة والمتزنة والرصينة، بعيدة عن مثل هذه التصّرفات، ونحن نُنَدِّدُ بهذه الفعلة النكراء، سواء حدثت في كنيسة أو في سوق، فالبشر كلُّهم مُكرَّمون عند الله: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ ﴿٧٠﴾﴾الإسراء، بل حرمة البشر عند الله أعظم من حرمة

المسجد والكنيسة، بل من حرمة الكعبة، وإنما بنيت الكعبة للبشر حتى يجعلوها وسيلة للتقرب إلى الله سبحانه وتعالى.

إذن: سواء حدثت التفجيرات في أماكن العبادة: في كنيسة أو مسجد، أو في أماكن الكسب والرزق: في السوق أو المتجر، أو في أي مكان آخر، وكذلك سواء حدث الإنفجار في مصر أو في استانبول بتركيا، أو في أي مكان آخر، فالبشر هم بشر، ويجب أن تُصان حياة البشر، سواء كانوا مسلمين أو غير مسلمين، وإنما جاء الإسلام ليصون حياة البشر وكرامتهم، يقول سبحانه وتعالى في سورة النساء مخاطباً المسلمين: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ ...﴿٧٥﴾﴾النساء، فالمستضعفون يجب أن يُقاتَل من أجلهم ليُحرَّروا!

والأمة الإسلامية مطلوب منها ومأمورة، أن تحافظ على حياة الأبرياء والمستضعفين على الأرض كلها، أياً كانت انتماءاتهم، ماداموا بشراً خلقهم الله سبحانه وتعالى على هذه الأرض، ليؤدُّوا امتحانهم في حياتهم الأرضية بِحُرّية وكرامة، ثم حسابهم على الله كما قال تعالى: ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾﴾الغاشية، فحساب البشر على الله سبحانه وتعالى وليس على بشر مثلهم، ولا يجوز للبشر أن يثأروا لله سبحانه وتعالى، فالله هو الذي يحاسب الناس، كما يقول سبحانه وتعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾﴾الغاشية، فنحن نندد بهذه التفجيرات والتي حدثت قبل أيام بكنيسة الأقباط في مصر، والشعب المصري وكل الشعوب الإسلامية هم إخوتنا، وحتى غير المسلمين هم أيضاً إخوتنا في البشرية، إذ عندما يقول سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ .... ﴿١٣﴾﴾الحجرات، ماذا يعني هذا القول المبارك؟ كثيراً ما تأتيني وفود من الدول

الأوروبـــية، فأقول لهم: نحن في الأقل إِخوة في آدم وحواء، نحن البشر أســـرة واحـــدة: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ .... ﴿١٣﴾ ﴾الحجرات، أي مـــن آدم وحـــواء: ﴿ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ .... ﴿١٣﴾ ﴾الحجـرات، "فأبوا البشر: آدم وحواء واحد، فنحن أسرة واحدة، ويجبُ أن نشعر بهذا الإِنتساب والإِنتماء، في تعاملنا مع الناس، والله سبحانه وتعالى يقول في أول سورة النســـاء: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ﴿١﴾ ﴾النسـاء"، وكـــذلك في الآية (١٣) من سورة الحجرات وسور أخرى كثيرة، يؤكد سبحانه وتعالى على هـــذه الحقيقة، حتى نشعر نحن المسلمين، بأننا مع البشرية أسرة واحدة، نعم نحـــن مســـلمون وملتزمون بمنهج النبـــي الخاتم محمد عليه الصلاة والسلام، والذي كان مصـــدقاً لكـــل الأنبـــياء ومصدِّقاً لكل الكتب السماوية، ولكن من ناحية التعامل نحن نحترمهم ويجـــب أن نعيش سواسية، وأن يحترم بعضنا بعضاً على مستوى العالم أجمع، هكذا كان نبـــينا محمد صلى الله عليه وسلم، عندما أقام دولته الإسلامية في المدينة، لم يُفرِّقْ بـــين مســـلم ويهودي، وإنما جرى اتفاق سُمِّي فيما بعد: (كتاب) أو (وثيقة) أو (صـــحيفة) وكـــان بمثابة (دستور) بمفهوم العصر الحالي، وجاء في أحد بنـــوده: [**أن للمســـلمين دينـــهم ولليهود دينهم**][1] وفي بَنْدٍ آخر: [**وأن بـــينهم النصر على من دهم يثـــرب**][2]، أي: هناك نقاط مشتركة، ولكل مُكوِّن خصوصياته التي يجب أن تصان ويحافظ عليها .

١) مجموعة الوثائق السياسية، محمد حميد الله، ص٦١، البند: ٢٥.
٢) المصدر نفسه، ص٦٢، البند: ٤٤.

ameer.maktab@yahoo.com

١٣

تعريف شخصي مفصَّل، وبعض المحطات الرئيسية

السادة المشاهدون! يسعدنا أن نجدد لكم التحية واللقاء، نواصل لِقاءَنا وسلسلة حواراتنا مع الشيخ علي باپير أمير الجماعة الإسلامية في كردستان العراق، وهي سلسلة حوارات، يرى مركز القاهرة للدراسات الكوردية، أنها على درجة كبيرة من الأهمية لإطلاع المتابعين والمشاهدين والباحثين المصريين والعرب على القضية الكوردية، وعلى الجماعة الإسلامية، وعلى الشيخ الأمير علي باپير وفكره ومشروعه الإصلاحي الديني والدعوي، وأيضاً على حجم وثقل الجماعة الإسلامية في المشهد السياسي في إقليم كردستان العراق.

والآن نواصل الحديث عن محور مهم حول الشيخ نفسه والجماعة الإسلامية والإسلام السياسي في كردستان، وسنتطرق إلى عدد من القضايا التي لا يعلمها المتابع في مصر والوطن العربي، أهلاً وسهلا بك يا شيخنا.

ـــ أهلا وسهلاً ومرحباً بكم أخي السيد عبدالفتاح السيد!

يسعدنا أن نواصل اللقاء معك في هذه السلسلة من الحوارات التي نتمنَّى أن تفيد الرأي العام العربي والمصري، لإعطاء فكرة عن

الشعب الكوردي والقضية الكوردية، وعلى شخصكم وفكركم ومشروعكم الإسلامي والدعوي والجماعة الإسلامية باعتبارها تلعب دوراً كبيراً في المشهد السياسي في إقليم كردستان، ولها علاقات مع الأطراف السياسية في الإقليم وخارجه.

البداية لو تسمح لنا بتعريف شخصكم والجماعة والإسلام السياسي في إقليم كردستان، وفي البداية التعريف بك: ميلادك، ودراستك، وأهم الأعمال الفكرية لك، ومحطات في تأريخك النضالي.

ـــ ذكرتُ في حلقة سابقة أنَّ اسمي الثلاثي: علي باپير وتمان، أنا أنتمي من حيث النَّسب لعشيرة (ميرآودل) المشهورة والقاطنة في منطقة بشدر بالدرجة الأساس، والمنتشرة في جميع أنحاء كردستان العراق وبعض أجزاء من كردستان الشرقية [كردستان التابعة لإيران].

ولدتُ في صيف عام ١٩٦١ في قرية اسمها (كنجارة)، هذه القرية تبعد عن ناحية (سنگسر) بضعة كيلومترات، وهي تابعة لقضاء قلعة دزة، وهي مدينة تعتبر المركز لمنطقة پشدر، كما أن قضاء (رانية) تعتبر المركز لمنطقة بيتوين، و(قلادزة) بدورها تابعة لمحافظة السليمانية.

أبي كان فلاحاً زارعاً، وأمي كانت ربة بيت، يرحمهما الله، وكنّا عدة من الإِخوة: أشقاء وشقيقات، وترعرعت في بيت متدين بالفطرة، كان والدايَ أُميِّين، ودخلت المدرسة بعد أن تجاوزت السنة الخامسة من عمري، بَكّرتُ بالدخول للمدرسة قبل عام من سن الالتحاق بها، ولهذا الحديث قصة: حيث كنت أُلِحُّ على والدي أن يذهب بي إلى المدرسة ويُسَجِّلني، وهو كان يقول لي: "أنت صغير"، وأمام إلحاحي ذهب بي إلى مدير المدرسة في ناحية (سنگسر) وتحدث مع أحد المعلمين وقال له: ابني هذا يريد أن يدخل المدرسة، فرد عليه قائلاً "هو مازال صغيراً، فأتِ به في العام المقبل"، فأوضح له: أنّني أُلِحُّ عليه كثيراً، فقال له: اذهب إلى مدير المدرسة، والذي قال لوالدي: إن ابنك مازال صغيراً، وسألني: لماذا تريد أن تدخل المدرسة، وأنت مازلت صغيراً؟

فأجبته قائلا: [أريد أن أصبح معلماً مثلك] فأقسم بشرفه ــ والقسم بغير الله لا يجوز ــ، أن يُسَجِّلني في المدرسة!

وهكذا بدأت السنة الأولى في المرحلة الإبتدائية: ١٩٦٦-١٩٦٧م، وأكملت الصف الأول في ناحية (سنگسر)، بعد ذلك انتقلنا إلى منطقة (بـيتوين) واستقرنا لمدة سنة في إحدى القرى، وهناك دخلت المدرسة عند بـيت خالتي في ناحية (چوارقورنة) وهـي ناحية تابعة لقضاء رانية، وأمضيت السنة الثانية هناك، ولكن بسبب عدم إجـراء نقلـي رسمياً الى المدرسة الجديدة من المدرسة السابقة، ضاعت مني تلك السنة، على الرغم مـن أَنَّني كنت الأول على أقراني.

وبعد سنة انتقلنا الى مدينة (رانية) وأَكْملتُ فيها المرحلة الإبتدائية وكنت الأول على زملائي، في جميع الصفوف الدراسية، ثم في نفس المدينة (رانية) عـام ١٩٧٤ دخلـت المعهد الإسلامي، ولم أذهب الى المتوسطة الإعتيادية، وكان اختياري هذا حسب نصيحة أحد المشايخ الذي شجعني ونصحني، وكان هذا مُنْسَجِماً مع تطلعاتي وشوقي الروحي، وكنت أصلي وأصوم وأنا في المرحلة الإبتدائية، فمنذ سنوات عمري الأولى كنت مواظباً على الصلاة والصيام، وتربـينا على الخلق الإسلامي الفطري، وأتممت السـنة الأولى في المعهد.

ثم حدثت انتكاسة أيلول ١٩٧٥، بعد اتفاقية الجزائر المشئومة، بـين (محمد رضـا) شاه إيران و(صدام حسين) على يد: (هواري بومدين) الرئيس الجزائري، وضاعت مِنّـا تلك السنة ولم نتمكَّن من مواصلة الدراسة، وانشغلت بالعمل مع أبـي ومسـاعدته، وكنت دائما أساعده في فصل الصيف في الزراعة وفي أي عمل يعمله.

وفي عام ١٩٧٦م، ذهبنا إلى السليمانية وأكملت المرحلة المتوسطة وكذلك الإعدادية، وبقيت في السليمانية خمس سنوات، وفي السادس الإعدادي عـام (١٩٨٠م)، أعطونـا مهلةً لمدة ٤٠ يوماً لمراجعة الدروس وأداء الإمتحان المركزي، فخصصت شهراً كـاملاً لحفظ القرآن الكريم، وكنت سابقاً أحفظ بعض السور، ولكني أتممتُ حِفْظَ القرآن كلّه

خلال ثلاثين يوماً، كنت في كل يومٍ أحفظ جزءاً، وخصصت الأيام العشرة الباقية لمراجعة دروسي، ونجحت والحمد لله وكنت الأول على الصف.

وبعد ذلك في عام ١٩٨١م دخلت المرحلة الجامعية، وأكملت المرحلة الأولى في مدينة (النجف) بكلية (الشريعة والعلوم الإسلامية) أو (كلية الفقه)، وعندما أردت أن أكمل السنة الثانية وأواصل دراستي، أخبروني أن النظام العراقي، أصدر أمراً بالقبض عليَّ، فهربت من النظام ورجعت إلى مدينتي، وهناك أخبرني مختار (رانية) بأن دائرة الأمن طلبوا منه أن يدلّهم على بيتنا، فلما شعرت أن هذا قرار مركزي، اختفيت عن الأنظار مدة، وبعد ذلك توجهت إلى كردستان إيران، كردستان الشرقية، وأمضيت ستة أشهر هناك، وتتلمذتُ على العلماء، ثم ذهبت إلى طهران وأمضيت ستة أشهر هناك، أي بقيت السنة كلها في إيران، بعد ذلك تدخل بعض الوجهاء ورؤساء العشائر جزاهم الله خيراً، وحَلّوا مشكلتي مع النظام مؤَقّتاً، وذهبتُ إلى (أربيل)، وأديت امتحان الإمامة والخطابة ونجحت، وتم تعييني في مسجد النورسي في مدينة رانية، لكن لم أتمكن من الدوام، وذلك بسبب أنني تزوجت في عام ١٩٨٤ وبعد ذلك انتقلت وأهلي إلى قرية (سرسيان)، وبعدها تجدَّدت لي مشاكل مع النظام (النظام البعثي البائد)، وحاولوا القبض علي مرة ثانية، وكنت متنقلاً من قرية إلى أخرى، حتى عام ١٩٨٧م.

ثم توجهنا إلى جبال قنديل، وهناك فتحنا مقرات للمجاهدين المناضلين ضد نظام البعثي البائد، وكنت قبل هذا أعمل مع حركة الرابطة الإسلامية، وكنت من المؤسسين لنواة هذه الحركة في مدينة السليمانية، لكن لم أدخل في الحركة رسمياً، وإنما كنت أعينهم في بعض الأمور، إلى أن جاء عام ١٩٨٧م أعلنت رسمياً انضمامي للحركة الإسلامية كعضو بارز في القيادة، مع عدد من زملائي وتلاميذي الذين كنت أُدرِّسهم وأنصحهم ويتأثرون بي، وفتحنا في سفوح جبال (قنديل) مقرات عسكرية، بدافع محاربة النظام الذي كان يستبيح الشعب الكوردي خاصة، والمجتمع العراقي بصفة عامة: شيعة

وسنة، عرباً وكرداً وتركماناً، وكان لا يستثني أحداً، وهكذا استمرتُ على النشاط في إطار الحركة الإسلامية.

ثم صارت الإنتفاضة عام ١٩٩١م، وبقيت أحد أعضاء المكتب السياسي في الحركة الإسلامية، إلى أن جاء يوم ٢٠٠١/٥/٣١م فأعلنا عن الجماعة الإسلامية وانتخبوني أميراً للجماعة، وأنا في موقعي إلى الآن، مع إلحاحي -في كل المؤتمرات الثلاثة التي عقدتها الجماعة- على الإخوة أن يجعلوني في حلٍّ من إدارة الجماعة، ويتولّى أحد الإخوة هذه المسئولية، وأنا أتفرغ للعمل الفكري والإجتماعي والسياسي خارج نطاق الجماعة، لكن لحد الآن هم مُتَمسِّكون بي، وأنا بقيت مضطراً ومُكرَهاً على مزاولة عملي في منصب أمير الجماعة.

نستطيع أن نقول إنك منذ سنوات عمرك الأولى وقد اخترت التخصص في مجال العلوم الشرعية بقرارك ونصيحة من أحد الشيوخ، هذا أمر، والأمر الآخر نريد أن نعرف بداية التحاقك بالعمل القومي، وحركة النضال الكوردي ضد النظام البعثي السابق؟

ـ بالنسبة لدراستي للعلوم الشرعية، بدأتْ منذ أن دخلت المعهد الإسلامي، وقبل هذا كنت متديناً على الفطرة، مثل بقية الناس، وكنت أطالع الكتب لكن ليس الكتب المتخصصة في العلوم الشرعية، بل كانت القراءة هواية لي وأنا كنت في الصف الأول الإبتدائي، وما زلت أتذكر الكتيب الذي وزَّعه علينا أحد المعلمين كان عنوانه (الأسد المُزَوَّر)، هذا أول كتاب قرأته ومازلت أحفظ بعض أشعار هذا الكتيب، كان الكتيبُ يحكي حكاية، وفي ذلك الوقت ما كنّا نفهم مغزى هذه الحكاية، والحكاية خلاصتها:

أن حماراً في إحدى القرى كان الأطفال يلعبون به ويؤذونه، فَفَكَّر أن ينجي نفسه من هذه المعاناة، فذهب إلى الغابة، وهناك وجد أسداً ميتاً، فنزع جلده ولَبِسَه، وأتى إلى القرية، ففزع الناس منه وقالوا: جاء أسدٌ، وفزعوا ودخلوا بيوتهم وأغلَقوا عليهم

الأبواب، فلما رأى الحمارُ ذلك، قال: ولماذا لا أُصيح عليهم حتى أخيفهم أكثر! فلمّا صاح، إذا هو نهيق الحمار، وليس زئير الأسد، فقالوا: هذا ليس أسداً، هذا حمار، فجاء الأطفال فضربوه ولعبوا به، وأصبح كما في السابق.

هذه القصة كانت ترمي إلى أن إحدى الفصائل الكوردية ذاك الوقت، انضمت إلى الحكومة واعتبرت نفسها كأنها أسد، لكنها حمار لبس لبوس الأسد!

كما قلت: بدأتُ دراستي للعلوم الشرعية، عندما دخلت المعهد الإسلامي ودرست على يد عدد من العلماء، وذكرت كل هذه التفاصيل في كتاب لي عنوانه (**علماء المسلمين من هم وماهي صفاتهم؟**). فذكرت تجربتي في مجال دراسة العلوم الشرعية، وذكرت أسماء كل العلماء الذين استفدت منهم، وأكثرهم الآن في ذمة الله، يرحمهم الله ويجزيهم خيراً. واستمرت في دراسة العلوم الشرعية، كنا ندرس: النّحو (قواعد اللغة العربية) والصرف، والبلاغة، وكذلك الفقه، والتفسير، والحديث، وأصول الفقه، والتأريخ والسيرة، وكانت هذه العلوم هي المتداولة آنذاك، سواء في المرحلة المتوسطة أو الإعدادية، أي في غضون ست (٦) سنوات، درسنا هذه العلوم على يد العلماء واستفدنا منهم جزاهم الله خيراً.

متى التحقت بالعمل النضالي في خدمة الشعب الكوردي ؟

ــ بالنسبة لانخراطي في العمل المسلح، العمل الفكري والسياسي سبق العمل المسلح، لأنني منذ أن فتحت عيني على الدنيا وكنتُ أرى ظلماً وأرى شعبي يتعرض للظلم والإِضطهاد، وللسجن والتشريد وتدمير القرى، وأنا تعرضت شخصياً لقصف طائرات ومدفعيات النظام، كل أولاد ذلك الزمان يتذكرون تلك الذكريات.

بدأنا بالعمل الفكري والسياسي والدعوي من أجل إِنقاذ الشعب، وكنت أخطب وأتجول في القرى وأنتقد الحكومة (النظام البعثي البائد) وهذا هو السبب الذي دفعها لإِصدار أمرٍ باعتقالي، سواء عندما كنت أدرس في النجف، أو عندما عدت إلى مدينة

رانية ومنطقة بيتوين وپشدر، وكنت أتجول في كثير من المناطق وأخطب في أيام الجُمعِ، وفي غيرها من الأيام والمناسبات، والناس يحبون أن يستمعوا إلي فأخطب فيهم، لكن بدأت العمل المسلح فعلياً عام ١٩٨٧م عندما جهَّزنا مقراً في سفوح جبال قنديل، وفتحنا قوة(١): [سيد الشهداء حمزة] من الإِخوة المتطوعين الذين كانوا هم على الأكثر مِمَّن كنت علَّمتهم وتتلمذوا على يدي، فمنذ ذلك الوقت أَصبحنا فصيلاً في حركة التحرر الكوردية، جنباً إلى جنب مع بقية الأحزاب: الإِتحاد الوطني، والحزب الديمقراطي، والحزب الإِشتراكي، وحزب (پاسوك) الإِشتراكي الكوردي، وكذلك حزب الشعب، والحزب الشيوعي، كل هذه الأحزاب وغيرها كانت موجودة، منذ ذلك الوقت بدأت بالعمل المسلح.

في ذلك الوقت -كما ذكرت- كان هناك عدة فصائل وأحزاب تقود عملية النضال المسلح ضد نظام حزب البعث، وحسب ما نعلم كان هناك: الإِتحاد الوطني والحزب الديمقراطي كانا هما الأكبر ، لماذا لم تختر أن تنضم إلى أي منهما؟ ولماذا فضلت أن تقاتل تحت راية حركة إسلامية؟

ــ من الطبيعي أن أكون هكذا، ومن المستغرب أن يقوم شعب مسلم متدين بالنضال تحت راية غير إسلامية، الوضع الطبيعي لكل شعب أن يناضل حسب دينه ومعتقده ومنهجه، هذه هي الحالة الطبيعية، ووجود أحزاب علمانية: يسارية أو يمينية، شرقية أو غربية، في مجتمع مسلم، تُناضل تحت رايات غير إسلامية، فهذا هو الوضع غير الطبيعي الذي يحتاج إلى تفسير، أما أن يقوم مسلم أو مجموعة من المسلمين أو شعب مسلم بالنضال التحرري تحت راية دينه، فهذا هو الحال الطبيعي.

١) أستعمل لفظ (القوة) تعبيراً عن مجموعة مسلحة يتراوح عدد أفرادها بين (١٠٠-٢٠٠) مسلح.

لو تذكر لنا بعض من محطات نضالك المسلح ضد نظام حزب البعث؟

ــ نحن -كما قلت- فتحنا تلك الوحدة العسكرية والتي كنا نُسَمِّيها: القوة [قوة سيد الشهداء حمزة] في قرية (قلاتوكان) في سفوح جبال قنديل، وأمضينا سنة هناك، خلالها تعرَّضنا لعدة هجمات من قبل قوات نظام البعثي البائد، وتصدَّينا له وقُتل منا أربعة من الإِخوة تقبلهم الله شهداء، وقتلنا عدة من رجال النظام، سواء من الجيش، أو من المرتزقة الكورد المتعاونين معهم، ونشبت بيننا وبين النظام عدة معارك، ولكننا لم نتمكن من الإِستمرار في البقاء هناك، إلا أقل من سنة، ولسنا وحدنا بل كل القوى الكوردية الأخرى، لأن النظام بعد إِبرامِهِ اتفاقية صلح مع إِيران في: ١٩٨٨/٨/٨م، بدأ بهجوم كاسح وواسع، وآخر معركة خضناها معه في الشهر السابع عام ١٩٨٨، معركة ضارية بكل معنى الكلمة، وكانت قواتنا ومقراتنا تُقصف من عدة جهات بالمدفعية الثقيلة، وفي المرحلة التالية بالطائرات، فلم نتمكَّن من البقاء هناك، وكذلك بقية الأحزاب، واضطررنا إلى أن ننتقل إلى الشريط الحدودي بين العراق وإيران، ثم انتقلنا بسبب البرد والجو القارس في جبال قنديل، إلى الشريط الحدودي داخل حدود إيران وبعضه داخل العراق.

١٤

القضيَّة الكوردية
والحركة التحرّرية للشعب الكوردي

تعلم أن القضية الكوردية تعاني للأسف من تشويه وتهميش في بعض الأوساط العربية، طبعاً بفعل الأنظمة الحاكمة في العراق وسوريا التي صوَّرت صورة –للأسف- غير صحيحة عن الشعب الكوردي، وحركة التحرر الكوردي، وبالتالي نريد منك أن تعطينا لمحة عامة عن حركة التحرُّر الكوردي والشعب الكوردي، وحركة التحرر بصفة خاصة في إقليم كردستان العراق ؟

ـــ بداية أقول إن القضية الكوردية عبارة عن مظلومية الشعب الكوردي، وعدم الإقرار له بالعيش في وطنه، كما يُحبُّ ويختار، وهذا حق أعطاه الله سبحانه وتعالى لكل البشر على مستوى كل الأقوام والشعوب، وذلك ضمن الآية المباركة (١٣) في سورة الحجرات حيث يقول الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾ الحجرات، وجعلت هذه الآية المباركة أساساً لأحد كتبي، عنوانه (**العاطفة القومية والفكر الناسيونالي في منظار الإسلام**)، فاستنبطت عدة حقائق في ضوء هذه الآية المباركة:

الأولى: أن الله سبحانه وتعالى يخاطب البشر: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ والكورد مجموعة من الناس، مثله مثل العرب والترك والفرس وبقية الشعوب.

الثانية: ﴿إِنَّا خَلَقۡنَـٰكُم﴾ إذن: نحن البشر بمختلف شعوبنا، مصدر إيجادنا واحد وهو الله سبحانه وتعالى، فهو خلقنا سواء.

الثالثة: ﴿مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ﴾ يعني من زوجين وهما آدم وحواء عليهما الصلاة والسلام، أي: أبوانا واحد، فلا أحد يحق له أن يفتخر على الآخر بأصله ونسبه، لأن أصلنا واحد، ونحن من أسرة واحدة، من ذكر وأنثى.

الرابعة: ﴿وَجَعَلۡنَـٰكُمۡ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ﴾ جعلنا الله تبارك وتعالى شعوباً متعددة: أنا كردي، وأنت عربي، وذاك تركي، وذاك أفغاني، والآخر باكستاني، هذا من جعل الله سبحانه وتعالى، وهذا نابِعٌ من إرادة الله، وعليه: فهذا لا يكون مدعاة لبغي بعضنا على بعض، أو أن يفخر واحد على آخر بسبب عرقه ونسبه، لماذا؟ لأن الله سبحانه وتعالى هو الذي وزَّعنا على شعوب وقبائل.

الخامسة: ﴿لِتَعَارَفُوٓاْ﴾ أي إِنَّ حكمة هذا التوزيع على مستوى شعوب وقبائل، إنما هي التعارف، والتعارف كلمة شاملة لمعاني التآلف والتعاون والتضامن، وأن يعرف بعضنا بعضاً، ويحب بعضنا بعضاً، فهذه الكلمة (التعارف) شاملة لكثير من المفاهيم التي تقتضي التآلف والتآخي والتعاون بين البشر بمختلف شعوبهم.

السادسة: ﴿إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ﴾ لم يقل: إن أكرمكم عند الله أعربكم، أو أكردكم، أو أترككم، أوأفرسكم، ولم يقل أبيضكم، أو أسودكم، ولم يقل أعلمكم، أو أجهلكم، أغناكم، أو أفقركم، بل إِن الله الحكيم العليم سبحانه وتعالى جعل أساس التفاضل شيئاً، يتمكَّن من تحصيله كل إنسانٍ، وهو: التقوى، فالتقوى بإمكان الذكر أن يحصل عليه وكذلك الأنثى، الأمي والمتعلم، الرئيس والمرؤوس، الأبيض والأسود، الغني والفقير، كل إنسان بإمكانه أن يكون متقياً، فجعل الله سبحانه وتعالى التقوى هو الميدان

الذي يتسابق فيه الناس، حتى يكون ميزاناً عَدْلاً، يتساوى فيه الناس جميعهم، اذْ لو قال: إن أكرمكم عند الله أفقركم، لعُزِل الأغنياء، ولو قال: أغناكم، لعُزِل الفقراء، ولو قال أبيضكم، لعُزل السّود.... ألخ.

السابعة: (إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) وهذا كي لا يدَّعي أحد أنه هو المتقي وغيره الفاجر، (إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) أي هو وحده الذي يعلم الأشياء، وهو وحده الذي عنده الخبرة الكاملة بالأشخاص، لأن العلم يتعلق بالأشياء، والخبرة تتعلق بالأشخاص.

فهذه الحقائق السبع التي تحتويها الآية (١٣) من (الحجرات) هي الأساس لتعامل الشعوب بعضها مع بعض، والشعب الكوردي -مع الأسف- لم يُتعامل معه على هذه الأسس، من قِبلِ الشعوب الثلاثة الجارة: الشعب العربي، والشعب التركي، والشعب الفارسي، فهذه الشعوب الثلاثة -والأصح أن نقول: أنظمتها السياسية- لم يتعاملوا مع جارهم: الشعب الكوردي على هذه الأسس المنطقية والشرعية، لكن هل العتب الأساس يقع على العرب والترك والفرس، بسبب هذا الوضع الذي يعيشه الكورد، وهو محو وجودهم على الخريطة السياسية؟ لا، وإنما الذنب يقع أول ما يقع، على القوى الكبرى في ذاك الوقت: بريطانيا العظمى، وروسيا، وفرنسا، هذه الدول التي وقعت اتفاقية (سايكس-بيكو)، وبعدها الإتفاقيات الأخرى المجحفة بحق الشعب الكوردي وبحق شعوب المنطقة، ووُزعت كردستان؛ وطن الكورد، بين عدة دول، فكأن الشعب الكوردي لا يحق له أن يمتلك أرضه، أو أن يعيش على أرضه كما يريد! وهذا حق أعطاه الله سبحانه وتعالى للجميع، عندما قال {وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ }، هذه الجملة المباركة يؤخذ منها: أن الشعب الكوردي يقف على قدم المساواة مع بقية الشعوب، إذن فعندما نرى الشعب العربي، وهو شعب مسلم ونحبه -صالحيه بالطبع- يمتلك اثنتين وعشرين (٢٢) دولة، وكذلك الشعب الفارسي يمتلك دولة، وكذلك التركي، والشعوب الأخرى، كذلك للشعب الكوردي كامل الحق أن يمتلك دولته الخاصة به، مثله في ذلك

مثل بقية الشعوب، وذكرت في كتابـــي المشار إليه: أنه طالما هناك: عربستان وباكستان وهندستان وتركمنستان وعجمستان، فليكن هناك أيضاً كردستان، إذ كردستان وطـــن الكورد، كما أن عربستان وطن العرب وهكذا.

عندما يُحرَمُ أي شعب من حقه، أن يعيش في وطنه، فهذا ظلم يجب على الجميع أن يسعوا لرفعه، فللشعب الكوردي أن يعتب على كل من قصّر في الأُخُـــوَّة معـــه، وأنـــا أتحدث بوجدان ولسان الكورد، اذ يعتبون كثيراً على جماعات وأنظمة وشعوب: لماذا لم يدافعوا عنّا ويتضامنوا معنا، عندما تعرَّضنا للإبادة الجماعية، وعمليات الأنفال، والقصف الكيماوي، وتهجير القرى، وأنا كثيراً ما أقول: يجب أن نكون منصـــفين، فالشـــعوب الإسلامية والجماعات كانت مغلوبة على أمرها، والأنظمة الحاكمة هي الملومة، ويجـــب أن يُوجه إليها العتب، وكذلك من كان يملك المقدرة ولم يدافع عن الشعب الكـــوردي المظلوم، هو يقع عليه العتب، أيضاً.

الآن مثلاً: الشعب الكوردي لا يمكنه أن يفعل أي شيء لشعب روهينغـــا المســـلم، وعندما تعرض إِخوتنا المسلمين للظلم والإِعتداء، في: البوسنة والهرســـك، وشيشـــان، وكشمير، وفلسطين، لم نتمكَّن نحن الشعب الكوردي أن نفعل لهم شيئاً، وفي مثل هذه الحالة لا يجوز أن يُوجَّه إلينا أو الى غيرنا، العَتْـــبُ، لأنـــه: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ...﴿٢٨٦﴾ ﴾ البقرة.

خلاصة القول: (القضية الكوردية) عبارة عن مظلومية الشعب الكـــوردي، وعـــدم إعطائه الحق، أن يعيش في وطنه، كما يريد، وهو ما يسمى في بالمصطلح السياسي (حق تقرير المصير). وهذا شامل لكل أجزاء كردستان الأربعة: كردستان العراق، نحن نسميه جنوب كردستان، وشمال كردستان في تركيا، وشرق كردستان التابع لإيران، وغـــرب كردستان التابع لسوريا.

١٥

إِقليم كردستان، والتيّار الإِسلامي السيّاسي فيه

الشعب الكوردي دخل في الإسلام مبكراً وطوعاً، ولعبَ دوراً كبيراً في خدمة الإسلام بالفتوحات والدعوة، وبرز فيه علماء أفذاذ في العلوم الشرعية، وأيضاً لا ننسى أبداً القائد الإسلامي العظيم صلاح الدين الأيوبي، أقصد أن الشعب الكوردي كان قوة كبيرة للإسلام وإضافة كبيرة له، لو تحَدّثنا عن الإسلام في إقليم كردستان، وحركة الإسلام السياسي في هذا الإقليم؟

ـ في البداية أشيرُ ولو إشارة خاطفة الى أن الشعب الكوردي تفاعل مع الإسلام منذ البداية، وما تفضلت به هو صحيح مائة بالمائة: أن الشعب الكوردي دخل الإسلام طواعية، ولو أن بعض غير المنصفين من الكورد من العلمانيين، ومن المتطرفين القوميين يقولون: إن الإسلام فُرِضَ على الشعب الكوردي فرضاً، وهذا كذب يَدْحَضه الواقع، كما قلت في المناظرة التي جرت بيني وبين ملا بختيار سكرتير المكتب السياسي في الإتحاد الوطني الكوردستاني،[(١)] قلت: لو أن الشعب الكوردي فُرض عليه الإسلام فَرْضاً، لرفضوه، إِذ أي شيء يُفْرَضُ، يُرفَضْ، لكن لماذا أبقى الشعبُ الكوردي على الإسلام؟!

١) جرت بيني وبين الموما إليه مناظرة في ٢٠١٦/٤/١٠ في السليمانية حول تجربة إقليم كوردستان في مجال ممارسة الديمقراطية والعلمانية.

إذ الصحابة والتابعون جاءونا بالإسلام، ونوّروا كردستان بالإسلام، كما نوروا المناطق الأخرى به، ثم تركونا وشأننا، وهذا يعني: أن الإسلام لم يأت لاستعباد الناس واستغلالهم وسرقة ثرواهم، كما تفعل القوى الكبرى الآن، وإنما جاء المسلمون: الصحابة رضي الله عنهم والتابعون رحمة الله عليهم والجيوش الإسلامية، لرفع الظلم الواقع على تلك الشعوب المضْطَهَدَةِ، هل كان الشعب الكوردي يتمتع بكيان سياسي عندما جاء الإسلام؟ لا، فهو كان مقسماً بين الروم البيزنطيين والفرس الساسانيين، وكان مغلوباً على أمره، ولهذا رحَّبوا بالإسلام، لأَهُم رأوا فيه خلاصَهم وحريتهم وحقوقهم، وأنه لا يفرِّق بين كردي وعربي، وإنما يُسَوِّي بين الجميع، كما يقول سبحانه وتعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ ...﴿١٣﴾ ﴾**الحجرات**، فلما رأى الكورد وغيرهم من الشعوب المسحوقة المضطهدة، حقوقَهم في الإسلام، لبَّوا نداءَهُ ورحَّبوا به ودخلوا في الإسلام طواعية، وما تفضلت به أن كثيراً من الشخصيات الكوردية خدمت الإسلام، صحيح أيضاً: الشعب الكوردي عموماً خَدمَ الإسلامَ، لكن هناك رموز مثل: (صلاح الدين الأيوبي) رحمة الله عليه، وكذلك (ابن الأثير) صاحب (الكامل في التأريخ) و(ابن الحاجب) عالم اللغة العربية، و(ابن صلاح الشهرزوري) واضع علم الحديث، و(ابن خلكان) المؤرِّخ السائح، و(ابن تيمية) العالم الموسوعي، الذي يُرجع كثير من المؤرخين أصلَه إلى الشعب الكوردي، و(أحمد شوقي) أمير الشعراء، و(مولانا خالد النقشبندي) والذي كان (ابن عابدين) صاحب الحاشية المشهورة في المذهب الحنفي، أحد خلفائه ومريديه، وكذلك كل من: (الآلوسي) صاحب تفسير (روح المعاني)، و(الشيخ شامل) النقشبندي، كان من خلفائه أيضاً، ومن الشخصيات الكوردية البارزة التي قدَّمت خدمات للإِسرم والمسلمين، على مستوى الأمة الإِسلامية: الأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي، وهناك شخصيات كردية أخرى بارزة، في مجال التصوف والسير

والسلوك، والعلم والثقافة، وفي مجال الدفاع عن الإسلام والمسلمين، خـــدموا الإسـلام والمسلمين في الدولة الأموية والعباسية ثم العثمانية.

وبالنسبة للتيار الإسلامي في إقليم كردستان ــ جنوب كردستان ــ فمنذ أن بدأ هذا الإقليم بالتكوُّن، بل وقبل ذلك التأريخ بفترة، كان التيار الإسلامي موجوداً، إذ: (حركة الرابطة الإسلامية) والتي خاضت النضال المسلح،كان لها جناح عسكري باسم (جـــيش القرآن)، ثم تغير الإسم إلى (الحركة الإسلامية)، وقد خاضت الحركة الإسلامية معـــارك ضارية ضدَّ النظام البعثي البائد، وقتل عدد من الإخوة تقبلهم الله شهداء، ثم لما حـــدثت الإنتفاضة، كان للحركة دور بارز فيها، وفيما بعدها وقدمنا شهداء، هذا بالنسبة للعمل المسلح، وقبل أن تَتشَكَّلَ (الحركة الإسلامية) وقبلها: (حركة الرابطة الإسلامية)، كـــان هناك تنظيم: (الإخوان المسلمين).

أتحدث عن الإسلام السياسي وليس النضال المسلّح فقط، البعض يقول إن الإسلام دخل كردستان عن طريق الإخوان المسلمين ؟

ــ ملاحظة لك وللسادة المتابعين!، أنا لا أرضى بهذا المصطلح، مصطلح: (الإســـلام السياسي)، لماذا ؟ لأن الله سبحانه وتعالى أنـــزل إسلاماً واحداً، يقول سبحانه وتعـــالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ...(٣)﴾ «المائدة» الإسلام إسلام واحد، كتبت كراسة في هـــذا المجـــال بعنـــوان: (**السياسة الإسلامية**) مثلما أن هناك اقتصاداً إسلامياً، وفكراً إسلامياً، وعملاً إســـلامياً، وفقهاً إسلامياً، وخلقاً إسلامياً، كذلك هناك سياسة إسلامية، لا يوجد إلا إسلام واحد، ولكن للإسلام جوانب متعدِّدة، وأحد جوانبه، هو العمل الحركي والتنظيمي والسياسي للإسلام، بغية تطبـــيقه على أرض الواقع، لذا يجب أن نقول: العمل السياسي للإسلام، فهناك من يقومون بالعمل السياسي، وهناك من لا يقومون،كما أن هناك من الكورد من قاموا بالنِّضَال القومي، وهناك من قعدوا، كذلك هناك من المسلمين من يعمل للإســـلام

لإعادته إلى الحياة، وهناك من لا يعمل، أي: هناك عمل إسلامي وعاملون للإسلام، وهناك مسلمون غير عاملين للإسلام، فالسياسة جانب من جوانب الإسلام، فإذا استعملنا مصطلح (الإسلام السياسي) هذا يعني أنه يجب أن يكون هناك: الإسلام الروحاني، والإسلام الفقهي، والإسلام الإقتصادي، والفكري، والتأريخي، والتجويدي، والصوفي، والعقيدي، والتزكوي!! لكن لا! إِذْ هذه الأشياء: العقيدة والفكر والإقتصاد والسياسة والحكم والفقه والتربية والأخلاق، كلها من جوانب الإسلام، وبالتالي: فهناك سياسة إِسلامية، لكن لا يوجَدُ إِسلام سياسي إِذ يقابلهُ: إسلام غير سياسي!!

وبدأت مشاركة التيار الإسلامي للنضال التحرُّري، منذ البداية وقبل الإنتفاضة، ونحن شاركنا شعبنا السراء والضراء والحلو والمر، وعانينا ما عاني شعبنا، وشاركنا في كل النشاطات، ولقد تعرَّضْنا للظلم وهضم الحقوق من قبل التيار العلماني الحاكم والمسيطر، ولكن على أي حال، نحن فضَّلنا أن نبقى صامدين داخل شعبنا ومجتمعنا، لأن الله سبحانه وتعالى عندما يحدِّثنا عن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام نراهم: يصبرون على ظلم قومهم وعلى الشدائد والمحن، ويقول النبي الخاتم صلوات الله وسلامه عليه: (**الْمُؤْمِنُ الَّذِي يُخَالِطُ النَّاسَ وَيَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ، أَفْضل مِنْ الَّذِي لَا يُخَالِطُهُمْ وَلَا يَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ**)[1]، وكل الأنبياء هكذا فعلوا: خالطوا قومهم، وتفاعلوا معهم، وتعاملوا معهم، إلى أن وصلوا إلى طريق مسدود، وفي ذلك الوقت كانت سنة الله وقانونه في تعامله مع المجتمعات، أنه من وصل معهم نبيهم إلى طريق مسدودٍ، يُيدُهم الله سبحانه وتعالى.

---

١) رواه الترمذي (٢٥٠٧) وابن ماجه ٤٠٣٢ وأحمد في المسند ٤٣/٢١ وصححه الألباني في صحيح الجامع: ٦٦٩.

١٦

ملابسات وأسباب
تأسيس الجماعة الإِسلامية

نريد منك أن تطْلِعَنا على ظروف وملابسات وأسباب تأسيس الجماعة الإسلامية؟

ــ التيار الإِسلامي نشأ نشأة طبيعية، التيار الإسلامي ككل، سواء على مستوى التنظيمات، أو على مستوى النضال المسلح، أو العمل الدعوي، أو التربية والتعليم، وكما أشرت في السابق: فإن الحالة الطبيعية لأي تكتلٍ مسلم، أن يخدم مجتمعه ويعمل لإِسعادِ مجتمعه، وتخليصه من الظلم، تحت راية الإسلام وعلى أساسه، هذا هو الوضع الطبيعي.

ولكن هناك حقيقة مُرّة يجب أن نُقِرَّ بها، وأنا من عادتي أن أُقِرَّ بالحقيقة ولو كانت عليَّ، التيار العلماني سبق التيار الإسلامي في الدفاع عن الشعب الكوردي، سواء هنا، أو في بقية أجزاء كرستان، وهذا التقصير يعود إلى العلماء وكيفية فهمهم للإسلام، مع الأسف العلماء في أغلبيتهم، لم يفهموا الإسلام كما هو، فهماً واسعاً شاملاً، الإِسلام كنظامٍ عام للحياة، وإنما فهموا الإسلام فهماً جزئياً، كأنَّ الإسلام ليس سوى حالة تعبُّدية، وحالة تديّن شخصي بين الله والإنسان! وهذا هو المفهوم الكنسي للدين، الكنيسة هي التي حصرت الدين بين الإنسان والله سبحانه وتعالى، بينما الإسلام

دين شامل لكل جوانب الحياة، فهو عقيدة وشريعة، وإذا كان بالإمكان أن يحملَ الفَــرْدُ العقيدة فيما بـــينه وبـــين الله، فإن الشريعة يجب أن يحملها المجتمع ويطبقها، فبســـبب هذا القصور في الفهم، العلماءُ أخلوا الساحة لغيرهم، والغريق يتشبث بكـــل حشـــيش، وكان الناس من حقهم أن يدافعوا عن وجودهم، اذ الدفاع عن الذات شـــيء فطـــري وضَعَهُ الله تعالى حتى في الحيوانات، ولما قَصَّر العلماءُ في هذا المجال، أعني: أكثرية العلماء، رغم أن بعضهم قاد النضال التحرري، ومنهم: الشيخ عبـــيدالله النهري الذي انـــتفض سنة ١٨٨٠م وهي تعتبر أول انتفاضة كوردية في العصر الحديث، ثم: الشيخ عبد القادر شمزيناني، وإسماعيل خان شكاك، ثم الشيخ سعيد پـــيران والذي أُعدم عـــام ١٩٢٥م، ثم الشيخ عبد السلام البارزاني والشيخ محمود الحفيد، وقاضي محمد، رحمهـــم الله تعـــالى، وكل هؤلاء كانوا إما شيوخ طريقة أو علماء، وإما رؤساء عشائر متدينين، تَدَيُّناً فطريـــاً كلاسيكياً، لكن أن يجعلوا من الإسلام برنامج ثورة للإصلاح السياســـي والإقتصـــادي والإجتماعي، فلم يكن مثل هذا الفهم آنذاك عند هؤلاء الكـــرام موجـــوداً، يجـــب أن نعترف بهذا، فهؤلاء القادة كانوا مسلمين كأشخاص، لكن لم يُلْبِســـوا الثـــورة ثوبـــاً إسلامياً، و لم يجعلوا للثورة والإنتفاضة أساساً إسلامياً، وأنا مُطّلِعٌ على أنَّ الشيخ ســـعيد پيران، وكان شيخ الطريقة النقشبندية آنذاك، يتحدث عنه التأريخ، أنه كان يعمل لإعادة الخلافة الضائعة على يد كمال أتاتورك، ولكن ذلك الموضوع غير ما نحن نتحدث عنـــه وننتقده على العلماء والمشائخ ورؤساء العشائر: قادة حركة التحرّر الكوردي.

أجل، العلماءُ في أغلبـــيتهم قصَّروا في أن يتقدموا الشعب، وأن يَؤُمُّوه لتحريرهِ مـــن الظلم، وفي الدفاع عنه، ولهذا لاذ الشعب فيما بعد هذه الثورات، بقيـــادات علمانيـــة: ماركسية، يمينية، يسارية، شرقية، غربـــية، مع الأسف، وهذا التَبنِّـــي لغـــير الإســـلام كمنهج للحركة التحررية الكوردية، أضرّ كثيراً بسُمعة الكـــورد، وبوحـــدة صـــفهم، وبكيفية التعامل مع الطرف المقابل، إذْ أعطى هذا العمل – تبنِّي الإيدولوجيات العلمانية الشرقية والغربـــية– ذريعة للأَنظمة القامعة لحركات التحـــررّ القـــومي والـــوطني، أن

يتَّهموها بالكفر والإرتداد، وذلك بعد استصدار الفتاوى الجاهزة من بعض العلماء أو أشباه العلماء، مِمَّن يُسمَّون بـ(وعاظ السَّلاطين) وهذا هو ما قام به بالتحديد: النظام البعثي البائد، عندما سمَّى عمليات الإبادة، بعمليات الأنفال، وقال: إن هؤلاء -الكورد- تبنَّوا الماركسية والإلحاد، فهم غير مسلمين، ووعاظ السلاطين أولئك، إما أن النظام خدعهم، أو هم خدعوا أنفسهم وأصدروا فتاوى بهذا الصَّدد، مع أن النظام ما كان ينتظر فتاوى العلماء، اذ كان يعمل ما يعمل، كما يهوى ويشتهي.

نعم: تَبنِّي غير الإسلام منهجاً للثورة والنضال التحرري، أضر بالشعب الكوردي، في جوانب كثيرة، ولكن المقصِّر الأكبر هم العلماء، فالعلماء قصَّروا وأخْلَوا الساحة لغيرهم، الذين جاءوا بدون جدارة وكفاءة، وملأوا هذه الساحة الخالية وتقّدموا الشعب، فَقُدِّمَتْ تضحياتٌ جِسام، وسُفكت دماءٌ غزيرة، ودُمّرت بيوت، بل قرى ومدن كثيرة، لكن لم نحصل إلا على نتائج ضئيلة مع الأسف، سواء هنا في إقليم كردستان، والذي كان يجب أن نتمتع الآن بدولة مستقلة، والوضع أسوأ بكثير في بقية أجزاء كردستان الأخرى.

ameer.maktab@yahoo.com

/AliBapir /AliBapir /MediaAmeerOffice

www.alibapir.net

١٧

القواعدالشرعيَّة والأسس العامة للجماعة الإِسلامية

أحد كتبك عنوانه: (الأسس الشرعية والخطوط العامة للجماعة الإسلامية الكوردستانية)، أعتقد أن هذا بمثابة الدستور للجماعة وهو يحتوي على خمس وعشرين قاعدة، نريد منك أن تطْلِعنا على أهم ملامح الجماعة وأصولها الشرعية.

كنا تطرقنا إلى أهم الملامح لمنهج الجماعة وأصولها الشرعية وذكرت أن هناك خمسة وعشرين (٢٥) أصلاً وقاعدة في منهج هذه الجماعة، فنريد منك لمحة عامة عن أهم هذه الأصول ؟

ــ نحن منذ أن بدأنا بتأسيس الجماعة كامتداد (لحركة الوحدة الإسلامية) السابقة، وأعلنا وقتها أننا سنحافظ على الجوانب الإيجابية الموجودة في (الحركة) ونحاول أن ننأى بأنفسنا عن الجوانب السلبية، لأننا عندما كنا داخل (حركة الوحدة الإسلامية) كان لنا انتقادات ومؤاخذات على بعض الممارسات والتصرُّفات والمواقف من قيادة الحركة، وكنّا كتيّار معارض داخل الحركة، لنا مواقف تُميِّزنا عن بقية الحركة وعن قيادة الحركة في ذاك الوقت، ولهذا لما أَسَّستُ (الجماعة الإسلامية) أول ما بدأت به: أن كتبت كراسة (القواعد الشرعية والأسس العامة للجماعة الإسلامية)، وبعد أن اجتمعت قيادة الجماعة آنذاك طرحتها عليهم وقلت: طالما أنتم تُلِحُّون عليَّ أن أرأس هذه

الجماعة[١]، فهذه هي شروطي، وهذا هو فهمي للعمل الإسلامي، فتعالوا نتناقش حولها، فجرت مناقشات ومداولات ومباحثات لم تُغَيِّرْ شيئاً أساسياً من تلك الكراسة وتلك القواعد الخمس والعشرين، والتي بنينا عليها الجماعة الإسلامية، وهذه القواعد الخمسُ والعشرون تعتبر: أساس المنهج الفكري والسياسي للجماعة.

وهذا توضيح مختصر بل موجز لتلك القواعد القواعد الخمس والعشرين[٢]:

القاعدة الأولى: فهم الإسلام فهماً صحيحاً:

أول ما يبدأ به الإنسان، في أي عملٍ يجب أن يبدأ بالعلم وأن تكون الصورة واضحة، ولهذا جعلت فهم الإسلام فهماً صحيحاً هي القاعدة الأولى، والإسلام هو المتمثِّلُ في الكتاب والسنة، وليست سُنة الرسول صلوات الله وسلامه عليه إلا تجسيداً للكتاب، ولكن لا أقول كما يقول بعض من يُسَمُّون أنفسهم بالقرآنيين، بأنه لايوجد لدينا وحي إلا القرآن! لا، لكن السنة تجسيد للقرآن على أرض الواقع، وتبيين لكيفية الإلتزام بالقرآن الكريم، فعندما يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ...﴿٤٤﴾ ﴾ **النحل**، أي: إنَّ وظيفة الرسول عليه الصلاة والسلام هي تبيين كيفية تطبيق القرآن، ولكن في السنة، بالإضافة إلى تطبيق القرآن، أحكام استقلّت بها السنة النبوية، فهناك أحكام جاءت بها السنة النبوية، لم تردْ في القرآن، مثل:

١- (**نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أكل كُلِّ ذِي نَابٍ مِنَ السِّبَاعِ، وَكُلِّ ذِي مِخْلَبٍ مِنَ الطَّيْرِ**)[٣]، ولا يوجد في القرآن أن السباع ذات الأنياب، حرامٌ أكل لحمها، وكذلك الطيور ذات المخالب، وهناك أشياء كثيرة جداً جاءت بها السنة.

---

١) وكنت طلبت من الإخوة المؤسّسين أن يُؤَمِّروا عليهم وعلى الجماعة غيري، لأسباب ذكرتها آنذاك، لكنهم رفضوا اقتراحي ذلك بالإجماع.

٢) استشهدت عندإيرادي لكل من تلك القواعد والأصول، بآيات قرآنية ونصوص من السنة النبَّوية، تحاشينا إيرادها هنا بغية الإختصار.

٣) متفق عليه: البخاري: ٥٧٨، ومسلم: ٩٧٢..

٢- (نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يُجْمَعُ بَيْنَ الْمَرْأَةِ وَعَمَّتِهَا، أو الْمَرْأَةِ وَخَالَتِهَا)[١]. وهذا أيضا لا وجود له في القرآن، لكن جاءت بها السنة.

٣- وجاء في الحديث: (انَّ روح القدس نفث في رُوُعي)[٢]، أي في قَلبـــي.

إذ كان جبريل عليه السلام يأتي بشيء من الوحي لتشريع بعض الأحكام، ولكن حتى الأحكام التي جاءت في السنة، وأضيفت إلى الأحكام التي جاءت في القرآن، لا تتعارض معه، ومن شرط السنة ألا تتعارض مع القرآن، ولا مع العقل، أو العلم أو الواقع، كمـــا قلت سابقاً.

هذه هي القاعدة الأولى، والفهم الصحيح للإسلام المتجسِّد في الكتاب والسنة، هو: اتخاذ الإسلام منهجاً شاملاً للحياة على مستوى الفرد والأســـرة والجماعـــة والمجتمـــع والدولة.

القاعدة الثانية: هي تعليم الأعضاء وتربـــيتهم على أساس: الفهم المتكامل للإسلام، والعقيدة الصحيحة، والعبادة الخالصة، والأخلاق الحميدة، بالإضافة إلى الإستفادة مـــن العلوم الإنسانية والتجارب البشرية في مختلف المجالات.

القاعدة الثالثة: الإنضباط بشرع الله، ورد المسائل الخلافية الى ميزان الشريعة.

القاعدة الرابعة: إدارة الأعمال على أساس الشورى، والإلتزام بشروط العمل المتفق عليها.

اذن الشورى مبدأ أساسي في الجماعة الإسلامية ؟

ـــ الشورى أساس وجود الجماعة الإسلامية وأساس المجتمع الإســـلامي، وأســـاس الدولة الإسلامية، وأساس وجود المسلمين الإجتماعي والسياسي، وبالمناسبة: جاءت هذه

١) مسلم: ٣٤٣٠، والنسائي: ٣٢٩٣١.

٢)أخرجه الحاكم وابن حبان: ١٠٨٥،١٠٨٤، وأبو نعيم في الحلية (٢٦/١٠) والبيهقي في (المدخل) كما في (فيض القدير شرح الجامع الصغير): ٢٢٧٣.

الجملة القرآنية {وَأَمۡرُهُمۡ شُورَىٰ بَيۡنَهُمۡ } في الآية رقم (٣٨) من سورة الشورى، إذْ يقول سبحانه وتعالى مُعدِّداً الصفات الأساسية والرّكائز الرئيسة للجماعة المؤمنة: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِرَبِّهِمۡ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمۡرُهُمۡ شُورَىٰ بَيۡنَهُمۡ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣٨ ﴾الشورى، فجعل الله سبحانه وتعالى الشورى بين إقامة الصلاة والإنفاق، فإقامة الصلاة هي الركن المعنوي للمسلمين، والإنفاق هو الركن الإقتصادي، والإلتزام بالشورى، هو الركن السياسي والإجتماعي .

القاعدة الخامسة: مسئولية الأمير والمسئولين الآخرين أمام الأعضاء، وتأمين حقوقهم قدر المستطاع، والإستماع إلى مقترحاهم وانتقاداهم برحابة صدر، من الأمور الجليَّة بل البديهية في الجماعة، فالحق ليس حكراً على أحد .

> **أنت بهذه القاعدة تتلافى الأخطاء والسلبيات التي كانت في الحركة الإسلامية ؟**

ـــ نعم، والأخطاء التي أرتكبها أنا، ومن حق الآخرين أن ينتقدوني وأن يُصَحّحوها لي، وآستشهدت في هذا الصدد بقول سيدنا عمر رضي الله عنه الخليفة الراشد: (**لا خير فيكم إن لم تقولوها، ولا خير فينا إن لم نسمعها**)، وهذا القول المبارك إنما قاله عمر، لمّا انتقده أو نصحه، أحد الحضور في المجلس قائلاً: (اتق الله يا عمر)، فقال أحد المتملّقين والمتزلّفين: كيف تقول هذا لأمير المؤمنين؟ فقال: لا خير فيكم إن لم تقولوها، ولا خير فينا إن لم نسمعها، إذن: الخير محصور في الأمراء والمسئولين الذين ينتصحون بنصيحة الناس، ويسمعون لهم ويتقبّلون انتقاداهم برحابة صدر، وكذلك الخير محصور في المجتمع والجماهير التي لا تسكت على باطل ، وإنما تنتقد وترشد وتُصَوِّب وتُصَحِّح.

> **وهذا المبدأ أساسي في مصلحة الجماعة واستمرارها وبقائها ؟**

نعم، بلا شك.

القاعدة السادسة: المحبة والإحترام المتبادل بين الأعضاء عموماً، وبين القيادة والقواعد خصوصاً، واجتناب ما يُعَكِّر صفاءَ النفوس.

لابد من الود والمحبة والتناصح والوفاء، بين أعضاء الجماعة واجتناب الغيبة والنميمة والوشايات، وإنما تضطر الجماعة والأَفراد الى الغيبة والنميمة، وأمثالهما من الرذائل الخلقية، عندما لا تتاح لهم الفرصة للإِنتقاد، ولهذا يجب إذا أردنا أن نبقي على الناس أصحاء النفوس والعقول، أن نعطيهم الفرصة والمجال لينتقدوا وليقولوا ما يعتقدونه وما يرونه صواباً.

القاعدة السابعة: التمسك بالثوابت والأَصول وعدم المساومة عليها، مع الأخذ بالمداراة.

هذه تحتاج الى توضيح؟

ــ نعم، هناك أصول وثوابت في الإسلام، لايجوز التنازل عنها، فمثلاً: ما جعله الله تعالى حراماً، فهو حرام، وما اعتبره حلالاً، فهو حلال، (حلال محمدٍ حلالٌ إلى يوم القيامة، وحرامُ محمدٍ حرام إلى يوم القيامة)، فلا يجوز أن يكون هناك حديث في مجال قطعيات الدين والأمور التي جرى عليها الإجماع، إجماع الصحابة والعلماء، والأمور التي هي من المعلوم من الدين بالضرورة، لا يجوز الإِختلاف حولها، ولا تجديد النظر فيها، مثلاً الزنا حرام، سواء كان بإكراه أو رضا، فهو حرام، بأي صورة من الصور كان، لأن الله سبحانه وتعالى لم يقيد حرمته بصورةٍ من الصور، والربا حرام، ومنه الفوائد البنكية، وكذلك السرقة والغش والإِستيلاء على أموال الناس.

فالأمور القطعية والثابتة، يجب ألاّ نساوم عليها، لكن يجب أيضا الأخذ بالمداراة، وفي هذا الصدد ٱستشهدتُ بحديث نبوي يرشدنا إلى معنى المداراة، لأن هناك مداراةً، وهناك مداهنةً: عرَّفتُ المداراة بأنه هي أن تضغط على نفسك، من أجل سلامة دينك أو مبادئك، أما المداهنة فهي أن تضغط على دينك، من أجلك سلامة نفسك أو تحقيق

مصلحتك الذاتية، فهما مُتناقضانِ، والإسلام جاء بالمداراة وأمر بها، لكن نهى عن المداهنة، قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ... ﴿١١٣﴾ ﴾هود، الركون إلى الظلمة والمداهنة حرام ، والمداراة واجبة، لنتأمل ذلك الحديث: {عن عَائِشَةَ رَضِي اللَّهُ عَنْهَا : أَنَّ رَجُلاً اسْتَأْذَنَ عَلَى النَّبِيِّ –صلى الله عليه وسلم– فَقَالَ :ائْذَنُوا لَهُ فَلبِئْسَ ٱبنُ الْعَشِيرَةِ أَوْ بِئْسَ رَجُلُ الْعَشِيرَةِ، فَلَمَّا دَخلَ، أَلانَ لَهُ الْقوْلَ، قَالَتْ عَائِشَةُ: فقُلتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ قُلْتَ، ثُمَّ أَلَنْتَ لَهُ الْقَوْلَ؟ قَالَ: «يَا عَائِشَةُ! إِنَّ شَرَّ النَّاسِ مَنزِلَةً عند الله يَوْمَ الْقِيَامَةِ، مَنْ وَدَعَهُ أَوْ تَرَكَهُ النَّاسُ اتِّقَاءَ فُحْشِهِ}[1] ، هذه هي المداراة ، أن تُكْرِمِ الناسَ وتَبُشَّ لهم وتُلِّين لهم القولَ، وتضغط على نفسك وأعصابك ، لكن لا تتنازل عن الحق أبداً، والمداهنة: أن تتنازل عن الحق.

والقاعدة الثامنة: عدم الحرص على الولاية، ومنعها مِمَّنْ سأَلَها وحَرَص عليها.

يعني طالب الولاية لا يُولّى؟

ــ نعم، لأنه يبدو أنه لايُقَدِّر المسئولية قَدْرَها، ويعتبرها غنيمة وتشريفاً، وليست وظيفة وتكليفاً، فيجب أن يُمنع، يقول سبحانه وتعالى: ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا... ﴿٨٣﴾ ﴾القصص، وفي الحديث الصحيح أن الرسول صلى الله عليه وسلم نهى عن سؤال الإمارة[2]، وطبعاً هناك حالات استثنائية، لأنَّ سيدَنا يوسف عليه السلام قال طالباً المسئولية: ﴿ قَالَ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾ ﴾يوسف.

١) رواه البخاري: ٦٠٥٤، ومسلم:٢٥٩١ واللفظ له.

٢) صحيح البخاري: ٧١٤٧ ، مسلم: ١٦٥٢.

لكن ههنا يجب التنبهُّ الى ثلاث حقائق:

١- إن الرسل والأنبياء معصومون ، وهو لم يسأل الإِمارة بدافع الشهوة أو لِغرضٍ شخصي.

٢- يوسف عليه الصلاة والسلام كان في مجتمع لا يعرفه الناس، لهذا عرَّف بنفسه {إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ}.

٣- كان حريصاً على تحقيق المصلحة للمجتمع المصري آنذاك.

وبناءً عليه: إذا ما وُجد شخص في مكان ما، لا يعرفه الناس، فبإمكانه أن يُعرِّف بنفسه، وإذا رأى في نفسه، أنه لا تدفعه الشهوة ولا المصلحة الذاتية، وإنما يدفعه الحرص على مصالح المسلمين، فبإمكانه أن يسأل الإمارة ويطلب المسؤلية، ولهذا نرى الرسول عليه الصلاة والسلام لما سأَلَه بعضهم أن يولِّيه، قال: (إِنَّكَ ضَعِيفٌ، وَإِنَّهَا أَمَانَةٌ)،[1] ولكن طلب منه البعض توليتِه على عملٍ، فأعطاه ما طلبه منه! وهكذا يجب أن تُفهم الأحاديث، وهكذا يُجمع بين الأحاديث، لا أن نضرب الأحاديث، بعضها ببعض.

والقاعدة التاسعة: التوكل على الله والإِعتماد على الذات والحفاظ على الإِستقلالية في كل حال. وهذا أيضاً من شروطنا وقواعدنا في العمل الإسلامي.

والقاعدة العاشرة: تقليد المناصب على أساس الكفاءة.

وأتيت في هذا المجال بنصوص، مثلاً: قولة ابنة شعيب: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُۖ إِنَّ خَيۡرَ مَنِ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡأَمِينُ ٢٦﴾**القصص**، فذكرت صفتي: القوة والأمانة.

وقولة سيدنا يوسف: ﴿ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ ٥٥﴾يوسف، فذكر خَصلَتي الحفظ والعلم.

وكذلك قول الله سبحانه وتعالى عن بني إسرائيل: ﴿ وَجَعَلۡنَا مِنۡهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ

---

١) رواه مسلم: ١٨٢٥ عن أبي ذر رضي الله عنه.

﴿بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾ السجدة، فذكر سبحانه صفتي: الصبر واليقين، ولهذا قيل: بالصبر واليقين، تُنال الإمامة في الدين، فهذه ست صفات أساسية، يجب توفُّرها في المسئولين:

١- القوة
٢- والأمانة
٣- والحفظ
٤- والعلم
٥- والصبر
٦- واليقين

القاعدة الحادية عشرة : اتباع النظام المؤسسي وتوزيع الأعمال حسب الخبرة والمهارة.

يجب أن تكون هناك مؤسَّسات، وأجهزة لا أن تدار الأمور حسب الأمزجة والرغبات المختلفة المتباينة.

القاعدة الثانية عشرة : الجماعة الإسلامية جماعة من المسلمين، وأداة لخدمة الإسلام والمسلمين ، و لم ينحصر الحق فيها.

فلا ندَّعي أن الحق حِكْرٌ علينا ومحصورٌ فينا، لأن من عيب بعض الجماعات أنهم يعتبرون أنفسهم كأن الحق وحي نزل عليهم! لكن الفهم نقطة اشتراك بين كل المسلمين، ولكلّ اجتهاده، كما قال سيدنا الشافعي رحمه الله "رأيي صواب يحتمل الخطأ، ورأي غيري خطأ يحتمل الصواب"، فهذه هي القاعدة الذهبية في مجال الإِختلاف في الرأي.

القاعدة الثالثة عشرة: ضرورة التعاون بين المسلمين: كلّ المسلمين- لتحقيق الأهداف الشرعية.

من بين النواقص التي تعاني منها بعض الجماعات والحركات الإسلامية، أنها تنعزل عن المجتمع وتنأى بنفسها عن الناس، وتعتبر نفسها كأنها هي الطاهرة النقية الزكية، ولا

تسمح لنفسها أن تتلوث بسوءات المجتمع! لكن الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم كانوا أزكى الناس نفساً وأرقاهم عقلاً، وأفضلهم خلقاً، ومع هذا عاشوا بين أناسهم ومجتمعاتهم وخالطوهم وعاملوهم .

القاعدة الرابعة عشرة: تحلية الأعضاء بالفضائل وتخليتهم عن الرذائل.

نحن في الجماعة الإسلامية نُرَكِّز على الجانب المعنوي والروحي للإسلام، والذي تخصَّص فيه أهل التزكية والتصوف، ونعلم بأن التصوف كبقية مجالات التراث الإسلامي، فيه الجيد والسيئ، وأهل التصوف فيهم الصالح والطالح، لكن ما نراه من نقص في تراث التصوف، يجب ألاّ يَجعلنا نبتعد عن هذه البحور الزاخرة المملوءة باللالئ واليواقيت، وكل التراث الإسلامي هكذا: سواء التراث التفسيري، أو الحديثي، أو الفقهي، أو الكلامي، أو التأريخي، كل فيه ما ينفع ومالا ينفع، وما عفا عليه الزمن.

القاعدة الخامسة عشرة: تقديم الخدمات للناس وإسعادهم جزء من الطاعة العبادة لله تعالى. هذا الجانب أيضاً نحن نُولِيه عناية خاصة، إذ عندما لا نتمكّنُ من إقامة دولة إسلامية، فهذا ليس مَدْعاةً للقعود والخيبة، اذ نحن مُكَلّفون بالعمل ﴿ وَقُلِ ٱعۡمَلُوا۟ ... ﴿١٠٥﴾ ﴾التوبة، لذا علينا أن نسعد الناس ونخدمهم وننفعهم، وفي الحديث الصحيح {**الْخَلْقُ عِيَالُ الله، فَأَحَبُّهُمْ لله أَنْفَعهُم لِعِيَالِهِ**}[1]. فالله سبحانه وتعالى يعتبر الناس عيالَه، وأحبهم إليه أنفعهم لعياله، وفي الحديث الصحيح الذي رواه الطبراني وصحَّحه الألباني: {**المؤمن آلف مألوف، ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف، وخير الناس أنفعهم للناس**}[2].

١) رواه أبو يعلى (٦/٦٥) و الطبراني في المعجم الكبير (١٠/٨٦) و القضاعي في مسند الشهاب (٢/٢٥٥) ورواه الحارث في مسنده أيضاً (٢/٨٥٧).

٢) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط: ٥٧٨٧، والدار قطني عن جابر، وصححه الألباني في (السلسلة الصحيحة).

القاعدة السادسة عشرة: الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإِصلاح المجتمع.

القاعدة السابعة عشرة: إِمتلاك القوة واستعمالها دفاعاً عن الدين والمجتمع في الوقت والمكان المناسبين، ضمن الضوابط الشرعية، وليس بأسلوب الهرج والمرج، وكلُّ مَن هبَّ ودَبَّ يعلن الحرب الظالمة الفاشلة، والمعركة الخاسرة الدائرة على أصحابها!

ومن الذي يقرّر هذا؟ أهل الحل والعقد، العلماء والعقلاء والوجهاء من المسلمين، وليس فئة خاصة ولا مجموعة ولا شخص مجهول مثل أبو بكر البغدادي، يُعلن خِلافة، وهو لا يعرفه أحد!!

القاعدة الثامنة عشرة: الحرص على تحقيق الأهداف الشرعية العليا، والإِبتعاد عن الخوض في الجزئيات، سواء داخل الجماعة أو في التعامل مع المجتمع والجماعات الأخرى.

يجب أن نركز على تحقيق المصالح العليا والإِبتعاد عن الخوض في الجزئيات، لأنها دائماً تحتمل أكثر من رأي، وهناك حكمة تقول (إنما يكمن الشيطان في التفاصيل)، نعم يجب أن نركز على الأساسيات، وبدون الإِعتماد والتركيز عليها، لا يمكن أن تكون للمسلمين جماعة ولا أخوة، فالقضايا الجزئية: الصحابة والخلفاء الراشدون والعلماء والأئمة المجتهدون، اختلفوا في كثير منها، لكن كانوا متفقين على الكليات والأساسيات .

القاعدة التاسعة عشرة: ميدان عمل الجماعة الإسلامية هو كردستان والعراق، إلا أنها تتعاون مع المسلمين، وتُقَدِّم الدعم إليهم قدْرَ المستطاع أينما كانوا.

القاعدة العشرون: الحفاظ على الكيان السياسي لإقليم كردستان وتطويره وتطبيق الشريعة فيه.

نحن نعتبر هذا الكيان حصيلة جهود الجميع ،وجزءاً من الحق الذي يجب أن يتمتع به كل شعب في أرضه ووطنه، لهذا نرى أن الحفاظ على هذا الكيان واجب شرعي، لكن يجب أن نطوِّره، ونحاول أن نطبق الشريعة فيه، حتى يسعد المجتمع في الدنيا ويفوز في الأخرى.

القاعدة الحادية والعشرون: الجماعة الإسلامية تتبنَّى موقفاً إيجابياً من الأحزاب السياسية، داخل إقليم كردستان والعراق، أو خارجهما إلا إذا تَبَنَّتْ هذه الجهات موقفاً سلبياً من الجماعة.

الجماعة منفتحة على الكل بمختلف خلفياتهم الفكرية والدينية، نحن لا نرى مانعاً أن نتعامل مع الأحزاب المسيحية والعلمانية والماركسية واليسارية، نحن نعيش في مكان واحد، والأنبياء هكذا فعلوا، أنا دائماً أُركِّزُ على منهج الأنبياء وسيرهم، وعندما أنظر إلى سير الأنبياء صلوات الله عليهم وقصصهم مع أقوامهم، نراهم عايشوا مجتمعاتهم وصبروا عليهم، فهذا سيدنا شعيب صلوات الله وسلامه عليه وعلى نبينا، يقول في سورة الأعراف: ﴿ وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ ءَامَنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ فَٱصْبِرُوا۟ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَا ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾الأعراف، يعني يجب أن يصبر بعضنا على بعض، ويتحمَّل بعضنا بعضاً، وينفتح صدر بعضنا لبعض، لا أن أرى أن الحق حِكْرٌ عليّ، وأن أنا وحدي الذي أفهم الأشياء على حقيقتها، والغير محروم منه! لا، ما هكذا كان الأنبياء عليهم الصلاة والسلام: (وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ ءَامَنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ فَٱصْبِرُوا۟)، يعني: كلا الطرفين المؤمنين والكافرين، يجب أن يصبر بعضهما على بعض، ويتحمَّل بعضهما بعضاً ويتعايشا، بل ويتعاونا لتحقيق الأهداف المشتركة.

القاعدة الثانية والعشرون: وجوب التعاون بين الدول والجماعات والتيارات والشخصيات الإسلامية، لاستعادة الأمة الإسلامية دورها الريادي وإعادة السيادة للشريعة الإسلامية.

نحن لسنا جماعة منغلقة ومَحَلِّيَّةً، ليسَ لدينا اهتمامات عالمية، بل كل الأمة الإسلامية نحن مسئولون عنها بقدر استطاعتنا: ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾ ﴾الأنبياء.

القاعدة الثالثة والعشرون: الجماعة الإسلامية تَتَبنَّى وتسْتخْدِمُ كافة الأساليب والآليات الشرعية، حسبما تقتضيه الضرورة لتحقيق أهدافها.

كل أسلوبٍ وأَيةٍ آلية في محَلهما ووقتهما المناسبين.

القاعدة الرابعة والعشرون: الإنضباط بالتعليمات الحزبية وإِجراؤها على الجميع.

لأنه بدون هذا، لا يمكن أن يُؤدَّى عمل جماعي، فلا استثناء في هذا المجال ولا أحد لديه حق ڤيتو (Vito) لأنه فلان أو ابن فلان!

القاعدة الخامسة والعشرون: وجوب الطاعة لأمير الجماعة وقيادتها في حال التزامهم بهذه القواعد.

إذن الطاعة مشروطة؟

ــ نعم إِنما تَجِبُ الطاعة في حدود الشرع والإِستطاعة، أي في المعروف، وحسب الإِستطاعة، وذلك بعد أن التزم الأمير والمسئولون في القيادة العليا والدنيا، بهذه القواعد، وإذا لم يلتزموا، فلا طاعة لهم، وإذا حالت أسباب دون استطاعتهم، فهم في حِلٍّ من الطاعة.

يعني هذه القاعدة لا تضع الأمير فوق أعضاء الجماعة ؟

ــ بل يجب أن يكون هو أولهم التزاماً.

هذه هي القواعد والمعالم الأساسية للجماعة الإسلامية، من حيث الفكر والحركة، ومن حيث السياسة والتعامل الداخلي والخارجي، وعلى مستوى إقليم كردستان والعراق وما هو أوسع من هذا.

أطلعتنا على القواعد الخمسة والعشرين للجماعة الإسلامية، وكانت آخر قاعدة أن أمير الجماعة، ليس له وضع خاص في الجماعة، وأن طاعته مرتبطة بأن يكون ملتزما بالشرع، وأن لا تكون الأوامر

والتعليمـات الـتي يصـدرها مخالفـة للشـرع، أو غـير منطقيـة الجماعة .

ـــ وأن يكون هو أول ملتزم بهذه القواعد.

ameer.maktab@yahoo.com

/AliBapir /AliBapir /MediaAmeerOffice

www.alibapir.net

١٨

سبب اختيار لفظ (الأمير) ولفظ (الجماعة)

لماذا الجماعة ولماذا الأمير ؟ وهما لفظان أصبحا غريبين إلى حدٍّ ما ربما كانا مستخدمين في حقب وأزمان سابقة.

ــ هذه التسميات نحن الذين استحدثناها، و لم يُقيدْنا الشرعُ بالنسبة للشخص الأول لجماعة أو حزبٍ أو حتى للدولة الإسلامية، باسمٍ أو عنوان معين، ولهذا أُطلق على سيدنا أبو بكر رضي اللّٰه عنه: خليفة رسول الله، لماذا؟ لأنه خَلَفَ النبيّ أي جاء بعده، والخليفة مَنْ يخلف غيره، ولما جاء عمر رضي الله تعالى عنه دُعي: يا خليفةَ خليفةِ رسول الله، قال: هذا يطول يجب أن يقال لمن بعدي: يا خليفةَ خليفةَ خليفةِ رسول الله، قالوا فماذا نفعل؟ قال ابحثوا عن اسم آخر، فقال أحدهم: أنا أقترح اسماً: نحن مؤمنون وأنت تأمرنا، إذن: أنت أمير المؤمنين، فاتفقوا على هذا، واستمر هذا الإِسم الى عهد العثمانيين، فسمَّى العثمانيون رئيس الدولة: سُلطاناً، حسب لغتهم، اذ كان الكبير لهم اسمه سلطان، والآن إذا ما سمى المسلمون رئيسهم: رئيس الجمهورية، أو رئيس الوزراء، أو المستشار كما في ألمانيا، أو سموه: الملك، أو باللغة الكوردية (سروك)، هل هناك إشكال في هذا؟ طبعاً لا، المهم أن يكون لهذا الشخص اسم وعنوان يُعرف به، لكن يجب ألاّ يكون هذا الإِسم متصادماً مع العقيدة، اذ قال الرسول صلى الله عليه وسلم: {أَخْنَعُ

الأَسْمَاءِ عِنْدَ اللهِ رَجُلٌ تَسَمَّى بِمَلِكِ الأَمْلاَكِ} [١] (أو شاهنشاه باللغة الفارسية) لأن (ملك الملوك) هو الله سبحانه وتعالى، فكل قومٍ يسمُّون رئيسهم بلغتهم، كذلك كل جماعة، وبالنسبة لاسم (الجماعة الإسلامية) هناك أثر منسوب لسيدنا عمر رضي الله عنه، كما جاء في (سنن الدارمي): (لَا إِسْلَامَ بِلا جَمَاعَةٍ، وَلَا جَمَاعَةَ بِلا إِمَارَةٍ ، وَلَا إِمَارَةَ بِلا طَاعَةٍ)، يعني: لا وجود للإسلام على أرض الواقع، إذا لم يتجّسدْ في جماعة، فيجب أن يكون المسلمون مجتمعين، وليس المقصود هنا بكلمة (الجماعة) المفهوم الحزبي، بل المقصود أنه: إذا لم تكن هناك جماعة يطبقون الإسلام، فلا وجود للإسلام إلا وجود نظري، ووجود فكري في بطون الكتب، ولكن على أرض الواقع، إنما يتمثّل الإسلام في جماعة، ولا جماعة إلا بإمارة، يجب أن يكون للناس رئيس يأتمرون بأمره، يوجههم ويُعلمهم ويقودهم، ثم لا إمارة بلا طاعة، فالأمير الذي لا يطاع، اسم بلا مسمّى!

ونحن في (الجماعة الإسلامية) تركنا اسم (الحركة) لملابسات ولأخطاء أُرتكبت تحت هذا الإسم، أربأ بنفسي عن الخوض في تفاصيلها، المهم بحثنا عن اسم آخر، فوقع اختيارنا على (الجماعة الإسلامية)، وبحثوا عن عنوان للشخص الأول: رئيس، أمين عام، سكرتير، مسئول، فَسَمَّوْني أميراً، عِلماً أنه في كلٍّ من المؤتمر الثاني للجماعة، والمؤتمر الثالث أَلْحَحَتُ أن يغيِّروا هذا الإسم، وخصوصاً في المؤتمر الثالث والذي عُقد في سنة ٢٠١٥، فقلت: يا جماعة! غيِّروا هذا الإسم، وذلك بعدما قالوا بالإجماع: يجب أن يُعاد انتخابك وتَظَلَّ في منْصبك، قلت :طيب، طالما أنتم تُلْزِمونني أن أبقى أميراً، أعطوني حق أن أُسَمِّي مَنْصِبي وقلت: أيَّ عنوان تُسَمُّوني به ليست لديَّ مشكلة، لكن غيرّوا هذا، قالوا: لماذا؟ قلت: حتى لا يحدث التباس بين هذا العنوان وبين عناوين أشخاص آخرين، وقلت: أنا يَحُزّ في نفسي ويؤلمني كثيراً عندما أسمع في الفضائيات: قُتِل الأميرُ الفلاني، واعتقل، غيِّروا هذا العنوان، فجعلوه مُقترحاً جرى عليه التصويت، ولكن

---

١) أخرجه البخاري في: ٧٨ كتاب الأدب: ١١٤ باب أبغض الأسماء عند الله

كانت النتيجة: أن أُبقي على عنوان: الأمير! فمازحتهم وقلت: ياجماعة! أنتم تمارسون الديمقراطية، لكنكم تتجاوزون حدودها، قالوا: كيف؟ قلت: أنتم حمَّلتموني مسئولية، ولا تسمحون لي أن أغير اسمي وعنواني، على الرغم أنني لدي منطق ودليل، كيف تُلْزِمونني بعنوانٍ أنا أكرهه، ليس لأنه غير شرعي، ولكن لأنه في مثل هذه الظروف، يُثير لنا هذا العنوان إشكالاً بل إِشكالات!

من خلال مرافقتي ومعايشتي لكم، لا أجد أحداً من الجماعة يناديك بالأمير، ويُنادونك: "مامۆستا" يعني الأستاذ، أو الشيخ.

ــ نعم هذه الكلمة تستعمل كاحترام لأحدٍ من أهل العلم، أو حق المدرِّسين والمعلمين.

ameer.maktab@yahoo.com

١٩

أسباب ممارسة الجماعة الإِسلامية للعمل السياسي، وإِيضاحات حول بعض شؤونها

ما أسباب ممارسة الجماعة للعمل السياسي وعدم اكتفائها بالدعوة هل لأنكم تنظرون للإسلام باعتباره ديناً ودنياً وسياسةً واقتصاداً، أم لأن هذا هو الظرف في الإقليم، والنضال دفعكم للإِنخراط في العمل السياسي؟

ــ بالإمكان أن تتخصَّص مجموعة من المسلمين بالدعوة، وتتخصص مجموعة بالعمل السياسي، ومجموعة أخرى بالعمل التعليمي، وأخرى بالعمل التربوي والتزكوي، لكن نحن فَضَّلنا أن نتَّبِع الرسول صلوات الله وسلامه عليه وصحابته رضوان الله عليهم والسلف الصالح رحمة الله عليهم، فهم ما كانوا يفرِّقون بين العمل السياسي والدعوي والتربوي والعبادي والخلقي، وإنما يجمعون بين هذه الجوانب وغيرها، والإسلام منهج حياة، كامل متكامل، وشامل لكل جوانب الحياة، وهكذا فعلت الجماعة الإسلامية: دخلت مجالَ العمل السياسي جامعاً إياه مع بقية الجوانب الأخرى، نعم نحن نُعتبر جماعة سياسية، لكن ربما تركيزنا –بالأخص شخصي– على الجوانب الأخرى: الدعوي والفكري والإعلامي والتعليمي والتزكوي والسلوكي، أكثر من تركيزنا على العمل السياسي، ومؤلفاتي التي جاوزت المائة، عندما تنظر في قائمة مؤلفاتي، تجِدُ مصداق ما قُلْتهُ بوضوح:

١- أول مؤلفاتي (خلاصة عن الإسلام .. تفسير سورة الفاتحة) حديث عن الإسلام في ضوء سورة الفاتحة.

٢- ثم (الإسلام والأيديولوجيات).

٣- (ذكر الله).

٤- (العقيدة الإسلامية) في ستة مجلدات.

٥- و(العبادة الإسلامية) في أربعة مجلدات.

٦- (الأسرة والمرأة في ظل الإسلام) في مجلّدين.

٧- (الدولة والحكم في الإسلام) في أربعة مجلدات.

٨- (سيرة رسول الله صلوات الله وسلامه عليه).

٩- (موضوعات فنِّية في ضوء الكتاب والسنة).

١٠- (مسائل عصرية رائجة: أسس التسامح والتعايش، حقوق الإِنسان، الإِرهاب، العلمانية، العولمة، الديمقراطية).

١١- موسوعة: (الخلق الإِسلامي في ضوء الكتاب والسنة).

١٢- (الأعياد والمناسبات في ضوء العقل والوحي).

١٣- (التيار الإِسلامي والتيّار العلماني: نقاط الإِشتراك والإِفتراق).

١٤- (علماء الإسلام من هم وما هي صفاتهم؟)

١٥- (طريق الصلاح والسير إلى الله): تزكية النفس في ضوء القرآن والسنة.

١٦- موسوعة (الإسلام كما يتجلى في كتاب الله).

كما ترى: مؤلفاتي أيضاً مركزة غالبا على الجوانب: الفكرية والعَقَدية والتربوية، والفقهية، والدعوية، ولدي كتب سياسية، ولكن انصبَّ اهتمامي الأكثر على الجانب الإِيماني والعقدي، والفهم الصحيح للإسلام، ثم الجانب العبادي والسلوكي والتزكوي، وبعد ذلك يأتي الجانب السياسي.

لو تطلِعُنا على حجم الجماعة في المشهد السياسي في إقليم كردستان العراق، أنتم خضتم انتخابات برلمانية ومجالس محافظات، كم عضو لكم في البرلمان العراقي، وكم عضو في البرلمان الكوردستاني؟

ــ بداية يجب أن أوضح أن نتيجة الإِنتخابات –عندنا– لا تعتبر مقياساً صحيحاً، وهذا باعتراف الحزبين الحاكمين، فقياديّون من الحزبين اقرّوا عندي بأنهما مارسا التزوير، والجماعة حتى إذا ما أجازت لنفسها أن تمارس التزوير ــ وهي لا تجيزه ــ ليس بإِمكانها التزويرُ، فالذي يتمكن منه، هما الحزبان الحاكمان بالدرجة الأساس.

ولكن بالرغم من ممارسات التزوير في الإِنتخابات، وهذه حقيقة ساطعة لا أحد ينكرها، نحن الآن مُمَثَّلون في مجلس النواب في بغداد بثلاثة مقاعد، وفي برلمان كردستان بستة مقاعد، وفي مجَلس المحافظات بعدة مقاعد، ونحن مشاركون في حكومة الإقليم بوزيرين ورئيس مؤسسة بمرتبة الوزير، وهو رئيس المؤسسة العامة لشؤون الألغام، وبمدراء عامين، وبقائمقامٍ، وبمدراء نواحي في الحكومة المحلِّية بمحافظة السليمانية، وفي حكومة بغداد كان لنا وزير دولة، لكن لما صار التقليص في الحكومة، خرج الوزير و لم يُحَلْ على التقاعد.

العلاقات الداخلية للجماعة، أقصد في إقليم كردستان العراق ، قُلْتَ: إنكم منفتحون على الجميع، نريد أن تطلِعنا على هذه العلاقات وأيضاً علاقاتكم مع القوى الإقليمية والدولية!

ــ علاقاتنا مع الأحزاب: الإسلامية غير الإسلامية، والكوردية وغير الكوردية، التركمان والآشوريين والإِيزيديين، علاقات طبيعية، ونحن نبادر لتكوين علاقة جيدة مع الجميع، لأننا في بلدٍ واحدٍ، ولابدَّ لنا من التعارف والتعاون والتضامن، ونحن نرى في سيرة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، أنهم كانوا هم المبادرين إلى الناس وسبّاقين للتعارف مع الناس والتضامن والتعاون، ويأمرنا سبحانه وتعالى بالتعاون، في الآية الثانية من سورة المائدة: ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ

﴿وَٱلۡعُدۡوَٰنِ...﴾ (٢) المائدة، وجاءت هذه الجملة المباركة في سياق يَتعلّق بالتعاون مع الكفار، لأن الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ وَلَا ٱلۡهَدۡيَ وَلَا ٱلۡقَلَٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّهِمۡ وَرِضۡوَٰنٗاۚ وَإِذَا حَلَلۡتُمۡ فَٱصۡطَادُواْۚ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ أَن صَدُّوكُمۡ عَنِ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ أَن تَعۡتَدُواْۘ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ (٢) المائدة، ، ومعلوم أن القوم الذين منعوا المسلمين عن المسجد الحرام كانوا كفاراً مشركين، ولكن بالرغم من ذلك يقول تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ...﴾ (٢) المائدة، ونحن تأسيساً على هذا الأمر، نحب أن نتعاون ونتضامن مع الجميع، لتحقيق الأهداف المشتركة.

هل كان لكم دور في حل الأزمة السياسية في الإقليم وتقريب وجهات النظر؟!

ـ نعم، قمنا بأكثر من محاولة لِرأْب الصَّدع بين طرفين أو أكثر، والحمد لله كُلِّلت بعض المحاولات بالنجاح، وبعضُها لم تُحقِّقْ أهدافَها، لكن نحن بذلنا ما في وسعنا.

ما يتعلق بالقوى الإقليمية والدولية؟

- بالنسبة للدول نحن ليست لدينا علاقة على مستوى الدول، اذ يجب أن تكون العلاقة من خلال المؤسسات الرسمية، لكن مع الأسف مؤسسة العلاقات الخارجية على مستوى الإقليم، ليست بالمستوى المطلوب، ولهذا كل الأحزاب يبنون علاقات: للإِتحاد الوطني مكتب علاقات في طهران، وكذلك للحزب الديمقراطي، والإِتحاد الإسلامي، والحزب الإِشتراكي، ولبعضهم مكتب علاقات في أنقرة، وفي طهران يوجد مكتب

علاقات على مستوى الإقليم، يمثل كل الأطراف وممثلنا موجود هناك، وحاولنا أن يكون لنا مكتب في تركيا، ولكن لحد الآن ما حصلنا على الموافقة، ولدينا مع حزب العدالة والتنمية وبعض المنظمات الأهلية، شيء من العلاقة، وكذلك لنا تواصل ما وبدرجات مختلفة، مع القنصليات الموجودة في الإقليم.

بصراحة يا شيخ علي! هناك بعض الأطراف تقول: إن هناك علاقة خاصة بينكم وبين إيران!

- كان من المفترض أن تكون هناك علاقة خاصة فعلاً، وكذلك لأننا نحن: (الجماعة الإسلامية) وهم: (الجمهورية الإسلامية) -ولنا ملاحظة على هذا الإِسم، لأن المحتوى مذهبي وطائفي، لكن الإِسم اسم إسلامي عام- لكن الواقع الفعلي ليس كذلك، وهذا القول – الذي يُراد به اتِّهامُنا- ليس صحيحاً، بل علاقة الجمهورية الإسلامية مع الحزب الديمقراطي التي هي علاقة دبلوماسية وتجارية وسياسية، وكذلك مع الإِتحاد الوطني، وبعدهما مع الحزب الإِشتراكي، أقوى بكثير من علاقتها معنا، ولكن نحن حزب سياسي، وإيران دولة جارة، لنا معها حدود طويلة -أي مع الإِقليم-، وفي السابق وقفت الجمهورية الإسلامية بجانب الشعب العراقي الثائر ضد النظام البائد، وساعدت المعارضة العراقية ككل، ومن ضمنها الأحزاب المتواجدة في إقليم كردستان، ولهم يد على الجميع من هذا الجانب، ولما شُرِّد الشعب الكوردي بعدما صارت الإِنتفاضة، وقام النظام بالهجوم المضاد سنة (١٩٩١م) وحدثت الهجرة المليونية، أكثرية الناس لجأوا إلى إيران وبعضهم إلى تركيا، وإيران احتضنت هذه الجموع وساعدت وآوت، وقبل هذا أيضا بعد نكسة سنة (١٩٧٥م) ساعدت إِيران حتى في زمن الشاه، الشعبَ الكوردي في محنته، وهناك -كما قلت- علاقة جوار بين إيران وإقليم كردستان.

لكن لا توجد بيننا وبين إِيران علاقة متميزة، وربما السبب: أن إيران لها مصالحها وأهدافها، ونحن لسنا بالمستوى الذي يُؤَهِّلنا لمساعدتها في تحقيق تلك المصالح والأهداف!

ما عدد أعضاء الجماعة وأنصارها ، أعداد تقريبية، وهل نستطيع القول: أن هناك مناطق ثقل للجماعة الإسلامية في الإقليم ؟ ونريد التعرف على المؤسسات والكيانات التابعة للجماعة وأدوارها ؟

ــ بالنسبة لأماكن التواجد، نحن لنا تواجد جيد في أربيل والسليمانية، وكذلك في منطقة حلبجة وشهرزور وهورامان، وفي منطقتي: پشدر وبيتوين (قلادزة ورانية)، وكذلك في منطقة جمجمال، لكن تواجدنا في منطقة بهدينان أقل، وفي منطقة سوران وسط، وفي منطقة گرميان لنا تواجد لكن ليس بمستوى أربيل والسليمانية، أو بيتوين وپشدر وشهرزور وحلبجة وهورامان، ولنا تواجد في كركوك أيضاً، لكن ليس بمستوى تواجدنا في المحافظات الثلاث: أربيل والسليمانية وحلبجة.

ماذا عن الكيانات والمؤسسات المنضوية تحت لواءِ الجماعة ؟

ــ ماذا تقصد بها؟

أقصد أنك قلت إن الجماعة خيمة كبيرة وفيها مؤسسات، هناك حزب سياسي ، وأعتقد هناك اهتمامٌ بالعمل الدعوي والإجتماعي، أقصد هذه الناحية.

ــ لنا مركز (الحكمة) لتحفيظ القرآن وله مقر رئيسي هنا، في أربيل، ولَهُ أفرعٌ في محافظات: كركوك ودهوك والسليمانية وحلبجة، ربما أكثر من عشرة أفرع، فيها مئات الطلاب من الجنسين، ولنا جمعية خيرية باسم (بخشين) يعني العطاء، تقوم بدور مشرف ربما لا تقوم به وزارة، فهي تبني البيوت وتساعد المعدمين وذوي الإحتياجات الخاصة والفقراء، يجمعون التبرُّعات من الأغنياء والموسرين والخيرين، وليست لها إمكانيات ذاتية. ولدينا مكتب العلماء داخل الجماعة، وهناك اتحادات مهنية لمختلف الشرائح ذكوراً وإِناثاً، وهناك جمعيات خيرية في مختلف المجالات، ولدينا مدارس شرعية تدرس فيها

العلومُ الإسلامية: التفسير والحديث والفقه والأصول والعلوم الآلية، يتخرج فيها مئات الطلاب، وفي السابق كانوا يُقبلون في الكليات وبعضهم اجتاز مرحلة الماجستير والدكتوراه، وأصبحوا أساتذة يدرِّسون في الجامعات، لكن الآن يضيّق الخناقُ على المدارس ولا يُقبل خريجوها بالكليات.

هل هناك مؤسسات أخرى ثقافية وإعلامية؟

ـــ نحن لدينا شبكة إعلامية للجماعة تضم قناة فضائية (پيام) أي: الرسالة، وقناة الدعوة (بانگواز) وكذلك قناة الجماعة (كومَلّ) وهي محلية وعدة راديوهات بمختلف المناطق، وفي السابق كانت لنا جريدة، لكن أوقفناها، وكثير من مراكزنا يصدرون كراسات ودوريات، ولنا أنشطة ثقافية ودعوية وفكرية مختلفة.

ما هي مصادر تمويل الجماعة ؟

ـــ في السابق كانت حكومة الإقليم تدعم الجماعة وغير الجماعة من الأحزاب، لكنها أوقفتها، والآن إمكانياتنا ذاتية، ويُساعِدُنا بعضُ الخيرين الموسرين، ثم ما نجمعه من الأغنياء والخيرين في المجتمع في بعض المواسم والمناسبات، خاصة في شهر رمضان المبارك، هذا هو مصدرنا المالي في واقعنا الحالي، نحن نعتمد على القناعة، فالقناعة كنز لا يفنى، وبما أننا نركز على الجانب المعنوي، فهذا يسدُّ لنا فراغات كثيرة.

ameer.maktab@yahoo.com

/AliBapir /AliBapir /MediaAmeerOffice

www.alibapir.net

٢٠

حول الإِحتلال الأمريكي للعراق، واعتقالي من قِبَلِ أمريكا وبقائي اثنين وعشرين (٢٢) شهراً في السجن

هذا المحور مهم جداً: يتناولُ جوانب حسّاسةً وخفية في شخصية الشيخ علي باپير، إِذْ يُطْلِعُنا على بشاعة الإِحتلال الأمريكي للعراق، وتعرُّضه هو شخصياً مع ثلّةٍ من أعضاء قيادة الجماعة ومجموعة من حمايته، للإِختطاف والإِيقاع في الفخ من قبل القوات الأمريكية، وهي تجربة وإن كانت أليمة، إلا أنها تحولت من محنة إلى منحة، تعرَّض الشيخ علي باپير للإِعتقال والأسر في سجون الإِحتلال الأمريكي، لعدة شهور: ٢٢ شهراً، وربما تكون أنت القيادي الوحيد في المعارضة العراقية لنظام صدام حسين الذي تعتقله سلطات الإِحتلال الأمريكي .

ـــ بعضهم أُعتقل ساعات مثل الدكتور محسن عبد الحميد ليضغطوا عليه، هو حكى لي ذلك، وكان عضواً في مجلس الحكم الإِنتقالي، وكان أمين عام الحزب الإسلامي، وبعضهم اعتقل أياماً وأطلق سراحهم، وأنا الوحيد الذي أعتقل وبقي (٢٢) شهراً.

قبل أن نتكلم عن ملابسات وظروف الإعتقال، حدثنا عن الظروف في إقليم كردستان والنية الأمريكية في احتلال العراق، خاصة أنك تصِرُّ على تسمية حرب ٢٠٠٣م، بأنها احتلال للعراق .

ــ أنا أُسمِّي الأشياءَ بأسمائها، الإِحتلال احتلال، وهم اعترفوا بهذا وجعلوا العراق تحت البند السابع في ميثاق الأمم المتحدة، والذي يتحدث عن احتلال بلد لآخر.

الظروف كانت صعبة جداً قبل احتلال أمريكا للعراق، نظام صدام البائد كان نظاماً مُسْتَبِدّاً للغاية، وقمعياً وتسلّطياً وإقصائياً ليس لجهة معينة، وإنما لكل مَنْ يتخوَّفُ من جهته على نفسه، ولكل من يراه معارضاً له، سواء كان سنياً أو شيعياً، عربياً أو كردياً، مسلماً أو مسيحياً، كان الكل في نظرِهِ سواء، إنما أركز على هذه النقطة لتصحيح ما قاله بعض قادة الشيعة من علماء وشيوخ وسياسيين: بأنَّ نظام صدّام، كان محسوباً على السنة، وهذا ليس صحيحاً مطلقاً، بل نظام صدام محسوب على (حزب البعث) وحزب البعث هو حزب البعث، لم يكن له انتماء سني ولا شيعي، بل كان حزباً علمانياً قومياً يسارياً، وكان شعاره: (أمة عربية واحدة، ذات رسالة خالدة)، واسمه معروف: (حزب البعث العربي الإِشتراكي) إذن: كان من حق الشعب الكوردي أن يقول: هذا حزب عربي، لكن من حق إِخوتنا العرب أيضاً، أن يقولوا: هذا الحزب لا يمثل العرب، بل يمثل شريحة مُتسَلِّطة علمانية، وربما عائلة في العراق، كما يمثل حزب البعث السوري عائلة في سوريا.

فأهل العراق كانوا يعيشون ظروفاً صعبة جداً في ظل نظام صدام، وإن كان بعد هجوم صدام على الكويت، شُلّت أصابع النظام، وبعدما حدثت الإِنتفاضة، حُرِّرت أجزاء كبيرة من كردستان، وأقيم على ربوعها إقليم كردستان.

فالمجتمع العراقي بكل مكوِّناته وأطيافه، كان في أشدِّ المعاناة، في النواحي: السياسية والإِقتصادية والإِجتماعية، والشعب العراقي كان يقف صفاً واحداً ضد النظام، ففي ذلك الوقت لم يكن أحد يقول: هذا شيعي، أو هذا سني، وهذا كردي، أو هذا

عربـــي، وهذا يميني، أو هذا يساري، بل المعارضة العراقية وقتها كانت صفاً واحداً تجاه النظام.

نريد أن تلقي الضوء على الفترة القليلة التي سبقت الإعتقال، وتوجيه ضربة من الطيران الأمريكي طالت بعض معسكراتكم التي تم قصفها!

ــ بعدما بدأت الحرب على العراق في ٢٠٠٣، في اليوم الثاني أو الثالث مـن بـدأ الحرب، تعرَّضت مقراتنا للقصف بالصواريخ الأمريكية، وقيل: بأن تلـك الصـواريخ كانت من نوع: توماهوك، وأطلقت من البحر الأحمر، من القواعد العسكرية الأمريكية في البحر الأحمر، وقبل أن تُضرب مقرات مجموعة أنصار الإسلام، ضُربت مقراتنا، ولهذا لم يتضرروا كثيراً، لأنهم بعد أن قُصفت مقراتنا، ابتعدوا عن المقرات ونجوا، لكن فيمـا بعد دخل الإتحاد الوطني وبمساعدة الطيران الأمريكي في حرب ضـارية مـع جماعـة الأنصار، وقتل منهم عدد كثير، ولكن نحن كنا المتضرر الأكبر من جرّاء القصف، وقُتل (٤٣) من إخوتنا تقبلهم الله شهداء، وجُرح عدد أكثر منهم، ودُمرت مقرات وأجهـزة وسيارات وعتاد، خسائر مادية كبـيرة، وآضطُررنا أن ننتقل من منطقـة (شـهرزور) و(هورامان) إلى منطقة (پشدر)، وكذلك في نفس الفترة –قبل القصف الأمريكي بأيام– قُتل في سيطرة طاسلوجة رجل بارز في قيادة الجماعة: (ملا عبد الله قصري) وأربع مـن أفراد حمايته ظلماً، تقبلهم الله شهيداً، والإتحاد الوطني ادَّعى بأنهم اشتبهوا فيه و لم يكـن هو المقصود، و(مام جلال) كتب لي أكثر من رسالة، عندما كنا في منطقة پشدر يُؤَكِّـدُ بأن قَتْلَ الشيخ عبد الله قصري لم يكن مقصوداً، وإنما صار غلط واشتباه، على أي حال، فَلرُبَّما كان مام جلال صادقاً، ولكن بعض من جماعته قاموا بما هو ليس مطلعـاً عليـه، لاندري حقيقة الموضوع، ونحن بعد ذلك أنهينا هذه المشكلة مع الإتحاد الوطني، وطوينـا تلك الصفحة على مَضَضٍ!

المعلومات الخاطئة لعبت دوراً كبيراً في احتلال العراق ، وأيضاً لعبت دوراً كبيراً فيما تعرَّضتم له من قصف، ثم ما تعرَّضت له من اعتقال ؟ لو تعطينا بعض الخلفية عن هذه المعلومات؟

ــ أنا لا أريد أن أدخل في بعض التفاصيل، التي ربَّما الخوض فيها يؤذي البعض، وإلا فالصواريخ الأمريكية التي أطلقت علينا، ما كانت تخطيء الأهداف بأمتار! ولكن قبل أن نتعرَّض لهذه الصواريخ، زارنا أكثر من وفد صحفي أجنبي: فرنسي وألماني وبريطاني وأمريكي، فَلَرُبَّما رَصَدَت بعض تلك الوفود الصحفية مقراتنا، بأجهزة خاصة، لأنه فيما بعد: المقرَّاتُ التي زارها تلك الوفود الإعلامية، قُصِفَتْ ودُمِّرَت، وقتل أكثرية إِخوتنا – المقتولين– في تلك المقرات التي زارها تلك الوفود الصحفية!!

وماذا عن عملية الإعتقال ؟ قرأت في كتابك (أمير وراء القضبان) الذي يرصد هذه التجربة المريرة وملابساتها وخلفياتها التأريخية، وما تعرضت له، قرأت أنك ومعك بعض القيادات، كنتم في طريقكم إلى لقاء مع وفد أمريكي بناء على طلب منهم، ثم تعرضتم لخديعة وخطف؟!

ــ هذا صحيح، أنا قبل الإِعتقال بأسبوع أو عشرة أيام، التقيت بوفد أمريكي، مُكوَّنٍ من شخصان أمريكيين: أحدهما (وليام إيجلتون) الذي توفي قبل سنوات، وواحد آخر عسكري، وجرى حديث طويل، ونحن طالبناهم أن يعتذروا لنا عن قصف مقراتنا ويعيدوا الإِعتبار لنا وأن يُعوِّضونا، وعلى هذا الأساس قالا: سنتحدث مع مسئولينا ونحدد موعداً آخر، وعندما اتصلوا بنا على أساس أن: هذه الجلسة مترتبة على الجلسة السابقة، ومتمِّمة للحديث الذي جرى فيها، كنا بالطريق، وقبل الوصول الى فندق (عشتار) في (دوكان) ببضعة كيلومترات، وضعوا سيطرة –كما ذكرت في الكتاب–، وكانت هناك مروحيات ودبابات وجنود، فقلنا لهم لا تؤخِّرونا لأن لدينا موعداً ــ أنا أكره التأخر عن الموعد ــ حيث بقيت خمس دقائق للموعد، فقالوا: لن نؤخِّركم فقط

بعض الأسئلة والإِستفسارات، ثم قالوا: ضعوا الأسلحة جانباً، ثم تبين لنا أن الأمر مدبَّرٌ ومَبـيّت، والوضع لم يكن يؤهِّل للمقاومة، لأن الأمر كان مدبَّراً بدقة، ونحن كناّ وَفْداً ذاهباً لعمل دبلوماسيٍ وسياسي، وليس لعمل عسكري، ولهذا لم نحمل معنا سوى أسلحة خفيفة، وتركنا الأسلحة الأخرى، لأننا لم نذهب بنية القتال والمواجهة!، وفيما بعد كبَّلونا وأركبونا المروحيات، وذهبوا بنا إلى الموصل، وبعدها إلى بغداد وجرى ما جرى.

أنت ظللت في السجن (٢٢) شهراً ، هل تذكر لنا كيف كانت أيامك الأولى في السجن؟ واعذرنا أننا نذكِّرك بتلك الذكريات الأليمة؟

ــ نعم تذكرُّ الذكريات الأليمة، مُؤْلِمٌ.

نحن نريد أن نؤكد ونرسخ الصورة التي يجب أن تكون في أذهاننا عن مثل هذه الممارسات وعن الإِحتلال الأمريكي، الساعات الأولى غالباً تكون هي الأثقل على المعتقل والأسير، وهذا ما تعرَّضت أنت له، وكما قلت: هم أكرموك على الطريقة الأمريكية في تلك الساعات و الأيام !

ــ كما قلت: كبَّلونا من الخَلْف بشدَّة وبقسوةٍ بالغة، ولحد الآن الأثر باق على يدي ، وأنا في حياتي ما ذقت مرارة الذل وما أهانني أحد، لم أُهِن أحداً و لم يُهِنِّي أحد، قبل ذلك اليوم، وللمرة الأولى في حياتي قيل لي في السجن الأمريكي: (أنت تكذب) فغضِبتُ جداً وقلت: هذه أول مرة في حياتي يقال لي: أنت تكذب، لأنَّني ما كَذَبْتُ قط، صديقاً ولا عدواً، وهذه أول مرة يقال لي ذلك، الرجل كان كبيراً في السن، قال لي: يعني أنت صادق؟ قلت: نعم وبإمكانك أن تتحقق، وجرت أمور كثيرة.

حققوا معي في البداية بالكلام، وبعد ذلك تطور الأمر إلى تعذيب وإرهاق، كانوا يحاولون أن يَحْرِموني من النوم أياماً وليالي حتى أَنهار، وماكانوا يسمحون لي أن أتوضَأ للصلاة، فكنت أتيمم، وما كانوا يسمحون لي أن أعرف أوقات الصلاة، أنا الوحيد

ألذي عاملوني معاملة خاصة، وقد ٱعتقل معي ثلاثة من القياديين أعضاء القيادة وعشـرة من الحماية، لكني عاملوني معاملة خاصة، بعدها تطور الأمر وبدأ التعـذيب والإرهـاق والإتعاب، وذكرت تفاصيل هذا الأمر في ذلك الكتاب (**أمير وراء القضبان**)، وخلاصة ما جرى لي من تعذيب في غضون تسعة أيام: أنْ نقص وزني جداً، حيـث كـان وزني عندما دخلت السجن ٧٦ كيلو غرام، فنقص إلى ٦٠ كيلو تقريباً، وكانوا يُعَرِّضـوني للحرارة الشديدة وكان الوقت شهر تموز (يوليو)، حيث إِني ٱعتقلـت في ١٠ يوليـو ٢٠٠٣، وشهر يوليو عندنا هنا حار جداً ، وكانوا يوجِّهون لي بلاجكتورات قوية جداً، وما كانوا يعطونني من الماء، إلا الماء المغلي، وما كنت أطيق أن آكل، فانعدمت شـهيتي من الغم والهم والذل والظلم الذي تعرضت له، والضرب والإهانات، وكانوا يضـربونني على مرفقيَّ وركبتيَّ، وحتى الآن أعاني من آثار ذلك، وكانوا يوقفونني ويضعون علـى رأسي أشياء ثقيلة عشرين كيلوغرام أو أكثر، ويُجْلسونني على ركبتيَّ والأثقـال علـى رأسٍ، وذات ليلةٍ أحضروا راقصة تُغَنِّي وترقص، وكان الصوت والضَّـجيج بمكـبرات الصوت عالياً جداً، واستمر هذا من الغروب إلى الصباح!! وكانوا يوجِّهون لي الشـتائم باللغة الكوردية والعربـية، وكنت أقرأ القرآن في هذه الأوضاع، فقرأت ستة (٦) أجزاء من بداية المصحف الى نهاية الجزء السادس في سورة (المائدة) وكانوا يمنعونني من القراءة و يقولون لا تتكلّمْ! وأقول لهم: هذا دعاء، فيأمروني بالصَّمت، لكنَّي أقرأ ولا أبالي، ولا أنسى أبداً أَنَّني نـزلت علي السَّكينة مرتين، وأنا تحت التعذيب، وهذه كانـت المـرة الأولى في حياتي، تنـزل عليَّ السكينة، كنت في السابق أقرأ في القرآن: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَـٰنًا مَّعَ إِيمَـٰنِهِمْ ... ﴿٤﴾ ﴾الفتح، لكن مـا كنـتَ أعرف ما السكينة؟ لكن هناك علمت: إِذ كنت في قمة التعـب والعـذاب والألم، وإذا بحالة تحصل لي كأن سطلاً من الماء أو النور يُصَبُّ عليَّ ولا يبقى في بدني، ولا أية خلية من خلايا جسدي، أي ألم أو شعور بالتعب، كأنني وُلدت توّاً، فتعجَّبتُ جداً، وهـذا كان شيئاً جديداً لي.

لماذا كل هذه الأساليب في التعذيب ؟ ولماذا أصلاً الإعتقال، يعني ما التهمة الرئيسية الموجهة لك؟

ـــ كانوا يطلبون مني أن أقول لهم: مَن نحن؟ وماذا كنّا نريد أن نفعل؟ كانوا يسألون: هل كنتم تُعدّون العدة لضرب قوات التحالف؟ فكنت أقول لهم: أنا أمير الجماعة الإسلامية، والجماعة الإسلامية لها أدبياتها وأفكارها، والأحزاب الكوردستانية يعرفوننا، بل والأحزاب العراقية: الحزب الإسلامي، وحزب الدعوة، والمجلس الأعلى، بيننا وبينهم تعارف وعلاقات، فاسألوهم.

كانوا يتَّهموننا مرةً بأننا كنا نُحَضِّر أنفُسَنا لضرب قوات التحالف، فقلت: صحيح أنا رفضت احتلال العراق من قبل الأمريكان، وما من رجلٍ حُرّ يُرَحِّبُ باحتلال وطنه، لكن أنا كنت دائماً أقول: إنَّني أرفض كلاً من: الإِستبدادِ الداخليَّ، والعدوانِ الخارجيِّ، فنحن لسنا مضطرين، إما أن نقبل بالإستبداد الداخلي، أو بالعدوان الخارجي، بل نرفض كليهما، وقلت لهم: لوكُنّا مُحَضِّرين أنفسنا لقمنا بشيء، وأنتم ما جئتم لمحاربتنا، بل جئتم لمحاربة نظام صدام، أنا لا أُرحِّبُ بكم، لأن الشعب العراقي هو الذي يدفع ضريبة احتلالكم -وفعلاً دفعنا ضريبة باهظة- لكنكم لم تأتوا لمحاربتنا، كي نحاربكم، لذا وإن كنتم غيرُ مُرَحَّب بكم، ولكن نحن لا نحاربكم، لأنكم ضدُّ عدوِّنا اللّدود: نظام البعث.

ومرةً كانوا يتَّهمونني بأني كنت مع النظام، فقلت:هذاكذب مفضوح، عناصر النظام عندكم، فاسألوهم!

وكانوا يتهموننا بأنَّا تابعون لإيران، فقلت لهم: هذا ليس صحيحاً، هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين.

فالتُّهم التي وجهوها لي هي هذه الأربع:

١- أنك منتمٍ لتنظيم القاعدة، وكنتم تريدون أن تضربونا.

٢- لكم علاقة مع إيران.

٣- كان لكم ارتباط بالنظام.

٤- وأنت أمير الجماعة الإسلامية.

فقلت: الإِهام الرابع هو الصحيح فقط.

هل فعلاً تنظيم القاعدة كان موجوداً في كردستان العراق ؟

ــ أنصار الإسلام كان لهم علاقة بتنظيم القاعدة، لأن (أبا مصعب الزرقاوي) أمضى فترة في ناحية (بيارة) مع جماعة أنصار الإسلام، كما ذكر الشهود هذا، لكن لم يكن لنا علاقة بهم.

في المعتقل الذي أمضيت فيه ٢٢ شهراً، أكيد، كان هناك معتقلون آخرون، سواء من النظام السابق، أو من التنظيمات الأخرى، هل كان هناك تواصل بينكم، وهل كنتم تلتقون وتتحدثون، وكيف أنت واجهت هؤلاء بهذا الرصيد الطويل من المظلومية التي تعرَّضت لها وشعبك على يد هؤلاء، أركان النظام السابق ؟

ــ أبقوني تسعة أيام في التحقيق والتعذيب، بعدها ذهبوا بي إلى قاعة، وهناك تعرَّفت على بعض الوزراء وقادة حزب البعث، وبقيت فيها يوماً، وفي مساء ذاك اليوم أدخلونا في زنزانات انفرادية، وأنا أمضيت ٢٢ شهراً في الزنزانات الفردية ، ينقلونني من زنزانة إلى أخرى، إلى خمس (٥)زنزانات.

في البداية لما تعرفوا علي وسمعوا بي، كانوا يتقرَّبون إليَّ ويتودَّدون، وأنا كنت أؤذن لهم للصلوات من غرفتي، وبعد ما سُمِحَ لنا أن نخرج للتريُّض، كنت أَؤُمُّهم في الصلاة، وفي الفترة الأخيرة كنت أقيم لهم الجمعة، وأقمت لهم صلاة ثلاثة أعياد، كنتُ أخطب فيهم، وكان بعضهم يبتعد ويسيءُ الظنَّ بي!، وعندما كنت أنتقد صداماً كانوا في المقابل يذكرون كلاً من السِّيدين: مام جلال ومسعود برزاني، بسوء! فقلت لهم: أنا لا أنتقد صداماً من منطلق التعصُّب القومي، ولكنه كان ديكتاتوراً ظلم الشعب العراقي بأجمعه كرداً وعرباً، فكانوا يمتعضون ويكرهون كلامي، لكن كانوا يراعونني، إلى أن

تبين لهم أنني أنتقد صداماً وغيره، من منطلق إسلامي، وليس من منطلق تعصُّبٍ قومي، فيما بعد صار بيني وبينهم شيء من الصداقة والمودة من جانبهم، وأنا كنت أُراعيهم وأُحْسِنَ إليهم، اقتداءً بسيدنا يوسف عليه الصلاة والسلام، وقد انتقدني بعض العلَمانيين المتعصبين بسبب بعض ما ذكرته في هذا الكتاب (**أميرٌ وراء القضْبان**)[1]، حيث ذكرت أنَّني كنتُ مُحسناً اليهم في بعض الأحيان، خصوصاً المرضى والجراحى منهم، أنَّ فلاناً قال: بأني أحسنت إلى عناصر النظام! فقلت: سيدنا يوسف عليه الصلاة والسلام سُجن وآتُّهِم ظلماً، وكان من المحسنين، وهل يليق بنا إلا الإحسان!

> **يعني أنت راعيت الظروف التي كانوا فيها، والضعف الذي كانوا عليه في المعتقل؟**

ـ نعم وكنت كذلك أنصحهم وأَنتقدهم، وأتذكّر أنَّهم مرةً انجفلوا كثيراً وغضبوا وامتعضوا، عندما قلت لهم: إنتم كنتم تعبدون الأصنام! قالوا: كيف يا شيخ! ونحن نصلِّي، وكنّا نزكي ونصوم؟ قلت: ما الفرق بين الهياكل التي بنيتموها لصدام، وبين اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى، ما الفرق؟ قالوا: كان صدام قائداً، قلت: التقديس والتعظيم لا يجوز لغير الله، لكن بعدما وضحت لهم الأمر، وأقنعتهم وأفهمتهم، تغيَّر موقفهم، في البداية أوضحت لهم مفهوم كلمة (الدين) وقلت: إن منهج (حزب البعث) أيضاً كان ديناً، وأنتم كنتم تتديَّنون به، قالوا: لا (الدين) هو الإسلام، قلت: الدين هو منهج الحياة، فأنتم كنتم تسيرون على منهاج حزب البعث وتلتزمون به، إذن كان هو دينكم، ودين الإسلام يختلف عنه، وبعد أن أفهمتهم هذه القضايا، شعروا أنَّني مخلص لهم حقيقة، ولست حاقداً على أحدٍ، وبدأوا يستمعون إليَّ، بل بعضهم تاب على يدي، وبعضهم كان يبكي بمرارة، لكنهم أَلَحُّوا عليَّ ألاّ أذكر أسماءهم، ووفيت بالوعد،

---

١) والذي كان في الأصل مقابلة صحفية باللغة الكوردية، وطُبع ثلاث مرات باللغة الكوردية، وبعدها تمت ترجمته إلى العربية والفارسية والإنكليزية.

و لم أذكرها في الكتاب.

كيف تحولت هذه المحنة إلى منحة ؟ أنا أعلم أنك ختمت القرآن أكثر من مرة، وألّفت كتاباً موسوعياً خلال فترة الإعتقال؟

ــ أنا أعتقد أن التعامل مع الله سبحانه وتعالى لا خسارة فيه، سواء كنت في الضراء أو في السراء، لأنك عندما تَصْبِرُ على الضرّاء، تُؤْجَر، وعندما تشكر على النَّعماءِ، كذلك تؤجر، ففي الحالتين أنت فائز، فلما جرى لي ما جرى: سُجِنْتُ وبعضُ رفاقي ظُلْماً واتُّهمت وعُذّبت وحُوربت جماعتي، عَلمتُ بأن هذا ابتلاء من الله سبحانه وتعالى، وقد رأيت رؤيا قبل اعتقالي بأسبوع، وتحققت تلك الرؤيا، وفي الحقيقة أنا أعتبرت هذا الإعتقال اعتكافاً إجبارياً، واستفدت كثيراً من ذلك الإعتكاف، وكنت أشعر في داخلي بطمأنينة وسعادة ورضاً، خصوصاً بسبب تفاعلي مع كتاب الله سبحانه وتعالى، إذ ختمت القرآن الكريم خلال تلك المدة، أكثر من ١٤٠ ختمة، وكنت أحفظ كتاب الله سبحانه وتعالى من قبل، وكنت أستمتع بتلاوته في الليل والنهار والظروف الصعبة، وكنت أشعر بلذة عجيبة عندما أقرأ بعض الآيات التي تنطبق على حالتي، فالحمد لله الحميد المجيد، لقد مضى ذلك الوقت العصيب، لكنّي استفدت منه أيّما استفادة وخصوصاً الموسوعة التي ألّفتها، وهي الآن في طبعتها الثانية، وتتكون من آثني عشر كتاباً، حاولت أن أشرح في تلك الموسوعة الإسلام: معرفة وإيماناً وعبادةً وتقوىً وتزكية وخلقاً والتزاماً بالشريعة... الخ، وآعتمدت في تأليفها على القرآن العظيم فحسب، ثم على ما كنت أحتفظ به في ذاكرتي من نصوص السنة النبَّوية المباركة.

٢١

التطرُّف والمُتَطَرِّفون، وأسبابُ التطرُّف، وآثارُهُ السيِّئةِ

نبدأ الإبحار في المشروع الفكري للشيخ علي باپير، من خلال التطرق إلى عدة مؤلفات تعرَّض فيها لقضايا ساخنة ومهمة للغاية، تشغل الرأي العام العربي والإسلامي، ويتخذها الغرب سبباً لاتهام الإسلام أو المسلمين بالإرهاب والعنف، وغيرها من الإتهامات، في هذه الحلقة نتحدث مع الشيخ الأمير علي باپير عن التطرف، وهل هذا التطرف الذي يحاول الغرب إلصاقه بالدين الإسلامي وبالمسلمين هو أصلاً موجود في الإسلام؟، وما موقف الإسلام من التطرف والعنف والإرهاب، ومعاملة غير المسلمين، خاصة في ظل انتشار عدد من التنظيمات والجماعات الإرهابية المتطرفة التي للأسف الشديد أساءت للإسلام إساءة كبيرة وللمسلمين، نجدد اللقاء والتحية لك يا شيخ علي!

ـــ حياكم الله وأنا أرحب بكم مرة أخرى.

أحد مؤلفاتك في الفترة الأخيرة هو كتاب: (نقض فكرة التطرف)[1] وفي هذا الوقت الذي نعيش فيه للأسف، يتعرض الإسلام والمسلمون لهجمة شرسة من قبل من الغرب، ومن قبل بعض المفكرين الذين يحاولون إلصاق تهمة الإرهاب والعنف والتطرف بالدين الإسلامي وبالمسلمين ، ومما يزيد الأسف أن هناك جماعات مِمّن يُحسبون على الإسلام والمسلمين، يمارسون بعض الأعمال الإرهابية ، فما الحكمة والهدف الذي راعيته من إصدار هذا الكتاب؟

ــ كما تفضَّلت: الآن، الإنطباع الذي يؤخذ من المسلمين -مع الأسف الشديد- هو أن أهل الإسلام أهل تشدد وتطرف وعنف!! ونحن لا نُبَرِّيء ساحةَ كل المسلمين عن هذه التهمة، وأردت بتأليف كتابي: (نقض التطرف) أن أُثبِتَ أن التطرف لا يمت إلى الإسلام بصلة، وكذلك لايَمُتُّ التطرف إلى المسلمينَ الفاهمين للإسلام فهماً صحيحاً، والملتزمين بالإسلام التزاماً جيداً، بِصلَةٍ، فالتطرف والعنف والغلوُّ، لا يعرف الطريق إلى هذا النوع من المسلمين، وكل الأفكار والمباديء يجب أن تُحاكَم، من خلال الفاهمين لها فهماً جيداً، والملتزمين بها التزاماً صحيحاً، أما عندما يُحاكَمُ منهجٌ أو دينٌ ما، بسبب ممارسات خاطئة من قبل بعض أتباعه أو المدَّعين له، فهذا ظلم وهضم لحق هذا المنهج أو هذا الدين، فالهدف من وراء تأليف هذا الكتاب، وكتب كثيرة أخرى لي، هو الدفاع عن الإسلام المُتَجسِّدِ في كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ،وكذلك الدفاع عن التيار الإسلامي المتَّزِن والمعتدل، والذي يُمَثِّل أكثر من ٩٠% من العاملين للإسلام، نعم هناك جماعات متطرفة، وهناك فئات مغالية عنيفة من المسلمين، ولكن القسم الأعظم من التيار الإسلامي العامل للإسلام في البلاد الإسلامية، وفي غير البلاد الإسلامية - في الغرب والشرق- هم أهل توسط وٱعتدال واتِّزان.

---

١) كان هذا هو عنوان الكتاب في طبعتِهِ الأولى والتي طبعت في دار الحكمة بلندن، والآن غيَّرنا عنوانه في طبعته الثانية الى: (**نقض التطرف، ودَحْضُ أفكار المتطرفين**)، وطبع الكتاب طبعة ثانية في القاهرة، بمركز القاهرة للدراسات الكوردية.

البعض مِمَّن يحاولون إلصاق تهمة الإرهاب بالإسلام، يقولون: إنَّ داعش وأخواتها من التنظيمات المتطرفة، إنما يطبقون ما ورد في القرآن والسنة، وأسألك سؤالاً بات يشغل كثيراً من الرأي العام الغربي، وللأسف بعض من المسلمين: هل الإسلام دين تطرف وعنف وإرهاب؟

ــ ما يقال بأنَّ: تنظيم داعش وغير تنظيم داعش من التنظيمات المتطرفة التي سبقت داعش، والتي ربما تلي داعش: إنَّما تطبق الإسلام أو تتبع الشريعة!! هذا ظلم وإجحاف بحق الإسلام، لماذا؟ لأن الإسلام إنما طُبق التطبيق الكامل الصحيح الذي ليس لأحدٍ أن يبدي أي ملاحظة أو مؤاخذة عليه، على يد الرسول صلوات الله وسلامه عليه، وصحابته الكرام وخصوصاً خلفائه الراشدين رضوان الله تعالى على الجميع، وعندما نُدَقِّق النظر في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، وتعامله مع غير المسلمين، سواء في حالة السلم، أو في حالة الحرب،وكذلك عندما نتأمل سيرة الخلفاء الراشدين رضوان الله تعالى عليهم: سيدنا أبي بكر وعمر وعثمان وعلي والحسن بن علي رضوان الله على الجميع، الذين نسجوا على مِنوال الرسول عليه الصلاة والسلام وساروا بسيرته، والرسول صلوات الله وسلامه عليه وصّانا فقال: {مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسَيَرَى اخْتِلاَفًا كَثِيرًا فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِى وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ}(١) وعند الغالبية العظمى من المسلمين، أن الخلفاء الراشدين المهديين هم: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي والحسن بن علي، رضى الله عنهم، لأن هناك حديثاً صحيحاً لرسول الله عليه الصلاة والسلام قال: {خِلاَفَةُ النُّبُوَّةِ ثَلاَثُونَ سَنَةً ثُمَّ يُؤْتِى اللَّهُ الْمُلْكَ – أَوْ مُلْكَهُ

١) أخرجه أحمد: ١٧١٨٤، وأبو داود: ٤٦٠٧، وابن ماجه : ٤٢، والحاكم: ٣٢٩، والترمذي: ٢٦٧٦ وقال حديث حسن صحيح.

- مَنْ يَشَاءُ}[١] وعندما نحسب مدة خلافة الخلفاء الأربعة مضافا إليها ستة أشهر من خلافة وحكم سيدنا الحسن، تصبح المدة: ثلاثين (٣٠) سنة كاملة، وعليه: فالرسول عليه الصلاة والسلام نصَّ على أن من يخلفونه بحق، هم هؤلاء الخلفاء الأربعة وسيدنا الحسن.

أجل عندما ندرس سيرة الرسول عليه الصلاة والسلام وخلفائه الراشدين، لا نرى تطرفاً ولا غُلوّاً ولا عنفاً، بل نرى سماحة ورحمة وتواضعاً، ونحن ليس بإمكاننا أن نأتي بأمثلة وشواهد لإثبات ما نقول، لكن على من يريد أن يتثبت من هذا، أن يدرس سيرة الرسول عليه الصلاة والسلام.

وبعض الحاقدين على الإسلام يتَّهمون الرسولَ عليه الصلاة والسلام أو صحابته أو خلفاءَه رضي الله عنهم، ويأتون ببعض الأمثلة والشواهد، مثل: قتل أسرى بني قريظة وبعض الأمثلة الأخرى، لكن مَنْ يَتَفحَّصُ هذه الحوادث -أي الثابتة فيها من حيث السند-، ويُدَقِّقُ النظر فيها، يرى أنه لا يمكن أن يُستشهد بمثل هذه الحوادث على أن رسول الله عليه الصلاة والسلام مارس العنف أو التشدُّد، بل أقصى ما في الأمر: دلالتها على مشروعية الردِّ على العنف بالمثل، وهذا تطبيق لأمر الله سبحانه وتعالى: ﴿ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ ﴿١٩٤﴾ ﴾البقرة، وقوله تعالى: ﴿ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْ ... ﴿١٩٠﴾ ﴾البقرة، أي لا تقاتلوا من لم يقاتلْكم، فهذه التهمة لا أساس لها، لمن يدقق النظر ويتأمل ويتفحص سيرة الرسول عليه الصلاة والسلام والخلفاء الراشدين، وسائر الحكام المسلمين، بدءً من معاوية المؤسِّس للدولة الأُمَوية وللحكم المَلَكيِّ، لأن الرسول عليه الصلاة والسلام يقول بالنص: (**ستكون الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم يكون ملكاً**) أي حكماً كبقية أنواع الحكم، وفي حديث آخر صحَّحه الألباني في سلسلته الصحيحة: {**أول مَنْ يُغَيِّر سُنَّتي: رجلٌ من بني**

---

١) أخرجه أبو داود: ٤٦٤٦، قال الألباني: حسن صحيح.

أمية}[1]، وإنما بدأ التغيير لكيفية الحكم من الشورى إلى الحكم الوراثي والعائلي بيد معاوية رحمه الله وغفر له وسامحه، عندما نَصَّبَ ابنَهُ يزيدَ، وهو مازال على قيد الحياة، نعم إنَّ معاوية قبل خمس سنوات من موته، نصَّب ابنه يزيد وأخذ له البيعة عنوةً. إذن: من هنا بدأ التغيير، ثم حدثت على يد بني أمية، ثم بني العباس، ثم العثمانيين، انحرافات كثيرة، من ضِمْنها: ممارسة العنف والتعامل غير الصحيح مع غير المسلمين، ولكن حتى تلك الفترات، عندما تقاس بممارسات غيرهم من الحكام، نجدُ بوناً شاسعاً، فالدولة الإسلامية ظلّت ملتزمةً بالشريعة في خطوطها العريضة، نعم في كيفية نصب الحاكم واختياره حدث انحرافٌ وتحوُّلٌ من الحكم الشوري إلى الحكم الوراثي، ولكن من حيث التعاملُ مع غير المسلمين، وإن حدثت خروقات وأخطاء، لكن كما قلت حتى مع هذه الأخطاء، عندما يُقارَنُ تأريخ المسلمين، وحُكامهم، مع تأريخ غيرهم في الشرق والغرب، فهناك فرق كما بين الثرى والثريا.

أ-تعريف التطرف:

هذا يجرُنا إلى الحديث عن التطرف ، كيف تعَرِّف التطرف؟

ــ كلمة التطرف، كلمة عربية أُخذت من (الطَّرَف) وطَرَفُ كل شيء: منتهاه وحده الأقصى، إذن التطرف هو أن تبلغ بالأمر إلى أقصاه ومنتهاه، أو أن تتجاوز فيه الحد، وهناك أربع كلمات أخرى، قريبة المعنى من التطرف، وهي:

١- الغلو
٢- والعنف
٣- والتشدد
٤- والتنطع

١) السلسلة الصحيحة:١٧٤٩، أخرجه ابن أبي عاصم في الأوائل (٢/٧) وابن كثير في (البداية والنهاية)، ج٢ص٢٣٤ والسيوطي في الجامع الصغير: ٢٧٤١. وقال الألباني: قلتُ: هذا إسنادُ حسن ولعلّ المراد بالحديث تغييرُ نظام ٱختيار الخليفة وجعله وراثةً.

وقد ذكرت كل هذه الكلمات ومعانيها في كتابـي المذكور عند التعريف بالتطرف والمتطرفين، فالتطرف حالة تجعل الإنسان مجاوزاً للحدود ، والمتطرفون أشخاص يتجاوزون الحدود في ذات أنفسهم، فهماً وسلوكاً، ومع غيرهم يتجاوزون الحدود التي رسمتها الشريعة، و إنّما ركّزتُ على هذا، لأنَّ هناك من يعتبر كلَّ ملتزمٍ بالإسلام، كلَّ رَجلٍ ملتحٍ، وكلَّ آمرأةٍ متستَّرةٍ ومحتشمة، متطرفاً!! ولكن لا: الإِلتزام بالإسلام ليس تطرفاً، وإنما مجاوزة الحدود هو التطرف، وكما جاء في حديث نبوي في صحيحي البخاري ومسلم: جاء ثلاثة أشخاص إلى بيوت أزواج النبي صلوات الله وسلامه عليه ورضوانه عليهن، وسألوا عن عبادة الرسول صلى الله عليه وسلم، فلمّا أُخْبروا (تقالّوها) يعني اعتبروها قليلة، عدّوا عبادة الرسولَ قليلة! فقال أحدهم: أنا أُقيم الليل ولا أنام، وقال الآخر: أنا أصوم ولا أُفطر، وقال الثالث: إني لا أتزوَّج النساءَ، فلما عاد الرسول عليه الصلاة والسلام، أمهات المؤمنين أخبرنه بهذا، خطب فقال: {أنا أَصُومُ وَأُفْطِرُ وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي}.[1] إذن التطرف هو أن تتجاوز الحدود التي رسمها الرسول عليه الصلاة والسلام بسنته، وسنة النبي هي تجسيد كتاب الله على واقع الحياة وتطبيقه ، فالتطرف ليس الإِلتزام بالإسلام ، وإنما مجاوزة حدود الإسلام ، فالله سبحانه وتعالى يقول:﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْاْ... ﴿١١٢﴾ ﴾هود، ولا تَطْغوا أي لا تتجاوزوا الحدود، بحيث تتركوا الإسلام وتخرجوا عن حدوده.

فهناك حالتان:

١- حالة التقصير

٢- حالة الغلو والتجاوز

---

١) رواه البخاري: ٥٠٦٣، ومسلم: ١٤٠١.

وكلتاهما مذموم، التفريط هو التضييع، ألاّ تُطَبِّق الشريعة ولا تلتزم بالإسلام، والإفراط هو أن تغلو في الإلتزام بالشريعة وتُضيف إلى الشريعة من طبعك ومزاجك، كما يفعل بعض المسلمين، أو بعض الفئات والمجموعات منهم، عندما يُلْزِمون أهليهم بأشياء ما أنزل الله بها من سلطان، فمثلاً: يُلْزِمون النساءَ بالنِّقاب، مع أن المرأة ليست مُلْزَمَةَ بالتنقُّب، وإنما هي ملزمة بالإحتشام والتستر فَحَسْبُ، و لم أستعمل كلمة (التحجُّب) لأن لي ملاحظةً على كلمة (التحجب) اذ التحجّب هو أخذ الحجاب والحجاب سِتْر، لكن التّستُّر والإحتشامَ هو أن تَلْبسَ المرأة لباساً يستر مفاتنها، أما الحجاب، فهو في الأصل لا يقصد به اللباس، والمرأة ملزَمة بأن تلبس لباساً شرعياً ساتراً سابغاً، وليست مُلزَمة بالنقاب ولا بالحجاب، إذ الحجاب كان خاصاً بأزواج النبي صلوات الله وسلامه عليه، كما قال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ .... ﴿٥٣﴾ ﴾الأحزاب، أي في داخل الغرفة، فما كان يجوز لنساء النبي، أن يراهن الأجانب، بل كان يجب أن يكون هناك حِجابٌ ساتر يَحْجُبُهُنَّ عن الأنظار.

فمعنى التطرف هو: مجاوزة الحدود، وكما أن مجاوزة الحدود مذمومة، كذلك تضييع الحدود، مذموم.

الإسلام هو دين الوسطية والأمة الإسلامية أمة وسطٌ.

ـ قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ... ﴿١٤٣﴾ ﴾البقرة، والوسط هنا يعني: التوسُّط بين الإفراط والتفريط، وبين الجفاء والغلوّ، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: {إِنَّ مِنْ إِجْلاَلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ إِكْرَامَ ذِى الشَّيْبَةِ الْمُسْلِمِ، وَحَامِلِ الْقُرْآنِ غَيْرِ الْغَالِى فِيهِ وَلاَ الْجَافِى عَنْهُ، وَإِكْرَامَ ذِى السُّلْطَانِ الْمُقْسِطِ}(١)

١) أخرجه ابن المبارك: ٣٨٨، وابن أبي شيبة: ٣٢٥٦١، وأبو داود: ٤٨٤٣، والبيهقي: ١٦٤٣٥.

ب- علامات المتطرِّفين

ما هي علامات المتطرفين ؟ ومن هم المتطرفون، كيف نعرفهم من خلال تصرفاتهم وأقوالهم؟

ــ المتطرفون هم الذين لا يرضون بما فعله الرسول صلوات الله وسلامه عليه، ورسول الله وصحابته هم المقياس الصحيح لوزن أي عَمَلٍ، هل هو من الإسلام، أي: مطابق للإسلام، أم خارج عنه: ناقصٌ أو زائد؟ أجلْ الرسول عليه الصلاة والسلام هو الميزان للإسلام وكيفية الإلتزام به، يقول سبحانه وتعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾الأحزاب، ويقول سبحانه وتعالى في سورة آل عمران: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ... ﴿٣١﴾ ﴾آل عمران، وكما ذكرنا سابقاً: عندما جاء هؤلاء الرهط الثلاثة لبيوت أزواج النبي عليه الصلاة والسلام، وسألوا عن عبادته وطاعته، وأُخْبِروا بها، تقالُّوها[1]!! إذن المتطرف هو الذي لا يرضى بما فعله الرسول عليه الصلاة والسلام من حالة التوسط، وتقول سيدتنا عائشة رضي الله تعالى عنها: {**ما خيّر رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أمرين، إلا آختار أيسرهما ما لم يكن إثماً**} متفق عليه[2].

وقد عددت في هذا الكتاب (نقض التطرف) عشر صفات للمتطرفين وذلك في ضوءِ الآية المباركة رقم (٧٧) من سورة المائدة، يقول تعالى:﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرًا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾ ﴾المائدة، إذن:

١) متفق عليه، البخاري: ٥٠٦٣، ومسلم: ١٤٠١.

٢) البخاري:٦١٢٦، ومسلم:٥٩٩٩.

١- إِتِّباع الهوى، هو الصفة الأولى والأساس للمتطرِّفين الغُلاة.

ثم في ضوء حديث نبوي جاء في صحيح البخاري ومسلم وسنن أبو داود والنسائي ، استنبطت سِتَّ صفات أخرى، وهي:

٢- قلة العلم

٣- وضيق الفكر

٤- والغلظة

٥- والفظاظة

٦- والعُجب، وسوء الظن

٧- والتقوى الجاف الأجوف ، يعني التقوى الصوري.

وذلك لأنه جاء في هذا الحديث: (**أن الرسول صلى الله عليه وسلم قسّم مالاً على بعض الناس، فقال رجل من أصحابه: كنا نحن أحق بهذا من هؤلاء** (فانتقد الرسولَ عليه الصلاة والسلام!!) **فبلغ ذلك النبي، فقال: ألا تُؤَمِّنوني وأنا أمين من في السماء، يأتيني خبر السماء صباحاً ومساءً؟! قال: فقام رجل: غائر العينين ، مشرف الوجنتين ،ناشز الجبهة،كث اللحية، محلوق الرأس، مُشَمَّر الإزار ، فقال: يا رسول الله اتق الله! فقال: ويلك أولست أحق أهل الأرض أن يتقي الله ؟ قال ثم ولّى الرجل، فقال خالد بن الوليد : يارسول الله ألا أضرب عنقه؟ فقال: لا لعله أن يكون يصلي، قال خالد بن الوليد : وكم من مُصَلٍّ يقول بلسانه ما ليس في قلبه. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إني لم أؤمر أن أُنَقِّب عن قلوب الناس ولا أشقَّ بطونهم، قال: ثم نظر إليه وهو مُقفٍ** (أي وهو ذاهب) **فقال: إنه يخرج من ضئضيء هذا** (أي على شاكلته، وليس المقصود من نسله) (يعني مُجدّون في الطاعة الصورية) **قوم يتلون كتاب الله رطبا، لا يجاوز حناجرهم** (أي بدون فهم، تلاوة مجردة، لاتَدْخُلُ في القلب حتى تؤَثِّر، ولا تدخُلُ في الرأس، حتى تُفْهَم) **يمرقون من الدين، كما يمرق السهم من الرمية** (أي يخرجون من الدين بسبب تنطُّعهم وتشدُّدهم وتطرُّفهم، وربّما لم يقصد النبي

صلى الله عليه وسلم الخروج الكامل من الدين، وإنما قصد الخروجَ من الدين الوسط، الدين بطبيعته السهلة السمحة، وبحالة اتّزانه واعتداله الذي أراده الله سبحانه وتعالى) **ثم قال: لئن أدركتهم، لأقتلنهَّم قتل ثمود)**[١].

وسيدنا علي رضي الله تعالى عنه،أول من طبَّق هذا الحكم، عندما خرجت الخوارج في عصره، واستطالوا على الناس، وبدأوا بتكفير الناس ثم قتلهم، فقاتلهم علي الخليفة الراشد الرابع رضي الله عنه كما هو معلوم من سيرته، وكانت المعركة الحاسمة ضدّهم في (نهروان).

ثم الصفات الثلاث البواقي:

- تكفير المسلمين
- إستباحة دماءِ المسلمين.
- التشدّد وعدم الإتِّزان.

ٱستنبطناها من هذين الحديثين:

أ- (..**يَقْتُلُونَ أَهْلَ الإِسْلامِ ، وَيَدَعُونَ أَهْلَ الأَوْثَانِ)**[٢].

ب- عن أنس بن مالك قال: {**جاءَ ثَلاثَةُ رهْطٍ إِلَى بيوتِ أَزْواجِ النَّبي صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّم يسْأَلُونَ عنْ عِبَادَته، فَلَمَّا أُخبِروا كأَنَّهُمْ تَقالَّوْها...**}[٣].

هذه هي الصفات الأساسية للمتطرفين والغُلاة، حسبما مابدا لي بعد التأمل في كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام، وعندما ننظر إلى المتطرفين في الواقع، نرى أن هذه الصفات تنطبق عليهم.

---

١) رواه البخاري: ٧٤٣٢، ومسلم: ٢٤٤٩، وسنن أبي داود: ٤٧٦٤، وسنن النسائي: ٤١١٢.
٢) رواه البخاري: ٧٤٣٢، ومسلم:٢٤٤٨.
٣) رواه البخاري: ٥٠٦٣، ومسلم: ١٤٠١.

ج- أسباب التطرف والغلو:

إذن: التطرف لم يكن إلا نتيجة، وبالتالي لابد له من أسباب ، فما هي أسباب التطرف التي تدفع إنساناً ما إلى أن يتطرف؟

ـــ عددتُ في الكتاب المذكور سبعة أسباب أدت إلى ظهور التطرف، وهي:

السبب الأول: ظلم القوى الكبرى بحق المسلمين:

عندما تستولي أمريكا على خيرات المسلمين، وكذلك روسيا وقبلهما: بريطانيا العظمى وفرنسا وإسبانيا ، الدول الكبرى عندما تظلم المسلمين وتستولي على بلادهم وخيراتهم وتستبِدُّ بالأمور، وعندما تضغط على حكام المسلمين، بحيث يبدو هؤلاء الحكام في نظر شعوبهم كألعوبة بيد القوى الكبرى ، هذا هو السبب الأول والمهم لنشوءالتطرف .

السبب الثاني: ظلم الأنظمة الحاكمة وتعاملها العنيف مع المواطنين، وسلب حقوقهم وحرياتهم:

قلّما ترى بلداً إسلامياً إلا والحاكم المتصرف في أموره، يستبِدُّ ويظلم ويسلب حقوق الآخرين ويدوس على كراماتهم ، وهذا أيضاً سبب آخر يستفز المسلمين ويدفعهم إلى التشدُّد، وأنا هنا لا أُبرِّرُ التطرُّفَ، لكن أُفَسرِّهُ وأُبين أسبابَهُ.

السبب الثالث: إنحراف المجتمع وابتعاده عن الإسلام وشريعته:

فعندما لا يفهم المجتمع الإسلام بصورته الصحيحة لأسباب كثيرة، تتهيَّأُ فيه أَرضيةُ الغُلوِّ والتطرف، وذلك لأن التطرف- كما قلته أكثر من مرة- حالة مرضية تنشأ في الأجواء غير الصحِّية.

ثم السبب الرابع: مضايقة الأحزاب والأنظمة العلمانية للتيار الإسلامي المعتدل،وتشديد الخناق عليه:

عندما لا يُسمح بالحالة المتزنة والمعتدلة للتيار الإسلامي ويُسَدُّ عليها الطريق، فهذا

يدفَعُ بعض الناس الى التفكير في ٱستخدام القوة ضِدَّ من يروهم أعداءً لهم ولدينهم الذي لا يَسمحون لهم بالإِلتزام به!

السبب الخامس: الإنحراف الفكري لأغلب الجماعات الإسلامية الجهادية:

وهذه حقيقة مُرَّةٌ وأنا أُقِرُّ بها، عندما أنظر في أدبيات ومناهج كثير من الحركات والجماعات الجهادية، التي تبنَّت الجهاد بحقّ أو بباطل ، بحق كما عند المسلمين في فلسطين تجاه إسرائيل، وفي كشمير والشيشان والبوسنة والهرسك في السابق، وفي كردستان عندما كنا نعاني من ظلم النظام البعثي البائد، وبباطل عندما تعيش في مجتمع مسلم، ويُسمح لك بالدعوة والتربية، وأن تعمل لتفهيم الناس وتوعيتهم وتثقيفهم.

السبب السادس: مشكلات الحياة والمعيشة:

الظروف المعيشية أيضاً لها تأثير كبير على دفع كثير من الناس نحوالغلوِّ والتطرُّف، فالناس عندما يصابون بالإحباط، والشاب الذي لا يستطيع أن يتزوج، ولا أن يحصل على سبب للإرتزاق، وتنسد أمامه جميع الطرق، يفكِّر في كلِّ شيء.

السبب السابع والأخير: الأمراض النفسية والإنحرافات السلوكية في بعض الناس:

هناك أناس منحرفون فكرياً وسلوكياً ونفسياً، وهذا ليس خاصاً بالمسلمين ، فهناك من غير المسلمين من هو مريض نفسياً كما رأينا في أمريكا وأوروبا من يقتل التلاميذ والأساتذة، ومن يسطو على الناس ، هذه الظاهرة، حالة نفسية مرضية، يُصاب بها بعض الناس، فيدفعهم الى العنف والغلوِّ.

د- آثار التطرُّف والغُلوِّ السيّئة، على الفرد والمجتمع:

تحدثت عن التطرف والمتطرفين وأسباب التطرف ،التطرف صار موجوداً فما هي الآثار الوخيمة التي يؤدي إليها التطرف في مجتمعاتنا؟

ـــ لاشك أن لأي فعلٍ ما، أثراً أو آثاراً، والتطرف كما قلنا في السابق حالة مرضية يُصاب بها بعض الأفراد، أو بعض الجماعات في أجواء غير صِحِّية ولأسباب ذكرناها، أما الآثار والنتائج التي تترتب على التطرف، فعددها في هذا الكتاب (نقض التطرف) في عشرين بنداً، وهي:

الأثر الأول: الضلال والإنحراف عن صراط الشريعة المستقيم:

هذا هو الأثر الأبرز، وجاء في حديث نبوي مبارك: {**تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما مسكتم بهما: كتاب الله وسنة نبيه**}[1]. أجل، عندما نترك التمسك بالكتاب وحي الله القاطع، وبالسنة النبوية: التطبيق والتجسيد الصحيح لهذا الوحي المبارك على أرض الواقع، نضل وننحرف ونبتعد عن الطريق.

الأثر الثاني: تشويه جمال الشريعة المتمثل في الوسطية والإِعتدال:

التطرف كما قلنا هو الإِبتعاد عن الطريق الوسط، والميل نحو الجانب، وجمال الشريعة وجمال الإسلام ورونقه، يكمن في وسطيته واعتداله واتِّزانه الذي أراده الله سبحانه وتعالى له.

الأثر الثالث: تحقير المسلمين، وتشويه الإسلام في عيون الناس:

فمن يتشدَّد ويغلو في الدين، يعتبر نفسه أنه هو الملتزم الجيِّد بالشريعة، سَيَحْتَقِرُ الذين قد يكونون خيراً منه بكثير عند الله، لكنه يتصور أنه أفضل منهم، لماذا؟ لأنه يتصور أن كلَّ من يتشدَّد أكثر، يكون أقرب إلى الله! غافلاً عن الحقيقة الكبيرة وهي أن الله

١) أخرجه مالك في الموطأ: ١٦٦١، ص٣٣١، والحاكم في المستدرك وحسّنه الألباني في مشكاة المصابيح.

سبحانه وتعالى يحب من يلتزم بشرعه ودينه، دون تفريط أو إفراط.

ومن الواضح أن تجاوز حدود الشريعة السمحاء، يُشَوِّهُ الإِسلامَ في عيون كثير من الناس، مِمن لا يعرفون الإِسلام على حقيقته.

الأثر الرابع: ترهيب الناس من الإسلام:

الناس عندما يشاهدون ممارساتٍ المتطرفين المنحرفة والمتصادمة مع الشرع الحنيف والعقل السليم، ينفرون من الإسلام وينجفلون عنه، وهذا واقعٌ مُشاهد .

الأثر الخامس: قصر العمر وعدم الدوام:

فالحالات المتزنة والمعتدلة هي التي تدوم وبإمكانها أن تستمر، لكن حالة التطرف لأنها حالة غير طبيعية وغير منسجمة مع الفطرة، دائماً تكون مؤقتة، فالتطرف دائماً عمره قصير.

الأثر السادس: التفرق والتشرذم والإِنعزال عن المجتمع:

كما حصل في جماعة (التكفير والهجرة) المصرية في سبعينيات القرن الميلادي المنصرم الذين لاذوا بالجبال وانعزلوا عن الناس وكفَّروا المجتمع، والآن داعش منقطع الصلة عن الدنيا والعالم، هو لا يعترف بالدنيا ولا الدنيا تعترف به، لايرضون بأحدٍ، ولا أحد يرضى بهم.

الأثر السابع: التعصُّب الأعمى:

عندما تنظر إلى أدبيات داعش، وأدبيات التنظيمات المتطرفة الأخرى، تراهم يتعصبون لأفكارهم وقياداتهم، والتوجيهات الصادرة من قياداتهم، تعصُّباً أعمى بدون فهم ، مع أن الرسول صلوات الله وسلامه عليه يقول {**إنما الطاعة في المعروف**} كما في صحيح البخاري، وما قاله الرسول صلى الله عليه وسلم له مناسبة وهي: أنه أرسل سرية (مجموعة من أصحابه) إلى نشاط عسكري، وهناك غضب منهم أميرهم، وكان اسمه عبدالله، فقال: أوقدوا ناراً، أو لستُ أنا أميركم، فأوقدوا ناراً، وبعد أن ارتفع لهيب النار، قال لهم: ٱدخلوها، فتردَّدوا هل يدخلونها أم لا؟ فقال أحدهم: إنما آمنا بالرسول

صلى الله عليه وسلم واتبعناه كي نتجنَّب هذه النار يوم القيامة، فكيف ندخلها بأنفسنا؟! ولما رجعوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبروه، قال {**لو دخلوها ما خرجوا منها أبداً، إنما الطاعة في المعروف**} متفق عليه[1]. والمقصود بقوله: (لو دخلوها ما خرجوا منها أبداً) أي كانوا يحترقون بها يوم القيامة أيضاً، لماذا؟ لأن الإسلام يأمر أتباعه أن يتَّبِعوا دينَ الله ويتَّبِعوا ولاة أمورهم، وهم مفتوحي العيون، وليس مغمضي العيون، يقول سبحانه وتعالى في سورة الممتحنة، بمناسبة مبايعة النساء للنبي صلى الله عليه وسلم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ ...﴿١٢﴾﴾ «الممتحنة» إذن الطاعة مشروطة بالمعروف حتى بالنسبة للرسول عليه الصلاة والسلام: (وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ) ورسول الله لا يأمر إلا بمعروف، اذن لماذا هذا القيد؟ كي يعلم من يخلفون الرسول عليه الصلاة والسلام، ويُطَبِّقون دينَهُ، من الولاة والحكام، أن طاعتهم تجب لهم فقط في حدود المعروف.

الأثر الثامن: المبالغة في التحريم:

قلت في كثير من كتبي وخطبي: إن هؤلاء الغلاة، المتطرِّفين، لايحسنون الاّ فن التحريم! فكلُّ شيء حرامٌ في الحياة، وقلَّما يوجد في قاموسهم حلال أو مباح! مع أن أئمتنا رحمة الله عليهم كانوا يتجنَّبون إطلاق كلمة: حرام، ولا يقولون: إن هذا الشيء حرام، إلا إذا وجدوا الدليل القاطع، من حيث الورود ومن حيث الدلالة .

والأثر التاسع: العُجب والغرور:

فترى المتطرفين مُعْجَبين جِداًّ بأنفِسهم ومغرورين غاية الغرور.

الأثر العاشر: إساءة الظن بالناس:

لأنَّ من ساءت فِعالُهُ ساءت ظنُونُه، كما يقول المثل.

---

١) البخاري: ٧١٤٥، ومسلم: ١٨٤٠.

الأثر الحادي عشر: العنف والخشونة، في الكلام وفي التعامل:

اذ كما يقول المثل: الجرَّة تنْضحُ بما فيها.

الأثر الثاني عشر: إلزام الناس بما لم يلزمهم به الله:

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ...﴿١٨٥﴾﴾البقرة، والمقصود بالإرادة هنا: الإرادة الأمرية الشرعية، وليست الإرادة الكونية القدرية، فالله سبحانه وتعالى أراد بنا اليسر و لم يرد بنا العسر، في شريعته المنظِّمة لحياتنا فرداً ومجتمعاً ودولة، ويقول سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖ...﴿٧٨﴾﴾الحج، وتقول سيدتنا عائشة رضي الله عنها كما جاء في صحيح البخاري ومسلم: {مَا خُيِّرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلّا اخْتَارَ أَيْسَرَهُمَا مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا}.[1] أما الغُلاةُ المتطرفون فلا ينهمكون إلا فيما يُحْرِج الناس ويُعَسِّر عليهم الحياة! على سبيل المثال: النِّقاب، اختلف العلماء في حكم النقاب منذ القدم، لكن كما بينتُ في كتابي (المرأة والأسرة في ظل الإسلام) إِنَّ النقاب ليس فرضاً مُلْزِماً للنساءِ، وأقصى ما في الأمر، أن يكون مندوباً أو جائزاً، لكن هؤلاء يُلْزِمون النساء بالنقاب، مع أن النساء في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم، -ورسول الله هو المثل الأعلى للتقوى والإلتزام- كان بعضهن ينتقبن، وبعضهن لا ينتقن.

الأثر الثالث عشر: الإبتداع في الشريعة:

وذلك بإضافة ما ليس منها ولا ينسجم معها، إليها.

الأثر الرابع عشر: تعذيب النفس في ما لايُجدي نفعاً:

ونورِدُ في هذا المجال هذا الحديث: {عَنْ أَنَس رضي الله عنه أَنَّ النَّبيَّ -صلى الله عليه وسلم- رَأَى رَجُلاً يُهَادَى بينَ رَجُلَيْنِ فَقَالَ: «مَا لَهُ؟»، فَقَالُوا: نَذَرَ أَنْ يَمْشِيَ

---

١) رواه البخاري: ٣٥٦٠، ومسلم: ٢٣٢٧.

إلى الْبـيتِ، قالَ: «فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ غَنِيٌّ عَـنْ تَعْـذِيبِ هَـذَا نَفْسَـهُ، فَمُـرُوهُ فَلْيَرْكَبْ»} كما جاء في الصحيحين(١).

كان هذا الرجل نَذَر أن يمشي للحج أو للعمرة أو للصلاة، وهو يُعَذب نفسَه ويعذِّب ابنيه! ويتخيَّلُ أنه يتقربُ بعمله هذا، الى الله!

الأثر الخامس عشر: تضييع الحقوق:

عندما يُفْرِطُ الإنسانُ في جانب، يُسَبِّبُ هذا تفريطاً في جانب آخر، الإفراط دائماً في مقابله تفريط، والغلو دائما في مقابله تضييع، وفي هذا المجال هناك حوار جرى بين أبي الدرداء وسلمان الفارسي، وفي النهاية، يقول سلمان لأبي الدرداء رضي الله عنهما:

{ إنَّ لِرَبِّك عَلَيْكَ حقًّا، وَلِنَفْسك عَلَيْكَ حقًّا، وَلِأَهْلك عَلَيْكَ حقًّا، فَأَعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ، فَأَتَى النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرَ ذَلِك لَهُ، فَقَالَ النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: صَدَقَ سَلْمَانُ}(٢).

الأثر السادس عشر: قتل المسلمين:

لأن من يُكفِّر المسلمين، يستبيحُ قتْلَهم، وإن كان كل الكفار ليسوا مستباحي الدم، لكن هؤلاء يكفِّرون المسلمين أولاً، ثم يستبيحون دماءهم ،مع أنّه ليس كل كافرٍ مباح الدم، بدليل أن الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ١٩٠﴾البقرة، فإذا لم تَجُزْ مقاتلة غير الذين لايقاتلون، فكيف يجوز قتلهم؟ لأنك ربما تقاتل أحداً من الصباح إلى المساء، ولا تتمكّنُ من قَتْلِهِ، فإذا لم تَجُزْ مقاتلته، فمن الأولى أن لا يجوز قَتْلُه، وهذا بالنسبة للكفار الذين كفرهم معلوم وواضح.

١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ برقم: (١٧٦٦)، وَمُسْلِمٌ برقم: (٤٣).
٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ برقم: (١٩٦٨)

الأثر السابع عشر: الإِبتعاد عن الله:

مَنْ يتَّصف بهذه الصفات السيئة، فمن المؤَكَّدِ أن يكون بعيداً عن الله سبحانه وتعالى، لأنه ليس لأحدٍ من البشر نسبة إلى الله، إلا نسبة العبودية، ولا يملك أحدٌ حقَّ الفيتو أمام الله سبحانه وتعالى، وشرعه.

الأثر الثامن عشر: الصيرورةُ شرَّ الناس:

بالنتيجة: يصبح هؤلاء الغلاة المتطرِّفون: شرَّ الناس، واستنبطت هذا من قول الرسول صلى الله عليه وسلم في الخوارج: (**هم شر الخلق والخليقة**) وفي حديث آخر أيضا في صحيح مسلم:[1] (**هم شرُّ الخلق أو من أشرِّ الخلق**).

الأثر التاسع عشر: تكفير المسلمين:

ونُمثِّلُ في هذا المجال: بالخوارج، والجهمية، والرافضة، والتكفير والهجرة (في سبعينيات القرن الماضي في مصر) وداعش، والميليشيات الشيعية، في سوريا والعراق، المكفِّر لغيرها لغيرها من المسلمين.

الأثر العشرون: الهلاك:

لا شك أن من يكون هكذا، يَهْلِك، وقد قال الرسول عليه الصلاة والسلام: ((**وإياكم والغلوَّ في الدين، فإِنَّما أهلك من كان قبلكم: الغلوُّ في الدين**))، كما جاء في مسند أحمد وابن خزيمة وسنن ابن ماجه والحاكم في المستدرك، وكذلك قال الرسول: ((**هلك المتَنَطِّعون**))[2]، و(المتنطعون) فسَّره النووي بقوله: (**المتعمِّقون المغالون، المجاوزون للحدود في أقوالهم وأفعالهم**)[3].

هذه هي الآثار والعواقب الوخيمة للتطرف والغلوِّ، وكما قلت: إنني سَرَدْتُ بٱجتهادي عشرين أثراً سيئاً، وبالإمكان أن نضيف إليها آثاراً و نتائج سيئةً أخرى.

---

١) برقم: (٢٤٥٣).

٢) رواه مسلم: ٢٤٧٠، وأبوداود: ٤٦٠٨

٣) شرح صحيح مسلم، ج١٦ ص٢٢٠

٢٢

الجهادُ والقتالُ في سبيل الله: إِزالة غموض وتصويب أخطاء

كثيراً ما ترفع التنظيمات الإِسلامية المتصدِّية للواقع لتغييره وتقويمه، شعار الجهاد، فماهو المفهوم الحقيقي الصحيح للجهاد في سبيل الله، اذ حدث في هذا المجال خلْط والتباس شديد، وحصلت إِشكالات كثيرة؟

ـــ الجهاد في الأصل اللغوي هو: (بذل الجهد أو بذل أقصى ما في الوسع لمرضاة الله سبحانه وتعالى) هذا هو المعنى اللغوي والمعنى الشرعي، إذْ عندما يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ... ﴿٧٨﴾﴾الحج، لا يُقصد هنا بكلمة الجهاد: القتال، لأن هذه الآية في سورة الحج، وسورة الحج مكية، وكذلك عندما يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ... ﴿٦﴾﴾العنكبوت، هذه الآية في سورة العنكبوت، وهي مكية أيضاً، ويقول تعالى: في السورة الفرقان: ﴿وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ(أي جاهد المشركين بالقرآن)جِهَادًا كَبِيرًا ... ﴿٦﴾﴾-٥٢-، وهذا يقصد به الجهاد الكلامي والجهاد التبليغي ، إذن: كلمة الجهاد يقصد بها: بذل الوسع والسعي لإرضاء الله سبحانه وتعالى، وذلك من خلال الإِلتزام بالشريعة، ومن خلال تبليغ هذه الشريعة للناس وتفهيمهم إياها، وجعلهم يلتزمون بالشريعة طواعية ،لأنه لا إكراه في الدين.

لكن كلمة الجهاد في السور المدنية،بالإضافة الى المعنى الذكور، استعملت بمعنى: القتال أيضاً، أي: إنَّ المعنى اللغوي الواسع لكلمة الجهاد، باق في اللفظ، لكن أُضيف الى معناها الأصلي، معنى القتال أيضاً.

فما معنى القتال في سبيل الله ؟ القتال يعني: (أن تقاتِلَ من أباح الشرعُ قتالَهم)، الشرع يبيح قتال مَنْ؟ يقول سبحانه وتعالى في الآية رقم (١٩٠) في سورة البقرة:

﴿ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ١٩٠ ﴾البقرة، والمفسرون يقولون: (ولا تعتدوا) أي: لا تقاتلوا من لا يقاتلكم.

وفي سورة النساء في سياق الحديث عن قتال الكفار، يقول سبحانه وتعالى: ﴿ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَخُذُوهُمۡ وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡۖ وَلَا تَتَّخِذُواْ مِنۡهُمۡ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرًا ٨٩ إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوۡمِۢ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٌ أَوۡ جَآءُوكُمۡ حَصِرَتۡ صُدُورُهُمۡ أَن يُقَٰتِلُوكُمۡ أَوۡ يُقَٰتِلُواْ قَوۡمَهُمۡۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمۡ عَلَيۡكُمۡ فَلَقَٰتَلُوكُمۡۚ فَإِنِ ٱعۡتَزَلُوكُمۡ فَلَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ وَأَلۡقَوۡاْ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمۡ عَلَيۡهِمۡ سَبِيلٗا ٩٠ ﴾النساء.

إذن: الكفار المرتبطون بطرفٍ له ميثاق مع المسلمين، لايجوز قتالهم، وكذلك من لا يرغبون في قتال المسلمين، ولا في قتال قومهم أي: المحايدون، كذلك لا يجوز قتالهم، والرسول صلوات الله وسلامه عليه طبَّق هذه القاعدة القرآنية في كل سيرته، إذ لم يبدأ أحداً بقتال، وإنما كان كل حركاته العسكرية تدخل تحت تعريف الدفاع عن النفس والدفاع عن الكيان الإسلامي، بدءاً بغزوة بدر، ومروراً بأُحد، وحُنين، وفتح مكة، وحتى غزو الروم، والذي سماه الله سبحانه وتعالى ساعة العسرة (غزوة تبوك) اذ عندما سمع النبي الخاتم بأنّ الروم يحضِّرون أنفسهم للهجوم على الدولة الفتية، بادَهم بالهجوم، لأن الهجوم خير وسيلة للدفاع، وأنا لا أقول: أنه لا يوجد في الإسلام إلا

الحرب الدفاعية بالمعنى المصطلح اليوم، لكنّي أقولُ: إنّ الرسول عليه الصلاة والسلام في سيرته المباركة، لا نجِدُ أنه تصدّى لطرفٍ ما بالقتال، إلا إذا كان مدافعاً عن نفسه، أو رداً لٱعتداء، أو إجهاضاً لسعيٍ ما في الهجوم على الدولة الإسلامية، والخلفاء الراشدون رضي الله عنهم كذلك استمروا على ما سار عليه الرسول صلى الله عليه وسلم، نعم، فيما بعد حدثت معارك وحروبٌ خرجت عن هذه القاعدة، وكانت من أَجل الغنائم وأَخْذِ الأسرى والسبايا في زمن الأمويين والعباسيين والعثمانيين، ولكن الأخطاء لا تحسب على أي دين أو منهج، وإنما يحسب عليه التصرفات الصادرة عنه، أما التصرُّفات التي تتصادَمُ معه وتُناقِضُهُ، فلا تحسب عليه.

كان الرسول يوصي ويصدر تعليمات لقادته قبل الخروج لأي غزوة، منها: لا تقطعوا شجرة ولا تقتلوا صبياً، كان هناك شروط وتعليمات يُصْدِرُها الرسولُ للمقاتلين.

ـــ نعم هناك أحاديث كثيرة منها هذا الحديث: (**عن ابن عمر: ان امرأةً وجدت في بعض مغازي النبي، فأنكر رسولُ الله قتْلَ النساء والصِّبيان**)[1]، فهو التزم قول الله سبحانه وتعالى ﴿ وَقَـٰتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ ﴾ فمن لا يقاتِلُ لا يُقاتَلُ، ونهى رسول الله عن قتل الصبية والنساء والأجراء وقطع الشجر، وسار على هذا المنوال الخلفاء الراشدون رضوان الله تعالى عنهم ، وهذه إحدى وصايا أبي بكر رضي الله عنه لقادة جيوشه:

١- لا تقتلوا امرأة.

٢- ولا وليداً

٣- ولاراهباً.

٤- ولا عسيفاً (أي أجيراً).

١) متفق عليه، رواه البخاري ٣٠١٤، ومسلم: ١٧٤٤

٥- ولا تقطعوا شجرة مثمرة.

٦- ولا تمثلوا بجثث الأعداء

٧- ولا تقتلوا دابة الا لمأكلةٍ

٨- ولا تغدروا

٩- ولا تَغُلّوا (لا تسرقوا من الغنائم)

١٠- ولا تجبنوا...[١]

ولكن التنظيمات الإرهابية المتطرفة تقول وتدعي أن الرسول عليه الصلاة والسلام بُعث بالسيف، هناك بعض الأحاديث نود منك أن توضّح حكمها ومعناها!

ــ تحدثت في هذا الكتاب (نقض التطرف) عن هذا الموضوع، وههنا أقول، أولاً: هناك آية سُميت بآية السيف، وأنا نقضت هذا الإسم من الأساس، لأنه لا توجد في القرآن كلمة سيف مطلقاً، توجد كلمة (أسلحة)، لكن لا توجد كلمة (سيف) أصلاً، كلمة السيف لم تستعمل في القرآن، أما الآية التي تُسمّى (آية السيف) والتي هي الآية الخامسة من سورة التوبة، فهذا نصُّها: ﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍۚ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ ﴾التوبة، قال بعض العلماء: إن هذه الآية -والتي سَمّوْها ظلماً بآية السيف- نسخت مائة وأربعين (١٤٠) آية، وهي كل الآيات التي تأمر بالحكمة والعفو والصفح والإحسان... وغير ذلك من الصفات!! وهذه الصفات هي صفات أساسية لايمكن أن تنسخها آية، ورأيي أنه لا يوجد نسخ في القرآن بشكل مطلق، لا توجد آية الآن يمكن أن نعتبَرها منسوخةً، وقد

١) البيهقي في سننه الكبرى: ١٧٩٠، والطحاوي: شرح مشكل الآثار (٣/١٤٤)، وابن عساكر: تاريخ دمشق (٢/٧٥).

أَلَّفتُ تفسيراً باللغة الكوردية وصلت فيه إلى سورة (الكهف) (خمسة عشر جزءً) وهي تشتملُ على مُعظم السور المدنية التي تحتوي على أحكام، وما لقيت آية، تضطرنا أن نقول: إن هذه الآية منسوخة، أو ناسخة، لأننا نضطرّ الى النسخ، عندما تتعارض آيتان، فإذا لم نجد تعارضاً، فلا مبرِّر للقول بالنَّسخ، وهذا بحث يطول.

وبالنسبة لهذه الآية والتي سميت: آية السيف، إذا نظرنا إلى سوابقها ولواحقها، من الآيات، ونظرنا إليها في سياقها، نجد أنه لا مُبَرِّر أن نسميها آية السيف، وأنّها نسخت كذا وكذا آية!! والآن أقرأ لك الآيات من بدايتها:

﴿ بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١ فَسِيحُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَرۡبَعَةَ أَشۡهُرٖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُمۡ غَيۡرُ مُعۡجِزِي ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخۡزِي ٱلۡكَٰفِرِينَ ٢ وَأَذَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوۡمَ ٱلۡحَجِّ ٱلۡأَكۡبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ وَرَسُولُهُۥۚ فَإِن تُبۡتُمۡ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُمۡ غَيۡرُ مُعۡجِزِي ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ٣ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ثُمَّ لَمۡ يَنقُصُوكُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَمۡ يُظَٰهِرُواْ عَلَيۡكُمۡ أَحَدٗا فَأَتِمُّوٓاْ إِلَيۡهِمۡ عَهۡدَهُمۡ إِلَىٰ مُدَّتِهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ٤ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلۡأَشۡهُرُ ٱلۡحُرُمُ فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ وَخُذُوهُمۡ وَٱحۡصُرُوهُمۡ وَٱقۡعُدُواْ لَهُمۡ كُلَّ مَرۡصَدٖۚ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٥ ﴾التوبة.

وواضح من الآيات المباركة أن المقصود بالآية المباركة رقم (٥)، هو مقاتلة ومحاربة المشركين غيرالملتزمين بالعهد مع المسلمين، لأن الله سبحانه وتعالى يقول في الآية السابقة: ﴿ ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ثُمَّ لَمۡ يَنقُصُوكُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَمۡ يُظَٰهِرُواْ عَلَيۡكُمۡ أَحَدٗا (يعني لم يقاتلوكم مباشرة أو يعاونوا من يحاربكم) فَأَتِمُّوٓاْ إِلَيۡهِمۡ عَهۡدَهُمۡ إِلَىٰ

مُدَّتِهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾ سمّى الله الملتزمين بالعهود مع الكفار: المـــتقين، أي: إِن عدم الإِلتزام بالعهود والمواثيق مع المشركين، يناقض التقوى.

وقال تعالى في الآية التالية لهذه الآيات الخمس: ﴿ وَإِنۡ أَحَدٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبۡلِغۡهُ مَأۡمَنَهُۥۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَعۡلَمُونَ ٦ ﴾التوبة.

كما نرى: يقول الله سبحانه وتعالى: وإن أحد من المشركين طلب منـــك الجـــوار والتجأ إليك حتى يفهـــم الإســـلام، (فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ)، أي: حـــتى يفهـــم الإسلام، فأشرحوا له الإسلام (ثُمَّ أَبۡلِغۡهُ مَأۡمَنَهُۥ) أي: إذا لم يقتنع بالإسلام، فأنت مُلْزَمٌ بأن ترجعه إلى المكان الذي يأمن فيه (ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَعۡلَمُونَ) طالما أنـــه لا يعلـــم الإسلامَ، فيجب أن تُفْهِمَه، فإذا اقتنع، اقتنع، وإذا لم يقتنع، فأنت مُلْزَمٌ أن ترجعـــه الى مكانه! أين استباحة دماء كل المشركين والكفار إِذن؟ لا، المشركون والكفار الذين يجوز قتالهم، هم الذين لا يلتزمون بالعهود والمواثيق مع أهل الإسلام.

وحتى في الآية السابعة – من سورة التوبة- يقول سبحانه وتعالى مخاطباً نبـــيه الخاتم: ﴿ كَيۡفَ يَكُونُ لِلۡمُشۡرِكِينَ عَهۡدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمۡ عِندَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۖ فَمَا ٱسۡتَقَٰمُواْ لَكُمۡ فَٱسۡتَقِيمُواْ لَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ٧ ﴾التوبة، فالكفار الذين يستقيمون على العهود ويلتزمون بها، يجـــب أن تستقيم لهم، وتلتزم بالعهد المبرم بـــينك وبـــينهم.

وبالنسبة لحديث: (**بعثتُ بـــينَ يديِ السَّاعة بالسَّيفِ، حتَّى يُعبـــدَ اللهُ وحـــدهُ لا شريكَ لَه، وجُعل رزقِي تحتَ ظِلِّ رُمحي، وجُعلَ الذِّلَّةَ والصَّغارَ عَلى مَن خَالفَ أمرِي،**

ومَن تشبَّه بقومٍ فهوَ منهُم)[(١)]، نقول:

أولاً: الحديث من حيث السند: قال بعض العلماء: إن هذا الحديث حسن أو صحيح، مثل: أحمد شاكر والألباني ، وقال آخرون من المحققين في السنة: بأنه ضعيف، مثل: شعيب الأرناؤط، ومحمد بن نعيم، والعرقسوسي، وإبراهيم الزيبك، الذين قاموا بتخريج المسند لأحمد، وقالوا: إن إِسناده ضعيف، وهناك تفاصيل حول سبب الإِختلاف.

ثانياً: الحديث من حيث المتن: لم يذكر الله سبحانه وتعالى في القرآن العظيم: أنه أرسل رسوله الخاتم محمداً صلى الله عليه وسلم بالسيف، بل ذكر أنه أرسله بالقرآن العظيم وبالهدى:

١- يقول سبحانه وتعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ﴾ وهذا جاء في ثلاث آيات من: سورة التوبة: ٣٣، وسورة الفتح: ٢٨، وسورة الصف: ٩.

٢- ويقول سبحانه وتعالى في سورة الأنبياء: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةً لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧ ﴾، والسيف ليس رحمة بل نقمة وبلاء على العالم.

٣- ويقول تعالى في سورة يونس: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحۡمَةٌ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ٥٧ ﴾.

٤- ويقول في سورة النحل الآية ٨٩: ﴿ وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنًا لِّكُلِّ شَىۡءٍ وَهُدًى وَرَحۡمَةً وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ٨٩ ﴾.

٥- وفي سورة البقرة: ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ... ١١٩ ﴾.

---

١) رواه أحمد وصححه الألباني.

إذن: لم يُبعث الرسول عليه الصلاة والسلام بالسيف على العالم، إنما بُعث بكتاب الله الذي هو هدىً وشفاءٌ وموعظة ورحمة!! وقال صلى الله عليه وسلم في حديث صحيح: ((إِنَّمَا أَنَا رَحْمَةٌ مُهْدَاةٌ))[1].

وهكذا نرى أن الفهم المعوج لبعض الآيات والأحاديث، هو السبب الرئيس للإنحراف الفكري للغلاة والمتطرِّفين، ثم انحرافهم السلوكي على مستوى الفرد والجماعة.

ثم ان هذا الحديث من حيث السند –كما ذكرنا- حولَه اختلاف كبير بين العلماء، ولكن حتى لو ثبت قوله صلى الله علية وسلم (بعثت بالسيف) فالسيف على مَنْ؟ من الجلي: أنَّه على مَنْ يعادي الإسلام والمسلمين، لأن الآية المباركة تقول:

﴿ وَقَٰتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ.... ﴿١٩٠﴾ ﴾البقرة.

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ .... ﴿١٩٤﴾ ﴾البقرة.

إذن من لم يعتدِ علينا، لايجوز لنا أن نعتدي عليه، والمقصود بالإعتداء هنا، هو ردُّ الإعتداءِ والظلم، وردُّ الإعتداء ليس اعتداءً، كما أن ردَّ الظلم ليس ظلماً، ولكن الله تعالى إنما سمّاه آعتداءاً –كما يقول علماء العربية- للمشاكلة، وذلك مثل قوله تعالى:

﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ ﴾النساء.

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ ﴾الطارق.

وقوله تعالى: ﴿ وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾آل عمران.

---

١) أخرجه الدارمي وابن أبي شيبة بسند صحيح، وتحدثنا عن سنده قبلُ في المحور رقم (٧).

٢٣

أسس التسامح والتعايش في القرآن الكريم

إن عالم الدين يجب أن لا يحصر نفسه في الحديث عن القضايا التي تحدث عنها كثيراً علماء الدين طوال العقود الماضية، بل عالم الدين يجب أن يكون مواكِباً للعصر الذي يعيش فيه، وأن يتطرق إلى كل ما يهم مجتمعه، وأن يكون لديه إلمام كامل بما يطرح نفسه في عصره الذي يعيش فيه، وهناك مصطلحات كثيرة باتت تسيطر علينا في هذه الأيام، منها: العولمة، الإرهاب، الديمقراطية، حقوق الإنسان، العلمانية... الخ، كما جاء في كتابكم: (مسائل عصرية رائجة)، في البداية نسأل: ما الذي دفعك لتأليف مثل هذا الكتاب؟

– هذا الكتاب (**مسائل عصرية رائجة**) كتبته كله في ضوء القرآن والسنة كعادتي مع كتبي، وهذا الكتاب يحتوي على ستة مواضيع، خمسة مواضيع منها، كانت محاضرات أُلقيت في قاعة (الثقافة والجماهير) في مدينة السليمانية، بين سنتي: ٢٠٠١ و٢٠٠٢، والموضوع الآخر (أسس التسامح والتعايش في القرآن الكريم) موضوع كتبته في أحد كتبي: (**مسائل سياسية عصرية في ضوء العقل والنقل**) فاستَلَلْتُ هذا الموضوع من ذاك الكتاب، وَأَضفته إلى هذا الكتاب، في طبعته السادسة باللغة الكوردية، وطبعته الثانية باللغة العربية.

وكان دافعي لإلقاء هذه المحاضرات، ثم جمعها في كتاب –هو كما أشرت في حديثك التمهيدي– أن الإسلام جاء ليقود الحياة، وأن الإسلام جاء كوحي الله سبحانه وتعالى

وهداه للبشرية، ينير للبشر دروب الطريق، ليس فيما مضى من الزمن فحسْبُ، وإنما الآن وبعد الآن، لأنه بعد نبـــي الله الخاتم محمد صلوات الله وسلامه عليه، ورسوله الأعظـــم ونوره الأتم، انسد باب النبوة والوحي، وبعد كتابه الخاتم القرآن الكريم، انقطع الوحي، فجاء الرسول عليه الصلاة والسلام لكل الأزمان، وأنـــزل الله سبحانه وتعالى القـــرآن الكريم للبشرية جمعاء، على مر العصور، لذا من الظلم والبخس من قِبَلِنا بحـــق القـــرآن، وبحق النبـــي الخاتم صلى الله عليه وسلم أن نحصرهما في عصرٍ محدَّد، ومجتمع واحد، وفي بـــيئة معينة، يقول سبحانه وتعالى، بالنســـبة للنبـــــي الخـــاتم: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَـذِيرًا ...﴿٢٨﴾ ﴾سبأ.

ويقـــول ســــبحانه وتعـــالى: ﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴿١٥٨﴾ ﴾الأعراف.

ويقول سبحانه وتعالى بالنسبة للقرآن الكريم: ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ ﴾التكوير.

فكل من النبـــي الخاتم، والقرآن الكريم جاء للبشرية جمعاء، لذا على أهل الإســـلام عامَّةً، وخصوصاً العلماء منهم، في كل عصرٍ ومصر، أن يتأمّلوا في كتاب الله ســـبحانه وتعالى وفي سيرة النبـــي وسنته المشرَّفة، ويستنبطوا منهما مـــا يحتاجونـــه في حيـــاقم الشخصية والأسرية والإجتماعية والسياسية، حتى يسيروا على نـــور مـــن الله ســـبحانه وتعالى، إذ الله سبحانه وتعالى جعلنا على هذه الأرض، كي نعيش كما يُرْضيه ســـبحانه وتعالى، وإذا أمضينا حياتنا حسب مرضاة الله، وذلك بـــالإلتزام بكتابـــه وبشـــريعته، والإقتداء بالنبـــي الخاتم، نسعد في الدّنيا، ونكون في الأخرى من الفائزين والمفلحين.

ويحتوي هذا الكتاب –المذكور– على ستة مواضيع مهمة، أولها: أســـس التســـامح والتعايش في القرآن الكريم. ثم قضية حقوق الإنسان، ثم قضية الإرهاب، ثم قضية العولمة، ثم العلمانية، وأخيراً الديمقراطية، وهي قضايا يدور الحديث حولها في هذا العصر كـــثيراً،

فهي قضايا ساخنة ومهمة، يجب أن نتناولها بالبحث والدراسة، ما هو موقف الإسلام من هذه القضايا؟ كان هذا هو الدافع لتأليف هذا الكتاب.

نحن نعيش في وقت يشهد تراجعاً لقيم التسامح والتعايش في المجتمعات ، القرآن الكريم وضع أسساً راسخة في هذا المجال، فما هي أهم هذه الأسس التي وضعها القرآن الكريم ؟

ـ فعلاً في هذا العصر نحن بأمس الحاجة، إلى أن يتسامح بعضنا مع بعض، وأن نتعايش وأن نتعاون ونتضامن، وقد جاء في الحديث النبوي الشريف: ((**أَحَبُّ الدِّينِ إلى اللَّهِ الْحَنِيفِيَّةُ السَّمْحَةُ**))[1]، فما المقصود بالحنيفية؟ الحنيفية كما يقول علماء اللغة المتخصِّصون: من (الحنف) وهو الميل من الباطل كله إلى الحق، والسَّمْحَةُ من السَّمحْ، ومنه السماحة، وهي بمعنى اليسر والعطاء والسخاء والموافقة والإنسجام، كما جاء في قواميس اللغة.

وقد انتخبتُ خمسة عشر أصلاً أو أساساً، كأسس التسامح والتعايش في القرآن الكريم، وسأسرد هذه الأسس، لكن بداية أقول: كلُّ من يدَّعي: أَنَّنا يجب أن نتمتع بالسماحة واليُسْرِ والإِنسجام والتآلف، بعضنا مع بعض، كل من يتحدث بهذا، ثم لا يضع أسساً وأصولاً لتحقيق هذه الغاية، فكلامه ليس له حقيقة، الرسول الخاتم محمد صلى الله عليه وسلم عندما يقول: (بُعِثْتُ بِالْحَنِيفِيِّةِ السَّمْحَةِ) أو يقول: (**أَحَبُّ الدِّينِ إلى اللَّهِ الْحَنِيفِيَّةُ السَّمْحَةُ**) وأحبُّ الدين هنا يعني: (أَحَبُّ التديّن)، لأن دين الله سبحانه وتعالى واحد، لذا هناك سياقات عندما تأتي كلمة (الدين) فيها تعطي معنى: التديُّن والتعبُّد، وليس الدين الذي يتضمنه القرآن والسنة، فمثلاً عندما يقول: الرسول عليه الصلاة والسلام [**الدِّينُ النَّصِيحَةُ**]، هل الدين هنا بمعنى القرآن والسنة ؟ لا، الدين هنا يعني: التديُّن، فالتديُّن الصحيح في ميزان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو (النصيحةِ)

١) رواه البخاري في الأدب المفرد(ص/١٠٨رقم٢٨٧)، ورواه الإمام أحمد في المسند(١/٢٣٦).

ثم جاء في تتمَّة الحديث على لسان الصحابة: (قُلنا: لِمَنْ؟ قَالَ: لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ)[1]، أي أن تكون مخلصاً وحريصاً على إرضاء الله سبحانه وتعالى، وعلى خدمة كتاب الله سبحانه وتعالى ، لأن النصح هو إرادة الخير للمنصوح ، وعلى إرضاء الرسول عليه الصلاة والسلام بإتِّباع سنته والإخلاص له، وكذلك الحرص على إرضاء أئمة المسلمين العادلين الملتزمين بالشريعة، بل وعامة المسلمين.

وهذه الأصول الخمسة عشر أو الأسس الخمسة عشر، هي:

الأساس الأول: الله سبحانه وتعالى هو وحده الخالق والرب والمالك للعالمين:

الله سبحانه وتعالى هو وحده خلق كلَّ البشر وهو الذي رباهم ويربيهم، وهو مالكم وملكهم، ولا أحد غير الله سبحانه وتعالى يشاركه في الخالقية والربوبية والمالكية، وهذه الحقيقة أكدها آيات كثيرة جداً، منها، في بداية سورة الفاتحة المباركة:

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾) لم يقل سبحانه وتعالى: الحمد لله رب المسلمين! وهذه الكلمة المباركة تكررت في القرآن الكريم في آيات كثيرة، والمقصود بالعالمين، ليس هو عالم البشر فقط، بكل أجياله المتعاقبة، بل يشمل مفهوم هذه الكلمة: عالم الملائكة، وعالم الجن، وعالم الجماد، وعالم النبات، وعالم الحيوان، فالله سبحانه وتعالى، هو رب الجميع وخالق الجميع، ومعنى هذا الأساس الأول: بما أن الله سبحانه وتعالى هو الذي خلقنا جميعاً، وليس كما تقول بعض الخرافات المجوسية، بأن هناك خالقاً للشر وخالقاً للخير، أو الفلسفة الهندوسية التي تقول: إنَّ الله سبحانه وتعالى خلق بعض البشر من رأسه، وبعضهم من صدره، وبعضهم من رجله! بل الله سبحانه وتعالى هو وحده الذي خلق البَشَرَ كلَّهم سواءً، وهو خالقهم وربهم ومالكهم ، إذن لا امتياز لأحد على أحد من حيث مصدره الذي جاء منه ، الكل خلقه الله سبحانه وتعالى، والكلُّ ربّاه الله، والكل مالكه الله سبحانه وتعالى.

---

١) رواه مسلم:٥٥.

يقول تعالى في سورة الشورى الآية (١٥): ﴿ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْۖ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡ ﴿١٥﴾﴾.

ويقول في سورة الجاثيـــة: ﴿فَلِلَّهِ ٱلۡحَمۡدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلۡأَرۡضِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلۡكِبۡرِيَآءُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾الجاثية.

ومما لاريب فيه أن هذه الحقيقة تُشعِرُنا بقرب بعضنا من بعض، هذا المخلوق، ســـواء كان إنساناً، أو حيواناً، أو مدراً، أو حجراً، أو جناً، أو ملكاً: خالقه الله سبحانه وتعالى الذي هو خالقي، وربه الله الذي هو ربـــي أيضاً ،ومالكه الله الذي هو مالكي، وهـــذا الإعتقاد والشعور يجعل المخلوقات بعضها تُحسُّ بالقرب من بعض، على مستوى الخلـــق كله، وخاصة على مستوى بني آدم المكرَّمين عندالله رب العالمين، وبالتالي: يُصْبِحُ إدراك هذه الحقيقة: أساساً مهماً من أسس التسامح والتعايش في المجتمع.

الأساس الثاني: البشرية كلها أسرة واحدة:

وهذه الحقيقة أيضاً كُرِّرت في آيات كثيرة، فمثلاً في سورة الحجـــرات الآيـــة (١٣) يقـــول الله تعـــالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴿١٣﴾﴾، وعندما يقول ســـبحانه وتعالى: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ) أي من والد ووالدة، من أب وأم، إذن نحن أولاد أسرة واحدة، ذكوراً وإناثاً.

ويقول تعالى في سورة النســـاء: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا ... ﴿١﴾﴾، والمقصود بـــ(خلق منها زوجها) ليس هو الفهم الخـــاطئ الذي فهمه بعض المفسرين، بأن الله سبحانه وتعالى خلق حواء مـــن جســـد آدم! بـــل المقصود بهذا في القرآن الكريم: أنَّ حَّواءَ من جنس آدم، والدليل على هذا أن الله سبحانه وتعالى استعمل ضمير المؤنث فقال (خلق منها) أي من نوع النفس وذات النفس الـــتي

خلق منها أدم، ولو كان المقصود أن حواء خُلقت من جسد آدم، لقال (خلق منه)، والروح أو النفس لا تتجزأ، وليست مثل البدن.

هذا أولاً، ثانياً: بعض العلماء يقولون: إن حوَّاءَ خُلقت من ضِلْعٍ من الجانب الأيسر من آدم، وهذا وارد في التوراة فقد جاء في سفر التكوين: (أنّ آدم نام فلما استيقظ وجد عنده امرأةً وسُميت امرأة، لأنها من المَرِءْ) يوجد هذا في التوراة،[1] والتوراة دخلتها خرافات ومبتدعات كثيرة، ولكن في كتاب الله سبحانه وتعالى المحفوظ (القرآن) لاتوجد آية تدلُّ على هذا، ولو دلت آية النساء على ما ذكره بعض العلماء، لَلَزِمَ حسب آية (الروم) خلود كل الزوجات من أزواجهن، يقول سبحانه وتعالى في سورة الروم:

﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾، فهل زوجتك وزوجتي خلقن مِنّا؟ لا، إذن: المقصود ب(خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا) أي من نوع أنفسكم، إذْ الذكر والأنثى من نفس النوع، من حيث النفس والروح.

القصد من هذا الأساس: أن البشرية كلها أسرة واحدة، وهذا ما يجعل الناس بعضهم يتعاطف مع بعض، ويقترب بعضهم من بعض.

الأساس الثالث: كل البشر خُلقوا لحكمة واحدة، وهي العبادة لله سبحانه وتعالى:

يقول سبحانه وتعالى في سورة الذاريات الآية (٥٦): ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾، كل الإنس والجن خُلقوا لتحقيق هذه الغاية المباركة، وهي العبودية لله سبحانه وتعالى، والعبودية لله تنقذ الناس من استغلال بعضهم بعضاً، فالتوحيد المناقض للشرك هو أساس التحرّر، وأساس العزة والكرامة ، كما يقول (محمد إقبال) في أحد أشعاره: (وسجدة لله الأحد تنجيك من ألف سجدة للعبيد)، يعني: الإنسان يَتَحَرَّر

١) التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، العهد القديم، سفر التكوين، الإصحاح: ٢، ص١١.

بالعبودية لله سبحانه وتعالى. أنت ما دمت عبداً لله، فأنت مساو لغيرك، أياً كان هذا الغير، ولست أنزل منه رتبة.

الأساس الرابع: حياة الدنيا محل للإبتلاء، وليست للثواب والعقاب:

وهذه الحقيقة: أن الحياة الدنيوية محل الإبتلاء والإمتحان، وليست محل الثواب والعقاب، مهمة جداً لتأسيس المجتمع على التعايش والتسامح والإحترام المتبادل، يقول سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾﴾ الكهف.

ويقول في سورة الملك: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٢﴾﴾ الملك.

ويقول سبحانه في سورة(هود): ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ...﴿٧﴾﴾ هود، إذن: ليست الكرة الأرضية وحدها، بل الكون كله، بمثابة قاعة امتحان للإنس والجن، وهذا يجعلنا أن يتعامل بعضنا مع بعض، أننّا طلاّب في قاعة لأداء الإمتحان، ولسنا في غابةٍ يتسلّط منها القوي على الضعيف!!

الأساس الخامس: قسم الله الحكيم الناسَ بإرادته، إلى أهل الإيمان وأهل الكفر:

يقول سبحانه وتعالى في سورة التغابن: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢﴾﴾ التغابن، فالله سبحانه وتعالى بإرادته الحكيمة، أراد أن تنقسم البشرية وتتوزَّع على أهل الإسلام وأهل الكفر، حسب ما يختارون بإرادتهم الحرة، فالله سبحانه وتعالى ما أجبر أحداً على الكفر، كما أنه ما أجبر أحداً على الإيمان، بل أطلق أيديهم: فمنهم من اختار الكفر، ومنهم من اختار الإيمان، لكن أن ينقسم الناس إلى أهل الكفر وأهل الإيمان، هذا كان بإرادة الله سبحانه وتعالى، لذا لا يجوز لأحدٍ أن

يفكر مجرد تفكير -فكيف أن يمارسه- في أن يمحو أهل الكفر، أو أن يمحو الكفر من على وجه الأرض، لأن الله سبحانه وتعالى هو الذي أراد ذلك، وقدَّم أهل الكفر، فقال: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ﴾، وهذا يجعل الناس، أو يجعل المسلمين، أن يقبلوا بأهل الكفر كواقع وحقيقة مفروضة نابعة من إرادة الله سبحانه وتعالى الحكيمة، وألاّ يفكِّروا مجرَّد تفكير بأن يُزيلوا أهلَ الكفر ويبيدوهم.

الأساس السادس: جعل الله سبحانه وتعالى ثواب الإيمان والإحسان، وعقاب الكفر والعصيان في الآخرة، وليس في الدنيا:

فالدنيا ليست محل تصفية الحسابات وإنزال الثواب والعقاب على الآخرين.

يقول سبحانه وتعالى في سورة الحج: ﴿ وَإِن جَٰدَلُوكَ فَقُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٦٨﴾ ٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾الحج، ﴿ ٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ أَجَلْ: الحُكْمُ بين الناس يكون يوم القيامة، والحَكَمُ هو الله وليس غيره.

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾ ﴾الحج، إذن: لا يجوز أن يفكِّر أحدٌ أن يُصَفِّي حساباته مع طرف ما، في هذه الحياة الدنيا، اذ هذه الحياة الدنيا محل الإبتلاء والإمتحان.

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ ﴿٤٠﴾ ﴾الرعد.

ويقول أيضا: ﴿ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾ ﴾الغاشية.

ويقول: ﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ ﴾الغاشية.

ويقول تعالى: ﴿ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾ ﴾ق.

هناك آيات كثيرة جداً تؤكد حقيقة أنَّ: ثواب الإيمان والإحسان، وعقاب الكفر والعصيان، إنما هو في الآخرة وليس في الدنيا، وبيد الله، وليس بيد غير الله سبحانه وتعالى.

الأساس السابع: الإنسان مُكَرَّمٌ عند الله تعالى:

الإنسان كإنسان بِغَضِّ النظر عن دينه، وانتمائه السياسي، ولونه، ولسانه، وجنسه – أنه ذكر أو أنثى– الإنسان كإنسان مكرَّمٍ، يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾الإسراء، عندما نتأمل هذه الآية المباركة، نراها تضع أساس المساواة المطلقة بين البشر كلهم: إذْ:

١- تحميل الله للناس في البر والبحر، أي تهيئته لهم أسباب الركوب في البر والبحر.
٢- رزقه إياهم من الطيبات.
٣- تفضيله إياهم على كثير من المخلوقات.

هذه الأمور الثلاثة يتساوى فيها المؤمن وغير المؤمن، وذلك: لأن الكلَّ محمولٌ في البر والبحر، والكلَّ مُعْطى لهم الطيبات من الرزق ،والكلَّ مفضَّلٌ على كثير من المخلوقات، لأن المخلوقات الأخرى كلها سُخِّرَت للإنسان، كما قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ﴿١٣﴾﴾الجاثية، وهذه حقيقة مهمة جداً، لأنه بناءً عليها: التكريم أيضاً للجميع كما أن هذه الأَشياء الثلاثة للجميع، فالتكريم أيضا للجميع، ومن دلائل هذا التكريم أن الله جعل الإنسان خليفة في الأرض:

١. ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ...﴿٣٠﴾﴾البقرة.
٢. ويقول: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ...﴿٣٩﴾﴾فاطر.

٣. وقال تعالى في سورة يونس: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ ...﴿١٤﴾﴾يونس.

٤. وقال في سورة الأنعام: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ ﴿١٦٥﴾﴾الأنعام.

إذن الإنسان خليفة الله، ويتجلَّى في هذه الحقيقة تكريمُ الله للإنسان بأجلى صوره، ما معنى كون الإنسان خليفةً لله؟ يعني أن الإنسان خلف الله على هذه الأرض، يتحكم في هذه الأرض، لأن بعض العلماء قالوا: إن الإنسان خليفة الجن، لأنه لا يليق بالإنسان أن يكون خليفة الله، وفيهم الفاسد والعاصي والكافر! ولكن خلافة الإنسان لله تعالى: حقيقة، وهو واقع الحال أن الله سبحانه وتعالى جعل الإنسان على هذه الأرض يتصرَّف فيها كيف يشاء، سواء كان مسلماً أو غير مسلم ، فالبشر خلفاء الله في الأرض، يتصرَّفون في الأرض.

ومن العلماء من يقولون: مَنْ يُصْبِحُ خليفةً لغيره فهو أصبح خليفته، إما بسبب أن هذا الغير مات، أو أنه غاب، والله لا يموت ولا يغيب!! لكننا نقول: إن صفات الله تعالى مثل ذاته، لا تُقاس صفات الله على صفات البشر ، الله سبحانه وتعالى استخلف الإنسان على الأرض، وهو حي قيوم ، لكن استخلفه كي يمتحنه ويبتليه.

وكذلك من المجالات التي يتجلى فيها تكريمُ الله للبشر: تحميلُ الله تعالى الأمانة التي عجزت السموات والأرض والجبال عنها، للإنسان: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ ﴿٧٢﴾﴾الأحزاب، فالإنسان أُسندت له وظيفة عجزت السموات والأرض والجبال أن يحملنها، وهي وظيفة الخلافة، نيابة الله في الأرض وتمضية الحياة الدنيوية بالإرادة الحرة الصالحة للخير والشرِّ.

كذلك الله سبحانه وتعالى: خَلَق الإنسان في أحسن تقـويم: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾﴾ التين، ومن الواضح أن كلاً من: اسـتخلاف الله تعـالى للبشـر في الأرض أولاً، وتحميله إياه الأمانة، ثانياً، وخلقه إياه في أحسن تقويم، ثالثاً، هذه الثلاثـة يشترك فيها الناس كلهم بلا استثناء.

والمسلم عندما يدرك هذه الحقيقة الكبـيرة، بأن الناس مكرَّمون عنـد الله سـبحانه وتعالى، سواء كانوا مسلمين أو غير مسلمين، هذا الإدراك سَيَدفعه إلى أن يُكرِم جميـع الناس، بمختلف أديانهم وانتماءاتهم وألوانهم، يحترم الكلَّ، ما دام هو ملتزماً بشـريعة الله سبحانه وتعالى، وبكتاب الله سبحانه وتعالى والذي ذكر الله في هذه الحقيقة، بأنه كـرَّم البشر كلهم، وأنت ما دمت تقيس بمقياس الله، وتزن بميزان الله، وتأتمر بأمر الله، يجب أن تُكْرِم الناس جميعاً.

الأساس الثامن: الله تعالى أرسل كلّ الأنبـياء عليهم السلام لتحقيق هـدفين في المجتمعات:

التوحيد فيما بـينهم وبـين الله تعالى، والعدل فيما بـينهم:

هذا أصل آخر من الأصول والأسس التي جاء بها كتاب الله المبارك، كـي يضـمن للناس حياة فيها التسامح والإنسجام والملائمة، بعضهم بعضاً.

أما بالنسبة للتوحيد، فيقول الله سـبحانه وتعـالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ الأنبـياء، أجل، كل الأنبـياء جاءوا لتثبـيت التوحيد: أن يُعبد الله وحده، وأن يُطاع الله وحده، وأن يُسْلِمَ الإنسـانُ أمرَه لله سبحانه وتعالى. والعبادة لله سبحانه وتعالى هي أن نبذل له: أقصى الحب وأقصى التعظيم وأقصى الخشية والتوكل والطاعة، وأن لا نُسَوِّي شيئاً من الأشياء بالله سـبحانه وتعالى، في شيء من خصوصياته التي ينفرد بها، كخالق ورب ومالك وإلهٍ.

وبالنسبة لتثبيت العدل، يقول سبحانه وتعالى في سورة الحديد: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ﴿٢٥﴾﴾ الحديد.

يعني كلّ الرسل جاءوا لأن يقوم الناس بالقسط، والقسط والعدل معنياهما متقاربان، لكن حسبما يبدو لي، وذكره بعض علماء اللغة: إن القسط مرتبط على الأكثر بالجانب المادي والإقتصادي، والعدل مفهومه شامل للجانب المادي والجانب المعنوي.

وعندما يدرك المسلم هذه الحقيقة وهي: أن كل الأنبياء وعلى رأسهم النبي الخاتم محمد عليه الصلاة والسلام، جاءوا لتثبيت العدل والقسط، فهو يجعل نفسه ملتزماً بالعدل.

كما قال سبحانه وتعالى للرسول الخاتم: ﴿وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ﴿١٥﴾﴾ الشورى، فالرسول عليه الصلاة والسلام مأمور من الله عزوجل أن يعدل بين الناس، في كل النواحي، وقد جسَّد رسولُ الله صلى الله عليه وسلم العدل في تعامله مع الناس، سواءٌ المسلمين أو غير المسلمين في أعلى صوره.

الأساس التاسع: لا إكراه ولا إجبار في مجال الفكر والتدين:

هذه الحقيقة أساس آخر من أسس التسامح والتعايش التي يُلزِمُ الله سبحانه وتعالى بها المسلمين مع غيرهم، داخل المجتمع الإسلامي وخارجه، يقول سبحانه وتعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ... ﴿٢٥٦﴾﴾ البقرة، وسبب نزول هذه الآية المباركة أن بعض أهل المدينة قبل أن يأتي محمد عليه الصلاة والسلام إليها، نذروا أنه إذا وُلد لهم، أن يهوِّدوه أو يُنَصِّروه، وبعضهم هَوَّد أولاده أو نَصَّرهم، ولما جاء الرسول عليه الصلاة والسلام ودخل الناس في الإسلام، أراد هؤلاء الآباء والأمهات أن يعيدوا أبناءَهم إلى الإسلام، ويُكرِهوهم، فأنزل الله الحكيم هذه الآية المباركة: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾، يعني لا يجوز لكم أن تكرهوا أولادكم على إرجاعهم إلى الإسلام، إلا إذا

اختاروا الإسلام طواعية، وقد أكَّد سبحانه وتعالى هذه الحقيقة في آيات كثيرة، فمثلاً يقول: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾﴾يونس، يعني: ولو شاء ربك مشيئة إجبار، لكنه أرادهم أن يختاروا، فلما خيَّرهم، اختار بعضهم الكفر، واختار بعضهم الإيمان، ولو شاء أن يُجْبِرَهم، لأجبرهم، كما خلق الملائكة، عابدين لله فلا يوجد من الملائكة أحدٌ، لا يعبد الله سبحانه وتعالى: كما قال تعالى: ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾﴾التحريم، والحجر والشجر والنبات والحيوان كلها ملتزمه بقوانين الله سبحانه وسننه في الكون ، لكن الإنسان فريد في هذا الكون، فبإمكانه أن يختار الكفر أو يختار الإيمان، لأن الله سبحانه وتعالى أراده هكذا.

الأساس العاشر: أساس تعامل المسلمين مع غيرهم، هو السلم:

وهذه قضية جرت حولها نقاشات، وحدث فيها أخذ ورد كثير بين علماء المسلمين قديماً وحديثاً: هل أساس العلاقة بين المسلمين وغيرهم، هو السلم أو الحرب؟ بعضهم الذين مالوا إلى التشدّد والعنف، وربما كردِّ فعلٍ للواقع الذي عاشوه، قالوا: إن أساس العلاقة بين المسلمين وغيرهم، هو الحرب، ولكن هذا مخالف لكتاب الله سبحانه وتعالى، ولسنة رسول الله عليه الصلاة والسلام، وللعقل والمنطق، فكيف يكون أول ما تبدأ به في العلاقة مع الغير، هو أن تحاربه وتقاتله؟! هذا علاوةً على كونه مصادماً للوحي، كذلك هو خلاف للمنطق، ولو نظرنا إلى بعض الآيات المباركات، لبدت لنا هذه الحقيقة بجلاء:

١- يقول سبحانه وتعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾الحج، ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ﴾ هذا يعني أنَّ: (مَنْ لم يُقاتَلْ) ليس مأذوناً له أن يقاتِلَ.

٢- ويقول سبحانه وتعالى في سورة البقرة: ﴿ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ ...﴿١٩٠﴾ ﴾البقرة، كلُّ المفسرين يقولون: ﴿ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ ﴾، أي لا تقاتلوا من لم يقاتلْكم، فلا يجوز أن تبدأ غيرك بالقتال.

٣- ويقول سبحانه وتعالى في سورة الأنفال: ﴿ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا ...﴿٦١﴾ ﴾الأنفال، لماذا؟ لأن المسلم أساساً هو مائل للسَّلم، ولهذا فإذا لم يحاربْه الطرف القابل، فهو أساساً يُرَحِّبُ بالسلم والوئام والإنسجام.

٤- وفي سورة النساء يتحدث سبحانه وتعالى عن التعامل مع أهل النفاق، وأهل الشرك والكفر، ثم يقول: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمِۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ أَوْ جَآءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَن يُقَٰتِلُوكُمْ أَوْ يُقَٰتِلُواْ قَوْمَهُمْ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَٰتَلُوكُمْ ۚ فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْاْ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴿٩٠﴾ ﴾النساء، أنظر قوله الحكيم سبحانه وتعالى: ﴿ فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْاْ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴾، هكذا بوضوح تام دونه الشمس في الظهيرة.

٥- ويقول سبحانه وتعالى في سورة الأنفال: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ ۚ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمِۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ ...﴿٧٢﴾ ﴾الأنفال، أي: المسلمون الذين لا يهاجرون إلى الدولة الإسلامية، ويبقون خارج إطار الدولة، إذا ما استنصروا المسلمين، عندما يتعرَّضون للظلم، فعلى الدولة الإسلامية أن تنصرهم، لكن شريطة ألّا يكون لهذا الكيان الظالم لبعض المسلمين، ارتباطٌ على أساس ميثاق

مع الدولة الإسلامية، فإذا كان هناك ميثاق وعهد مُبْرَم، بين هذا الكيان الظالم والدولة الإسلامية، فلا يجوز للدولة الإسلامية أن تعلن الحرب عليه وتنصر المسلمين، لماذا ؟ لأن الوفاء بالعهود، مقدَّم على نصرة المسلمين الخارجين عن إطار الدولة الإسلامية.

الأساس الحادي عشر: الإحسان هو قاعدة تعامل المسلمين مع غير المسلمين:

يقول سبحانه وتعالى في سورة الممتحنة: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾﴾ الممتحنة.

ربما يثور هنا سؤال :لماذا قال سبحانه وتعالى {لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ}؟ الجواب: لأن الجوَّ الذي نـزلت فيه هذه الآيات المباركات كان جوَّ القتال والحرب والمواجهة، ولهذا قال سبحانه وتعالى {لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ} أي (لا يمنعكم الله)، لأن الجو كان جو عداء وحرب ضد الإسلام والمسلمين، وإلا فليس (البِرُّ والإقساط) ممنوعين، بل هما مأموران به، لكن الجو هو الذي اقتضى مثل هذا التعبير.

وهاتان الكلمتان: (البر) و(الإقساط): ﴿أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ﴿٨﴾﴾ الممتحنة، (البِرّ) هنا يُقصد به الجانب المعنوي، يعني: أن تُكرِموهم وتنفعوهم معنوياً، ﴿وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ﴾ أي: تعطوهم قِسْطاً فتنفعوهم مادياً، وبعض المفسرين فسَّروا (القسط) هنا ب(العدل) لكن هذا غير صحيح:

أ-لأن الإقساط عندما يتعدَّى إلى المفعول بحرف (إلى)، تُفيدُ معنى إيصال النفع المادي، تُقسطِوا إليهم: أي تعطوهم جزءاً من أموالكم.

ب- ولأن (العدل) ليس منهياً عنه مطلقاً، لكن قد يُنهى عن أن تُقْسطَ إلى الغير، أي تعطيه قسطاً من مالك، مادام كافراً محارباً، لكن العدل والقسط لا يُنهى عنهما مطلقاً، سواء في حالة السلم أو حالة الحرب.

وهنا أودُّ أن أشير إلى مسألة خصوصاً وأنت أهل مصر، وفي مصر توجد طائفة الأقباط، فهل يجوز أن يرد المسلمُ على تحية غير المسلم، أو أن يبدأه هو بالسلام والتحية، أم لا؟ أنا تطرقت إلى هذه المسألة في هذا الكتاب (مسائل عصرية رائجه) وهنا أقول:

أولاً: عندما يقول سبحانه وتعالى: ﴿ وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾ ﴾البقرة، فـ(أحسنوا) فعل وفاعل ولم يُذكر المفعول، نُحْسِنُ إلى من ؟ جاء الأمر بإطلاق، إذن: أَحْسِنْ إلى الكل، وصاحبا يوسف في السجن عندما قالا لَهُ: ﴿ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾يوسف، مع من كان يُحسن؟ لاشك: أنه كان يحسِنُ مع المساجين، ومن كان هؤلاء المساجين؟معلُوم أَنَّ كلهم كانوا كفاراً، ولم يكن في السجن وقتها مؤمن إلا سيدنا يوسف وحده، إذن كان يوسف يحسن إلى رفقائه المساجين، وهؤلاء كانوا كفاراً، وهذه الصيغة ﴿ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ تدل على أن سيدنا يوسف عليه الصلاة والسلام كان راسخ القدم في الإحسان ، ومن المنخرطين في سلك المحسنين، وأنه عريق في الإحسان، ومع من؟ مع هؤلاء الكفار الذين اتَّهموه وسجنوه ظلماً وعدواناً!!

ويقول سبحانه وتعالى في سورة البقرة: ﴿ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا ...﴿٨٣﴾ ﴾البقرة، الناس كل الناس، يجب أن تقول للناس كلهم: الحُسْنَ من القول لاغير.

ويقول في سورة النساء خصيصاً في هذه المسألة[1]: ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾ ﴾النساء، وجاء الأمر بصيغة المجهول، (وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ) أي: من أي طرف كانت تلك التحية، فحيُّوا الْمُحَيِّ بأحسن منها أو رُدّوها، بأحسن منها، هذا هو المفضَّل، أو في الأقل: ردُّوها، كما كان، وهذه الآية المباركة واضحة الدلالة على أن المسلمين مأمورون أن يردّوا على تحية

١) مسألة الرَّد على تحية غير المسلم.

كل من يُحَيِّيهم، بتحية أحسن منها، أو في الأقل، بمثلها أياً كان ذلك المُحَيِّي، مسلماً أو غير مسلم .

والآن لنستمع لأقوال بعض المفسرين في تفسيرهم لهذه الآية:

قال القرطبي: "وٱختُلِفَ في رَدّ المسلم على أهل الذمة، هل هو واجب كالرد على المسلمين؟ وإليه ذهب بن عباس والشعبي وقتادة، تَمَسُّكاً بعموم الآية، وبالأمر بالرد في صحيح السنة"(١)، يعني: يجب أن تردَّ السلام على أهل الكتاب.

وعن الشعبي من أئمة السلف، أنه قال لنصراني سلّم عليه: "عليك السلام ورحمة الله تعالى، قيل له في ذلك ، فقال:"أليس في رحمة الله يعيش"!(٢).

ويقصد بهذا أن الله سبحانه وتعالى عندما يقول: ﴿وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖ ...﴿١٥٦﴾﴾ الأعراف أي في الدنيا، وفي الآخرة: ﴿فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤۡمِنُونَ ﴿١٥٦﴾﴾ الأعراف فرحمة الله واسعة وشاملة لكل البشر ولكل الخلق، والله سبحانه وتعالى سمى المطر رحمةً: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦ...﴿٥٧﴾﴾ الأعراف، أي بين يدي المطر، والمطر للجميع، وكذلك الرياح وضوء الشمس وكلُّ النعم.

وقال جمال الدين القاسمي في هذه الآية: "واستدل بها الجمهور على رد السلام على كلِّ مُسَلِّمٍ، مسلماً كان أو كافراً، لكن مختلفان في صيغة الرد"(٣).

وفي ضوء هذه الآية المباركة يمكننا القول :" يجب على المسلمين أن يربأوا بأنفسهم من أن يكونوا في مستوى أقل ومرتبةٍ أنزل من غيرهم، في مجال التعامل، إذ المسلمون هم أصح إيماناً وعقيدة، وأرقى تصوراً، وأنقى قلباً، وأذكى عقلاً، لذا لا يليق بهم إلا أن

١) الجامع الأحكام القرآن، ج٥ص٢٦٦.
٢) تفسير القرآن الحكيم، محمد رشيد رضا، ج٥ص٢٦٩.
٣) محاسن التأويل، ج٥ص٢٣٧.

يكونوا أحسنَ خُلقاً، وأسمى سلوكاً، وأرفع موقفاً، من غيرهم.

لذا إذا ما أكرمك رجل نصراني أو يهودي أو ملحد أو زنديق، يجب أن تكرمه بأكثر مما أكرمك به، لماذا؟ لأن الله سبحانه وتعالى يربأ بالمسلمين، أن يكونوا أنــزل رتبة من غيرهم، في التعامل، وأقل منهم كرامة وإكراماً ، وإنما يُكرِمُ الغيرَ، مَنْ عنـــده كرامـــةٌ، والهدايا على قدر مُهديها، ولهذا أضيف الى ما سبق قولُهُ: إذا لم يجب على المسلمين، ففي الأقل يُنْدَبُ لهم ويَجمْلُ بهم، ألاّ يَدَعوا الطرف المقابل [غير المسلم] يكون هو المتفضّـــل عليهم بالتسليم عليهم، بل يبادروا هم الى إلقاءِ التحيَّة عليه، كي يكونوا هم اليد العُليا لا اليد السُّفلى!

الأساس الثاني عشر: التعاون والتضامن مع كل من يسعى لتحقيق المصالح العامـــة والأهداف المشتركة:

هناك منظمات دولية تسعى لضمان حقوق الإنسان، أو لتثبـــيت العدل، أو للرفـــق بالحيوان، أو للحفاظ على الخضرة على الأرض، أو للنظافة، أو للحفاظ على البـــيئة ... الخ، فيجب على المسلمين أن يبادروا ويسبقوا غيرهم لتحقيق هـــذه الأهـــداف، وإذا لم يبادروا و لم يسبقوا الغير في هذه المجالات، ففي الأقل يجب عليهم أن يتضـــامنوا معهـــم ويساعدوهم.

والدليل على هذا، علاوةً على حكم العقل والمنطق أنّه يجب على المسلمين أن يكونوا مبادرين لأي شيء حسن، وأن يسبِقوا غيرهم، هو الآية (٢) من سورة المائدة، يقول سبحانه وتعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَلَا ٱلْهَدْىَ وَلَا ٱلْقَلَـٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَٰنًا ۚ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُواْ ۚ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُواْ ۘ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢﴾ ﴾المائدة.

المقصود من الآية المباركة هو أن يتضامن المسلمون فيما بينهم ومع غيرهم من غير أهل الإِسلام، لتحقيق كل ماهو صلاح للناس ومَرْضٍ لله تعالى إذ جاءت هذه الآية في سياق التعامل مع غير المسلمين، لأن الله سبحانه وتعالى، يقول: ﴿ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ أَن صَدُّوكُمۡ عَنِ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ ... ﴿٢﴾ ﴾المائدة، مَن الذي صدّ المسلمين عن المسجد الحرام في السنة السادسة من الهجرة، والتي نتج عنها صلح الحديبية؟ لاشك: الكفار والمشركون، فيقول سبحانه وتعالى "لا يحملنكم بغض قوم" بسبب صدِّهم إِياكم عن المسجد الحرام، أن تعتدوا، أي: هم اعتَدوا وصدوكم، لكن أنتم لا تعتدوا ولا تصدوهم عن المسجد الحرام، ثم يقول:﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ ﴾ أي: إذا ما قام هؤلاء بما هو بر وتقوى، (بر) بالنسبة لما بين الناس، و(تقوى) بالنسبة لما بينكم وبين الله، فيجب أن تتعاونوا معهم، فتعاونوا على كل ما ينفع الناس، أو يرضي الله سبحانه وتعالى.

الأساس الثالث عشر: الإسلام هو الدين الوحيد المرضي لله تعالى لكل البشر، لذا يجب أن يستوعب ظِلُّه الناسَ كلَّهم:

وهذا أصلٌ مهم جداً، بعض المسلمين يتصورون أنهم إذا ما أقاموا دولة، يجب أن تختص بهم هذه الدولة وتخدمهم فقط! لكن بما أن الدين الوحيد المرضي لله تعالى هو الإسلام ، وعلى سبيل الفرض إذا ما أُقيمت دولة بالاسلام، وهذه الدولة شملت كلَّ الأرض، فكيف تتعامل هذه الدولة مع الناس؟ لاشك أنه يجب أن يكون ظِلُّها وارفاً للكل، وخيرها شاملاً للجميع، لماذا؟ لأن الله تعالى خلق البشر للإِبتلاء والإِمتحان، ولا يمكن أداءُ الإمتحان الا عند توفّر الحرية والإِختيار، إذن: يجب على الكيان السياسي الذي يُقامُ على أساس الإِسلام، توفير الحرية لكل المنضوين تحت رايته كي يتمكَّنوا من تحقيق الحكمة التي خلقهم الله الحكيم من أجلها وهو الإِمتحان، وقول الله سبحانه وتعالى بأنه لا يقبل ديناً غير الإِسلام، فهو بالنسبة للآخرة، أمّا بالنسبة للدنيا:﴿ لَكُمۡ دِينُكُمۡ

﴿ وَلِيَ دِينِ ﴿٦﴾ ﴾الكافرون، و: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ ﴿٢٥٦﴾ ﴾البقرة، ولكن بالنسبة للآخرة: ﴿ وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾آل عمران، وبعض الناس من المتطرفين والمتشدِّدين، يخلطون الآيات وما يُفهم منها، بعضها ببعض، فيتصورون أن هذه الآية بالنسبة للدنيا: ﴿ وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ ﴿٨٥﴾ ﴾آل عمران، فيقولون: لا نقبل من الناس غير الإِسلام! ولكن لا، إذ إنّ هذا بالنسبة للآخرة، أما بالنسبة للدنيا:

١. ﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿١﴾ لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ﴿٣﴾ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٞ مَّا عَبَدتُّمۡ ﴿٤﴾ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ ﴿٦﴾ ﴾الكافرون.

٢. ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ ﴿٢٥٦﴾ ﴾البقرة.

٣. ﴿ وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ كُلُّهُمۡ جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ﴿٩٩﴾ ﴾يونس.

يعني: ألله سبحانه وتعالى لم يكرههم وهو ربهم، فكيف يجوز لك أن تكرههم أنت؟

نعم طالما أن الإسلام هو الدين الصحيح الوحيد، فيجب أن يكون ظله شاملاً للجميع، حتى يستطيعوا أن يعيشوا بعز وكرامة في ظل هذه الدولة، ثم يؤدوا امتحانهم، وفي الآخرة يأخذون جزاءهم:

﴿ إِنَّ إِلَيۡنَآ إِيَابَهُمۡ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾ ﴾الغاشية، أي ليس عليك.

﴿ لَّسۡتَ عَلَيۡهِم بِمُصَيۡطِرٍ ﴿٢٢﴾ ﴾الغاشية.

﴿ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِجَبَّارٖ ﴿٤٥﴾ ﴾ق.

هذه الخطابات كلها مَوجَّهَة للرسول، أي: أنت ليس لك أنْ تُجْبِرهم، ولا أن تسيطر عليهم.

الأساس الرابع عشر: أرسل الله تبارك وتعالى رسوله الأعظم ونبيه الخاتم، رحمة لكل العالمين:

وذلك كما في الآية (١٠٧) من سورة الأنبياء: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ الأنبياء.

وقال النبي الخاتم صلى الله عليه وسلم معرفاً بنفسه: {إِنِّي لَمْ أُبْعَثْ لَعَّانًا وَإِنَّمَا بُعِثْتُ رَحْمَةً}[1].

وأيضا يقول في حديث آخر: {إِنَّمَا أَنَا رَحْمَةٌ مُهْدَاةٌ}[2].

وكون النبي الخاتم عليه الصلاة والسلام رحمة الله للعالمين، يجب أن تتجسد هذه الحقيقة في تعامل أتباعه مع العالمين ، يعني أن يكونوا سبب رحمة وسكينة وانسجام وأُلفة، بين الناس، وسبب جلب نفع وخير لهم ، وليس سبب مشقة .

الأساس الخامس عشر والأخير: تحقيق المصالح السبع الكبرى لجميع المواطنين:

والمصالح السبع الكبرى، بعض العلماء اصطلحوا عليها ب(الضروريات الخمس) وبعضهم قالوا: الضروريات الست ، لكني آثرت استعمال المصالح السبع الكبرى والمقصود بها:

١- حفظ الدين

٢- وحفظ الحياة

٣- وسلامة العقل وحفظه

٤- وسلامة النسل وصيانته

---

١) مسلم : (٢٥٩٩).

٢) أخرجه الحاكم: ١٠٠، وقال: صحيح على شرطهما، والبيهقي في شعب الإيمان: ١٤٠٤، وتحدثنا عن إسناده في المحور (٧).

٥- وحفظ الأمن

٦- وصيانة العرض

٧- وحفظ أموال الناس وممتلكاتهم.

ولكل من هذه المصالح السبع، نصوص كثيرة جداً دالَّة عليها.

وأنا اختصرت كل هذه الأسس الخمسة عشر بالنسبة لتعامل المسلمين مع غير المسلمين، في سطر واحد جاء في حديث نبوي مبارك وهو (**لهم ما لنا وعليهم ما علينا**)، وهذا نص حديث النبي عليه الصلاة والسلام، والذي قاله في اتفاقية بين الدولة الإسلامية في المدينة وبين طائفة النصارى النجرانيين ، فقال الرسول عليه الصلاة والسلام في سياق كلام طويل {**لهم ما لنا وعليهم ما علينا**}[(١)]، أي نفس الحقوق التي لنا، لهم، ويجب أن تُضمن لهم، ونفس الواجبات التي علينا، يجب عليهم أيضاً أن يؤدوها.

والذي يُستثنى من هذه الحقوق والواجبات، هو ما كان من خصوصيات دين المسلمين أو دين اليهود أو دين النصارى أو المجوس أو البوذيين... ألخ. فما هو من مختصات دينهم، هم ينفردون به، مثلاً: المسلمون يَحُجّون ويؤدُّون الزكاة ويصلّون الصلوات ويصومون رمضان، هل هذه الواجبات عليهم؟ لا، لأن هذه الشعائر من مختصات دين المسلمين، وهل يجوز أن يُجبَر غيرُ المسلمين على الجهاد؟ لا، إلا إذا التزموا به طواعية، لأن في التأريخ الإسلامي أن بعض النصارى، أو بعض أتباع الأديان ساعدوا المسلمين حباً فيهم وحباً في دينهم، أو في مقابل جزاء مادي أو معنوي، وإنْ لم يلتزموا بالإسلام، لكن ساعدوهم في دفع العدو، قالوا: نحن نعاونكم من ناحية الإستخبارات أو من ناحية التموين والتسليح، فإذا هم تطوَّعوا، فَبِها ونعمت، وإلا فإنهم ليسوا ملزمين بالدفاع عن الكيان الإسلامي وعن الإسلام، إذ هو فريضة على المسلمين فقط.

---

١) ينظر: [مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة] محمد حميد الله، ص٨٨ و١٨٩.

ومن مختصات النصارى وغيرهم من الموطنين غير المسلمين: تعيين رؤسائهم وعلمائهم في المناصب الدينية والدّنيوية، هذا حق لهم مَن يُعَيِّنون ومن يُرَئِّسون على أنفسهم، ولا يجوز للمسلمين أن يتدخلوا، وكذلك في بيعهم وشرائهم وطقوسهم، وكثير من معاملاتهم، لايجوز للمسلمين أن يتدخلوا فيها، وحتى بالنسبة للقضاء عندما تحدث بينهم مشكلة، إلا إذا هم لجأوا إلى القضاء الإسلامي، وإلا لا يجوز للدولة الإسلامية التدخلُ، وإنما يقضون بينهم، باستثناء القضايا الجنائية التي هي الكل فيها متساوون، فمثلاً: عندما يقتل نصراني مسلماً أو يقتل مسلم نصرانياً ، فهذه القضايا الجنائية، والقضايا المدنية يشترك فيها الجميع، لكن ماهو من خصوصيات دين أي طرف من الأطراف، فهو مختص به ولا يتدخل فيه الطرف الآخر.

هذه هي الأسس الخمسة عشر، التي أرى أنه إذا ما التزم المسلمون بها، سيكونون في وئام وانسجام وتسامح مع من يعيشون معهم في المجتمع الإسلامي.

ameer.maktab@yahoo.com

/AliBapir /AliBapir /MediaAmeerOffice

www.alibapir.net

٢٤

حقوق الإنسان في الإسلام، مكفولة للكلّ بدون استثناء

هناك اهتمام كبير من الإسلام بالإنسان، فالإنسان هو محور الإسلام واهتمَّ به أيّما اهتمام، ووضع له حقوقاً يتمتع بها، وواجبات يلتزم بها، نريد منك أن تعطينا إِطلالةً على هذه الحقوق والواجبات؟

- الإنسان كما قلنا سابقاً مخلوق مُكرَّم من الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ ﴿٧٠﴾﴾الإسراء، وهذه الجملة تتضمن كل الحقوق:

١- فالمخلوق المُكرَّم من عند الله سبحانه وتعالى، يجب أن يكون حراً، لا يُكره ولا يُجبر.

٢- ويجب أن تكون حياته مُصانة.

٣- وأن يكون عرضه محفوظاً مصوناً.

٤- وأمواله يجب أن تكون مُصانة.

٥- ويجب أن تُوفَّر له كل مستلزمات العيش الكريم.

لو لم يرد في كتاب ولا في سنة رسول الله عليه الصلاة والسلام إلا هذه الجملة المباركة: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ ﴿٧٠﴾﴾الإسراء، كان بإمكاننا أن نستنبط منه كل

حقوق الإِنسان وحرياته، وأن تكريم الله سبحانه وتعالى للبشر كبشر، وبغض النظر عن انتمائهم الديني، وعن عرقهم ولوهم ولساهم، {وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ} هذا يجعل المسلمين أن يشعروا، بأن كل بني آدم يجب أن يُكرموا، وأن تُوفَّر لهم مستلزمات العيش الكريم.

وبالنسبة للواجبات، فما من حق إلا وفي مقابله واجب، فالمواطنون غير المسلمين القاطنون في الوطن الإسلامي، هم ملزمون أيضاً بأداء واجباقم، ونتيجة أداء هذه الواجبات يكونون مواطنين صالحين، لكن فيما يخص دينهم ومعتقداقم وطقوسهم، فهم أحرار فيها، لكن في القضايا الأخرى والنقاط المشتركة فيما بينهم وبين المواطنين، يجب أن يؤدوا واجباقم، سواء من الناحية المالية، أو من ناحية الدفاع، كما جاء في وثيقة المدينة، والتي أُبرمت بين الرسول عليه الصلاة والسلام وأهل الإسلام من جانب، واليهود والمشركين من جانب آخر، وأحد بنودها: (**وإن بينهم النصر على من دَهَم يثرب**)[1] أي: يجب على الكل أن يدافعوا، نعم، الجهاد الذي هو نُصرة للإسلام ودفاع عن الدين، هذا مختص بالمسلمين، لكن الدفاع عن الكيان الإِسلامي الذي يستظلُّ به الجميع، فهذا يشترك فيه الجميع، كما جاء في وثيقة المدينة، وتحدث العلماء عن أنواع الحقوق، وقالوا: هناك حقوق شخصية، كاللباس والبيت والكسب والتجارة والحركة في الحياة، وهناك حقوق اجتماعية، كالزواج والمصاهرة، وهناك حقوق سياسية، وبعض العلماء استشكلوا هذا الموضوع وقالوا: كيف يجوز أن يُباح لغير المسلمين أن يُشَكِّلوا حزباً؟ لكنِّي أقول كما قلت في الكتاب المذكور[2] وفي موسوعة: (**الإسلام كما يتجلى في كتاب الله**)[3]:

---

١) الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، محمد حميدالله، ص٦٢، البند رقم: ٤٤، من الوثيقة رقم: ١.

٢) مسائل عصرية رائجة، ص:٨٩-١٠٥، ط٢.

٣) الكتاب الثاني عشر: (الإسلام نظرة سديدة تجاه الناس وتعامل صحيح معهم).

أولاً: إن الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ﴿٢٩﴾ ﴾الكهف.

وثانياً: الإسلام يسمح لليهود والنصارى وأتباع الأديان الأخرى أن يبقوا على أديانهم، وهذا يستلزم السماح لهم بأن ينظمّوا حياتهم الإجتماعية والسياسية، وهذا بالضرورة يقتضي أن يُسمح لهم بتشكيل الأحزاب، بل بتشكيل كيان سياسي، والقبائل اليهودية الثلاث: (بنو قينقاع وبنو النضير وبنو قريظة) كانت لهم كيانات سياسية، ذات وجودٍ اقتصادي، وقوة عسكرية، والدليل على ذلك، أنهم فيما بعد عندما نقضوا العهود، خاضوا حروباً ضارية ضدَّ أهل الإسلام! إذن: كانت لديهم كيانات سياسية وقوات عسكرية، والإسلام سمح لهم بها، وكانت لهم سوق، وكانت لهم حرية تامة في كل أمورهم الإدارية.

فالإسلام يتعامل مع غير المسلمين على هذا الأساس، يعطيهم كامل الحقوق، شريطة ألاّ يعادوا الدولة الإسلامية، وألاّ يصطدموا بها، وأن يكونوا متعاونين معها لتحقيق الأهداف المشتركة فيما بينهم وبين المسلمين.

ameer.maktab@yahoo.com
/AliBapir /AliBapir /MediaAmeerOffice
www.alibapir.net

٢٥

لا يُجيزُ الإِسلامُ الإِرهاب(terror) بأي حالٍ من الأحوال

حول كتاب سابق لك تحدثنا عن التطرف، وفيه قمت بعملية نقض لفكرة التطرف، وتناولت جميع النقاط المتعلقة بهذا الموضوع، وفي كتابك (مسائل عصرية رائجة) تتعرَّض لمصطلح الإرهاب، فهل الإرهاب له مكان في الشريعة الإسلامية؟ وكيف ينظر الإسلامُ: الى القتالِ والجهادِ، والإغتيالاتِ، وقتل الأبرياء والمدنيين العزّل، خاصة أن هناك فئة من المسلمين يقومون بمثل هذه الجرائم في وقتنا الحالي، وبالتالي صار هناك لبس عند عامة المسلمين أعطى فرصة للمتربصين بالإسلام أن يَصِموا الإسلام بهذه الجرائم؟

ـــ أولاً يجب أن نوضح أن الإرهاب نتيجة للتطرف، التطرف كما تحدثنا عنه سابقاً في محور مستقل: التطرف والعنف والتشدد والتنطع والغلو، هذه الكلمات كلها تعبر عن ممارسة الإنسان للدين بصورة خاطئة مغالية مجاوزة للحدود .

وعندما يستمر الإنسان على التطرف والتشدد والتعنت والغلو، ربما سيؤدي به هذا إلى الإرهاب، والإرهاب كلمة عربية أرادوها ترجمة لكلمة (Terrorism) (تيروريزم) باللغة الإنجليزية ، لكن كما أوضحت في كتابي (**مسائل عصرية رائجة**) إِن ترجمة كلمة (تيرور) أو(تيروريزم) بالإرهاب والإرعاب، ليس صحيحاً، وربما يُتسامح بعض الأحيان في المصطلحات، لكن (تيرور-terror) باللغة الانجليزية لا تعطي معنى

الإرهاب، لماذا؟ لأن الإرهاب قد يكون حقاً، وكما جاء في سورة الأنفال: قولُ الله عزوجل: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمۡ لَا تَعۡلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعۡلَمُهُمۡۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيۡكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تُظۡلَمُونَ ٦٠﴾الأنفال، إذن: قد يكون الإرهاب مطلوباً، وهو إرهاب العدو الطامع فيك، وفي خيراتك، والمعتدي عليك، قال تعالى: ﴿تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ﴾، فإرهاب العدو وإرعابه وتخويفه، شيء مفروض! إذن ترجمة كلمة (تيرور) أو (تيروريزم) بالإرهاب، خطأ، وإن جرى كمصطلح، وفُسِّرتْ كلمة: (تيرور-terror) بأنها: (سعي طرف ما لِفَرضِ نفسه أو مشروعه وأجنداته على الطرف المقابل، مستخدِماً القوة والإرعاب والتخويف، وهذا الطرفُ قد يكون شخصاً، وقد يكون مافيا، وقد يكون حزباً، وقد يكون دولة).

ولهذا تجنب كثير من الأطراف تعريف الإرهاب، لأنهم لو عرَّفوه تعريفاً جيداً، لربما انطبق على أمريكا، وعلى إسرائيل، وعلى روسيا، والدول الكبرى الأخرى قبل أن ينطبق هذا التعريف على الأحزاب والجماعات التي تطالب بحقوقها، هذا بالنسبة لمصطلح (تيرور) وترجمته بالإرهاب.

أما بالنسبة للقتال والجهاد، فقد قلنا سابقاً: أن الجهاد هو: (بذل الوسع سعياً لمرضاة الله سبحانه وتعالى)، وقد جاء في الحديث النبوي: (**جَاهِدُوا الْمُشْرِكِينَ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَأَلْسِنَتِكُمْ**)(١)، قد يكون الجهاد بالقلب، وهو الحب في الله والبغض في الله ، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**من أحبَّ للّه، وأبْغَضَ لله، وأعطَى لله، ومنع لله، فقد استكمل الإيمانَ**)(٢).

---

١) رواه أحمد: ١٢٢٤٦، وأبو داود: ٢٥٠٤، والنسائي:٣٠٩٦.

٢) رواه أبو داود (صحيح الجامع ٥٩٦٥).

وقد يكون باللسان، وهوالبيان والتبليغ، وقد يكون بالمال، وقد يكون بالنفس، ومفهوم الجهاد أوسع من مفهوم القتال، لكن القتال لا يكون إلا بالسلاح.

وأكرر هنا وأؤكد: أن الإسلام شرّع الجهاد، ليس لتكوين الكيان السياسي وتنشئته، وإنما لصيانة وحفظ الكيان السياسي ،والرسول الخاتم محمد صلوات الله وسلامه عليه، إنما أُذن له بالقتال، بعدما تكوّن له الكيانُ السياسيُّ، على أساس الإتفاق المبرم بينه وبين أهل يثرب، بعد بيعتي الأولى والثانية، بالعقبة، عندما جاء ممثلوا الأوس والخزرج وبايعوا الرسول عليه الصلاة والسلام، البيعة الأولى عند العقبة، في السنة الثانية عشرة من البعثة، ثم في العام التالي، بايعوه بيعة ثانية، وسُمِّيت تلك البيعة، ببيعة الرجال أو بيعة القتال، لأن من بنود تلك الاتفاقية أو البيعة، أنه إذا جئتكم، يجب تحفظوني مما تحفظون منه نساءَكم وأولادكم، وهذا يستلزم استخدام القوة والسلاح، كما جاء في (السيرة النبوية) لابن هشام.[١]

فالإسلام لم يشرّع القتال، إلا بعد أن كان للمسلمين كيان سياسي، لكن كيف تكوّن الكيان السياسي؟ بالدعوة والتوعية والتثقيف وإقناع الناس، وجعل الناس يحتضنون هذه الدعوة، وهذا النبيّ الكريم عليه الصلاة والسلام ، ثم بُنيَ الكيانُ السياسي، الذي انبثق من رحم المجتمع المسلم.

> **في هذا الكتاب (مسائل عصرية رائجة) تناولت مسألة الإغتيالات وقتل الأبرياء والمدنيين العزل، فما الذي تقوله باختصار في هذا المجال؟!**

ــ أقولُ: إن الإسلام لا يُجيز أسلوب الإنقلابات والإغتيالات، (والإغتيال هو القتل خفية)، بل في الحديث النبوي: (**الإيمانُ قَيْدُ الفَتْكِ**)[٢]، أي المؤمن لا يفتك، والفتك هو القتل خلسة، فالإسلام أَلزَم المسلمين حتى في مجال الجهاد والقتال، بأرقى القِيَم وبالخُلق

---

١) ينظر: ج٢ ص٢٢٨، و(الوثائق السياسية...) ص٤٩، بيعة العقبة الثالثة.

٢) رواه أبو داود: (٢٧٦٩).

الإسلامي الرفيع، وقلنا سابقاً: الإسلام حرّم على المسلمين حتى في خِضَمِّ المعركة والقتال: أن يستهدفوا الأبرياء والنساء والأطفال والشيوخ والأُجراء والفلاحين، إنما في الإسلام يجوز ويُباح قتلُ من يقاتل فَحسْبُ، ثم حتى الذين يجوز قتالهم، لايجوز أن نبدأهم بالقتال، إلا إذا باشرونا بالقتال وبدأونا به، وهناك من العلماء من تحدَّث حول موضوعٍ ما: إذا استهدف أعداءُ الإسلام المسلمين المدنيين، هل يجوز في المقابل، أن يستهدف المسلمون مدنيِّيهم ويردُّوا عليهم بالمثل؟! بعض الفقهاء أجازوهُ، وقالوا: كردِّ فعلٍ ومعاملةٍ بالمثل، يجوز للمسلمين استهدافُ المدنيين والعُزل والأبرياءِ غير المقاتلين، لكن من الفقهاء مَن حرَّم هذا، لماذا؟ لأنه يجب أن يرقى المسلمون عن هذا، وألاّ يَنزلوا إلى المستوى الهابط للطرف المقابل، فعندما يقتل العدوُّ الشعبَ الأعزلَ والمدنيين والمسالمين، يقولُ الإسلام: يجب أن تكون أنت في مستوى أرفع، وبهذا الصدد، أحكي لك هذا الأثر الذي ذكرته في كتابي (**نقض فكرة التطرف**)، أنه جيء لأبي بكر الصديق رضي الله عنه وهو خليفة الرسول عليه الصلاة والسلام الأول، برأس أحد القساوسة من قادة العدو، فقال ما هذا؟ قالوا: هكذا يفعلون بنا عندما يقتلون مسئولينا، يذهبون برؤوسهم إلى مسئوليهم شماتة بنا، فقال:{"**فاستنانٌ بفارس والروم؟" لا يُرفع إليّ رأس، يكفي الخبر والكتاب**}[1]، أي: فقط اكتبوا لي وأخبروني، (فاستنانٌ بفارس والروم؟) يعني: أَكلُّ ما يفعله الفرس والروم، نفعله؟ لكن أنا أعتقد أنه إذا أصرَّ العدو أن يَسْتأْصِلَ ويُبيد المسلمين، عند ذلك ربما يكون هناك وجه للرد بالمثل، لردع العدو، كي يرتدع ولا يتعرَّض المسلمون للإبادة الجماعية.

---

١) رواه النسائي في الكبرى (٥/٢٠٤) والبيهقي في الكبرى (٩/١٣٢) وابن أبي شيبة: ٣٤٣٠٢.

٢٦

عولمة الغرب، وعالمية الإِسلام

في كتاب (مسائل عصرية رائجة) تناولت مفهوم العولمة ، فنريد أن تعقد لنا مقارنة بين العولمة وعالمية الإسلام ؟

ــ العولمة على وزن فوعلة، مثل كوكبة، وذكرت في هذا الكتاب، لو أنه بدل العولمة، أُستخدمت كلمة (الأمركة) أو (الأوربة) مثلاً، يعني جعل الناس كلهم أمريكيين، أو أوروبيين، ربما كان أصح، وفكرة العولمة تدور حول جعل العالم كله في يد القوى الكبرى المهيمنة على الدنيا.

والفرق بين عالمية الإسلام، وعولمة الغرب، أن الإسلام يقبل بالناس كما هم، من حيث دينهم ومن حيث انتماؤهم القومي، ومن حيث عاداتهم وتقاليدهم وثقافتهم، لكن العولمة تريد أن (تقولب) كل الشعوب، بل كل الأفراد، حسب قالبها، بدءاً من أكل السندويش، إلى نوع الملبس، والعادات، والتفكير، بل حتى التدين، يجب أن يكون تدَيُّنك تديناً مثلما تقبل به العولمة، أو من هم وراء العولمة: الغرب والشرق.

دليلنا على أن عالمية الإِسلام كانت هكذا (كما ذكرنا)، هو التأريخ: عندما جاء الإسلام، مثلاً: الشعب الكوردي في كردستان الكبرى بأجزائها الأربعة، أبقى الإسلام على الشعب الكوردي كما هو، لم يمس لغته ولاثقافته ولا عاداته، إلا ما كان يتعارض مع الإسلام، والناس كانوا يتخلَّون عن بعض عاداتهم، من عند أنفسهم، وليس بِفَرْضِ أحدٍ عليهم، ولو أن بعض العادات المخالفة للشرع، مازالت مستمرة، قصدي: أن

الإسلام عندما جاء، أبقى على الشعوب كما هي، من حيث لغتهم وثقافتهم وعاداتهم وتقاليدهم، ولم يَسْعَ الإسلامُ لصهر الناس في بوتقة واحدة، الاّ من ناحية العقيدة والفكر والشعائر التعبدية، وهذه الأشياء لا تَمُسُّ الإنتماءَ القومي ولا الخصوصيات القومية.

لكن العولمة كما نرى: تحاول أن تقولب كل الأشياء، وتَقْلِبَها حسب رغبتها، وتسعى لِصَهْر المجتمعات في بوتقتها، وأن ينسجوا على مِنوالِها ويذوبوا في ثقافتها.

فالغرب الآن يحاول أن يفرض معتقداته وثقافاته وسياساته على العالم الإسلامي، بل يضغط على بعض الدول الإسلامية، أن تُغَيِّر المناهج الدراسية فيها، ومع الأسف كثير من الدول ومن يملكون السلطة في العالم الإسلامي، يتملّقون للغرب، فيتنازلون عن خصوصياتهم، ويريدون أن يُرْضوُهُ بأي ثمن، ولو كان بالتنازل عن دينهم ومعتقداتهم، ولاشك أنَّ هذا من أضعف الضعف، يقول ابن خلدون في كتابه النفيس (المقدمة): "المغلوب مُولَعٌ بتقليد غالبه في زِيِّه ولباسه وسائر شئونه"، ومع الأسف نحن مغلوبون للغرب من حيث القوة العسكرية، لكن الإسلام لا يقبل مِنّا أن نشعر بالمغلوبية وبالهزيمة من الناحية المعنوية، فنحن أرقى منهم عقيدة ودينا وسلوكاً وتاريخاً، وأشرف منهم، فلماذا نشعر بالذل والضعف أمامهم؟ نعم، نحن من الناحية المادية، ضعفاء ومُتخلِّفون، ولكن وضعنا المادي والسياسي والإداري والإقتصادي الضعيف، بالنسبة لهم، ناتج عن ابتعادنا عن ديننا، وعدم تمسُّكنا الجيد بكتاب ربنا وسنة نبينا عليه الصلاة والسلام.

وضربت مثلاً للعولمة الغربية، والعالمية الإسلامية، بكلٍّ من: (فرعون) و (ذي القرنين): (ففرعون) كان يريد أن "يعولم الدنيا" ويتسلَّط على كل مَنْ حوله ويجعلهم تابعين له.

و(ذو القرنين) أراد أن يخدم الشعوب الضعيفة والمظلومة والمغلوبة على أمرها، تجاه الأعداء، وعندما طلب منه ذلك الشعب الذي كان واقعاً بين جَبَلَيْن، أن يجعل بينهم وبين يأجوج ومأجوج، سداً، كي يكونوا بمنأىً من خطرهم، فَلبَّى طَلَبهم وبنى

بينهما سدّاً رفيعاً، هكذا أهل الإسلام وأهل الحق، عندما يملكون القدرات، يستخدمونها لخدمة الناس ولنفع الناس، وليس لاستنزاف خيراتهم واستغلالهم واستعبادهم.

ameer.maktab@yahoo.com

٢٧

العلمانية في ميزان الإِسلام: مالها وما عليها

من ضمن القضايا المهمة التي تناولتها في الكتاب: (العلمانيـة)، كيـف تناولت هذا المفهوم ؟

ــ كلمة العلمانية ترجمة لكلمة (سيكولاريزم-Sicolarism) وهي تعني: الدنيوية أو العالمانية، في الأصل كانت الكلمة (العالمانية) لكنهم حذفوا حرف الأَلِفِ فصارت العَلْمانية، وتعني: الدنيوية أو اللادينية، أما (العِلْمانية) بكسر العين، فهي من العلم، وبالإِنجليزية: (scientism)ساينتيزم والعلم هو ساينس (science).

تطرقت للحديث عن العلمانية في هذا الكتاب، (**مسائل عصرية رائجة**) وفي كتاب آخر لي باللغة الكوردية (**التيار الإسلامي والتيار العلماني .. نقاط الوفاق والفراق**) وكذلك في المناظرة التي جرت بيني وبين (ملا بختيار) سكرتير المكتب السياسي ل(الاتحاد الوطني الكوردستاني) وطُبعت هذه المناظرة في كتاب، تحدثنا في تلك المناظرة عن الديمقراطية والعلمانية، في تجربة إقليم كردستان.

إذا أردنا أن نختصر بل نوجز الكلام: نقول: إِنَّ العلمانية لا تجد لها موضع قدم في مجتمع فهم الإسلام فهماً صحيحاً، وإنما تسلَّلت العلمانية والليبرالية، وقبلهما الماركسية واليسارية، وبقية هذه الأفكار المستوردة، إلى العالم الإسلامي على حين غفلة منه، وتظفر هذه المدارس الفكرية والمناهج الوضعية بالمسلمين الساذجين الغافلين عن دينهم، وإلا فإن كل المحاسن التي تحتوي عليها العلمانية، هي موجودة في الإِسلام بصورةٍ أفضل:

١- فقضية أنه يجب ألاّ يُقدَّس الملوك والرؤساء، في الإسلام: أهل السلطة ليسوا مقدسين في الأصل، حتى تُنتزع القداسة منهم، لأن هناك تعبيراً يستعملهُ العلمانيّون كثيراً وهو: (يجب أن نجرِّد السلطة من القداسة)، لكن السلطة في الإسلام ليست مقدسة من الأصل، حتى تُنتزع منها القداسة، البشر ليسوا مقدسين، ففي الإسلام: (القدّوس) هو الله سبحانه وتعالى، وحده، أما البشر، فكلهم يخطئون ويصيبون، وهم مكرَّمون، لكن لا يُقدَّسون، أجل كلُّ البشر مُكرَّمون، لكن لا أحد منهم مُقدَّس.

٢- قضية أخرى اهتمت بها العلمانية وهي: (يجب أن تكون السلطة بيد الناس)، والأصل في الإسلام أن السلطة للناس، كل خطابات القرآن هكذا: (يا أيها الإنسان) و (يا أيها الناس) و(يابني آدم) و (يا أيها الذين آمنوا)، لم يرد ولو مرة واحدة في القرآن: (يا أيها العلماء) أو (يا أيها المشايخ) أو (يا أيها المسئولون) المُخاطَب في كل خطابات القرآن، هو كل الناس، أو كل المجتمع، أو الإنسان بإطلاق.

٣- قضية أخرى مِمّا تهتم به العلمانية، هي أنه يجب أن لا تكون (ثيوقراطية) والحكم الثيوقراطي أي الحكومة الدينية، أو الحكم الديني، وفي الإسلام: الحكمُ بيد الناس، وأصحاب السلطة لا يعتبرون أنفسهم وكلاء الله، كل الناس خلفاء عن الله في الأرض، لكن لا أحد منهم بخصوصه، هو: خليفة الله، ونائب الله، أو الحاكم بأمر الله، لا، إنّما كان هذا الفكر في الغرب موجوداً، (الثيوقراطية) بحالاتها الثلاث: تأليه الحاكم، أو أن الحاكم نائب عن الله، أو أن الحاكم ظل لله سبحانه وتعالى، نتاج غربي وبضاعة غربية، لكنَّ في الإسلام: سيدُنا أبو بكر رضوان الله عليه، عندما ٱستخلف ماذا قال؟ قال: {**أما بعدُ، أَيُّها الناسُ فَإِني قد وُلِّيتُ عليكم ولست بخيركم، فِإنْ أَحْسَنْتُ فَأَعِينُوني، وإِنْ أَسَأْتُ فَقَوِّمُوني، الصِدْقُ أمانةٌ والكَذِبُ خِيَانَةٌ، والضعيفُ فيكم قويٌّ عندي حتى أرجعَ إليه حقَّه إن شاء اللّه،**

والقويّ فيكم ضعيفٌ عندي حتى آخذَ الحقَّ منه إن شاء اللّـه، لا يَـدَعُ قـومٌ الجِهادَ في سبـيل اللّه إلا خَذَلَهم اللَّهُ بالذُل، ولا تَشِيعُ الفاحشـةُ في قـومٍ إلا عَمَّهم اللَّهُ بالبلاء، أَطِيعُوني ما أَطَعْتُ اللَّهَ ورسولَه، فإذا عَصَيْتُ اللَّهَ ورسـولَه فلا طاعةَ لي عليكم، قُومُوا إلى صلاتكم يَرْحَمْكُمُ اللّه }[1]، هذه هي السياسة الرشيدة لسيدنا أبو بكر رضي الله عنه، أول خليفة في الإِسلام.

ثم إن العلمانية جاءت كرد فعل لحكم الكنيسة والظلم الذي كانت تمارسه أرباب الكنيسة، فنحن أهل الإسلام لسنا مضظرين لأن نلتجيء إلى العلمانية، لأن المحاسن التي تحتوي عليها العلمانية، موجودة في إسلامنا بصورة أفضل، فنحن في غنى عن العلمانية وغير العلمانية من المناهج البشرية .

إذن الأسس التي جاء بها مُنظِّرو العلمانية موجودة أصلاً في الإسلام، سواء في القرآن الكريم أو سنة الرسول عليه الصلاة والسلام ؟

ـ الأسس النافعة والأمور التي نحن بحاجة إليها، موجودة في الإسلام، لكن هناك أشياء في العلمانية لا تساوي شروى نقير، هناك أشياء سيئة جداً، في العلمانية، منها: عَدَمُ الحساب لله سبحانه وتعالى، إِذ العلمانية في الأساس هي عدم الإِهتمام بالله، وعدم الإِعتداد به سبحانه وتعالى، وعدم الإِعتداد بكتاب الله ووحي الله، وتنظيم الحياة بمعزلٍ عن دين الله وهداه، وعدم الإِعتراف بالله سبحانه وتعالى كرب ومالك ومشرّع للبشر، هذا هو جوهر العلمانية، المضادّ للإِسلام والمتصادِم معه، لكني أُكرِّر مُؤَكِّداً: كلُّ الجوانب الإيجابية، والأمور النافعة التي توجد في العلمانية، توجد في الإسلام بصورة أفضل وأحسن، وبالتالي فنحن أغنياء عن العلمانية.

١) السيرة النبوية لابن هشام، ج٤ ص٣٩٣.

ameer.maktab@yahoo.com
/AliBapir /AliBapir /MediaAmeerOffice
www.alibapir.net

٢٨

الديمقراطية على محكِّ العقل والنَّقل

تناولت مفهوم الديمقراطية في كتابك (مسائل عصرية رائجة)، فما موقف الإسلام من مصطلحات: الديمقراطية، وحاكمية الشعب، وسيادة القانون، خاصة أن هناك اختلافاً حول هذه المصطلحات والمفاهيم ؟

ـــ خصصت في كتابي (**مسائل عصرية رائجة**) ما يقرب من مائة صفحة للحديث عن الديمقراطية، وإذا أردت أن أوجز لك الكلام عن الديمقراطية، أقول: إن الديمقراطية هي أسلوب من أساليب الحكم، وأنا أرى أن الديمقراطية هي أنجح أساليب الحكم التي تمخض عنها الذهن البشري على مدى التأريخ، لكن أين الديمقراطية من الإسلام؟ للجواب على هذا السؤال أكتفي بتناول مسألتين:

المسألة الأولى: الديمقراطية بخلاف ما يتصور كثير من الناس، وبخلاف ما يروِّج له الغربيون، لم تنشأ من اليونان، ولا من الغرب فقط، بل الديمقراطية جذورها عريقة وقديمة في تأريخ البشر، اذْ كانت كل المجتمعات البشرية تمارس نوعاً من الديمقراطية.

عندما نعود إلى كتاب الله المبارك، ونتأمل في قصة ملكة سبأ مع سيدنا سليمان عليه الصلاة والسلام، حيث يرسل سليمان رسالته إلى ملكة سبأ، ويبدأ رسالته هكذا:

﴿ إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعۡلُواْ عَلَيَّ وَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ ﴿٣١﴾ ﴾النمل.

ففي هذه الحالة كيف تتصرف ملكة سبأ؟ تتصرف تصرفاً ديمقراطياً باصطلاح العصر، وتصرفاً شورياً باصطلاح القرآن، فتخاطب الملأ:

﴿ قَالَتۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ إِنِّيٓ أُلۡقِيَ إِلَيَّ كِتَٰبٞ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعۡلُواْ عَلَيَّ وَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَتۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ أَفۡتُونِي فِيٓ أَمۡرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمۡرًا حَتَّىٰ تَشۡهَدُونِ ﴿٣٢﴾ ﴾**النمل**، إذن هي تستشيرهم وتُشْرِكُهم في الرأي وفي القرار، وهذا هو جوهر الديمقراطية، وهذا كان قبل تجربة أثينا وأسبرطة في اليونان.

ويحكي لنا التأريخُ أن: الصينيين والهنود والإيرانيين والمصريين والمجتمعات القاطنة في (ميزوبوتاميا) والحضارات التي نشأت بين النهرين: دجلة والفرات، وفي الشام، وكذلك في الغرب، كان هذا الأسلوب يُمارَسُ من قِبَلِ كثير من المجتمعات[1]، وكانت الأمور تسير على هذا المِنْوال دَوْماً، إلا عندما يتفرعن الحكام على الشعوب ولا يحسبون لهم حساباً، ولا يستشيرونهم، ولا يُشْرِكونهم في القرار، أي: عندما تَتَغوَّلُ السلطة على حساب إرادة الشعوب، عند ذاك تُكْبَتُ أنفاس هذا النوع من الحكم، حكم الشعب أو الحكم الديمقراطي.

وفي كتاب الله الكريم تبارك وتعالى جُعِلتِ الشورى أساس إدارة الأمور، وقد تطرقنا إلى هذا الموضوع سابقاً، يقول سبحانه وتعالى في التعريف بجماعة المؤمنين، وليس بالدولة الإسلامية، لأن سورة الشورى المباركة، سورة مكية نـزلت في مكة، ولم تكن

١) ذكر كل هذا وغيرَه في هذا المجال: (ما نغلابوس) في كتابه (إرادة الشعوب)، كما ذكرته في المناظرة التي: جرت بيني وبين سكرتير المكتب السياسي للإتحاد الوطني الكوردستاني في: ٢٠١٦/٤/١٠م بالسليمانية، وقد ترجمت تلك المناظرة الى العربية وهي الآن تحت الطبع.

للمسلمين حينذاك دولة، و لم يكن لهم كيان سياسي، وإنما كانوا جماعة، يقول سبحانه وتعالى:

﴿ فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْىُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾ وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾الشورى.

فهذه عشر صفات أساسية يجب أن تتَّصِفَ بها الجماعة المؤمنة:

١- الإيمان.
٢- التوكل على الله.
٣- إجتناب كبائر الإثم والفواحش.
٤- المغفرة عند الغضب.
٥- الإستجابة لأوامر الرب سبحانه وتعالى.
٦- إقامة الصلاة.
٧- إدارة الأمور على أساس الشورى.
٨- الإنفاق.
٩- الإنتصار والمقاومة عند التعّرض للبغي والظلم.
١٠- العفو عن المسيء عند مظنة الإصلاح.

اذن: الشورى هي أساس إدارة الأمور حتى بالنسبة للجماعة المؤمنة التي لم تُمَكَّنْ لها في الأرض بعد، ولا يملك الكيان الساسي، إذْ يقول سبحانه وتعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾الشورى، فجعل الله

أمرهم كله (شُورَىٰ بَيْنَهُمْ) أي بين المؤمنين، وعليه: فلا يجوز أن يُبرَم قرارٌ، أو يُصْدَرَ أمرٌ إلا عن مشورة المسلمين، وكلمة الأمر في القرآن الكريم والسنة النبوية، وفي اللغة العربية، تعني: الشأن والحال، أو الأمر الذي يقتضي التشاور والتجالس والتباحث.

إذن: الحكم الشوريُّ، أو هذا الأسلوب للحكم وإدارة الأمور، الذي يشارك فيه المجتمع، قديمٌ جداً، لكن الغرب يروِّج أن الديمقراطية نابعة من اليونان ومن الغرب!! وديمقراطية اليونان كانت ناقصة جداً:

أ- ما كانت النساء تشارك في الإِنتخابات.

ب- وكانت الديمقراطية مباشرة ولم تكن نيابية، كان كل الناس يجتمعون في ساحة ويُدْلون بآرائهم.

ج- ولم يكن العبيدُ أيضاً مشاركين، وهم كانوا أكثر من نصف المجتمع.

د- ولم يكن غير اليونانيين والساكنين في اليونان، يشاركون في التصويت أو مداولة الرأي.

المسألة الثانية: أرى أنَّ الديمقراطية كآلية للحكم، لا إشكال للإسلام معها، وذلك لأنه:

١- من أصول الديمقراطية أن السلطة بيد الشعب، وكل الخطابات القرآنية موجهة للناس وللمجتمع: "يا أيها الناس"، "يا أيها الذين آمنوا"، كما قلنا سابقاً، لا توجد شريحة أو مجموعة مُخاطبة من الله سبحانه وتعالى، وإنما المخاطب هو المجتمع ككل، فالسلطة بيد المجتمع.

٢- ومن أصول الديمقراطية أن السيادة للقانون والدستور، ويقول سبحانه وتعالى:

﴿ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ... ﴿٤٩﴾ ﴾المائدة، ودستور المسلمين هو كتاب الله وحكمه المتجسِّد في الكتاب والسنة، هذا هو المُلزِم للجميع، ولا يوجد في

الإسلام أحد فوق شريعة الله سبحانه وتعالى، وفوق حكم الله سبحانه وتعالى، يجب على الكل أن يكونوا ملتزمين، وقلنا سابقاً: أن سيدنا أبا بكر رضي الله عنه عندما أُختير، قال في أول خطبة له: (**قد وُلِّيتُ عليكم ولست بخيركم، فإنْ أَحْسَنْتُ فَأَعِينُونِي، وإنْ أَسَأْتُ فقَوِّمُونِي... أَطِيعُونِي ما أَطْعْتُ اللَّهَ ورسولَه، فإذا عَصَيْتُ اللَّهَ ورسولَه فلا طاعةَ لي عليكم**)، قوله: (**ما أَطْعْتُ اللَّهَ ورسولَه**) أي التزمت بالدستور والقانون وبحكم الله، وقوله: (**فإذا عَصَيْتُ**) أي انحرفتُ، عن الدستور والمنهاج، وقوله: {**فلا طاعة لي عليكم**} أي: أنتم في حِلٍّ من طاعتي.

٣- أصل آخر: هو توفير وتضمين الحقوق والحريات للناس.

٤- أصل آخر: هو أن الحكم للأكثرية، ويجب أن تُصان حقوق الأقلية، وحكم الجمهور في الإسلام، (أي الأكثرية) هو أحد المرجِّحات لفتوى أو لرأي معين.

٥- أصل آخر: تداول السلطة بصورة سلمية ، التداول السِّلمي للسلطة.

٦- أصل آخر هو: أن يختار المجتمع مسؤوليه.

وفي الآية (٥٨) في سورة النساء، يقول سبحانه وتعالى: ﴿ **إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ٥٨** ﴾**النساء**، وذكرت وبينْتُ في الكتاب الثاني من موسوعة: (**الإسلام والدولة والحكم**)، أن هذه الآية المباركة أساسُ الحُكمِ الإسلامي، لأن الله تعالى يقول: ﴿ **إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ** ﴾، والمُخاطَبُ هو المجتمع، لكن لماذا لم يقل: يا أيها الذين آمنوا؟ لأن في المجتمع الإسلامي توجد مكونات أخرى من غير المسلمين، وهم أيضاً مشاركون في الحكم، ولهم الحق في الإدلاء بآرائهم، وفي أن يصبحوا وزراء، وأن يصبحوا في السلطة التشريعية، وأن يصبحوا في كل الأجهزة التي تُدارُها الدولة، باستثناء ما لَه خصوصية دينية، لذا خاطب الله المجتمع بدون استعمال كلمة "يا أيها الذين آمنوا"،

حتى لا يتوجَّه الخطاب إلى أهل الإيمان فقط: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ ﴾، أي المجتمع الإسلامي بكل مكوناته من المسلمين وغير المسلمين.

{ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ } بماذا؟ (أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا) يقول ابن تيمية رحمة الله عليه، في كتابه (السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية): إن المقصود بالأمانات هنا هي أمانات المسئولية، وكذلك قال هنا بعض العلماء الآخرين، وحتى لو لم يقلْ هذا أحد في السابق، فهناك حديث نبوي يؤكد لنا هذا المعنى: {سُئل الرسول الله عليه الصلاة والسلام: يارسول الله متى الساعة؟ فقال: إِذَا ضُيِّعَتِ الْأَمَانَةُ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ، قَالوا : وَما إِضَاعَتُهَا؟ قَالَ: "إِذَا وُسِّد الأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ (وفي لفظ آخر: إِذَا أُسْنِدَ الأَمْرُ...)}[1]، يعني: عندما يُسند أمرٌ ما، وتُسند مسئولية معينة إلى من هو غير أهل، فإن هذا الأمر الذي أُسند، أو هذه الوظيفة التي أُسندت إلى مَنْ هو غير كفء، ستأتي خاتمته ، وليس المقصود بكلمة (الساعة) في حديث رسول الله عندما سُئل: متى الساعة؟ أنه إذا وُسِّد الأمر إلى غير أهله، فانتظر الساعة الكبرى، لا، بل المقصود ساعة هذا الشأن، فساعة أي مجتمعٍ تأتي، وقيامته تقوم، عندما تُسند أمورها إلى من هو غير كفءٍ، ولا يتمتع بكفاءة.

إذن: المقصود ب(الأمانات) في الآية المباركة، هو: (أمانات) المسئولية، فيقول سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا ﴿٥٨﴾ ﴾النساء، أي أسندوا أمانة المسئولية، إلى أشخاص كفؤين ولائقين وجديرين بهذه المسئولية، ثم ينتقل الخطاب إلى الحكام وولاة الأمور، الذين انتخبوا، وأُسندت إليهم أمانة المسئولية فيقول لهم: ﴿ وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِ ﴿٥٨﴾ ﴾، يعني: إن الله يأمركم أن تحكموا بالعدل أيها المسئولون! ثم يقول سبحانه وتعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ﴿٥٨﴾ ﴾، يعني: هذا

---

١) رواه البخاري: (٦٤٩٦)، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

التوجيه الربّاني، هو أفضل شيء يعظكم به الله ، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾ ﴾.

إذن: كل أسس الديمقراطية موجودة في الإسلام، باستثناء شيء واحد، والذي نعتبره نحن جوهر الديمقراطية، وإن كان كما ذكرت في كتابي (**مسائل عصرية رائجة**) يرى الشيخ الأستاذ يوسف القرضاوي، بأن جوهر الديمقراطية يكمن في آلياتها،[1] لكنني أعتقد أن جوهر الديمقراطية المضاد للإسلام، هو إعطاء حق التحليل والتحريم لغير الله تعالى، فالحلال والحرام مختصان بالله سبحانه وتعالى، يقول سبحانه وتعالى: ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ﴿٢١﴾ ﴾الشورى، فكلّ مَنْ يحلّل ويحرِّم، فهو يُشرِّع، وكل مَنْ يُشرِّع ويضع ديناً ومنهجاً للحياة، يُلزِم الناس بواجباتٍ، ويمنع منهم أشياء، فهذا هو الدين، وتشريع الدين مختص بالله سبحانه وتعالى: ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ﴿٢١﴾ ﴾الشورى، فالله سبحانه وتعالى هو المُشرِّع وحده.

هذا هو الجانب المتصادم من الديمقراطية مع الإسلام: عندما يُعطى الناسُ حقَّ التحليل والتحريم، إذ في الإسلام: لو اجتمعت كل برلمانات الدنيا والمجالس النيابية والكونجريسات، لايجوز لهم أن يسنُّوا قانوناً يخالف الشريعة، بأن يُحرِّموا ما أحله الله، أو يحلِّلوا ما حرم الله، حلال محمد حلال إلى يوم القيامة، وحرام محمد حرام إلى يوم القيامة.

وعندما يقول بعض العلماء: أن هناك انسجاماً تاماً بين الإسلام والديمقراطية، تدري ماذا يقصدون؟ يقصدون أن الديمقراطية ما دامت هي حكم الشعب، والشعب إذا كان مسلماً لا يسمح لنفسه أن يضع قانوناً يصادم الإسلام، وعليه: فحسب الديمقراطية لا يصدر من البرلمان الذي غالبية أعضائه مسلمون، قانون يخالفُ الشريعة! لكنني أقول: إن هذا النوع من الديمقراطية، هو ديمقراطية "أَسْلَمْت" لكن ليست هي الديمقراطية

١) في كتابه (من فقه الدولة في الإسلام) ص١٣٢.

الغربية الأصلية، الديمقراطية في أصلها لا تعطي هذا الحق للناس، ولا تعطي الحق للدين أن يتدخَّل ويضع حدود الحلال والحرام، بل الناس أحرار، كما تعلم الآن في هذا العصر ينشئون الأسر المثلية في الغرب: يزوِّجون الذكر من الذكر، والأنثى من الأنثى، هذا من حيث السياسة الداخلية، ومن حيث السياسة الخارجية: يَسْتلبون خيرات الناس، ويستبيحون البلاد ويسترقون الشعوب، وكل هذه القرارات تصدر من برلمانات الغرب، غير الملتزمة بالشريعة، فالديمقراطية إذا جعلناها ملتزمة بالشريعة، ليست هي الديمقراطية الغربية، ولهذا قال أحد المشايخ: (الشوروقراطي).

حقيقة الأمر: أنَّ الإسلام سيّج إرادَةَ الناس بالشريعة، الشريعة قيَّدت المجالس النيابية والتشريعية، بحدود، يجب ألا تتجاوزها، وهذا هو الحكم الشوريُّ في الإسلام، الشورى في الإسلام، حيث لايوجد نص من الشريعة(القرآن والسنة) كما يقول العلماء "لا اجتهاد في معرض النص" أو "لا اجتهاد في مقابل النص"، لكن في الديمقراطية، لا توجد نصوصٌ مُلْزِمَةٌ للناس.

يجب أن تكون هذه الحقيقة نُصب أعيننا ونحن نتحدث عن الديمقراطية، وإلا فقضية تضمين الحقوق والحريات للناس: حرية التعبير، وحرية التفكير، والحريات الشخصية، والحرية السياسية، والحرية الإِجتماعية، والحرية في مجال الكسب والمال، هذه كلها حريات موجودة في شريعتنا.

ثم لا ينكَرُ أن الأنظمة الديمقراطية طوَّرت من أساليب الحكم، وبإمكان المسلمين أن يستفيدوا من أساليب الحكم، فيما لا يتصادم مع الشريعة، بل تقتضيه روح الشريعة السمحاء، والشريعة إنما تُلزِمُ المسلمين بكل ما هو خير وصواب، يقول سبحانه وتعالى: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ...﴿١٨﴾﴾الزمر، أنت مُلْزَمُ بأن تستمع لكل أقوال الناس، سواء قيل في الشرق أو في الغرب، من الكفار أو من المسلمين، وأن تتبع أحسن ما قيل ، والرسول صلوات الله وسلامه عليه استفاد من تجارب الآخرين، وكذلك فعل الخلفاء الراشدِون، سواء من الناحية السياسية أو

العسكرية أو الإدارية، ولم يروا مانعاً أن يستفيدوا من تجارب الآخرين الدنيوية لتنظيم حياة المجتمع، فعلى سبيل المثال: عندما أراد الرسول صلي الله عليه وسلم أن يرسل رسالةً إلى كسرى ملك فارس، وهرقل ملك الروم، وكتبت الرسالة، وأراد صلى الله عليه وسلم أن يرسلها، قال أحد الحضور: يا رسول الله! إن الملوك لا تقرأ كتاباً غير مختوم ، فقال: اصنعوا لي خاتماً، فصنعوا له خاتِماً، مكتوب فيه: بالأعلى: (الله)، وفي الوسط: (رسول)، وفي الأسفل: (محمد)، وختم الكتب ثم أرسلها إلى الملوك، كما جاء في صحيح البخاري،[1] يعني: راعى العرُف السياسي، مستفيداً من تجارب الروم والفرس!

وكذلك من الناحية العسكرية: أخذ برأي سلمان الفارسي وتبنّاهُ، عندما أشار عليه بحفر الخندق[2]، وكذلك استخدم صلى الله عليه وسلم المنجنيق والدبابة، كما جاء في السيرة النبوية لابن هشام.[3]

وكذلك من الناحية الإدارية لمّا توسعت الدولة الإسلامية في زمن حكم عمر رضي الله عنه، استفاد من تجارب الروم والفرس، وقام بتدوين الدواوين، وتمصير الأمصار، ووضع البريد والسجن... الخ ولم يروا بأساً بهذا، لأن هذه الأمور إنما اخترعت من قبل البشر لتنظيم حياتهم، وهي لا تتصادم مع الشريعة، ولا تصطدم مصلحة حقيقية قط، مع نص شرعي، ولهذا وضع العلماءُ هاتين القاعدتين: (أين وُجدت المصلحة، فثم شرع الله) و(كيف تحقق العدل، فثم شرع الله) كما يقول ابن القيم في كتابه (**الطرق الحكمية في السياسة الشرعية**) وكذلك في كتابه (**إعلام الموقّعين عن رب العالمين**).

---

١) صحيح البخاري، ٣١٠٦.

٢) السيرة النبوية لابن هشام، ج٣ ص١٠٩.

٣) ينظر : ج٤، ص٢٧٤.

ماذا تقول للتيارات التي تدعي أنها إسلامية، وبعض السلفيين الذي يُحرِّمون الدخول في العملية السياسية والإنتخابات والمشاركة في البرلمانات والحكومات؟!

ــ أخي السيد! أنا أدري أن هناك آراء ووجهات نظر مختلفة، في هذا المجال، لكن ذكرت في كتابي (نقض التطرف) أنه ليس أمام المسلمين، إلا أربعة سُبلٍ، في مجال كيفية التعامل مع المجتمع ومع الواقع:

١- إما أن يهربوا، كما فرَّ بدينهم أصحابُ الكهف رضي الله عنهم.

٢- وإما أن يصطدموا بالمجتمع على طول الخط.

٣- وإما أن يستسلموا للمجتمع ويُصبِحوا جزءاً منه ويذوبوا فيه.

٤- وإما أن يداروا المجتمع ويشاركوه فيما هو خير وصواب، ويعتزلوه فيما هو شر ومصادم للشريعة.

أولاً: أما ديدن أصحاب الكهف، فهذا لا يليق بالجماهير المسلمة، إلى أين يهربوا؟ وأي كهف يسعهم ويحتويهم؟

ثانياً: وأما الإِصطدام بالمجتمع على طول الخط، فهذا مخالف لمنهج الأنبياء، فالأنبياء عليهم الصلاة والسلام صبروا، كما قال تعالى على لسان جميعاً: ﴿وَلَنَصۡبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيۡتُمُونَاۚ ...﴿١٢﴾﴾ إبراهيم، هذا قاله الأنبياء كلهم على صعيد واحدٍ في سورة إبراهيم.

ثالثاً: وأما أن يستسلموا للمجتمع ويتلاشوا فيه ويُصبِحوا جزءاً من الواقع الفاسد!! فلا يجوز للمسلم أن يستسلم لواقع غير شرعي يصادِمُ شريعة الله سبحانه وتعالى.

رابعاً: فلم يبق إلا الخيار الرابع، وهو أن يداروا مجتمعهم، وأن يشاركوهم فيما هو خير وصواب، وأن يرشدوهم ويوعُّوهم ويثقِّفوهم ويصبروا على أذاهم، وفي الحديث الصحيح:

(الْمُؤْمِنُ الَّذِي يُخَالِطُ النَّاسَ وَيَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ، أَفْضل مِنْ الَّذِي لَا يُخَالِطُهُمْ وَلَا يَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ)[1].

وأقول للذين يدَّعُون بأنّ الدخول في البرلمان والحكومة والمشاركة فيهما، حرام: اذا أنت تدخل لتغيِّر وتُصَوِّب وتُرْشِدَ المجتمع ومُمثِّليه، فهذا هو الذي فَعَلَهُ الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، لكن الذي يدخل في برلمان وحكومة غير ملتزمين بالشريعة، ويُصْبِح جزءاً منهما، ويسكت عن قول الحق ويرضى بالباطل، فمثل هذا الشخص حتى لو كان جالساً في بيته، فقد عصى الله تعالى، بل قد يكفر بموقفه ذلك! لكن الذي يدخل ويشارك، لينتقد ويرشد ويقترح، ويصوّب، لا يوافق على الباطل، فهذا يؤدّي واجبه تجاه مجتمعه.

وقد تحدثت عن هذا الموضوع تفصيلاً في كتابي: (قضايا سياسية معاصرة في ضوءِ العقل والنقل).

١) رواه الترمذي (٢٥٠٧) وابن ماجه ٤٠٣٢ وأحمد في المسند ٤٣/٢١ وصححه الألباني في صحيح الجامع: ٦٦٩.

ameer.maktab@yahoo.com

/AliBapir /AliBapir /MediaAmeerOffice

www.alibapir.net

٢٩

عشرة عوامل لعلاج التطرُّف والغُلوِّ، وسَدِّ الطُّرق أمامَهُ

تحدثنا عن التطرف: أسبابه، وعواقبه الوخيمة، وصفات المتطرفين، وأيضاً تناولنا بشكل مفصّل مسألة الجهاد في الإسلام، لكن في هذه الأيام التي نعيشها، ومع انتشار الوسائط الجديدة والتكنولوجيا المعلوماتية وتأثيرها، وضعف الثقافة عند الشباب، والمشاكل التي يعانيها، وذكرتها في أسباب التطرف، نجد أن هناك من الشباب من يكون لقمة سائغة لأصحاب الفكر المتطرف. فكيف تضع روشتة لنقي هؤلاء الشباب، أن ينزلقوا ويقعوا في الهاوية التي لا تعطيهم الدنيا وتنزع عنهم الآخرة، عندما ينخرطون في مثل هذه التنظيمات الإرهابية؟

ـــ بداية: أريد أن أُضيف إلى كلامي السابق حول الجهاد: أن الجهاد واستخدام القوة في الإسلام، إنما جاء من أجل الدفاع عن حرمات المسلمين وعن الكيان الإسلامي، ولم يُشرَعِ الجهاد لتكوين الكيان السياسي في الإسلام، بعكس ما يتصوَّره كثير من المنضوين تحت رايات تلك الحركات التي تزعم وتتصوَّرُ، بأنه يجب استخدام العنف والقوة لتكوين الدولة الإسلامية!

فعندما نتأمَّل سيرَةَ الرسول عليه الصلاة والسلام نرى: أنه بنى الدولـــة الإســـلامية، بدون أن تُراق قطرة دم من أحد ، وإنما بنى الدولة الإسلامية على أساس بـــيعتي العقبـــة الأولى والثانية في السنتين (١٢) و(١٣) في العهد المكي، وعلى أساسهما أُبـــرم اتفـــاق بـــين الرسول عليه الصلاة والسلام من جانب، والأوس والخزرج وممثليهم من جانـــب آخر، على أنهم يحتضنون الرسول والإسلام ، وبُني الكيان الإسلامي على أساس هـــاتين الإتفاقيَتَيْنِ، بدون أن تراق قطرة دم، فما قاله (جـــان جـــاك روســـو) عـــن (العقـــد الإجتماعي)، بنى الرسول عليه الصلاة والسلام كيانَهُ السياسي على أساس هذا العقـــد، قبل نظرية (جان جاك روسو) بقرون عديدة.

★حَبَّذا لو ألَقَيْت بعضَ الضوء على موضوع كيفية علاج التطرف والغُلوِّ، وسدِّ الطريق أمامه!

- بالنسبة لكيفية علاج التطرف وسدِّ الطريق أمامَهُ، والتطـــرف الحاصـــل كيـــف نـــزيله؟ ذكرت في كتاب: (**نقض التطرف**) عشرة عوامل وطرق، ســـأذكرها تباعـــاً، شارِحاً منها ما يحتاج الى شرح وتوضيح:

العامل الأول: تربية المسلمين وتوعيتهم على فهم صحيح، ورؤية متزنة للإسلام:

الفهم الخاطيء للإسلام، والتربـــية على هذا الفهم الخاطيء والمنحرف، يُعدُّ السبب الرئيس لظهور التطرف، وبالعكس: الفهم الصحيح للإسلام، والتربـــية على هذا الفهم الصحيح، يكون هو العامل الأول لسد الطريق أمام نشوء التطرف، ولمعالجـــة التطـــرف الواقع والحاصل.

يقول سبحانه وتعالى عن كتابه المبارك عـــن القـــرآن: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ وَٱلْمِيزَانَ ... ﴿١٧﴾﴾ الشورى، عندما تُقرأ الكلمة الأخيرة بالكسر، في نهايتها، يعني:

أنـزل الله الكتابَ بالحقِ وبالميزانِ، وإذا قُرئت بالفتح، يعني: أنـزل الله الكتاب بالحق وأنـزل الميزانَ، والميزان داخل في الكتاب، لأنَّه على كلتا القراءتين- حسب فهمي- الميزان يُقصد به سنة الرسول عليه الصلاة والسلام، لأننا بسبب اتباعنا للرسول، نَتمكَّنُ من العَمَلِ بالكتاب وتطبيقه واتباعه، بالصورة الصحيحة.

أجل: القرآن هو الكتاب الذي أنـزله الله بالحق وأنـزل معه الميزان، والميزان مُتضَمَّن في الكتاب، وعندما ننظر إلى كتاب الله سبحانه وتعالى، نرى أن كتاب الله المبارك إنما يهتم بالقضايا بقدر أهمِّيَّتها، فمثلاً: المِسَاحة التي خُصِّصت للحديث عن الله سبحانه وتعالى، وعن اليوم الآخر، والجنة والنار، وعن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وعن الأخلاق الحسنة والفضائل، والرذائل، والعبادة لله سبحانه وتعالى، مساحة واسعة جداً، أمّا القضايا التي ليست بهذه الأهمية، فاهتم بها كتاب الله والذي نـزل حسب ميزان الله سبحانه وتعالى العدل، بحسب أهميتها، فمثلاً: الوضوء، جاء في آية واحدة، في الآية (٦) من سورة المائدة:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ ...٦﴾المائدة.

في آية واحدة، فقط لكن الحديث عن القسط والعدل مثلاً، وعن الإيمان خصوصاً: توحيد الله سبحانه وتعالى، وعن إدانة الشرك والمشركين، والظلم والظالمين، جاءَ في آيات كثيرة جداً، لماذا؟ لأن هذه القضايا أكثر أهمية ويجب أن يفهمها المسلمون، بكافة جوانبها بصورة جيِّدة، لكن الوضوء يكفيه سطر واحدٌ من آية مباركة!

والفهم الصحيح للإسلام إنما يتحصل لنا، عندما نُركِّز على كتاب الله، حتى سُنة الرسول صلوات الله وسلامه عليه، يجب أن نعتبرها طريقة لتطبيق الكتاب وتجسيده على أرض الواقع، فالسنة ليست شرحاً لكتاب الله، كما يتصور البعض، حينما يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ ٤٤﴾النحل،

بعض الناس يفهم هذه الآية المباركة خطأ، ويتصورون: أن السنة شرح للكتاب!! ولو كانت السنة شرحاً للكتاب، لفسَّر الرسولُ عليه الصلاة والسلام كتابَ الله، لكن لا نجد التفسير النبوي للقرآن الكريم، سوى لألفاظٍ قليلة من آيات قليلة في كتاب الله، عندما استشكل فهمها على الصحابة رضوان الله عليهم، وبالتالي: لا يوجد تفسير نبوي للكتاب، لماذا؟ لأن الكتاب في نفسه مفصَّل ومُبين:

١. ﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ وَقُرۡءَانٖ مُّبِينٖ ١﴾الحجر.

٢. ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ١﴾هود.

٣. ﴿وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ١٧﴾القمر.

فالكتاب مبين ومفصل وميسَّر، نعم يجب أن نفهم السنة أنها توضح كيفية تطبيق الكتاب، لذا يجب أن نتأمل الكتاب أولاً وندرسه، وبعد ذلك عندما نأتي إلى كيفية تطبيق هذا الكتاب وتجسيده على أرض الواقع، نتَّجه إلى السنة النبوية ونسير على خُطى النبي الكريم صلوات الله وسلامه عليه، أما أن نعتبر السُّنة حاكمة على القرآن -كما زعم البعض- أو بديلاً للقرآن، فهذا خطأ، لأن الرسول عليه الصلاة والسلام لم يكن بيده منهج إلا القرآن، والصحابة رضوان الله عليهم كانوا يتفاعلون مع القرآن، والسّنة النبوية تطبيق لكيفية تنزيل الكتاب على أرض الواقع.

هذه هي الخطوة الأولى في طريق معالجة التطرف: الفهم الصحيح للإسلام.

العامل الثاني: التركيز على وسطية الإسلام:

الإسلام دين وسط، يقول سبحانه وتعالى: ﴿فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطۡغَوۡاْۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ١١٢﴾هود، جملة: (فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ) نهي عن التضييع والتفريط، يعني: لا تُقَصِّرْ في تطبيق الكتاب والإلتزام به، وجملة: {وَلَا تَطۡغَوۡاْ} نهيٌ عن الإفراط، يعني: التزم بالكتاب، كما أُمرت، ولا تطغوا أي: لا تتجاوزوا الحدود.

وهذا الخطاب موجَّه للنبـــي الخاتم محمد صلى الله عليه وسلم وللصحابة ولأتباعـــه إلى يوم القيامة، { فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ } أي: ومن رجع معك إلى الله، وقد سبق معنا الحديث النبوي: أن بعض الصحابة ذهبوا إلى بـــيوت أزواج النبـــي، وسألوا واستفسروا عن طاعة الرسول، فلماّ أُخبروا بها، تقالّوها، أي اعتبروها قليلة، ولماّ رجـــع الرسول عليه الصلاة والسلام، وسمع ما قالوا، قال: {أَنْتُمْ الّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَـــذَا أَمَـــا وَاللّهِ إِنّي لَأَخْشَاكُمْ لِلّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ لَكِنّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ وَأُصَلّي وَأَرْقُدُ وَأَتَزَوّجُ النّسَاءَ فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنّتِي فَلَيْسَ مِنّي}[1].

(فمن رغب عن سنتي)، (سنتي)، أي: طريقتي في التعبُّدِ والتدين، فالسنة ليست شيئاً مقابلاً للقرآن، وإنما السنة هي القرآن مُطبَّقاً، هي القرآن مُجَسَّداً من خلال الرسول عليه الصلاة والسلام في حياته الشخصية والأسرية والإجتماعية والسياسية، وســـنة الرســـول عليه الصلاة والسلام كما هو بـــين هي: الصلاة والنوم، الصيام وعدم الصيام، والتزوّج وليس العزلة، ومخالطة الناس، وليس الإبتعاد عنهم.

العامل الثالث: ردّ التطرف ونقض مبادئه الفكرية:

أي: محاربة الفكر بالفكر، وليست المعالجة الأمنية والعسكرية فحسب، فهي وحدها لا تكفي، وقد ذكرت سبعة مجالاتٍ يُغالي فيها المغالون والمتطرفون:

١- القتال والجهاد.

٢- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٣- الأصل في التعامل مع غير المسلمين، هو السلم لا الحرب.

٤- التكفير.

٥- معاملة الحكام.

٦- تشكيل الكيان السياسي.

---

١) صحيح البخاري: ٥٠٦٣، وصحيح مسلم: ١٤٠١.

٧- تطبـــيق الشريعة.

١- القتال والجهاد:

نُسَجِّل هذه البنود الأربعة، حول القتال والجهاد:

أولاً: القتال في سبـــيل الله، وسيلة يُلجأ إليها وقت الضرورة، وليس هدفاً لذاته.

ثانياً: الهدف من القتال هو رد الظلم والعدوان، وليس إبادة أهل الكفـــر وإزالتـــهم بالكلية، أو إدخالهم في الإسلام كرهاً.

ثالثا: السبب في قتال الكفار، هو عدوانهم لا كفرهم، وهذا رأي جمهور العلمـــاء ، وهو الرأي الوحيد الذي تسنده نصوص الكتاب والسنة، وهناك آيات كثيرة تدل على هذه البنود الثلاثة، منـــها قولُـــه تعـــالى: ﴿ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ١٩٠ ﴾البقرة.

رابعاً: أُرسل الرسولُ صلوات الله وسلامه عليه، رحمة للعالمين، لا سيفاً عليهم، كما قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧ ﴾الأنبـــياء، وقال هـــو عن ذاته (إِنَّمَا أَنَا رَحْمَةٌ مُهْدَاةٌ)[1].

٢- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

والذي يتخذه البعض تكئة للإصطدام بالمجتمع ومؤسسات المجتمع، وإشاعة الفوضـــى والخراب والدمار، كما حدث في مصر في التسعينيات مـــن القـــرن الماضـــي، وقبـــل التسعينيات.

١) أخرجه الحاكم وصحّحه ووافقه الذهبي، ينظر: المحور (٧) لتخريجه.

وحول هذا الموضوع المهم نسجِّل النقاط الخمس الآتية:

أولاً: يجب أن يكون كل من المأمور به، والمنهي عنه، مُجْمعاً عليه من قبل العلماء، غير مختلف فيه، اختلافاً معتبراً، فمثلاً: لا يجوز أن تنهى النساء لأنهن لم ينتقبن، لأن قضية النقاب قضية مختلف فيها، وكذلك بالنسبة للإسبال واللحية، أو الأشياء التي للمسلم أن يلتزم، أو لا يلتزم بها، هذا عمل مندوب، قد أفعله أنا، ولا تفعله أنت،. فهذا ليس محلّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ثانياً: أن يكون المنكر المنهي عنه، ظاهراً مرئياً، لا يحتاج إلى التفتيش والبحث عنه، ويدل على هذين البندين: قولُه صلى الله عليه وسلم: {**مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيدِهِ**}[1]. وعليه: يجب أن يكون المنكر منكراً مرئياً ومشاهداً.

ثالثاً: أن يكون الناهي عن المنكر ذا قدرة على القيام به، وإلا لا يكون مُلْزَماً به، ولا يكون واجباً عليه، فمن يتصدى لتغيير منكرٍ، يجب أن يكون قادراً عليه.

رابعاً: وشرط آخر من شروط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، هو ألاَّ يُضِيعَ الأمرُ بالمعروف، معروفاً أكبر مما يُؤمَرُ به، ولا يَجْلب النهي عن المنكر، منكراً أكبر مما نُهي عنه، ولهذا قال العلماء من القواعد الشرعية المتفق عليها: (جلب أعظم المصلحتين بتفويت أدناهما)، و(احتمال أهون الشرين لدفع أكبرهما)، و(اختيار أخف الضررين لتجنُّب أشدهما).

خامساً: يجب أن يتَّسمَ واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بالأدب الرفيع والتعامل الجميل، كما قيل "أأْمر بالمعروف، بالمعروف، وانهَ عن المنكر لا بالمنكر".

---

١) رواه مسلم: ١٨٦.

٣- أساسُ التعامل مع غير المسلمين، هل هو الحرب أم السِّلم؟

لا أدري لماذا حصل الخلاف في هذا الموضوع أصلاً؟! لأن الله سبحانه وتعالى عندما يُعرِّف الرسول عليه الصلاة والسلام بقوله: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾الأنبياء، ثم يقول عن القرآن العظيم: ﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٤﴾التكوير، إذن: يجب أن تتسع رحمة الرسول عليه الصلاة والسلام، والتي أُرسل بها: لِكُلّ العالمين، أما عذابه وعقابه، فيجب أن يَقتصر على الظالمين.

٤- التكفير:

ونُسّجِّلُ حول هذا الموضوع هذه البنود الثلاثة:

أولاً: تكفير الإنسان من ليس بكافر، كتكفير ذاته، أي: الذي يُكفّر من ليس بكافر، كأنه كفّر نفسه، يقول الرسول عليه الصلاة والسلام {أَيُّما رَجُلٍ قالَ لأخيهِ يا كافِرُ فَقَدْ باءَ بِها أَحَدَهُما }[1]، أي: إذا لم يكن كافراً، فيعود إثم الكفر عليه، ولا يُقصد بأنه يكفر، بل المقصود أنه هو يأثم إِثْماً كبيراً، إذا لم يكن صادقاً في إطلاقه الكفر على الطرف المقابل.

ثانياً: اتفق العلماء على أنه من نطق بالكفر، أو الشرك أو بدرت منه أعمال كفرية أو شركية، طالما يحسب في دائرة الإسلام، فلا يُكفَّرُ الا بعد إعمال قاعدة "ثبوت الشروط، وانتفاء الموانع"، والمقصود بهذه القاعدة، أن الشخص المذكور: يجب أن تثبت في حقه هذه الشروط الثلاثة:

أولاً: وصول البلاغ المبين اليه، يجب أن يكون هذا الشخص، قد بلغه البلاغ المبين.

ثانياً: أن يكون عاقلاً.

---

١) رواه البخاري: ٥٧٥٣ ومسلم: ٦٠

ثالثاً: أن يكون بالغاً.

وهناك موانع ستة يجب أن تنتفي عنه:

أولاً: العَجْز.

ثانياً: الجهل.

ثالثاً: الخطأ.

رابعاً: النسيان.

خامساً: الإكراه.

سادساً: التأويل.

فَلربَّما هو مؤوِّل كما فعل بعض الفرق الإسلامية، عندما أَوَّلوا بعضَ الأشياء وأخطأوا، لكن العلماء لم يُخْرِجوهم من دائرة الإسلام.

ثالثاً: ليس لأحدٍ أن يُخرِج أحداً من دائرة الإسلام والإيمان، لقول أو فعلٍ يُعَدُّ كُفراً أو شركاً، إلا العلماء المختصون، وليس كل مَنْ هَبَّ ودَبَّ، إِذْ هذا عملٌ خطير، ولا يقوم به إلا المختصُّون من العلماء الثقات.

٥- معاملة الحكام:

ونُسجِّل حول هذا الموضوع الحساس، كذلك البنود الثلاثة الآتية:

أولاً: كل حاكم أظهر الإسلام وأقرَّ به، يُعامل مُعاملة الظاهر، حسب قاعدة: "نحن نحكم بالظاهر، والله يتولى السرائر" إلا إذا عُرِف فيه أحد نواقض الإسلام، وإلاّ فكل من يَعْتَبِرُ نفسَه مسلماً، ورأينا منه الإسلام، نعامله كمسلم.

ثانياً: لا شرعية لحكم الكافر، أو المرتد على المسلمين، ويجب على المسلمين عَزْلُه، والكافر المرتَدُّ من أهل الإسلام، هو الذي تتحقق فيه الشروط الثلاثة، وتنتفي عنه الموانع الستة التي ذكرناها .

ثالثاً: إذا لم يقدر المسلمون على عزله، يجب عليهم أن يعدُّوا العُدَّة لتغيير الواقع، فمن قام بهذا سقط عنه الإثم، وإن لم يقدر عليه، وإلا لحقه الإثم، أي: إنْ لم يسع

لإزالة هذا الحاكم المرتد، أو الكافر كفراً أصلياً.

٦- تشكيل الكيان السياسي (الدولة)، كيف يكون؟

وحول هذا الموضوع نسجل هذه البنود الثلاثة:

أولاً: إقامة كيان سياسي مستقل، واجب على المسلمين، ليقيموا فيه شريعة الله، كما قال تعالى: ﴿أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ...﴿١٣﴾﴾الشورى.

ثانياً: الطريقة الوحيدة لإقامة ...الكيان السياسي في الإسلام، هي قيام المجتمع الإسلامي بذلك، وذلك بإرادته الحرة، لأنه: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ...﴿٢٥٦﴾﴾البقرة.

ثالثاً: إقامة كيان سياسي مستقل لتطبيق الشريعة فيه، أمر ضروري، وواجب شرعي، لكن ينبغي أن يسبق ذلك إعداد المجتمع لهذا الأمر، وذلك بالفهم الصحيح والتربية الجيدة، لأن الإسلام هو (الهدى) قبل أن يكون (دين الحق)، ولا قيام لـ(دين الحق) دون (الهدى)، كما قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ﴾التوبة(٣٣)، الفتح(٢٨)، الصف(٩).

٧- تطبيق الشريعة:

ونسجِّل هاتين الملاحظتين في هذا المجال:

الأولى: كلمة (الشريعة) عند إطلاقها تعني: الإسلام، أما إذا اقترنت بالإيمان فتعني: الجانب التطبيقي للإسلام.

الثانية: تطبيق الشريعة ــ بمعناها الواسع ــ يبدأ من تثبيت قيمها العليا ومبادئها الفضلى، في عقول الناس وتربيتهم عليها، قبل البدء بقوانينها وعقوباتها، كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل حين بعثه إلى اليمن:{**إنك تَقْدَم على قوم**

أهل كتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه: عبادة الله، فإذا عرفوا الله، فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم، فإذا فعلوا، فأخبرهم أن الله فرض عليهم زكاةً من أموالهم، وتُردُّ على فقرائهم، فإذا أطاعوا بها، فخذ منهم وتوق كرائم أموال الناس}[1].

العامل الرابع: في علاج التطرف: رفع الظلم بجميع أنواعه عن المجتمعات المسلمة:

أخبرنا الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم، أَنَّ أَحَدَ سننه في خلقه، هو أنه: نتيجة الظلم، هي خراب المجتمعات، يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ ۝٥٩﴾القصص.

وقال سبحانه: ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ۝١١﴾الأنبياء.

وعليه: إصلاح المجتمع وتطهيره من الظلم والجور، يُعَدُّ طريقةً ناجحة لمنع ظهور التطرف بداية، واجتثاثه بعد ظهوره، والمقصود بالظلم: هو الظلم السياسي والإِجتماعي والإِقتصادي، وكل أنواع الظلم الأخرى، فإذا ما أُريدِ سَدُّ المنافذ أمام وباء التطرف والغُلوِّ، ينبغي أن يُرفع الظلم بكل أنواعه، لأن الظلم بحق الناس، والتعامل معهم على أسس من الفروق الطبقية، والإنتماء الحزبي والعشائري، وممارسة الفساد، واحتكار السلطة، هذا: يُعَدُّ مرتعاً خصباً لجرثومة التطرف، ونموها وانتشارها في المجتمعات، لأن المتطرف يتخذ هذه الحالة ذريعة للإِنتقام ومبرِّراً لتغيير الواقع.

---

١) أخرجه البخاري: ١٤٩٦، ومسلم: ٢٩.

العامل الخامس: مراجعة الأحزاب والأنظمة العلمانية، تعامُلها مع الإسلام وعداءها له، فكراً وعقيدة وأخلاقاً:

نعلم بأن هناك أنظمةً، وهناك أحزاباً، وجهاتٍ علمانية متطرفة، ونتيجة تطرف العلمانيين، يحدث التطرف لدى الجانب الآخر: الإسلاميين وغير الإسلاميين، لأن لكل فعلٍ رَدُّ فعل يساويه في المقدار، ويعاكسه في الإِتجاه، والباديءُ بالشر أظلم، لكن مع الأسف كثير من الناس لا يرون إلا رد الفعل، مع أن الفاعل أأثم، لأنه هو الذي بدأ، وهو الذي أجبر الطرف المقابل على أن يفكر في كلِّ شيءٍ .

ومن هنا أُوَجِّه كلامي إليهم جميعاً: الحكومات والأحزاب العلمانية فأقول:

إذا كانت الأحزاب والأنظمة العلمانية صادقة في دعواها، مخلصة لشعوبها وأوطانها: فَلْتَحترِمْ دينَ شعوبها، ومُعْتقدَها، وقِيمَها العليا، وأخلاقها الفاضلة، كي لا تعطي أناساً من ذوي الفهم السطحي والعقل الساذج، ذريعة اللجوء إلى العنف كرد فعل ، مثلما حدث في سبعينيات القرن الماضي في مصر، إذ خرجَتْ من ظلمات سجون جمال عبد الناصر وأنور سادات العلمانية القمعية: جماعة التكفير والهجرة.

فالعدل يقتضي: إذا ما أُريدَ معالجة التطرف وسد الطريق عليه: مواجهة التطرف العلماني، لأن التطرف والغُلوَّ العلمانيَّ، فعل مولِّد لِرَدِّ فعل تطرف بعض الجماعات الإسلامية.

هذا من جانب، ومن جانب آخر: ما هو بديل العلمانيين لعقيدة الإسلام وأخلاقه الحميدة وقيمه العليا؟ ألا يرون أنه لا يوجد إيمانٌ يناسب الفطرة الإنسانية، ولا معتقد يساير العلم، ولا أدب يرفع من شأن الإنسان، إلا في الإسلام؟!

إذن لماذ تحاربون الإسلام؟ إن كنتم صادقين في إِخلاصكم لشعوبكم، وحرصكم على مصالحها طَبِّقوا الإسلام، الإسلام المعتدل المتَّزن، حتى تسدُّوا الطريق على التطرف والمتطرفين!

العامل السادس: لمعالجة التطرف، فتحُ الطريق أمام التيار الإسلامي المعتدل، وعدم إعاقة مسيرته:

هنا أضربُ مثلاً: إِنك عندما تجد ينبوعاً من الماء، وتسدُّ طريق هذا النبع، وتمنعه من أن ينبع الماء بسلاسة وبطريقته الصحيحة، فإنه سينبع هذا الماء في مكان آخر من طريق غير طبيعي، كذلك أنت عندما تسد الطريق أمام التدين الفطري الصحيح، وعندما تحارب التيار الإسلامي المعتدل المتزن، ولا تسمح له، بالنشاط الشرعي الصحيح المُنضَبِطْ بضوابط الشريعة، فإنك تعطي الفرصة للمتشدِّدين والمغالين.

العامل السابع: العمل على إعادة ثقة الجماهير بالمؤسسات الدينية الرسمية:

عندما تتدخل الحكومات والأحزاب العلمانية في المؤسسات الرسمية: إِتحاد العلماء، كما هنا في إقليم كردستان العراق، وهيئات الفتوى، أو الأزهر، أو غيرها، والشخصيات التي يجب أن تُعتبر كَمرْجِعٍ للفهم الصحيح للدين، عندما تتدخل الحكومات والأحزاب العلمانية، في هذه المؤسسات، وتُفْرِغُها من محتواها، تجعل الجماهيرَ يفقدون الثقة بهذه المؤسسات، وإذا فقدوا الثقة بالمؤسسات الرسمية، يَتَّجهون إلى غيرها من المراجع والمصادر والتي هي على الأكثر غير مُؤَهَّلة، ولهذا قال العلماء والسلف الصالح (عندما يصبح العلم ممنوعاً، أو عندما يُصْبِح تعَلُّمِ العلم في الظلام، ينحرف)، فليكن العلم الشرعي مسموحاً به تحت الشمس، النبتة عندما تنبت وتترعرع في جو صحي، وتحت ضوء الشمس، تنشأ نشأة صحيحة، لكن عندما تنشأ في الظلام، تحدث فيها انحرافات واعوجاجات.

العامل الثامن: تصحيح القوى العظمى أخطاءها تجاه التيار الإسلامي:

أنت أخ مصري، وشعب مصر عزيز لدينا ونحبه، ومصر بلد مهم من بلاد المسلمين، ومركز ذو أهمية كبرى للعالم الإسلاميِّ، من حيث كثير من الأمور، منها الفهم

الصحيح للدين، ومصر بأزهرها وبعلمائها وتأريخها، لها مكانة مرموقَة عند المسلمين في كل البلاد الإسلامية، ولكن عندما تجري انتخابات، ثم ٧٠% أو ٦٠% أو أكثر، أو أقل، من الشعب، يختارون التيار الإسلامي ليحكمهم، لكن قبل أن يُتِمَّ التيارُ الإسلامي دورته (أربع سنوات) يحدث انقلاب، ما الذي يفكر به الناس الإسلاميون وغير الإسلاميين؟ يفكرون في كل شيء، إذن هذا الوضع اللاطبيعي هو الذي يضطرُّ الناسَ أن يفكروا في كل شيء، لماذا؟ لأنه سُدَّ عليهم الطريق الطبيعي، فصاروا يلجأون إلى هنا وهناك، ثم قد يكون هناك الذين يصطادون في الماء العكر، يستغلونهم، ومن الواضح أن القوى العظمى هي التي تؤيِّدُ هذا الواقع المرير، ونحن نستغرب هذا الموقف من أمريكا والدول الأوروبية والشرقية، لماذا يُحَبِّذون لأنفسهم: الديمقراطية، وحقوق الإنسان، والإنتخابات الحرة، وأن يكون الناس مصدر السلطة، لكن لا يُحَبِّذون هذا لنا؟ أنظر الى أهل الإسلام والإسلام، حيث لا نسبية فيه في مجال القيم، العدل يجب أن تتصف به في ذاتك، وأن تحب العدل لغيرك، وكذلك كل القيم والأشياء الخيرة، لكن هؤلاء مع الأسف يكيلون بمكيالين وعندهم ازداوجية، يحبون الديمقراطية لهم، لكن يُحَبِّذون الديكتاتورية لنا، يؤيِّدون حقوق الإنسان هناك، لكن هنا يُداس على حقوق الإنسان، وهم يُشَجِّعون ويُسنِدون ظَهْرَ من يدوس على حقوق الناس وحقوق الشعوب!

العامل التاسع: معالجة أزمات العالم الإسلامي، ومشاكله التي تثير حفيظة المسلمين، كما في: كوردستان وفلسطين وكشمير وميانمار:

أجَلْ: المظلومية التي تقع على الشعوب الإسلامية، والأزمات التي تعاني منها الشعوب الإسلامية، يجب أن تُعالج، لأن هذه الأوضاع غير الطبيعية هي التي تدفع للتطرف والغلو .

العامل العاشر والأخير: مواجهة المتطرفين ومعاقبتهم أثناء اعتدائهم:

وإنما أخذت هذا من موقف سيدنا علي رضي الله عنه، ولننظر الى هذه الآثار الثلاثة:

أ- (عن علي رضي الله عنه أنه سُئل عن أهل النهر ــ أي النهروان ــ : أكفار هم؟ قال: من الكفر فرُّوا، قيل: فمنافقون؟ قال: إن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلاً، قيل: فما هم؟ قال: هم قوم أصابتهم فتنة، فَعَمُوا وصَمُّوا وبغوا علينا، وقاتلونا، فقاتلناهم).[(١)]

إن مواجهة المتطرفين الذي يبدأون باستخدام القوة والعنف، والرد عليهم بالقوة، هو الموقف الصحيح، وذلك طبعاً بعد تقديم المعالجات والخطوات الأخرى.

ب- ورُوي عن علي رضي الله عنه أنه قال للخوارج: {لَكُمْ عَلَيْنَا ثَلَاثٌ: ١- لاَ نَمْنَعُكُمْ مَسَاجِدَ اللهِ أَنْ تَذْكُرُوا فِيهَا اسْمَ اللهِ، ٢- وَلَا نَمْنَعُكُمُ الْفَيْءَ مَا دَامَتْ أَيْدِيكُمْ مَعَ أَيْدِينَا، ٣- وَلَا نَبْدَؤُكُمْ بِقِتَالٍ}.[(٢)]

ج- ورُوي أن علياً لما قاتل أهل النهر (الخوارج) قال لأصحابه: لا تبدؤهم بقتال، وبعث إليهم: أقيدونا بعبد الله بن خباب، (اذ هم قتلوا عبد الله بن خباب) فقالوا: كُلُّنا قَتَلَه، ولهذا أعلن الحرب عليهم).[(٣)]

إذن: ما دام المتطرفون يلجأون إلى القوة والعنف واستخدام القوة، ويستبيحون دماء الناس وأموالهم وأنفسهم ، فمن حق المسلمين أن يردُّوا عليهم بمثل منطقهم .

هذه هي الطرق والعوامل العشرة، التي أرى بأنها يجب أن تُتَّخذ لمحاربة التطرف والمتطرفين .

---

١) رواه عبد الرزاق في (العقول) (١٠/١٧٢)، وابن أبي شيبة في (الجُمل): والبيهقي في الكبرى (٨/١٧٤) عن علي رضي الله عنه.

٢) رواه ابن أبي شيبة في (الجمل): ٣٩٠٨٥، والطبراني في الأوسط: ٧٧٧١، والبيهقي في الكبرى: ١٤٨١٨، وضعفه الألباني في مختصر إرواء الغليل: ٢٤٦٧١.

٣) رواه عبد الرزاق في (العقول): ١٨٥٧٨، وبن أبي شيبة في (الجملة): ٣٩٠٤٨، والدار القطني في (السنن) ٣/١٣١، والبيهقي في (الكبرى) ٨/١٤٨..

ameer.maktab@yahoo.com

/AliBapir /AliBapir /MediaAmeerOffice

www.alibapir.net

٣٠

تزكية النَّفس: آفاق رحبة وجوانب متعدِّدة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴿١٠﴾﴾الشمس، النفس البشرية لها كثير من التقدير والتعظيم عند الله عزوجل، في الإسلام، ويبدو أنك تهتم بها كثيراً، في محاضراتك أو في خطبك أو كتبك، ولعل آخرها كتاب (طريق الصلاح والسير إلى الله)، في البداية نريد أن تطْلِعَنا على المقصود بتزكية النفس؟ وما أهمية النفس ومنزلتها في القرآن الكريم وفي الإسلام؟

- بالنسبة لتزكية النفس، هذا الموضوع بحر لا ساحل له، وذلك لأن الروح لا تُدرك حقيقته للبشر، كما يقول جل شأنه في سورة (الإسراء): ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾الإسراء، والإنسان مكوَّن من جسد وروح، وحتى بالنسبة لجسده، مازال العلماء مُتَحيِّرون في كثير من أسرار الجسد، هناك كتاب مضت عليه فترة، عنوانه: (الإنسان ذلك المجهول)، فيقول مؤلِّفه (ألكسيس كاريل) العالم الحائز على جائزة نوبل: "إن جهلنا بأنفسنا جَهْلٌ مُطْبِق"، هذا

بالنسبة للجسد وهو مخلوق ظاهري نراه ونلمسه، فكيف بالروح، والروح يقول عنها سبحانه وتعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى ﴾.

وأنا -كما تفضلت أنت- اهتممت بهذا الموضوع كثيراً، موضوع التعامل مع الروح، والسعي لتطهير الروح من الرذائل وتجميلها وتحليتها بالفضائل، وخصصت لهذا كتاب (طريق الصلاح والسير إلى الله.. تزكية النفس في ضوء القرآن والسنة)، وكذلك لي كتابان آخران لم يترجما إلى اللغة العربية: أولهما: (التوبة إلى الله سبحانه وتعالى)، يتحدث عن التوبة الى الله وكيفيتها وشروطها، والثاني: (حياة الروح، أو روح الحياة)، وموضوع: (تزكية النفس) لا أحد يصل إلى غَوْرِهِ العميق والدقيق والواسع والشامل.

بالنسبة لهذا الكتاب (طريق الصلاح والسير إلى الله) جعلته في ثمانية فصول، لكنّي سألخص لك كلامي هنا حول تزكية النفس في سبعة محاور:

١) التعريف:

بداية أقول:

١- الروح، ٢- النفس، ٣-السر، ٤-الخفي، ٥-الأخفى، هذه خمسة أسماء جعلها بعض العلماء لخمسة أشياء في باطن الإنسان، لكن الذي توصَّلْتُ إليه، أن هذه الأسماء قد تكون عناوين لأطوار الروح، والمراحل التي تمر بها، وإلا فالروح حقيقة واحدة، لكن ربما تتمظهر بمظاهر مُتَعدِّدة أو تمر بمراحل مختلفة.

والروح والنفس -حسبما أرى- اسمان لشيء واحدٍ: الروح هو جوهرالإنسان وجانِبهُ المخفي المستور -والروح تُذكَّر وتُؤنَّث- عندما تكون خارج الجسد، يُطلق عليها لفظ الروح، لكن عندما تدخل في الجسد، يُطلق عليها لفظ النفس، ولهذا نرى أن الله سبحانه وتعالى لم يوجِّهْ لا الذم ولا المدح للروح، لماذا؟ لأن الروح ما لم تدخل في الجسد، لا تتمكَّن من الخير، فَتُمدح، ولا من الشر، فتُذم، ولكن الله سبحانه وتعالى وجه المدح والذم إلى النفس، بالنسبة للمدح: ﴿ يَـٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ

رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ ﴾الفجر، إذ قد تصل النفس إلى حالة الإطمئنان فتُمدح، وقد تُذم: ﴿ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ ...﴿٥٣﴾ ﴾يوسف، وقد تكون بين بين: ﴿ وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴿٢﴾ ﴾القيامة، ويقول علماء التزكية: إن النفس اللوامة هي النفس التي تُحسن وتُسيء، فتلوم نفسها على التقصير وعلى الإساءة.

وبالنسبة لتزكية النفس: فإن كلمة التزكية تأتي في اللغة العربية بثلاثة معانٍ: ١-التطهير، ٢-التنمية، ٣- الإصلاح،[1] فعندما يقول سبحانه وتعالى: ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ ﴾الشمس، (زكّاها)، أي: طَهَّرها، نمّاها، أصلحها، زكى يزكو أي: طَهُر يطهر، أو نما ينمو، أوصَلَح يصلُح، إذن: المقصود بتزكية النفس وفي ضوء معنى (التزكية) اللغوية، أن يقوم الإنسان بتطهير نفسه من الأوشاب والرذائل، وإنماء نفسه بالفضائل وإصلاح نفسه، والإصلاح يشمل التطهير والنمو.

هذا باختصار، وإلاّ فإن الحديث يطول حول معاني التزكية.

وعلماء التزكية استعملوا هذه الكلمة (تزكية)، وأنا أُحَبِّذ استعمال هذه الكلمة ولهذا سمَّيتُ كتابي: (طريق الصلاح والسّير الى الله): (تزكية النفس في ضوء الكتاب والسنة)، ولكن قد يُعبَّر عن هذا المعنى بتعبيرات شتى ، وكما يقول العلماء "لا مشاحة في الإصطلاح"، ولهذا أنا جعلت العنوان الأبرز (طريق الصلاح والسير إلى الله)، أي: كيف نُصلِحُ أنفَسنا، حتى نستطيع أن نسير إلى الله ونتقرَّب اليه؟!

١) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن، لراغب الأصفهاني، ص٣٨٠، ٣٨١، والمعجم الوسيط، ص٣٩٦.

هـذا العنـوان (طريـق الصـلاح والسـير إلى الله) أنـت رسمـت طريقـاً للإنسان المسلم، لكي ينصلح ويسير إلى الله عزوجل، بودّنا لو توضّح لنا معالم هذا الطريق؟ وكيف نسير في هذا الطريق، لنصل إلى رضاء الله سبحانه وتعالى؟

ــ إسمح لي لأُكمِلَ كلامي السابق: إن العلماء استخدموا للجانب الروحي والمعنوي: كلمة (الإحسان) أيضاً، وهي كلمة مأخوذة من الحديث النبوي المبارك، والمشهور بحديث جبريل، الذي جاء في الصحيحين، عن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه، وفي نهاية الحديث: {أخبرني عَنِ الإِحْسَانِ؟ قَال: أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ}[1]، وعندما ننظر إلى شرح الرسول عليه الصلاة والسلام، لكلمة الإحسان، لا نرى إضافة تضاف إلى الإسلام والإيمان، واللذين عرَّفهما في السابق، عندما قال: {الإِيمَانِ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ}، وعندما قال بالنسبة للإسلام: {أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لا اله إلا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَتُقِيمَ الصَّلاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلا}، فالإحسان ليس شيئاً زائداً عن الإسلام والإيمان، إذن ما هو الإحسان؟ الجواب: الإحسان هو الإجادة في الإيمان والإسلام، الإجادة في التعبُّد لله سبحانه وتعالى، ولهذا يقول الرسول عليه الصلاة والسلام: {الإِحْسَانُ أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ، فَإِنَّهُ يَرَاكَ}.

وبعض العلماء أو أكثريتهم، جعلوا لفظ (التصوف) عنواناً للتزكية، ثم اختلفوا من أين جاء لفظ التصوف؟ هل من الصُّوف، أو من الصُّفّة، أو من الصَّفِّ؟ لكن الأرجح أنه جاء من الصُّوف، لأنهم كانوا يلبسون الصوف تقلّلاً في الملابس، وزهداً في الدنيا وفي متاع الحياة الدنيا.

١) رواه البخاري: ٥٠، ومسلم: ١٠٢.

٢) مراحل السَّير الى الله تعالى:

وجواباً عن سؤالك أقول: قسمت طريق الصلاح والسير إلى الله سبحانه وتعالى، إلى ست مراحل:

١- المرحلة الأولى: التوبة والتطهر.

لابد في البداية أن نتوب إلى الله وأن نتطهر، لأن ابن عطاء الله السكندري، وهو عارف مصري كبير يقول: "كيف يرحل قلب إلى الله وهو مُكبَّل بشهواته؟ أم كيف يطمع أن يدخل حضرة الله، و لم يتطهر من جِنَابة شهواته؟"، يؤكِّد على أنه لابد في البداية من تطهير النفس، والتوبة تتحقق كما يقول العلماء بـ:

١- الندم عما مضى من الآثام والذنوب والتقصير والقصور.

٢- ثم العزم على عدم العودة.

٣- ثم الإقلاع عن الذنوب.

٤- ثم إذا كان هناك حقوق مرتبطة بالناس، يَرُدُّ الحقوق إليهم، وأية توبة تحققت فيها هذه الشروط الأربعة، ستكون مقبولة.

٢- المرحلة الثانية: العلم والتبين:

بعد أن يتوب الإنسان - والتوبة أيضاً تحتاج إلى العلم، لكن على أي حال أنا جعلت العلم والتبين المرحلة الثانية- أجل بعد الرجوع الى الله تعالى، يحتاج الإنسان الى العلم والتبصّر، كي يكون على بصيرة وفقه في سَيْرِهِ الى الله تعالى.

٣- المرحلة الثالثة: الإخلاص والتجرد:

اذ الإخلاص والتَجرُّد لله تعالى: روح التعبُّد.

٤- المرحلة الرابعة: التقوى:

والذي هو ملاك الخير كله وجماع خصال الخير كلّها.

٥- المرحلة الخامسة: الإحسان:

أي تحقيق الإيمان والإسلام والإجادة فيهما.

٦- المرحلة السادسة والأخيرة: الإِستمرار والإستقامة:

فلا تبقى إلا أن تستقيم وتستمر على هذه الأمور.

وقطع هذه المراحل لا يَعْني أننا عندما ننتقل من التوبة والتطهير، إلى العلم والتبـين، أننا نترك التوبة، لا، بلْ نحتفظ بالتوبة، اذْ عندما يصف الله سبحانه وتعالى المؤمنين الذين: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ... ﴿١١١﴾﴾ التوبة، يصفهم بأنهم (التائبون) و(التائب) اسم فاعل، يعني أنهم مستمرون على التوبة[1]، وكذلك هم مستمرون على العلم، وعندما ينتقلون إلى التقوى، لا يعني أنهم يتركون العلم والتبـين، وكذلك عندما ينتقلون إلى الإحسان، لا يعني أنهم تركوا(التقوى).

و(الإستقامة) تعني أنهم يحتفظون بمحتوى المراحل الخمس الماضية، ويضيفون إليها الإستقامة والدوام والثبات.

> **الكثيرون يخطئون ويعترفون بأخطائهم ويحاولون أن يسيروا في طريق التوبة والإصلاح، ولكن قد يواجهون بعض العوائق والأمور التي تعترض طريقهم ، فما هي أغلب هذه العوائق التي رصدتها في**

---

١) ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ .... ﴿١١١﴾ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ .... ﴿١١٢﴾﴾ التوبة.

كتابك، وما الطريقة التي نستطيع بها: التغلُبَ على تلك العوائق وبالتالي نواصل السير في طريق الله سبحانه وتعالى؟

٣) زاد الطريق:

- حسب ترتيبي لفصول الكتاب، تحدثت قبل ذكر عوائق الطريق، عن زاد الطريق، كيف نكتسب الصلاح، ونسير إلى الله الذي ليس كمثله شئ؟ وأوضحت ثمانية أمور في هذا المجال:

١- تصحيح العقيدة وتقوية الإيمان، أكبر عامل للتزكية.

٢- ثم معرفة أسماء الله الحسنى وصفاته العُلى والتفاعل معها.

٣- ثم صلاح الدين والدنيا والآخرة والحياة والموت، كما قال النبي الخاتم صلى الله عليه وسلم: {**أللَّهم أَصلِحْ لي ديني الذي هو عِصمَةُ أمري، وأصلح لي دنيايَ التي فيها معاشي، وأصلِح لي آخرتي التي إليها معادي، واجعل الحياة زيادة لي في كل خير، واجعل الموت راحةً لي من كل شرّ**}(١)

٤- ثم مثلّث: الصبر والشكر والتوكل.

٥- ثم عشر وسائل من مستلزمات السير إلى الله سبحانه وتعالى، في ضوء حديث نبوي مبارك: {**اللّهُمّ إنّي أَسْأَلُكَ ١- الثّبَاتَ فِي الْأَمْرِ، ٢- وَالْعَزِيمَةَ عَلَى الرّشْدِ، ٣- وَأَسْأَلُكَ شُكْرَ نعْمَتِك، ٤- وَحُسْنَ عِبَادَتِك، ٥- وَأَسْأَلُكَ قَلْبًا سَلِيمًا، ٦- وَلِسَانًا صَادِقًا، ٧- وَخُلقاً مُسْتَقِيماً، ٨- وَأَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا تَعْلَمُ، ٩- وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرّ مَا تَعْلَمُ، ١٠- وَأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا تَعْلَمُ**}(٢)، هذا الحديث يتضمن عشر وسائل، من عوامل تزكية النفس وصلاحها.

---

١) رواه مسلم: (٧٠٨٧).

٢) رواه النسائي: (١٣٠٤)، والحاكم: (١٨٧٢)، وصَحَّحَهُ الألباني في السلسلة الصحيحة: (٣٢٢٨).

٦- ثم عشرة أسس مهمة للسير إلى الله سبحانه وتعالى في ضوء هذا الحديث النبوي المبارك والذي سمّاهُ النبـــي الخاتم سيدَ الإستغفار، يقول النبـــي عليه الصــــلاة والسلام: {سَيّدُ الِاسْتِغْفَارِ أَنْ يَقُولَ الْعَبْدُ: ١- اللّهُمّ أَنْتَ رَبــي، ٢- لَـــا إِلَه إِلّا أَنْتَ، ٣- خَلَقْتَنِي، ٤- وَأَنَا عَبْدكَ، ٥- وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، ٦- أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرّ مَا صَنَعْتُ، ٧- أَبُوءُ لَكَ بِنعْمَتِكَ عَلَـــيّ، ٨- وَأَبُوءُ بِذَنْبِــي، ٩- فَاغْفِرْ لِي، ١٠- إِنّهُ لَا يَغْفِرُ الذّنُوبَ إِلّا أَنْتَ}[1].

وهذه عشرة أسس متضمَّنة، في هذا الحديث النبوي المبارك.

٧- عوامل عامة وهامة، تعين على الصلاح والسير في طريق الله سبحانه وتعالى، وهي خمسة عشره عاملاً، وهي:

١- الصلاة.

٢- ذكر الله تعالى.

٣- قراءة القرآن.

٤- الصوم.

٥- الحج والعمرة.

٦- الإعتكاف.

٧- التفكير.

٨- الدعاء.

٩- إعاثة الآخرين.

١٠- الأخلاق الفاضلة.

١١- السَّلامة من الذنوب الظاهرة والباطنة.

١٢- الإقلال من: الطعام والنوم ولكلام والإختلاط بالناس.

١٣- مصاحبة الصالحين.

---

١) رواه البخاري: (٥٩٤٧)، وأبو داود: (٥٠٧٠)، وابن ماجه: (٣٨٧٢).

١٤- المطالعة والتعرف على حياة الصالحين وأحوالهم.
١٥- الإتباع المطلق للنبـــي صلى الله عليه وسلم.
٨- وأخيراً: سبعة عوامل في ميدان العمل الإسلامي، لها أبلغ الأثر في تزكية النفس.

ما هي هذه العوامل؟

١- الدعوة الى الله تعالى، سبحانه وتعالى، وهي الخطوة الأولى في مجال العمل الإسلامي، ولها أبلغ الأثر في تزكية النفس، طبعاً ما دامت الدعوة بالصورة والكيفية التي أمر الله سبحانه وتعالى بها، وعلى الأساس الصحيح.
٢- التعليم.
٣- النصيحة، وقد قلنا سابقاً أن النصيحة تعني التجرُّد والإخلاص وإرادة الخير للمنصوح.
٤- ثم الموالاة والمعاداة في الله سبحانه وتعالى، أن تحب مَنْ تحب، لله، وأن تُبْغِضَ مَنْ تبغض، لله، وحسب شريعة الله.
٥- ثم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
٦- ثم الهجرة.
٧- ثم الجهاد بمفهومه الذي أوضحناه سابقاً، وليس بالمفهوم الخاطيء الذي مع الأسف، يفهمه ويمارسه بعض المتطرفين والغلاة.

٤) عوائق السَّير الى الله تعالى:

أما بالنسبة للعوائق التي تعترض السالك، لأن أهل التزكية والتصوف يســمون مــن يسير إلى الله سبحانه وتعالى (السالك) يعني الذي يسلك الطريق، وأنا استعملت كلمــة: (السائر إلى الله).

فهناك عوائق كُثُر، لكن رَبَّما هذه الثمانية، أكثرها أثراً وضرراً:

العائق الأول: الفهم الخاطيء للإسلام:

إنما تتطهر النفس وتتزكى عندما يلتزم الإنسان بالإسلام، كما أراده الله سبحانه وتعالى، أما الذي يعوجُّ فِكْرُهُ، ويخطيء في فهم الإسلام، ويتصوَّر الإسلامَ بخلاف ما هو عليه، كما هو حال وديدن كثير من المسلمين، فأنّى له تزكية النفس! أجل، لا يمكن أن تتطهر النفس وتتزكى، إلا إذا فهم الإنسانُ الإسلام فهماً صحيحاً، الإسلام المتجِّسد في الكتاب والسنة، ثم التزم به حسب قدرته التزاماً جدِّياً وصحيحاً .

العائق الثاني: الآثام الظاهرة والباطنة:

يقول سبحانه وتعالى في سورة الأنعام: ﴿وَذَرُواْ ظَٰهِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَبَاطِنَهُۥٓ...﴿١٢٠﴾﴾الأنعام.

هناك من الآثام والذنوب ما يتعلق بالجسد أي بظاهر الإنسان، وهناك ما يتعلق بباطن الإنسان، والآثام الباطنة جذور للآثام الظاهرة، وما الآثام الظاهرة والذنوب والمعاصي، إلا نتائج تَتَمخَّض عن الذنوب الباطنة، فمثلاً: عندما يتفاخر الإنسانُ على الآخرين، فَسَبَبُهُ الكِبْرُ المُسْتكِنُّ في قلبه، وعندما يُذِلُّ الإنسانُ نَفْسَه لغيره، من أجل لقمة عيشٍ، أو من أجل مصلحة ومنفعة دنيوية، فَسَبَبُهُ ضُعْفُ يقينه وإيمانه بأن الله سبحانه وتعالى هو الرازق، وأنه هو الخافض والرافع، وهكذا كل الذنوب والمعاصي الظاهرة، جذورها مُسْتَكِنَّةٌ في باطن الإنسان وقلبه.

العائق الثالث: الإهتمام الخارج عن حَدِّه بالحياة الدنيا:

الحياة الدنيا مطلوبٌ الإِهتمام بها ولابدَّ من ذلك، لأننا نعيش في هذه الحياة وعلى هذه الأرض، ولذلك نرى الله سبحانه وتعالى في سورة البقرة، يُقدِّم الدنيا على الآخرة، لأنه حسب الترتيب الزَّمني: الدنيا قبل الآخرة: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ حَسَنَةٗ ﴿٢٠١﴾﴾البقرة» والذي لا يتمكن من تحصيل الحسنة في الدنيا، لايمكنه

أن يُحَصِّل الحسنة في الآخرة، فحسنة الآخرة مترتِّبةٌ على حسنة الدنيا، وفسَّرَ المفسرون الحسنة بأشياء كثيرة: العلم، والعمل الصالح، والإيمان، والتقوى، والزوجة الصالحة، والمال الحلال، والصحة ....الخ، وفعلاً هذه الكلمة شاملة لكل نِعم الله في الحياة الدنيا، وحسنة الآخرة، هي الجنة ورضوان الله سبحانه وتعالى.

إذن: الإِهتمام الخارج عن حدِّه بالحياة الدنيا، عائق آخر من عوائق تزكية النَّفس وصلاحها.

العائق الرابع: النفس وشهواتها:

والله سبحانه وتعالى وضع الشهوات في النفس البشرية، لأن الحياة في الدنيا تقتضي هذا، ولو لم يمتلك الإنسان غريزة حُبِّ الإطلاع، لما حاول أن يتعلَّم العلم، ولو لم يمتلك غريزَةَ حُبِّ الجمال، لما سعى إلى تجميل حياته وتجميل نفسه، ولو لم يمتلك الإنسان غريزَةَ حُبِّ التملُّك، لما سعى إلى تحصيل المال الحلال، وكذلك بالنسبة للغريزة الجنسية، ولكل الغرائز الأخرى، لكن عندما يستغرق الإنسان في تلبية غرائزه، على حساب الروح وأشواقها، وعندما يَغْرق في دنياه، على حساب أُخراه، عند ذلك يَخْتَلُّ الميزانُ، وهذا يصبح عائقاً، وإلا فَطَلَبُ الدنيا بصورة شرعية، مطلوبٌ بل ومأمورٌ به شَرْعاً وعقلاً، كما كان الصحابة رضي الله عنهم، فيهم تجارٌ يكتسبون المال، ويبنون الدُّورَ، ويتزوجون، ويهتمون بالدنيا.

لأن الإسلام لا يَسْمَحُ لأتباعِهِ أن يتسوَّلوا وأن يكونوا فقراء، والفقر ليس ممدوحاً لا في كتاب الله، ولا في سنة الرسول عليه الصلاة والسلام، وإنما ٱعتبر الفقر مصيبة من المصائب، يُصاب بها الإنسان، والله سبحانه وتعالى مدح الفقراء الصابرين، لكن لم يمدح الفقر لذاته، وهناك أحاديث تُنسب إلى الرسول عليه الصلاة والسلام في مجال الثناءِ على الفقْر، مثل: (الفقر فخري)، أو (اللهم أحيني مسكيناً)، هذه الأحاديث كما يقول المختصُّون: لا تصِحُّ، إذْ هي علاوةٌ على مخالفتها للقرآن الكريم، تخالِفُ سُنَّةَ رسول الله المباركة أيضاً، فقد جاءَ عن الرسول الأكرم عليه الصلاة والسلام "اللهم إني أعوذ بك

من الفقر والكفر؟!" فقرن الفقر بالكفر واستعاذ بالله منهما، وقال: {اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُوعِ؛ فَإِنَّهُ بِئْسَ الضَّجِيعُ}[1]، فاستعاذ بالله سبحانه وتعالى من الجوع، إذن لا يمكن أن يقول الرسول عليه الصلاة والسلام: (الفقر فخري) أو (أحييني مسكيناً)، في الوقت الذي يستعيذ بالله الكريم من فتنة الغِني وفتنة الفقر، كما قال: {وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الإِثْمِ وَالْكَسَلِ، وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ عَذَابِ النَّارِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْغِنَى وَفِتْنَةِ الْفَقْرِ...}[2].

وكان الرسول عليه الصلاة والسلام يدَّخِرُ قوت سنة لأهله، كما جاء في صحيح البخاري، حتى يكونوا مطمئنِّ البال.

العائق الخامس: المتابعة والتقليد الأعمى للأسلاف والأقدمين:

وهذا عائق آخر من عوائق زكاءِ النفس وصلاحها، إذْ كثيراً ما يُودِي التقليد بالإِنسان ويورده موارد الرَّدى.

العائق السادس: عدم وجود الشيخ المرشد:

وأقصد به الذي يدلُّك على الطريق، وليس بالضرورة شيخ طريقة صوفية، وربما يستغني الإنسان عن المرشد بسبب فهمه لكتاب الله ولسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتمسُّكه بهما وليس المرشد إلا من يدلك على الإِلتزام بالكتاب والسنة.

يقول ابن البَنّا السَّرقَسْطيُّ في أحد أشعاره بهذا الصدد:

وإنما القوم مسافرون — لحضرة الحق وظاعنون
فافتقروا فيه إلى دليل — ذو بصر بالسير والمقيل
قد سلك الطريق ثم عادا — ليخبر القوم بما استفادا

إذن: الشيخ هو الذي يدلك على الطريق، وإنما أقول هذا وأُكَرِّرُهُ مُؤَكِّداً، لأن هناك أدعياء للمشيخة،أو متشيخون، يجهلون الإسلام، موجودون في كل الشعوب، يتوارثون

---

١) رواه أبوداود: ١٥٤٧، والنسائي: ٥٤٦٨، وابن ماجة: ٣٣٥٤.
٢) رواه الحاكم: ٢٢١١، وصحَّحه ووافقه الذَّهبي.

المشيخة توارثاً، فكأنَّ هذه الصفة: صفة الإرشاد، تنتقل من خلال الكروموسومات التي في جينات الوراثة!! لا، ابن العالم ليس بالضرورة أن يصبح عالماً، بمجرَّد انتسابه لأبيه، وكذلك ابن المهندس، وابن الطبيب، كذلك الذي يرشد الناس، يرشد المسلمين ويسعى لتزكية أنفسهم، يجب أن يكون زكيَّ النَّفس، عملاً لا ادِّعاءً، وشخصياً وفي ذاتهِ، ويجب أن يكون بصيراً بالطريق.

العائق السابع: الغفلة:

والمقصود بها: الغفلة عن الله تعالى ولقائه، وعن ذكره وكلِّ ما يرتبط به.

العائق الثامن: الشيطان:

إنما أخرت الشيطان، وإن كان أخطرها، ليس لِقلَّة الإهتمام به، بل لأن مَن يَتَجَنَّبُ العوائق السبعة الماضية، لا يظفر به الشيطان، يقول سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ﴿٤٢﴾ ﴾**الحجر**، فمن يتجنب هذه العوائق السبعة الماضية:

١-فيفهم الإسلام فهماً صحيحاً.

٢-ويتجنب الآثام الظاهرة والباطنة.

٣-ولا يُغْرِقُ نفسه في الإهتمام بالدنيا.

٤-ولا يُلَبـّي كلَّ شهوات النفس، سواء كانت حلالاً أم حراماً.

٥-ويجنِّبُ نفسَه التقليد الأعمى.

٦-ويبصر الطريق بسبب نفسه، أو بسبب الغير.

٧-ويكون متيقظاً ولا يكون غافلاً.

فمثل هذا الشخص، الشيطان لن ينفذ إليه، ولن يغلبه ولن يظفر به.

من ضمن القضايا المهمة التي تناولتها في الكتاب: أهمية تحقق التزكية في ميدان العمل والتطبيق، يعني أن تتجاوز الحدود النظرية إلى العمل والتطبيق، وبالتالي هناك تظهر التزكية بجلاء، فلو حدَّثتنا حول هذا الموضوع!

ــ لا يمكن أن تتزكى النفس إلا عملياً، ولو قرأت كل كتب التصوف والتزكية، لما أَصبحتْ نَفْسُك مُزَكّاةً، إلا إذا طبقت ما في الكتاب والسنة، وما شرحه العلماء، وجديرٌ بالذكر أَنَّ في مجال التصوف وتزكية النفس، هناك شطحاتٍ وأغلاطاً وانحرافاتٍ ومجازفاتٍ كثيرة، لكن الآن ليس لدينا مجالُ الخوض في هذا الموضوع.

٥) توضيح حقائق وتصحيح أخطاء في مجال التزكية:

من ضمن النقاط التي نريد أن نعرّج عليها سريعاً، تعريف كلّ من: الولي والكرامة والإلهام والرؤيا؟

ــ بالنسبة لهذه الكلمات الأربع، هناك جدل ونقاش وأخذ ورد بين العلماء بصدد تقييمهم لكل: من الرؤيا والإلهام من جانب، والولي والكرامة من جانب آخر، وسأجيب على سؤالك، لكن بودِّي أن أُمَهِّد لهذا بإيضاح بعض الحقائق، وتصحيح جملةٍ من الأخطاء، في مجال تزكية النفس:

تجلية ست حقائق كبرى في مجال التزكية:

الحقيقة الأولى: التي يجب أن نُجلّيها، هي: أنَّ تزكية النفس هي قاسم مشترك بين جميع المسلمين، وخصوصاً العلماء والأئمة، ولكنَّ بعضَهم متخصِّصٌ فيها:

وعليه: فَعِلْمُ وَعَمَلُ تزكية النفس، ليس ملكاً لأحد، لا للطُّرق الصوفية، أو المشايخ الذين يتصدَّرون لقضية تزكية النفس، بل هو قاسم مشترك بين المسلمين، لأن الله سبحانه وتعالى عندما يقول: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ ﴾الشمس، فهذا يَعني: أن من لم يزكِّ نفسه، لن يُفلح، إذن: كل المسلمين مطلوب منهم أن يزكّوا أنفسهم.

وكذلك عندما يقول سبحانه وتعالى: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ١٤﴾ **الأعلى،** وهذه قضية مهمة جداً، لأن بعض السلفيين وكردٍّ فعلٍ لبعض المتصوِّفين، ينجفلون عن التصوف وموضوع تزكية النفس، ويُبْعِدون أنفسَهم عن كلِّ هذا التراث الزاخر، الذي تركه لنا العلماءُ المُتَخَصِّصون في مجال تزكية النفس، بذريعةِ: أنَّ فيه شطحات وهفوات وأخطاء وبدع، بل شركيات، كقضية وحدة الوجود وغيرها.

لكن إذا عاملنا تراثنا هكذا، بسبب وجود أخطاء أو هفوات أو انحرافات، سَنَرتَكِبُ خطأين كبيرين:

أ- نَحْرِمُ أنفسنا من خير كثير، تركه لنا سَلَفُنا الصالح في أجيال كثيرة، وفي مجالات غزيرة.

ب- وجود أخطاء وشَطَحات وخرافات، ليس مقتصراً في مجال التصوف وتزكية النفس بل هذه الحالة شاملة لكل أنواع التراث الذي تركه لنا العلماء والأئمة:

١- التفاسير أيضاً فيها أخطاء.

٢- وشروح السنة فيها أخطاء وهفوات وانحرافات.

٣- وكذلك علم التوحيد والكلام فيه أخطاء.

٤- وكتب الفقه وأصول الفقه، فيها أخطاء.

٥- وكتب ومصادر التأريخ، كذلك فيها أخطاء وزلاّت.

إذن لا يَسْلَم لنا علم!! ولا يجوز أن نترك كلَّ تراثِنا، فهذا غير صحيح، بل يجب في هذا المجال أن نعمل بهذه القاعدة: (خُذْ ما صفا، دَعْ ما كَدَر)، يعني: خُذِ الجَيِّدَ، واترك الرّديء، اذ عندما ترى ثماراً غير جيدة في إحدى الحدائق، لا تترك الثمار الجيدة، بسبب رداءة بعض الثمار، بل تترك الرديء وتأخذ الجيد، هذا هو التصرُّف المنطقي.

الحقيقة الثانية: لا تتحقق تزكية النفس بالشكل المطلــوب إلا في ميــدان العمــل والتطبــيق:

تزكية النفس شيء عملي، وليس شيئاً نَظَرياً، مثل: الفقه، ودراسة التأريخ، ودراســة بعض العلوم، اذ العلم يؤخذ بدون تطبــيق عملي، أما تزكية النفس، فهي شيء عملي، ولا تتحقق تزكية النفس إلا في ميدان العمل.

الحقيقة الثالثة: الفارق بــين النفس الزَّكيَّة، وغير الزكية، هو مدى الإلتزام بالشرع:

من الذي يمتلك نفساً زكية؟ هو الذي يلتزم بالشرع أكثر، وكلما التــزم الإنســان بالشريعة أكثر، تزكَّت نفسه أكثر، وذلك لأن الإلتزام بالشرع هو التعبّــد لله تعــالى، والتعبّد سبب القرب من الله الكريم، كما قال تعــالى: ﴿وَٱسۡجُدۡ وَٱقۡتَرِب ١٩﴾**العلق،** وكذلك العكس صحيح أيضاً.

الحقيقة الرابعة: المصدر الوحيد للتديّن ــ وبضمنه تزكية النفس ــ هــو شــرع الله تعالى فقط:

نعم إنَّ المصدر الوحيد للتديّن هو شرع الله المتجسِّد في القرآن والسنة، وإنما تزكيــة النفس جزء من التدين،وعليه: فخارج الشريعة، لاتديُّنَ تَديُّناً صحيحاً وبالتالي: خــارج التَديُّن لاتزكية للنفس.

الحقيقة الخامسة: لا يجوز حرمان أنفسنا ــ بسبب الحساسية من كلمــة التصــوف والأخطاء الموجودة في مصادره ــ من الخير والإيجابــيات الموجودة فيه، بل نعم بقاعدةَ: خُذْ ماصفا دَعْ ماكدر.

الحقيقة السادسة: التزكية والتصوف، والدروشة والإنخراط في طريقة مــا، ليســت أموراً متلازمة، فقَد تَتزكىَّ نفس من غير الإنتماء الى طريقة مُعينَّة، وقد يكون الإنســان مُنْخَرِطاً في طريقةٍ ما، ولا يحصل على زكاءِ النفس.

ليس بالضرورة إذا أردت أن تُزَكِّي نَفْسَك أن تصبح تابعاً، لإحدى الطرق الصوفية، نحن هنا في كردستان، نسمِّي أتباعَ الطريقة القادرية: (دراويش) جمع درويش، وأتبــاع

الطريقة النقشبندية يُسَمَّون: (الصوفية) جمع صوفي، فهل من الضروري أن تصبح درويشاً أو صوفياً، أو تابعاً لإحدى الطرق حتى تتزكّى نَفْسُك؟ لا، الدروشة والإنخراط في الطرق الصوفية شيء، وتزكية النفس شيء آخر، وقد يوجد منخرطون في الطرق الصوفية، لكن لم تتزكَّ أنفسهم، وقد يوجد من الفاهمين للقرآن والسنة، والملتزمين بهما والتابعين للرسول عليه الصلاة والسلام، والمتخلّقين بأخلاقه، وهم يمتلكون نفساً زكية، بدون أن ينخرطوا في طريقة صوفية.

٦) تعريف: الولي والكرامة والإِلهام والرؤيا:

١- الولي:

كلمة (الوليّ)[1]، جاءت في اللغة العربية بعدة معانٍ منها: المُحِبّ، القريب، الناصر، المحبوب، المتولّي للأمور، يقول سبحانه وتعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ لَا تَبۡدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٦٤﴾﴾ يونس، أولياء الله، يعني: الذين يُحبُّهم الله، ويحبُّونه، وينصرهم، ويُقرِّبهم، ويتولّى أمورَهم.

٢- الكرامة:

كلمة الكرامة، يُقصد بها تكريم الله سبحانه وتعالى لعبده، ويقول العلماء إن من أفضل الكرامة: الإِستقامة على الشريعة، أما ظهور خوارق العادات على أيدي بعض

---

١) أصل كلمة: (الولي) هو (الوَلْيُ) أي القرب، وفي الحديث الصحيح: {لِيَلِيَنِي مِنْكُمْ أُولُو الأَحْلاَمِ وَالنُّهَى، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ} أخرجه عبد الرزاق (٢/٤٥ ، رقم ٢٤٣٠)، ومسلم (١/٣٢٣ ، رقم ٤٣٢) وأبو داود (١/١٨٠ ، رقم ٦٧٤)، والنسائي (١/٢٨٦ ، رقم ٨٨١)، وابن ماجه (١/٣١٢ ، رقم ٩٧٦). (ليليني) أي: ليقرب مِنّي في صف الصلاة.

الناس، فهذا محلّ اشتراكٍ بين أهل الخير والشر، اذ نرى الهندوس، وغيرهم من غير المسلمين، ومن لا يلتزمون بالإسلام، مَن المسلمين: يأتون بخوارق سواء من جهة السحر، أو من جهة الرياضة النفسية وتقوية أرواحهم، المهم قد تصدر خوارق العادات على يد الصالح والطالح، إذن: هذا ليس بميزان للكرامة، إنما الميزان هو الإستقامة والسير على جادة الشريعة، ولهذا جاء في هذا الحديث النبوي المبارك، (عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم، أنه سُئل: أي الناس أكرم؟ {**أي أزيد كرامة عند الله**}، **قال: أتقاهم**).(١)

أَجَلْ إنما يُكْرِمُ الله عبدَه بتوفيقه للإلتزام بشريعته، وليس بسبب إظهار بعض الخوارق للعادة، وقد تحدث خوارق للعادات لأهل الإسلام كما حدث هذا للصحابة وللتابعين وللأئمة ولايزال، لكن هذا ليس شرطاً في وجود الكرامة، أي أن هذا الشخص كريم عند الله وله كرامة عنده سبحانه وتعالى، بل الميزان لهذا والمعيار هو مدى التزامه بالشريعة.

٣- الإِلهام:

كلمة (الإلهام) في اللغة العربية جاءت بمعنى التلقين: أَلهَمهُ الله الخيرَ، أي لَقَّنه إياه، أما في اصطلاح أهل التصوف: (الإلهام هو النفث في الرُّوع والإيقاع في القلب من العلم غير القائم على الإستدلال والنظر)، هكذا عرّفه علماء التزكية، وهناك كلمات أخرى تفيد نفس المعنى تقريباً، ليست مترادفة، لكن قريبة المعنى من الإِلهام، منها: الكشف والحَدْس والبصيرة والعلم اللّدُنّي.

وقد تحدث العلماء كثيراً عن قضية الإلهام ومدى الإعتبار به، والأكثرية على أنه يُعتبر بالإلهام، لكن شريطة أن نعلم أن هذا إلهام من الله، لأن الإلهام شيء خفيٌّ لا نعلمه، ولاندري: هل هو من وسوسة الشياطين، أو من إلهام الملائكة؟ ومن الأدلة على هذا أن

---

١) رواه البخاري: ٣٤٨٦ ، وأحمد: ٨٤٤٩، والنسائي: ٨١٢.

الله سبحانه وتعالى يقول في سورة الأنفال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا ﴿٢٩﴾ ﴾، أي حالة تفرّقون بها بين الحق والباطل، والصواب والخطأ، والحلال والحرام.

وفي حديث نبوي شريف: {قَدْ كَانَ يَكُونُ فِى الأُمَمِ قَبْلَكُمْ مُحَدَّثُونَ، فَإِنْ يَكُنْ فِى أُمَّتِى مِنْهُمْ أَحَدٌ فَإِنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّاب مِنْهُمْ}[1] ومُحَدَّثون، أي: مُلْهَمون.

حديث آخر: {اتَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ}[2].

وهناك أحاديث أخرى تدل على الإعتبار بالإلهام، لكن الإلهام لا يعتبر دليلاً شرعياً في مجال التديّن والحلال والحرام والأمر والنّهي، وإنّما يُعمل به عند فقد الأدلة الشرعية كلِّها، ثم كاستأناسٍ وتبصّرٍ في الأمور الشخصية فقط.

٤- الرؤيا:

الرؤيا هي ما يراه النائم في نومه، وجاء الحديث عن الرؤيا في كتاب الله سبحانه وتعالى، في أكثر من مكان، والرؤيا الصادقة يراها الصالح والطالح، بدليل أن الله سبحانه وتعالى في سورة يوسف، ومن خلال قَصِّه لقصة يوسف، يذكر لنا أن حياة يوسف كلها – تقريباً – كانت عبارة عن تأويل رؤيا، رآها في صباه: ﴿ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيۡتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوۡكَبٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ رَأَيۡتُهُمۡ لِي سَٰجِدِينَ ﴿٤﴾ ﴾يوسف، وفي النهاية: ﴿ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَٰيَ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّٗا ﴿١٠٠﴾ ﴾يوسف.

هذا بالنسبة للإنسان الصالح، أنه يمكن أن يرى رؤىً صادقة، أما بالنسبة لغير الصالحين، أهم قد يرون رؤى صحيحة فَدليلهُ أن صاحبي يوسف في السجن، قد رأيا

---

١) أخرجه مسلم برقم: (٢٣٩٨)، والترمذي برقم: (٣٦٩٣)، والنسائي في الكبرى برقم: (٨١١٩).

٢) أخرجه الطبراني برقم: (٧٤٩٧) قال الهيثمي: إسناده حسن.

رؤيين وعبَّرهما لهما، سيدُنا يوسف عليه الصلاة والسلام، وتحقّقتا: ﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعْصِرُ خَمْرًاۖ وَقَالَ ٱلْأٓخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُۖ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾يوسف، ﴿ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُۥ خَمْرًاۖ وَأَمَّا ٱلْأٓخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِۦۚ قُضِيَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴿٤١﴾ ﴾يوسف.

وكذلك رؤيا الملك: ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّيٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍۖ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُءْيَٰيَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾يوسف، ثم تحققت رؤيا الملك أيضاً، ولكن هل الرؤيا والإلهام يُعتبر بهما كدليل شرعي يستند إليه؟ لا، وإنما يُستأنس بهما، ما لم يصادما الشرع.

مثلاً: يقول شخصٌ: رأيتُ الرسول عليه الصلاة والسلام في المنام، أمرني بكذا، ونهاني عن كذا، هل يعتبر بهذا؟ نقول: إن كان ما رآه موافقاً للكتاب والسنة، يستأنس برؤياه، لكن إذا كان مصادماً لهما، نقول له: أنت أخطأت، نعم الرسول عليه الصلاة والسلام قال: (مَنْ رَآنِي فِي الْمَنَامِ فَقَدْ رَآنِي)، و (سيرانِي)، و(رأى الحق) و (فَإِنَّه لَـا يَتَمَثَّلُ الشَّيْطَانَ بِي)[١]، لكن نحن لا نملك الدليل أنك رأيت الرسول عليه الصلاة والسلام، وأنك صادق، أوأن الشيطان لم يخدعك.

١) رواه البخاري: (٥٩٤٧)، وأبو داود: (٥٠٧٠)، وابن ماجه: (٣٨٧٢).

٧) تجربتي الذاتية في مجال التزكية:

الشيخ علي باپير! حدِّثنا عن تجربتك الخاصة في مجال التزكية وتهذيب النفس، يعني أكيد أنت لديك الحرص على السير في طريق الصلاح، والسير إلى الله سبحانه وتعالى، ولديك تجربة في مجال تزكية نفسك، نريد أن تحكي لنا عنها حتى نستفيد منها؟

ــ بالنسبة لتجربتي الذاتية حول تزكية النفس، سأتحدّث عنها من خلال عشرة بنود:

أولاً: تبين لي من تجربتي الشخصية، في مجال تزكية النفس والسير إلى الله سبحانه وتعالى، أن للرفيق والصاحب الخيِّر، تأثير كبير جداً، وكذلك العكس صحيح: الصاحب السيئُ، له تأثير سلبي جداً.

وذلك أنّي عندما ذهبتُ إلى السليمانية - كما ذكرت سابقاً - لإتمام دراستي في متوسطة المعهد الإسلامي، وكنت في المرحلة الثانية، وكنت في عنفوان الشباب، إذ ذاك الوقت كان عمري (١٥) سنة، لكن كنت أستفيد من بعض أهل التصوف، من منتسبي كلتا طريقتي: القادرية والنقشبندية، وكذلك من بعض الإخوة الصالحين الذين كانوا معنا في المعهد، استفدت منهم كثيراً، والآن عندما أتذكر ذلك، أعتبر نفسي مديوناً لهم جميعاً، وكذلك لأساتذتي الذين كانوا يدرِّسونني، وكنت عندما أسمع عن أي شخص أنه رجل صالح، سواء كان من العلماء، أو من أهل التصوف، أو أياً كان مشربه، ما كنت أفرِّق، ولكن كنت أَتَثبَّتُ: هل هذا الرجلُ قريب من الله سبحانه وتعالى وعابد الله ومخلص له؟ فإذا كان كذلك، كنت أسعى إليه لأَستفيد منهُ.

ثانياً: كنت أُحافِظُ على وقتي، ما كنت أسمح لوقتي أن يَمُرَّ لَغْواً أو لَهْواً بلا فائدة، إذ الحِفاظُ على لحظات العمر، واستعمال الأعضاء في الطاعة والحسنات، وصدها عن السيئات والمعاصي، من أقوى ضمانات تزكية النفس والسير إلى الله سبحانه وتعالى، فالعُمر رأس مال الإنسان، إذ العمر يتكون من السَّنوات، والسنوات من الشهور، والشهور من الأسابيع، والأسابيع من الأيام، والأيام من الساعات، والساعات من

دقائق، والدقائق من ثوان، فمن لم يحافِظْ على الثواني من عُمره، ضاعَتْ منه الـــدقائق، وكذلك الساعات والأيام والشهور والسنون.

وهذه نعمة الله سبحانه وتعالى الكبرى عليّ، أنه وفّقني أَلاَّ أَدَع وقتي يَمُـــرّ، دون أن أستفيد منه.

وكان زملائي يذهبون للسوق يَتَجوَّلون ويتسوَّقون وينظرون إلى المشاهد والنســـاء، وكانوا يقولون: إنَّ فلاناً لا يعلم أن يعيش، هو منهمك في الدراسة والقـــراءة، وكنـــت أقول لهم ما الذي تستفيدونه أنتم؟ ما الذي تكسبونه سوى الغُصّة والغم والهم والآثام؟! نعم: حَسْب تجربتي إنَّ الحِفاظَ على العُمر والوقت وإشغالَ النفس بالحق، سبب مهم جداً في مجال السّير الى الله تعالى، ونَيل زكاءِ النَّفس، يقول ابن القيم رحمة الله عليه في كتابـــه (مدارج السالكين، شرح منازل السائرين): " النفس إذا لم تشـــغلها بـــالحق شـــغَلَتكَ بالباطل".

ثالثاً: التفكير والتأملّ والإعتكاف، شروط أساسية لإصلاح وتهذيب النفس.

كان من عادتي أَنَّني بـــين فترة وأخرى - خصوصاً في شـــهر رمضـــان - كنـــت أعتكف يوماً أو يومين أو أكثر، كنت أعتكف في مكانٍ خال في أحد المساجد، وأنشغل بالعبادة والطاعة والذكر والدعاء.

والإعتكاف حَسْبَما تبـــين لي مهمٌ جداً لتزكية النفس، فالإنسانُ وهـــو جـــالِسٌ في مكان خالٍ، ليلاً ونهاراً، يذكر الله ويعبده ويراجع نفسه، ويُفَكِّرُ في عاقبته، في المـــوت والحياة، في المسئولية الملقاة على عاتقه، ينال فوائد روحية عديدة في عملهِ ذلك.

والإعتكاف لا يصِحُّ إلا في المسجد، لأن من عادة بعض الدراويش وأهل التصوف، أنهم يعتكفون في الفلوات وفي الكهوف والمغارات، وبعضهم جُنَّ بسبب هذا وظَفَر بـــه الشياطين، لكن المسجد مكان مبارك، تَحُفُّ به الملائكـــة، ولهـــذا اشـــترط العلمـــاء للإعتكاف، أن يكون في المسجد، والحمد لله، أنا كنت دائماً أعتكف في المســـاجد، إلا إذا لم أجد في المكان الذي أكون فيه مسجداً، مثلاً: عندما اعتقلني الأمريكان.

رابعاً: كل طاعة أو عبادة لا يتوفرفيها شرطا: التجرُّد لله، والموافقة للشرع، لا تؤدِّي الى تزكية نفس صاحبها.

من أهل التصوف من كان – ولا زال – يعتكف أربعين ليلة (الخلوة الأربعينية)، من أين جاءوا بهذا؟ هذا لا يوجد عليه دليل في السنة النبوية ولا في القرآن، بعضهم استند إلى أن الله سبحانه وتعالى وضع ميقاتاً لموسى بعد أربعين ليلة، لكن مثل هذا لا يُستند عليه، وكذلك الرسول عليه الصلاة والسلام عندما كان يعتكف ويتحنَّث في غار حراء، هذا كان قبل النبوة، إذن: (الخلوة الأربعينية) حسبما أرى، لا دليل عليها، وان ذكرها كثير من أهل التصوف، ولهذا أقول مُؤَكداً: كل طاعة أو عبادة لا يتوفر فيها شرطا: أ- التجرد والإخلاص لله، ب- ثم الموافقة للشرع، لا تؤدِّي إلى تزكية النفس.

خامساً: وجود المرشد والمُعَلِّم وإن كان مهمّاً ومُيَسِّراً للأمور، لكن رحمة الله وهدايته واسعة، والقرآن والسنة يُحَقِّقان كلَّ الغايات لمن فقه فيهما واتَّبعهما.

وهذا ما ثبت لي في تجربتي الشخصية، لأنني كما قلت: تجوَّلتُ على كثير من المشايخ، وكنت أستفيد منهم، لكن ما كانوا بالمستوى الذي أطمع فيه، ولهذا رجعت إلى الكتاب والسنة، وتوكَّلت على الله سبحانه وتعالى، ثم اعتمدت على نفسي، مستفيداً من تراث أهل التصوف والعلماء، سواء ابن تيمية رحمة الله عليه، أو ابن القيم، أو أبي حامد الغزالي، أوعلماء آخرين، استفدت منهم، لكن ما سَلَّمْتُ نفسي لأحدٍ، وإنما أسلمت نفسي لله سبحانه وتعالى، وسَلَّمْتُ نفسي للكتاب والسنة، لأن الله سبحانه وتعالى ضَمنَ لنا العصمة في الكتاب والسنة، ولم يَضْمَنْها لنا، في شيءٍ غير الكتاب والسنة: الوحي المُتَجَسِّد في الكتاب والسنة، ولا في أحدٍ غير محمد رسول الله وخاتم أنبيائه صلى الله عليه وسلم.

سادساً: العبادات بأنواعها، والواجبات الشرعية بأصنافها، لها تأثيرها على تزكية النفس وتهذيبها، ولكن كلٌّ يستفيد من جانب أو جوانب مُحَدَّدة، وكل مُيسَّر لما خُلِق له.

يقول سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴿٨٤﴾﴾ الإسراء، هناك من يعطيه الله سبحانه وتعالى الهدى والفيوضات، من طريق العلم، وهناك من يعطيه من طريق العبادة والزهد، وهناك من يعطيه الله سبحانه وتعالى من طريق الدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهناك من يفتح الله عليه من خلال الكسب الحلال، إذ كما يقول العلماء: (الطرق إلى الله بعدد أنفاس الخلائق)، فالخير ليس محصوراً في طريق معين، بل ﴿كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ﴾، فالذّي لم يتمكَّن من تحصيل العلم، بإمكانه أن يتقرَّب الى الله، من خلال العبادة والزهد والإلتزام بالشرع حسب مقدرته، العالم من طريق علمه، والمربِّي من خلال تربيته، وهكذا كلٌّ من خلال مايُحسِنُهُ من أنواع الطاعة والبرِّ.

سابعاً: لا يتزكّى الإنسان بشيء، كما يتزكّى من خلال الشِدةَّ والمصائب التي يلقاها في ميدان العمل الإسلامي، خصوصاً في الهجرة والجهاد، فهما يُمَحِّصان الإنسانَ ويُصَفِّيانه من الأدران والأوساخ والرذَائِل الرّديَّة.

وهذا أيضاً ماتحقَّق لي، بفضل الله، إذ كما ذكرت في كتابي: (باقات من بيدر عمري: ذكرياتي ١٩٦١-١٩٩١م)، تعرَّضْنا في سبيل الله سبحانه وتعالى، لأصنافٍ من البلايا والمِحَن، لكن حوَّلها الله إلى عطايا ومِنح!

ثامناً: ذكر الموت والقبر والبرزخ والقيامة، من عوامل تزكية النفس.

إنَّ طول الأمل، واستغراقَ الإنسان في الدنيا، وعدم ذكر الموت والآخرة، وعدم ذكر لقاء الله سبحانه وتعالى، يجعل النفس تقسو، ويقسو القلب بسبب الغفلة والإهماك في الدنيا، والإنشغال بمتاع الدنيا الزائل، لذا لابد من ذكر الموت والقبر والبرزخ والقيامة

حتى تتزكّى النفس، وقال رسول اللة صلى الله عليه وسلم: {أَكْثِرُوا ذِكْرَ هَادِمِ اللَّذَّات}[١].

تاسعاً: الروح كالجسد، تتقوّى بالرعاية والرياضة والتمارين، وتَضْعُفُ بالإهمال وعدم الإكترات بها.

الجَسَدُ يتقوَّى بماذا؟ يحتاج الجَسَدُ تغذيةً صحيحة: أَكلاً وَشُرباً، ويحتاج إلى تنفُّس الهواء، والى أشعة الشمس، وكذلك هو بحاجة الى النظافة، والحفاظ عليه من الحَرِّ والبَرْد، ثم تجنيبه وإبعاده عمّا يُمْرِضُهُ ويُسْقِمهُ، ثم هو محتاج إلى تمارين رياضية تقوِّي عضلاته.

وكذلك الروح: فهي أيضاً يجب أن تُغَذّى تغذية صحيحة، وما غذاء الروح؟ يقول سبحانه وتعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾الرعد، وهذه العبادات المتنوعة وضعها الله سبحانه وتعالى غذاء للروح، وكذلك الروح (النفس) بحاجة إلى تطهير وتهذيب، وبحاجة إلى تمرين وتدريب، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: (من يستعفف يُعفُه الله، ومن يَسْتَغن يُغنه الله، ومن يتصبر يُصبّره الله)؟[٢] ويقول: {إنّمَا العِلْمُ بالتّعَلّم، وَإنَّمَا الحِلْمُ بالتّحَلّم}[٣]؟ لاَ بُدَّ من أن تُمرِّن وتَدَرِّب نَفْسَك، حتى تقوى النفس على الطاعة، وتتزكّى ممّا عَلِق بها من أو شاب الفجور، وتتخلّص منها.

عاشراً: ما هو مقياس تزكية النفس؟ كيف نقيس نَفْسَنا، أَتزَكّت، أم تَدَنّست؟ هناك سبعة أمور، كمقياسٍ ومعيارٍ لتزكية النفس:

١) أخرجه الترمذي (٢٤٦٠)

٢) رواه البخاري: (١٤٦٩)، ومسلم: (١٠٥٣).

٣) أَخْرَجَهُ الطبراني في الأوسط: ٢٦٦٣، والخطيب في تأريخه (٥/٢١)، وابن عساكر (١٨/٩٧)، وَحَسَّنَهُ الألباني.

أولاً: الإيمانُ الشهوديُّ:

الإيمان الشهودي هو أن تؤمن بالله سبحانه وتعالى، وتعامِلَهُ، كأنك تشهدُ الله سبحانه وتعالى، وهذا جاء في الحديث النبوي المبارك: (**أن تعبد الله كأنك تراه**)، هذا هو الإيمان الشهودي.

ووحدة الشهود، والإيمان الشهودي، يختلف عن وحدة الوجود، التي ٱبتلي بها غـلاة المتصوفين، ووحدة الوجود مسألة فلسفية دخلت في الإسلام وهي غريبة عن الإسـلام، نعم هناك وحدة الشهود، كما يقول أَحَدُ العلماء: "ما رأيتُ شيئاً، إلا ورأيت الله، قبله، أو بعده، أو فيه"، وهذا ممكن بل هو الواقع لمن أدركه، لأن الله سبحانه وتعالى هو وحده الخالق، وغير الخالق كله ظلالٌ ولكنَّه موجودٌ[1]، وليس وهماً وخيالاً، لكن أهل (وحدة الوجود) يعتبرون الله سبحانه وتعالى كأنه روح للكون والوجود، وهذا إِلحادٌ وانحراف، بلا شك.

ثانياً: التلذذ بالعبادة:

من معايير أن تعلم هل تزكت نفسك، أم لا؟ هو أن تلتذَّ بالعبادة، ولهذا كان الرسول عليه الصلاة والسلام حين تحين الصلاة، يقول: {**أرحنا بها يا بلال**} كما رواه الطبراني في الكبـير.

ثالثاً: الفَرَحُ بالتقوى والإحسان، والحُزْن بسبب الذنب والمعصية:

هذا مقياس آخر من مقاييس تزكية النفس، يقول الرسول صلوات الله وسلامه عليه: {**اسْتَفْتِ نَفْسَكَ، الْبِرُّ مَا اطْمَأَنَّ إِلَيْهِ الْقَلْبُ، وَاطْمَأَنَّتْ إِلَيْهِ النَّفْسُ، وَالإِثْمُ مَا حَـاكَ فِي النَّفْسِ، وَتَرَدَّدَ فِي الصَّدْرِ، وَإِنْ أَفْتَاكَ النَّاسُ وَأَفْتُوكَ**}.[2]

---

١) كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أَصْدَقُ كَلِمَةٍ قَالَهَا الشَّاعِر، كَلِمَةُ لَبِيدٍ: (أَلاَ كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلاَ اللهَ بَاطِلُ) كما جاء في صحيح البخاري، وصحيح مسلم. ينظر: تخريج أحاديث احياء علوم الدين، للحافظ العراقي: ٣٦٧٦.

٢) أخرجه أحمد برقم: (١٨٠٣٠)، والطبراني برقم ٤٠٣)، والدارمي برقم: (٢٥٣٣)، وأبو يعلى برقم: (١٥٨٦).

البِرُّ ما اطمأنت إليه النفس، أي التذّت به النَّفْسُ، وسكن إليه القلب، والإثم بعكس ذلك، وهذان الأثران إنها يحصلان عند زكاءِ النفس وصلاحها.

رابعاً: الإِستعداد للتضحية بالروح، والتصدُّق بالمال وتفريقه بين المحتاجين في سبيل الله:

هذه أيضاً علامة أخرى من علامات تزكية النفس: ألاَّ تَبْخلَ بالمال، ولا تكون شحيحاً مُمْسِكاً للمال، بل أن تجودَ به، وليس تجود بالمالِ فقط، بل بالروح أيضاً، والجود بالروح، من أعظم الجود.

خامساً: إلجامُ النفس بلجام الشرع وضبط الغرائز النفسية:

وهذا أيضاً مقياس آخر، من مقاييس زكاءِ النَّفسِ، فَمن يُلْجِمُ نَفْسَه، ويَضْبطُ غرائِزَه، هو صاحب نفس زكية، اذ لا تكون النفس منضبطة بضوابط الشريعة: مؤتمرةً بأوامرها ومنتهيةٍ عن نواهيها، إلا إذا كانت صالحة زكيَّةَ، إِذْ كلّ إِناءٍ بالذي فيه يَنْضَحُ.

سادساً: الثَّباتُ في الشِدَّة والرخاء:

هناك مَنْ يتصوَّر أن الشدَّة وحدها هي التي تحتاج إلى أن نَثْبُتَ فيها! ولكن الرَّخاءَ كذلك، ولهذا يقول سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٖ ١٩﴾سبأ، يجب أن تكون كثير الصبر في الشدائد، كذلك تكون كثير الشكر عند نزول النعم، وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ١٣﴾سبأ، فالشكر أصعب من الصبر.

سابعاً: فضائل الأخلاق:

فَمن يتحلّى بالفضائل، ويتأدَّب بالآداب الرفيعة، ويتخلّى عن الرذائل والسفاسف، هذا دليل على أن نفسه زكية، وأنه وصل إلى حالة زكاء النفس ونُموُّها بالتقوى وصلاحِها.

ameer.maktab@yahoo.com

٣١

إِضاءات حول العلم والعلماء

أول آية في القرآن الكريم نزولاً كانت: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ١﴾العلق، وهي حث من الله عزوجل على القراءة والعلم والمعرفة، ثم هناك آيات كثيرة تضع للعلماء مكانة مرموقة في مجتمعاتهم وعند الله عزوجل منها: ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْ... ٢٨﴾فاطر، والعلماء ورثة الأنبياء، وفي ظل ما نشهده حالياً في مجتمعاتنا الإسلامية والعربية، مما يمكن تسميته بفوضى الفضائيات ومشائخ الفضائيات، وكل منْ هبَّ ودبَّ يَدَّعي ويزعم أنه عالم دين، وصارت هناك حالة من الفوضى تؤثّر سلباً على عوام المسلمين، فما رأيك في دور علماء الدين في أن ينفعوا مجتمعهم ويُنقِذوه من المفرّطين أو المُفْرِطين في الدين، مِمَّن يتصدون للحديث باسم الدين؟

ـــ قضية العلم والعلماء قضية واسعة وشاملة لكثير من المفردات التي يجب بحثها، إذا أردنا أن نعطيها الحق:

مكانة العلماء في الإِسلام:

بداية نقول: العلماءُ لهم مكانةٌ عالية جداً في الإسلام، وذلك لأنَّ الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم خُتِموا بمحمد عليه الصلاة والسلام، إذ يقول سبحانه وتعالى: ﴿ مَّا

كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾ ﴾الأحزاب، فلا يأتي بعد النبي محمد عليه الصلاة والسلام، نَبي ولا رسولٌ آخر، فهو خاتمهم، وكذلك لا ينزل بعد القرآن كتاب، القرآن هو قول الله سبحانه وتعالى الأخير للبشر، إذن: من الذي يَخْلُفُ النبي الخاتم؟ العلماء، فالعلماء هم الذين خَلَفوا الأنبياء في الأزمنة السابقة، وكذلك هم الذين يخلفون النبي الخاتم عليه الصلاة والسلام.

يقول الرسول عليه الصلاة والسلام في حديث مبارك: {وَإِنَّ العُلَمَاءَ وَرَثَةُ الأنْبِياء، وَإِنَّ الأنْبِياءَ لَمْ يوَرِّثُوا دِيناراً وَلاَ دِرْهَماً، وَإِنَّمَا وَرَّثُوا العِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بحَظٍّ وَافِرٍ}[1].

العلماءُ هم الذين أخذوا ميراث النبوة، وميراث النبوة كما يقول عليه الصلاة والسلام: {إِنَّ الأنْبِياءَ لَمْ يوَرِّثُوا دِيناراً وَلاَ دِرْهَماً وَإِنَّمَا وَرَّثُوا العِلْمَ}، أي: علم الوحي المتجسِّد في الكتاب والسنة الصحيحة، وكما قلنا مراراً والآن أيضاً نكرر، ليست السنة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام والتحية، إلا تطبيقاً تجسيداً لكتاب الله سبحانه وتعالى على أرض الواقع، ولا أقصد بهذا أنه لا يوجد وحي إلا ما جاء في القرآن!، لا، لأنَّ سنة النبي، بالإضافة إلى كيفية تطبيق القرآن، وتبيين القرآن والعمل به، كذلك هي متضمِّنةٌ لبعض الأحكام الشرعية التي لم يأت بها كتاب الله سبحانه وتعالى.

نعم العلماءُ هم الذين وَرِثوا النبي عليه الصلاة والسلام، ورِثوا منه علم الوحي المتجسِّد في الكتاب والسنة، فالعالم بقدر تَمَكُّنِهِ من العلم النبوي، بقدر تَمَكُّنه من الميراث النبوي، يُعتبر عالماً، وليس كل من لَبِسَ زِيَّ العلماء – وإن كان العلماء ليس لهم زِيٌّ مُعيَّن – عُدَّ عالماً، وإنما يُعَدُّ المرءُ عالماً، بقدر تمكنه من العلم أولاً، ثم: بِقَدَرِ التزامه

١) أخرجه أحمد برقم: (٢١٧٦٣)، وأبو داود برقم: (٣٦٤١).

بالعلم الذي ورثه، في ذات شخصه، وفي تعامله مع الواقع، فيجب أن يكون مطبِّقاً لهذا العلم، ولهذا قال أحد الشعراء:

وكل من بغير علم يعمل أعماله مردودة لا تُقبل

فالعلم هو الأول في مجال التديُّن، يقول سبحانه وتعالى: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩﴾ **محمد**، وكما قلت في حديثك التمهيدي: أول آية مباركة نزلت على النبي الخاتم سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، كانت تأمر بالقراءة، قال العليم الحكيم: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ٥﴾ **العلق**، هذه الآيات الخمس، هي الآيات الأُوَلُ التي نزلت على قلب سيد الأنبياء محمد صلى الله عليه وسلم، فالعلماء هم الذين ورثوا النبي الخاتم وأخذوا العلم الذي تركه هو ميراثاً.

ويقول سبحانه وتعالى في سورة فاطر: ﴿ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَا ٣٢﴾ **فاطر**، إذن: مَنْ يمكِّنهُ الله سبحانه وتعالى من القرآن، من فهم القرآن، وحفظ القرآن، ودراسة القرآن، فهو المصطفى من الله عزوجل: ﴿ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَا﴾، ولكن هل العلماء صنفٌ واحد، ونوعٌ واحد؟ لا، بلْ يُصَنِّفهم الله ثلاثة أصناف: ﴿فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ، وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ، وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ ٣٢﴾، وهذه حقيقة يجب أن يعلمها الجميع: أنَّ العلماء ليسوا صنفاً واحداً، وليسوا على درجة واحدة، وقدَّم سبحانه وتعالى ذِكْرَ أدنى الأصناف: (فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ)، أي: هو مسلم وعنده العلم الشرعي، لكن يظلم نفسه، فلا يطبق العلم الشرعي ولا يلتزم به التزاماً جيداً.

(وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ) أي بين بين، لا هو سابق بالخيرات، ولا هو مُتَخلِّفُ عن الخيرات.

(وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ)، ويقول ابن تيمية رحمة الله عليه في هذا الصدد: "هناك إذن السابقون المقرَّبون، وأصحاب اليمين، ومَنْ هم دونهم" أي من أصحاب الذنوب والتقصير.

لك كتاب في هذا الموضوع بعنوان (علماء الإسلام مَنْ هم، وما هي صفاتهم)؟، لو تعطينا إطلالة سريعة على أهم القضايا والموضوعات التي تناولتها في هذا الكتاب، ثم بعد ذلك نتحدث عن: مَنْ هم علماء الإسلام؟ وما هومقامهم؟ وما هي صفاتهم؟

ـ هذا الكتاب، كان في الأصل باللغة الكوردية، وطُبع لحد الآن ثلاث طبعات باللغة الكوردية، ثم تُرجِمَ الى اللغة العربية، قَسَّمْته إلى خمسة فصول:

الفصل الأول: يتحدث عن العلماء، التعريف بعلماء الإسلام، ومقام العلماء ودرجاتهم، وصفات العلماء، ومكارم أخلاقهم، ثم حق العلماء على المسلمين، ثم واجبات العلماء نحو المسلمين.

أما الفصل الثاني: فهو عبارة عن بعض النصائح إلى طلابنا وشبابنا في مجال طلب العلوم الشرعية، ويتضمن هذا الفصل اثني عشر نصيحة مُوَجَّهة لطلاب العلوم الشرعية.

والفصل الثالث: يحتوي على بعض الإرشادات والإِقتراحات لأئمتنا وعلمائنا الأفاضل، وذلك في اثني عشر مبحثاً.

ثم الفصل الرابع: مختارات من المواقف البطولية لطائفة من العلماء والأئمة، واخترت واحداً وعشرين عالماً، بدءاً بالحسن البصري، ثم علي بن الحسين زين العابدين، ثم عمر بن عبد العزيز، ثم زيد بن علي، ثم أبي حنيفه، ثم سفيان الثوري، ثم مالك والشافعي وأحمد بن حنبل... ومروراً بأبي الحسن الأشعري، وأبي حامد الغزالي، وعبدالقادر الجيلاني، وانتهاء بخمسة من العلماء المعاصرين، وهم: الأستاذ سعيد النورسي الكوردي،

والشيخ أمجد الزهاوي، والشهيد حسن البنا، والإمام أبو الأعلى المودودي، والشهيد سيد قطب رحمة الله على الجميع.

والفصل الخامس: تحدثت فيه عن ردٍّ بعض التُّهم، والإجابة عن بعض الإشكالات والتساؤلات، هذا هو محتوى الكتاب، بإيجازٍ شديد.

نتوجه مباشرة إلى الموضوع الأبرز الذي افتتحت به هذا الكتاب، وهو الحديث عن علماء الإسلام مَنْ هم، وما هي صفاتهم؟

ـ باختصار: علماء الإسلام، هم الذين خَلَفوا النبي صلى الله عليه وسلم في أمته، وأَدَّوا ويُؤَدُّون الدور الذي أدَّاه الرسول عليه الصلاة والسلام في أمته، ماذا كان دورالرسول عليه الصلاة والسلام؟ كان رسول الله صلوات الله وسلامه عليه أسوة للناس، لمن حوله من الصحابة رضوان الله عليهم، ولمن بعده من الأجيال: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴿٢١﴾ ﴾الأحزاب، فَيجِبُ الإئتساءُ بالرسول عليه الصلاة والسلام والإقتداءُ. به، في كل المجالات، لأن الله سبحانه وتعالى لم يُقَيِّدْ كلمة الأسوة، بقيدٍ ما: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴿٢١﴾ ﴾الأحزاب، أي في كل المجالات التي نحن نحتاجها لتمضية، هذه الحياة الدنيوية، بكيفية مُرْضيةٍ لله سبحانه وتعالى، فالرسول عليه الصلاة والسلام كان يُعَلِّمهم الإيمانَ والعقيدة، ويعلِّمهم الصيام والزكاة والدعاءَ والذكر والحج والعمرة، وكان يُصَلِّي أمام أصحابه ثم يقول: {صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي}[(١)]. وكان يحج معهم ويقول: {لِتَأْخُذُوا عَني مَنَاسِككُم}[(٢)]، وكان يقودهم في ميدان الجهاد والقتال، وعندما تحدث مشاكل أو شجارات بين أفراد وشرائحُ المجتمع، كان عليه الصلاة والسلام يقضي بينهم، وكان يهتم بكل أمورهم:

---

١) أخرجه البخاري برقم: (٥٩٧٠).

٢) أخرجه مسلم برقم: (١٢٩٧).

يعلمِّهم ويؤدبِّهم ويربيهم، فكان قدوة لهم في أمور دينهم ودنياهم، ولهذا لما تُوفي الرسول صلوات الله وسلامه عليه، و لم يُوصِ بأَحدٍ.(١)

فَلْنَنْظُرْ بماذا استدل الصحابة، وبماذا استأنسوا؟ بعدما رأوا الرسول عليه الصلاة والسلام، أمر أبا بكرٍ أن يصلِّي بالناس، قالوا: يا أَبابكرٍ! طالما رضيك رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لديننا، (يعني: لَتِؤُمَّنا في الصلاة)، فنحن نرضاك لدنيانا.

نعم كان رسول الله عليه الصلاة والسلام إمام المسلمين وقدوتهم وأسوتهم في أمور دينهم ودنياهم، ويجب على العالِم أن يكون هكذا، إذا أراد أن يكون خليفةً، ووارثاً للنبي عليه الصلاة والسلام وراثة حقيقية، ولهذا قلت في هذا الكتاب وفي غيره من كتبي وخطبي: إن العالِمَ يُعتبر وارثاً للنبي عليه الصلاة والسلام ليس بإطلاق، وإنما هذا شيء نسبي، فبقدر أخذك من ميراث النبوة، وتمثُّلك لِهذا الميراث وتطبيقك له، في حياتك الشخصية والأسرية والإِجتماعية والسياسية، تكون وارثاً للنبي عليه الصلاة والسلام.

إذن: هناك وُرَّاث كاملون للنبي، وهناك نِصْفُ وارثٍ، بل عُشْرُ وارث، بل الوارثُ الصوريُّ، فهو فقط اسمه عالم، لكن لا يُعتبر وارثاً للنبي عليه الصلاة والسلام.

والدور الذي يجب أن يلعبه العلماء - كما قلت -: هو دور النبي عليه الصلاة والسلام، كلٌّ بِقَدَرِهِ، ولكن ههُنا حقيقة إذا لم نَتَفَطَّنْ إليها، نُخْطِئ أخطاء فادحة، وهي أَنَّ سنة الرسول عليه الصلاة والسلام، صَنَّفها العلماء إلى عدة أصناف، والسنة - كما قلنا سابقاً- هي التطبيق للقرآن، فكيفية تديُّن الرسول عليه الصلاة والسلام، وتعبُّده لله، والتزامه بشرع الله، جُسِّد في السنة، فالسنة ليست مقابلاً للقرآن، بل السنة محتوية على القرآن، والقرآن جَوْهَرُ السنة ولُبُّها.

---

١) بخلاف ما تقولُهُ الشيعة، اذ ما يقولونه لا أصل له، نقلاً وعقلاً و واقعاً، لأن سيدنا علياً رضي الله عنه لم يستدل بما تَستدِلُّ به الشيعة الآن: الآية الفلانية والحديث الفلاني، فهل علي رضي الله عنه لم يعلم هذه الأدلة؟ لِذا لم يَسْتِدلَّ بها؟ أم علم أنها ليست أدلة على إمامته، ولهذا لم يستدل بها؟

تصنيف العلماء للسنة النبوية الى ستة أصناف من حيث الحكم:

صنَّفَ العلماء السنة النبوية في الأقلّ، الى ستة أصنافٍ:

النوع الأول: مُلزِمٌ للجميع في جميع الحالات، لأن الرسول عليه الصلاة والسلام، قال، أو فعل، أو أقرَّ، هذا الشيء بصورة عامة، مثل: {إِنَّمَا الأَعْمَال بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لكُل امْرِئٍ مَا نَوَى}[١]، أو {الطّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ}[٢]، فالأشياءُ التي قالها الرسول عليه الصلاة والسلام، أو فعلها، أو فُعِلَ، في مرأى من عينه، أو سمعه، ثم أيَّده، وهذا يُسمّى: تقريراً، فهذا شامِلٌ للجميع، إلاّ اذا دلَّ دليلٌ قاطع واضح أنه خاصٌّ، أَو مُقيَّد، فَيُتعامَلُ معه بَحَسَبه، وهذا النوع من السنة المباركة، هو النوع الغالب، إذ الأصل في طريق النبي الخاتم صلى الله عليه وسلم، والذي هو تطبيقه لكتاب الله تعالى! هو كونه مُلْزِماً للجميع وفي كل الأحوال.

النوع الثاني: نوع آخر من السنة خاص بالحكام وولاة الأمور، أي الذين يختارهم الناس للإشراف على حياتهم الدنيوية، ويُوَلُّونهم أمورَهم، فمثلا: يقول الرسول صلوات الله وسلامه عليه: {مَنْ قتلَ قَتِيلاً فَلَهُ سَلَبُه}[٣]، هل لكل عالِم أن يفتي بمثل هذا الحديث لكل أحد؟ كلاّ بلا شك.

حديث آخر: {مَنْ أَحْيَا أَرْضًا مَيِّتَةً فَهِيَ لهُ}[٤]، هل لكل عالِم أن يفتي من على المنبر بهذا لكل الناس؟ كلاّ بلا ريب، لأنه إذا افترضنا: أن هناك قطعة أرض مُعيَّنة: العالم الفلاني، يُفتِيَ بها لشخصٍ ما، وعالِمٌ آخر يُفتي بها لشخص ثانٍ، وعالِم ثالث يُفتي بها لشخص ثالث، فهل يجوز هذا؟ كلاّ، إنما هذا النوع من الأحاديث التي تخصُّ شئون

١) متفق عليه: والبخاري برقم: (١)، ومسلم برقم: (١٩٠٧).
٢) أخرجه مسلم برقم: (٢٢٣).
٣) أخرجه الترمذي برقم: (١٥٦٢).
٤) أخرجه أبوداود برقم: (٣٠٧٥).

الأئمة وولاة الأمور، إنما قاله الرسول عليه الصلاة والسلام بصفته إماماً للمسلمين ورئيساً لدولتهم، وليس بصفته عالِماً فقط.

النوع الثالث: هناك نوع آخر، قالَه الرسول عليه الصلاة والسلام بصفته مفتياً، فمثلاً: عندما جاءت إلى الرسول عليه الصلاة والسلام هند بنت عتبة، زوجة أبي سفيان وقالت: إنَّ أبا سفيان رجلٌ شحيحٌ ولا يعطيني من المال ما يكفي وولدي، فهل آخذ منه؟ {قال: **خُذِي مَا يَكْفيكِ وَولدَكِ بالمَعْرُوفِ**}[(١)]، فهل لكل عالِم أن يُفتي على المنبر لكل النساء أن يأخذن من أموال أزواجهن ؟ لا، لأن هذه فتوى، والفتوى تختلف زماناً ومكاناً، شخصاً وعرفاً...الخ.

النوع الرابع: وهناك نوع آخر، قاله الرسول عليه الصلاة والسلام، أو فعله، أو أَقَرَّهُ بصفته قاضياً وحاكماً، إذن: يجب أن يكون العالِم الذي يقول بهذا القول، بصفة قاضٍ وحاكمٍ.

النوع الخامس: هناك نوع آخر من سنة النبي عليه الصلاة والسلام، قالَه أو فَعَله، أو أَقرَّهُ على سبيل الإرشاد، وبحسب تجربته الدنيوية، فمثلاً: عندما مرَّ بجماعة يُؤَبِّرون النخل (أي يلقِّحونه) فلّما سألهم وأخبروه، قال قولاً فهموا منه: أن النَّخل لا يحتاج الى تَلْقيح، فتركوا تلقيح النخل، ثم لم يُثمِرْ، فلما راجعوا الرسول عليه الصلاة والسلام قال: لماذا لم تُلَقِّحوه؟ قالوا: أنت قلت ما قلت! قال ما معناه: إنما قلته على سبيل الرأي وليس كدين مُلْزِمٍ لكم، ثم قال: {**أَنْتُمْ أَعْلَمُ بِأمْورِ دُنْيَاكُمْ**}[(٢)]، أي: إذا ما قلت شيئاً، في مجال الحرب والزراعة والصناعة والطبابة، برأيي البشري، و لم أقل: إن الله سبحانه وتعالى أوحي اليَّ، فأنتم بالخيار في الأَخذ به، أو عدم الأَخذ به، طالما كان بصيغة: إرشادٍ أو اقتراحٍ، إذ كان صلى الله عليه وسلم يترك الأمر لأهل الخبرة، هكذا فعل في غزوة بدر، عندما قال له الحباب بن المنذر: {**يَا رَسُولَ اللّهِ! أَرَأَيْت هَذَا الْمَنزِلَ، أَمَنزِلاً**

١) أخرجه البخاري: ٥٣٦٤، ومسلم: ١٧١٤.

٢) أخرجه مسلم برقم: (٢٣٦٣) .

أنـــزلكَهُ اللّهُ، لَيسَ لَنَا أَنْ نَتقَدّمَهُ ولا نَتَأَخّرَ عَنْهُ، أَمْ هُوَ الرّأْيُ وَالْحَرْبُ وَالْمَكِيـــدَةُ؟ قَالَ: "بَلْ هُوَ الرّأْيُ وَالْحَرْبُ وَالْمَكِيدَةُ".. فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللّهِ فَـــإِنّ هَـــذَا لَـــيْسَ بِمَنـــزِلِ} وأوضح له الرأي، فقال: {لَقَدْ أَشَرْت بِالرّأْيِ}، وانتقل الى المنـــزل اقترحـــه الحباب بن المنذر(١).

وكذلك عندما أراد أن يُبْرِمَ اتفاقية صلحٍ مع غطفان، ويعطيهم ثلث ثمـــار المدينـــة، واستشار السعدين: سعد بن معاذ وسعد بن عبادة، فقالا له: أهذا شيء أمـــرك بـــه الله سبحانه وتعالى، أم شيء تصنعه لنا؟ قال: بل أرى أن العرب رمتكم عن قوس واحـــدة، فأردت أن أُخَفِّف عنكم، قالوا: والله لا نعطيهم إلا السيف، قبل أن يُكرِمَنا الله بكَ، ما كانوا يطمعون في ثمرنا، إلا إذا كانوا ضيوفاً أو يشتروا مِنّاَ، فبعد أن أكرمنـــا الله بـــك، كيف نعطيهم؟! فقال: أنتم أدرى(٢).

نعم كان رسول عليه الصلاة والسلام يقول في القضايا الدُنيوية البحتة، والمتوقفة على الخبرة، بعضَ الأشياء من خبرته الذاتية، كإرشادٍ ورأي شخصي سواء تَعلَّق الأمر بمجال الحرب، أوالطب، أو الصناعة، أو الزراعة...الخ، وهذا مما لايُعَدُّ وحياً وديناً مُلزماً.

النوع السادس: ونوع أخير، هو ما فعله الرسول عليه الصلاة والسلام أو قاله، علـــى سبـــيل السجيّة البشرية فمثلاً: تقول سيدتنا عائشة رضي الله عنـــها كمـــا جـــاء في صحيحي البخاري ومسلم: {كَانَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم يُحِـــبُّ الحَلْـــوَاءَ وَالعَسَلَ}.(٣) فهل نحن مَلْزَمون أن نستن به ونقتدي بهِ في أَكلِ الحلواء والعسل، ولـــو كنَّا مرضى بالسُّكّري؟ بالتأكيد، لا.

وكذلك جاء في صحيحي البخاري ومسلم: أنَّه وضع الضَّبُّ على مائدة رســـول الله صلى الله عليه وسلم: فأراد أن يتناوله، لكن النسوة أَخبرْنَه: أنَّ هذا لحم ضب فتركـــه،

١) السيرة النبوية لابن هشام، ج٢ ص٣٣٦.
٢) المصدر نفسه، ج٣ ص ١٠٨-١٠٩.
٣) صحيح البخاري: (٥٦٨٢)، وصحيح مسلم: (٣٦٦٤).

وقال: (**لَم يَكُن بأَرْضِ قَوْمِي، فَأَجِدُنِي أَعَافُهُ**)، [1] وَجرَّه خالد بن الوليد فأكله، ورسول الله عليه الصلاة والسلام ينظر إليه، {ربما تعجَّب كيف يتمكَّن من أكله}؟

وكذلك الملبس الذي يلبسه النبي صلوات الله وسلامه عليه، كان ينسجم مع الجو الذي يعيش فيه، والبيئة التي يعيش فيها، فهل هذا مُلزِم لنا؟ كلاًّ بالتأكيدِ.

هنا تذكرت قصةً: عندما ذهبتُ إلى ألمانيا في عام ٢٠١٢م ذهبت بأهلي للعلاج، وهناك استضافني أحد الإخوة، وكان في المجلس بعض الإِخوة الألمان في مدينة (برلين)، وإذا أحدهم ملتحٍ لحية طويلة، ويرتدي طاقية بيضاء على رأسه، ويلبس مثل لباس الأفغان ونعلين! فقلت: من هذا الرجل؟ قالوا: هذا اسمه فلان، وغيَّروا اسمه فسمَّوه (يحيى) وكان له اسم آخر، فقلت: لهم لماذا جعلتم يحيى هكذا، هو غريب الشكل في ألمانيا؟! قالوا: أليس هذه الهيئة من السنة؟ قلت: اللحية من السنة عند أكثر العلماء، لكن اللباس والنعل والطاقية، هذه من العادات والأعراف، والرسول عليه الصلاة والسلام لو عاش في ألمانيا، لَلَبس لِبَاس الألمان، ولو عاش في الأَسكيمو للبس لباس القوم هناك، ولو عاش في كردستان للبس لباسهم، هذه الأشياء خارجة عن السنة، وتابعة للأعراف والعادات المختلفة للشعوب، وملابس الأقوام والشعوب منسجمة مع الجو الذي يعيشون فيه: في الجزيرة العربية مثلاً: يلبسون لِباساً فضفاضاً، بسبب حرارة الجوِّ، لكن في ألمانيا والأماكن الباردة، يلبسون من الملابس ما يقيهم من البرد القارس!

إذن: هناك ستة أنواع لسُنَّةِ النبي عليه الصلاة والسلام، وعندما نقول: (العلماء ورثة الأنبياء) يجب أن يعرف كل عالِمٍ، أين هو من صفات الرسول عليه الصلاة والسلام؟ فهل هو في مقام الحاكم (المسؤل)، أو القاضي، أو المفتي...الخ؟! فيتعامل مع كل حالةٍ حَسْبَما تقتضي، كذلك يجب أن يُراعى التصنيفُ الذي ذكرناهُ، عند قولنا: يجب أن نَستنَّ بالرسول عليه الصلاة والسلام ونقتدي به، فالعلماء يجب أن يفعلوا، كما فعل الرسول، كل حسب حالة وموقعه الذي هو فيه.

---

١) رواه البخاري: ٥٥٣٧، كتاب الذبائح والصيد، باب الضَّب.

واجبات العلماء في هذا العصر أو الأوصاف اللاّزمة لهم:

بحكم أن علماء الدين ورثة النبي كلٌ بِقَدَره، كما أوضحت، فما هي الواجبات الملقاة على عاتقهم في مجال التديّن وإصلاح مجتمعاتهم؟

ـ عندما نقول: (إن العلماء ورثة الأنبياء)، أي: إِنَّهم يجب أن يقوموا بما قام به النبي صلوات الله وسلامه عليه، هذه قاعدة عامة لا يشذُّ عنها شيء، لكن كما قلت: كلٌّ بِقَدَرِه وحسب استطاعته.

لكن هناك مسألة أخرى أودُّ لَفْتَ النظر إليها، وهي: أن العلماء لا يتميَّزون في الإسلام عن غيرهم، بلباس، أو شارةٍ، وهم أفراد من الناس وليسوا طبقةً خاصة ولاشريحةً ومعَيَّنةً، لأن هناك خلطاً، بين المفهوم الإسلامي للعلم والعلماء، والمفهوم الغربي والكنسي.

علماء الكنيسة وعلماء النصارى يتميَّزون عن بني جلدهم في كل شيء:

١- فهم أصحاب الكنيسة الذين يشرفون عليها.

٢- وهم الذين يجب أن يَشرحوا الكتاب المقدس.

٣- ويتميزون عن الناس بزِيٍّ خاص.

٤- وهم طبقة خاصة تُسمَّى: الأكليروس.

لكن في الإسلام لايتميَّز العلماء عن الناس، لا بلباس، ولا بشارة، ولا بمكانٍ خاص، وإنما يتميزون عنهم بالعلم والعمل، فيمكن أن يكون هناك عالِمٌ غير لابس لباس العلماء، ولباسُ العلماء استُحدث في زمن العباسيين، وإلاّ فَنَبي الله عليه الصلاة والسلام كان يلبس لباس قومه، وكان عندما يأتي الغريب إلى مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول: أيكم رسول الله؟ أيكم ٱبن عبد المطلب؟ ما كان يتميَّز عن أصحابه، لا بمكانٍ، ولا بلباس، ولا بشارة، وإنما يتميز عنهم بأنه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأنه مُمَثِّل

الله للناس على الأرض، وأنه حامل الوحي سبحانه وتعالى، والعلماء يجب أن يكونوا هكذا، ولا نقول أن مَنْ لبس لباس العلماء، يأثم، ولكن المهم أن نعلمَ أن الإسلام لم يُلزِمِ العلماءَ بنوع خاص من اللباس، ولا بأن يكونوا طبقة تتميز عن الناس، ولهذا منذ نشأتي: لبستُ لباس قومي، لكن عندما أذهب لأداء الحج والعمرة ألبس هناك اللباس المناسب مع جَوِّ ذلك البلد، وكذلك عندما أذهب إلى أوروبا، ألبس البدلة، وقد ذهبت في بداية التسعينيات من القرن الماضي، إلى أفغانستان وباكستان، ولبست لباسهم، هذا لا حرج فيه، لكن لباسي القومي هو الذي ألبسه على الأكثر.

شيخ علي! نريد منك أن تواصل الحديث، وأن تطْلِعَنا على وصيتك للعلماء ليكونوا بحق ورثة الأنبياء، خاصة في هذا الوقت الذي نعيش فيه والتطورات والتعقيدات التي تحيط بنا؟

ـــ أعتقد وأرى أن أَلْزَمَ الواجبات على العلماء في هذا العصر، هي:

أولاً: أن يسعوا لفهم القرآن والسنة فهماً صحيحاً، ولا يجعلوا من فهوم العلماء واستنبطاهم وتراثهم، ديناً مُلْزِماً لهم ويُكَبِّلون به عقولَهم، لماذا؟ لأن العلماء السابقين إنما استنبطوا الأحكام واجتهدوا لعصورهم، لذا عندما أرى عالِماً يفتي بفتوىً عفا عليها الزمن، ويأتي بتراث العلماء ويلتزم به كدين أنزله الله سبحانه وتعالى، ويتعامل مع التراث ومع الإجتهادات والمذاهب كتعامله مع الوحي، فإنّني أُشفق على هذا الإسلام الذي يُمَثِّله ذلك العالِم!

لأنه لا يصلح لكل زمان ومكان، ولكل المجتمعات، إلا الوحي، وأَقصُدُ بالوحي، ما أنزله الله على النبي الخاتم محمد، وإلا فإن الإنجيل في أصله هو وحي الله، والتوراة وحي الله، وكذلك الزبور، لكن هل تلك الأنواع من الوحي، تصلح لهذا العصر، حتى بفَرضِ لو بقيت سالمةً مصونة لم تَمُسُّه يدُ التَّحريف والتغيير؟ بالتأكيد، لا، وذلك لأن الله سبحانه وتعالى لم يُنـزِل تلك الأنواع من الوحي لعصرنا هذا، وإنما أنزل لهذا العصر الكتاب الأخير والرسول الخاتم محمداً عليه الصلاة والسلام، أجل: الوحي الذي

أنــزله الله سبحانه وتعالى للبشرية على يد خاتم الأنبــياء، هو الذي يصلح لكل العصور والدهور، أما تراث العلماء، سواء منه ما ارتبط بالفقه، أو بالأصول، أو بتزكية الــنفس والتصوف، أو بالعقيدة والتوحيد، أو بالتأريخ، أو بأي مجال من المجالات، فهو مُــرتبط بعصرهم وقد يوجد فيه كثيرٌ مِمّا ينفعنا، ولكن ليس ديناً مُلزِماً، الملزِم للمســلمين هــو الوحي فقط، وإدراك هذه الحقيقة مهم جداً للعلماءِ.

ثانياً: يجب على العلماء أن يعرفوا عصرهم ومجتمعاتهم، علماؤنا السابقون رحمــة الله عليهم، كانوا بصراء بعصورهم، خبراء بمجتمعاتهم على سبــيلِ المثال: عندما نقرأ لابن تيمية كتاب: (منهاج السنة النبوية)، أو كتاب: (تلبــيس إبليس) لابــن الجــوزي، أو كتاب: (المنقذ من الضلال) لأبــي حامد الغزالي، وكتب: ابن القيم، والعلماء الآخرين، نرى أنهم عرفوا زمانهم وعرفوا مجتمعاتهم جيِّداً، فيجب على علماء الإسلام أن يعرفــوا زمانَهم، وأهلَ زمانهم، والتيارات الفكرية، والتيارات السياسية، والتيــارات الفلســفية، والعلوم التي وصلها واكتسبها البشر، حتى لا يكون العالِمُ في الإسلام، غريباً عن عصره، ولا مُتَخلِّفاً عن واقعه، ويجب أن يربأ العالِمُ بنفسه أن يعيش في غير زمانه.

ثم عندما نلتزم بتراثنا على حساب التأمّلُ في القرآن والسنة (الوحي الصالح لكل زمان ومكان)، هذا يعني: أننا نحن الأحياء محكومون للأموات، أقوال الأموات وفتاواهم، هي التي تحكمنا! وهذا غير منطقي، ولهذا قلتُ في كثير من كتبــي وخُطبــي: أن الأســئلة الجديدة لا تُفيدُها الأجوبة القديمة، وإنما كما يقول عمر بن العزيز رحمة الله عليه: (تَجدُّ للناس من الأقضية، بقدر ما تَجدُّ لهم من القضايا)، فكلما استجدَّت قضية، كلما استجد لها قضاء، وكلما استجدّ سؤالٌ، يجب أن تكون هناك إجابة جديدة، وهذا هو جــوهر (الأصالة والمعاصرة)، الأَصالة تعني: الإلتزام بالوحي، والمعاصرة هي: أن نرى عصــرنا، ونتأمَّل حوادث عصرنا ومسائل عصرنا، وأسئلة عصرنا، ثم نحاول بعقولنا الحرة المنفتحة أن: نستنبط لها الأجوبة في ضوء الوحي المعصوم.

ثالثاً: وواجب آخر على العلماء هو: أن يكونوا أحراراً، شُجْعاناً، قرأت في تـأريخ مصر الحديث أن أحد العلماء هو الزعيم أحمد عرابـي قال للخديوي: {إن الله تعالى خلقنا أحراراً، ولم يخلقنا عقاراً، والله لا نُورَّث بعد اليوم}.

يعني لسنا تركة أو أرضاً حتى نُورَّث، فالعالِم إنما يُشرِّف عِلمَهَ، عندما يكون شجاعاً جريئاً، لا يخاف في الله لومة لائم، وعندما يكون مخلصاً لشعبه ووطنه، وعندما لا يطمع في الدنيا التي في أيدي الحكام، ولهذا قيل: أفضل العلماءِ من يزورهم الحكـام، وأسـوأ العلماء من يزورون الحكام.

وقصدهم بهذا: أنه يجب على العالِم أن يكون مُحْتَفِظاً بشخصيته، ومحافظاً على هيبته وعلمه، ليس من باب التكبُّر، وإنما من باب الإعتزاز بالنفس، واحترام العلم الذي يحمله.

رابعاً: وصفة أخرى من الصفات الواجبة للعلماء، أن على العلماء: أن يهتمُّوا بأمور الناس ومشكلاتهم، وأن يشاركوا الناس أفراحَهم وأتراحَهم ويهتموا بهم، إذا أراد عـالِمٌ أن يؤثِّر في الناس، يجب أن يكون مشارِكاً للناس، وأن يعيش بـينهم، ويهتم بقضاياهم وهمومهم.

خامساً: يجب على العلماء أن يُدْرِكوا ويعوا جَيِّداً معـنى ومغـزى أنهـم (ورثـة الأنبـياء)، إدراك هذه الحقيقة مهم جداً، لأنك عندما تعتبر نفسك وارثاً للنبـي عليـه الصلاة والسلام، ونائِبَه يجب أن تُقَدِّر هذه الحقيقة قَدْرَها.

سادساً: يتعيَّن على ورثة النبـي صلى الله عليه وسلم أن يَغْـذُّوا السَّـير في اتِّبـاع مُوَرِّثهم، فيجب على العلماء أن يكونوا أكثر الناس التزاماً بسُنة الرسول عليه الصـلاة والسلام، وأكثر الناس اقتداءاً به واقتفاءاً لأَثَرِهِ.

سابعاً: يتوجب على العلماء ألا يكتفوا بما عندهم من العلم، بل عليهم أن يواصـلوا سعيهم أبداً في سبـيل استحصال علم أكثر ومعرفة أحسن، فالعلم له بداية وليست لـه نهاية، كالأعداد، تبدأ من واحد ولا نهاية لها.

ثامناً: يجب أن يكون معلوماً، أن منهاج دراسة العلوم الشرعية المعتاد في البلاد الإسلامية، ينطوي على نقصٍ كثير، فهناك كتب عفا عليها الزمن، وهناك كتب: سواء من الجانب الفقهي، أو الأصولي، أو العقدي، وحتى قواعد اللغة العربية، يجب أن تُصاغ من جديد، وهناك محاولات جادّة لبعض العلماء.

تاسعاً: على العلماء أن يبلغوا غاية التواضع في قبول الحق، وأن يأخذوا الصواب كائناً من كان قائله، إذْ هناك من العلماء، من لا يأخذ بمقترحات الآخرين ولا بانتقاداتهم، لا، على العكس: على العالِم أن يكون واسع الصدر، الرسول عليه الصلاة والسلام أخذ بمشورة الحباب بن المنذر، وكذلك أخذ مشورة السعدين - سعد بن معاذ وسعد بن عبادة - عندما شاورهما في الصلح مع قبيلة(غطفان).

عاشراً: على علماء الإسلام، ما وسعهم، أن يزهدوا فيما في أيدي الناس، وأن يتوكّلوا على الله وحده، ثم يعتمدوا على أنفسهم، اذ الإعتماد على النفس، والتوكل على الله، والزُهد في الدنيا، يجعل العالِم أمام الناس ذا عزة وكرامة، والناس يثقون بعلمه، وعندما يرونه يزهد في الدنيا التي بأيديهم، فهم يرغبون في العلم الذي عنده.

حادي عشر: على العلماء أن يكونوا على جانب عظيم من الوعي والحذر، وأن يُفَوِّتوا الفرصَةَ على أهل السياسة والدنيا، أن يستغِلُّوهم ويُحيلوهم أداةً طَيِّعة بأيديهم!! يجب أن يربأوا بأنفسهم أن يُصْبِحوا وُعّاظ السلاطين، بل يجب أن يكونوا ناصحي السلاطين، يعني: ناصحين للمسئولين، وليسوا وُعّاظاً لهم يُخَدِّرون الناس ويلوون عنق الفتاوى حتى تنسجم مع رغبات أصحاب السلطة.

ثاني عشر: لا يجوز للعلماء بحال من الأحوال أن يُستدرجوا للعداوة ضد التيار الإسلامي والإسلاميين، بل على العلماء أن يكونوا مع الإسلاميين، من الإسلاميون؟ إنهم الذين يريدون أن يعيدوا الإسلام إلى حياة الناس، والمطلوب من كل مجتمع مسلم، أن يلتزم بإسلامه، المسلمُ هو الذي يُسلِمُ نفْسَه لله، ويلتزم بشرع الله سبحانه وتعالى، فالتيار

الإسلامي المتَّزِنُ والمعتدل والرصين، يجب أن يكون العلماء سنداً له، يكون هو سنداً للعلماء، وأن يكون بينهم وئام وانسجام وتعاون.

ثالث عشر: على العلماء أن يبذلوا جهوداً في الإِختلاط والتفاعل الجِدّي مع جميع طبقات الأمة، وشرائح المجتمع، لكي يكونوا ذوي تأثير بالَغٍ عليهم.

رابع عشر: من واجب العلماء أن يُرَسِّخوا أواصرِ الأُخُوَّة فيما بينهم ويُعَمِّقوها، ولكن على أساس العلم والتقوى، وليس التَّعُصُّب والتحزُّب، فالعلماءُ فيما بينهم يجب أن يكونوا متآخين متوادِّين ومتحابين، وهذا جانب مهم، يجب أن يُراعى في العلماء، وكيفية علاقاتهم فيما بينهم، لأن هناك من العلماء من يُفتي بفتوىً، والآخر يُفتي بِضِدِّ فتواه، فالناس يفقدون الثقة في الإثنين، ويصبحون في فوضى وبلبلة فكرية، يقولون: لا ندري أيهما نَتَّبِعُ: هذا، أم ذاك؟

خامس عشر: لا يَحِلُّ للعلماءِ الذين يعتبرون أنفسهم ورثة النبي صلى الله عليه وسلم، أَنْ يُفْسحوا الطريق ويُخْلُوا الساحة للأنظمة والأحزاب ورؤساء العشائر، فيسلبوهم الحكم والسياسة، وأن يسلبهم شيوخ الطريقة، الريادَةَ الروحية والمعنوية، فلا يَتَبقَّى لهم بالنتيجة إلا علم مجرد بارد فارقته الروح!

يعني: إذا ما سلب الحكام والساسة في المدن، ورؤساء العشائر في القرى والأرياف، الحكم والسياسة، وأَخذ أهلُ التصوف: الجانبَ الروحي، منهم: وأخذ المفكرون منهم، الجانبَ الفكري، ما الذي يبقى للعلماء؟ إذن يجب على العالِم أن يكون مفكراً، وأن يكون من الناحية الروحية قوياً، وأن يكون سياسياً محنَّكاً، وأن يكون خبيراً، وأن يكون مهتماً بقضايا الناس، بديهي أن كل العلماء لا يصلحون أن يكونوا حكاماً ورؤساء، ولكن يجب أن يهتمُّوا بالجانب السياسي وبمجتمعاتهم ويهتموا بقضاياهم، ويدافعوا عن مظلوميتهم، وأن يكونوا في صف المظلومين على طول الخط، أنا أستغرب من عالِمٍ يكون في صف الظالِم، ويقول سبحانه وتعالى: ﴿أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ١٨﴾ هود، يا أيها العالِم! أنت وارث النبي، كيف تكون مع من هو

ملعون من الله سبحانه وتعالى؟ لماذا لا تكون مع المظلومين؟! والرسول صلوات الله وسلامه عليه عنما أرسل معاذاً إلى اليمن قال: (**فإنك تقدم على أهل كتاب، فليكن أول ما تدعهم إليه أن يعبدوا الله أو يعرفوا الله، فإذا أخذوا منك ذلك، فأخبرهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في اليوم والليلة، ثم ذكر الزكاة وبعد ذلك قال: {وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ}**[1]، والمظلوم الذي عناه الرسول عليه الصلاة والسلام هو مظلوم أهل الكتاب، لا المسلمين، إذن: غير المسلم أيضاً حين يدعو الله، ليس بينه وبين الله حجاب، فيرتفع دعاؤه إلى الله سبحانه وتعالى، وهذا إخبار النبي عليه الصلاة والسلام كما جاء في صحيحي البخاري ومسلم، لذا على العالِم أن يكون مع المظلوم ولو كان كافراً، ولا يكون مع الظالم، ولو عَدَّ نَفْسَه مسلماً، ولا يمكن أن يستمر المسلم على الظلم، ربما يَظْلِمُ ويُخْطِيءُ وينحرف، ولكن يعود، أمَّا إذا استمر على الظلم، واعتبر الناس كأنهم خَدَمَ له وعبيد، وكأنه يملكهم، كما يفعل بعض الحكام المتسلطين على رقاب الناس، يعتبرون الناس كأنهم مِلك لهم، أموال لهم! فعلى العلماء، على وُرّاث النبي الخاتم عليه الصلاة والسلام أن يربأوا بأنفسهم، أن يُصْبحوا أداة في أيدي هؤلاء.

فهذه خمسة عشر (١٥) وصفاً للعلماء الذين يريدون أن يكونوا خلفاء للنبي عليه الصلاة والسلام في أمته، فيجب أن يَخْلِفوه، وهم متَّصفون بهذه الصفات، جعلنا الله بكرمه ومنّه، من ضمن هؤلاء المتحلِّين بهذه الصفات الجيدة.

١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ: (١٤٩٦)، وَمُسْلِمٌ: (٢٩).

ameer.maktab@yahoo.com

/AliBapir /AliBapir /MediaAmeerOffice

www.alibapir.net

٣٢

المشروع الفكري، وقائمة المؤلَّفات

بودِّنا لو نتحدث عن المشروع الفكري للشيخ علي باپير، لدينا قائمة كبيرة من المؤلّفات والإنتاج الفكري الضخم المنوَّع بلغات شتى، وفي مجالات عدة، حيث تمت ترجمة كتبك إلى عدة لغات منها: الفارسية والتركية والعربية والإنجليزية، وجانب كبير من مؤلفاتك أُلِّفت باللغة العربية أصلاً، بودنا لو تطْلِعُنا بدايةً على قائمة الإصدارات والإنتاج الفكري والكتب التي أصدرتها، وما هو قيد الطباعة والتأليف والإعداد؟

ــ الحمد لله منذ ريعان شبابي بدأت بالكتابة والتأليف، وما اتخذت التأليف والكتابة هوايةً، بل ما من كتاب أو كتيب كتبته، إلا وله قصة وله ظروف وملابسات، وبعض كراساتي التي كتبتها، كتبتها في سويعات، لكن بعض مؤلَّفاتي استغرق أكثر من سنة، مثل: موسوعة: (**الإسلام كما يتجلى في كتاب الله**)، وكذلك موسوعة: (**الإيمان والعقيدة الإسلامية**)، والتي تتكون من ستة مجلدات، ومن الكتب ما استغرق تأليفه شهراً، أو أقل من شهر، أو أسبوع، ولكن -كما قلت- ما من كتاب أَلَّفتهُ، إلا وله قصة وله ظروف وملابسات، دفعتني إلى أن أكتب وأؤلف، بل بعضها هناك مُبَشِّراتٌ دفعتني إلى أن أكتبها.

سأسرد عليك قائمة مؤلفاتي، في البداية أسرد الكتب التي هـــي باللغـــة العربـــــية:

موسوعة: (**الإسلام كما يتجلى في كتاب الله**) وهي تتألف من اثني عشر كتاباً:

١- الإسلام معرفة صحيحة بالخالق والخلق.

٢- تعريف الإيمان، وتعريف الكُفر، وثمارهما والمقارنة بـــينهما .

٣- الإيمان بالله تعالى الخالق المالك الرب الإله .

٤- الإيمان بالملائكة وبالجن.

٥- الإيمان بكتب الله الحكيم.

٦- الإيمان برسل الله وأنبـــيائه الكرام عليهم الصلاة والسلام .

٧- خاتم النبـــيين محمد صلى الله عليه وسلم: مُوَجَزٌ سيرته، وبراهين نُبوَّته.

٨- الإيمان باليوم الآخر.

٩- إِهتداء الإنسان بهدى الله، أو الإِلتزام الفردي بشريعة الله.

١٠- إِلتزام المجتمع بشريعة الله.

١١- تطبـــيق المجتمع لشريعة الله، أو معالم الدولة في الإسلام.

١٢- الإسلام نظرة سديدة تجاه الناس، وتعامل صحيح معهم.

١٣- علماء الإسلام .. من هم وما هي صفاتهم؟!

١٤- (طريق الصلاح والسير إلى الله)، أو تزكية النفس في ضوءِ الكتاب والسنة.

١٥- (مسائل عصرية رائجة).

١٦- (نقض التطرف، ودَحضُ أفكار المتطَّرِّفين).

١٧- (أمير وراء القضبان)، ويحتوي على قصة اعتقالي من قبل الأمريكان، وما جرى لي فترة سجني.

هذه هي الكتب التي إما أُلفت باللغة العربـــية أو تُرجمت من الكورديـــة إلى اللغـــة العربـــية.

وأما كتبـــي باللغة الكوردية فهي، بعد ترجمة عناوينها الى العربـــية:

١- خلاصة عن الإسلام .

٢- صراع الإسلام مع الأيديولوجيات.

٣- ذكر الله تعالى وأثره في حياة الإنسان.

٤- معرفة الله .. الدين .. الإيمان: حقائق الإسلام تتبلور، وأباطيل السُبل تتدهور(والمقصود بالسُبل: المناهج الوضعية).

٥- موسوعة: الإسلام والعقيدة الإسلامية، في ستة مجلدات.

٦- موسوعة: العبادة الإسلامية، في أربعة مجلدات.

٧- موسوعة: المرأة والأسرة في ظل الشريعة، مجلد ضخم أكثر من ألف صفحة.

٨- موسوعة: الإسلام والحكم والدولة، في أربعة مجلدات.

٩- خلاصة سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

١٠- الإسلام والعمل الإسلامي في ضوء القرآن والسنة.

١١- الإسلام والتيار العلماني: نقاط الوفاق والفراق.

١٢- الغناء والموسيقى، وموضوعات فنية، في ضوء الكتاب والسنة.

١٣- الأعياد والمناسبات في ميزان الشرع والعقل.

١٤- العاطفة القومية والفكر الناسيونالي في ضوء الإسلام.

١٥- التوبة إلى الله تعالى.

١٦- حياة الروح، أو روح الحياة.

١٧- لنكن في خدمة القرآن.

١٨- السنة النبوية بـــين الإفراط والتفريط

١٩- مواضيع سياسية في ضوء العقل والوحي .

٢٠- تفسيري باللغة الكوردية، والذي طُبع منه لحد الآن ثمانية مجلدات.

٢١- المنهج الفكري للعمل الإسلامي.

٢٢- شرح الأصول الشرعية والخطوط العامة للجماعة الإسلامية.
٢٣- حل القضية الكوردية بـين الإيمان والبرلمان.
٢٤- شرح العقيدة الطحاوية.
٢٥- باقات من بـيدر عمُري: القسم الأول: مذكراتي وذكرياتي من: ١٩٦١ إلى ١٩٩١م
٢٦- لاتتعدَّوا المحرَّمات: مقابلة صُحفية، أجراها معي الصَّحفي: د. حسين محمد عزيز.
٢٧- نظرة إِسلامية الى واقعنا.
٢٨- موسوعة: الخلق والسلوك الإِسلامي، في ضوء القرآن والسنة.
٢٩- الديمقراطية والعلمانية في تجربة إِقليم كوردستان(مناظرة العام) بـيني وبـين ملا بختيار سكرتير المكتب السياسي للإِتحاد الوطني الكوردستاني.

هذا بالنسبة للكتب، أما بالنسبة للكراسات والكتيبات فكثيرة:

١ـ قواعد مهمة في التعامل الشرعي الحكيم مع المسائل الفرعية الخلافية.
٢ـ ابتلاء الله تعالى لعباده، ما هو وكيف يكون؟
٣ـ الجماعة الإسلامية.. أهداف ومواقف.
٤ـ المرأة الكوردية المسلمة: حقوقها الشرعية وواجباها المهمة.
٥ـ إرشادات لإخواننا وأخواتنا في المهجر.
٦ـ كيف نتعامل مع الناس؟
٧ـ من هو الشهيد وما هو فضله؟
٨ـ ما هو الجهاد في سبـيل الله؟ وكيف نجاهد؟
٩ـ كيف لا نندم على جهادنا؟ تحدثت فيه عن الأخطاء التي تُمارَس باسم الجهاد.
١٠ـ الجهاد في سبـيل الله ملاحظات وتنبـيهات.
١١ـ مشروعنا الإسلامي .

١٢ــ نظرة إسلامية لواقع إقليم كردستان.

١٣ــ شبابنا بــين الأصالة والتقليد.

١٤ــ ماذا نخسرُ بإبعاد المرأة عن الإسلام؟

١٥ــ توضيحات عن السياسة الإسلامية.

١٦ــ كيف نكون قدوة؟ وكيف نبني القاعدة الجماهيرية؟

١٧ــ ضوابط العلم الشرعي ملاحظات وإرشادات.

١٨ــ أسس مهمة للخطابة.

١٩ــ الأخلاق الفاضلة: معيار الإلتزام بالإسلام.

٢٠ــ ما هي الدعوة إلى الله؟ وكيف تكون؟ وما الهدف منها؟ ومن يقوم بها؟

٢١ــ كيف ينبغي أن يكون الطلاب في هذا الواقع، وما هي واجباتهم؟

٢٢ــ طبــيعة الأسرة وأركانها، ومسألة تعدد الزوجات في ميزان الشرع والعقل.

٢٣ــ الإنهيار الأخلاقي، يَهوي بمجتمعاتنا، فالحذر الحذر!

٢٤ــ الشباب في المفاهيم المعاصرة، لقاء صحفي مع الصحفي: ناجح محمد فرج.

٢٥ــ العمل الإسلامي وتقشيع ضباب الشكوك.

٢٦ــ الأصول الشرعية والخطوط العامة للجماعة الإسلامية.

٢٧ــ تقييم قضية الإِرتداد عن الإسلام.

٢٨ــ تقييم: وجود النسخ وعدم وجوده، في القرآن.

٢٩ــ حكم العودة الى نير الطاغوت، كتيب ألفته زمن النظام البائد، عندما كان الناس يرجعون إلى العراق.

٣٠ــ تفسير الملا محمد الكبــير الكويي ونظرات سريعة. (ملا محمد جليزاده) أحد علمائنا الأعلام تُوفي في أربعينيات القرن الماضي، وألّف تفسيراً كاملاً، وبعد مطالعتي لتفسيره كلِّه، ألقيت حوله محاضرتين تحوَّلتا فيهما بعد الى كراسة.

٣١ــ من هو البيشمرگة المسلم، أو المسلم المجاهد؟

٣٢ـــ لماذا دُمِّرتْ كردستان العراق؟ وكيف تُعَمَّر؟
٣٣ـــ الحركة الإسلامية ومستقبل زاهر.
٣٤ـــ داء ودواء الحركة الإسلامية .
٣٥ـــ توجيهات لإسلاميي كردستان.
٣٦ـــ الإسلام والمشكلات الراهنة.
٣٧ـــ مساجد كردستان بـــين التدمير والتعمير.
٣٨ـــ مبررات وحجج الإعلان عن الجماعة الإسلامية.
٣٩ـــ وظائفنا في المهجر (محاضرتان أُلقيتا في لندن وبرلين في عامي ٢٠٠٦ و٢٠١٢م).
٤٠ـــ الإنفاق في سبـــيل الله وآدابه.
٤١ـــ بحث حول رؤية الله في الدنيا والآخرة.
٤٢- الشباب والأزمة الروحية: الأسباب، والآثار، والعلاج.
٤٣- الحياة في ظلِّ الإِيمان، ونقض الشبهات.

تحت الطبع:

٤٤-٤٨: موسوعة: التفكير الإِسلامي بـــين الوحي والواقع، وهي تتكَّون من خمسة كتب.

> **ماشاء الله! رصيد ضخم، اقترب من المائة كتاب، والقائمة مرشحة للزيادة، وهو يعكس أنك تتناول عدة قضايا، قضايا متنوعة وتخاطب فئات معينة، وأيضاً لا يقف الأمر عند الكتابة في المسائل الدينية، وإنما هناك كتابة في مسائل سياسية أيضاً.**

قلت سابقاً: عندما تُطلق كلمة الدين، يجب أن يُحدَّد مفهومها، أي ديـــن؟ الـــدين المسيحي؟ أم اليهودي؟ أم البوذي؟ أو المجوسي؟ أم الدين العلماني؟ فالعلمانية أيضاً دين، بعضُ الناس يَتَصوَّر أن عالِمَ الدين (العالِم الإسلامي) مكانه الوحيد الذي يعمل فيه، هو

الدين بمعناه الضَّيّق، - أي ما يَخُصُّ العلاقة بين الإنسان وربِّه تعالى — لكن لا: الدين يعني المنهج، ومنهج الله سبحانه وتعالى لحياة البشر، لا يمكن أن يُغْفِلَ السياسة، ما السياسة؟ السياسة: فَنُّ إدارة أمور الناس، أو الإِهتمام بالناس والحرص على تحقيق مصالحهم، فهل يمكن لدين الله الكامل: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ۝٣﴾المائدة، أن يُغْفِلَ السياسة ومجالها الواسع؟ بالتأكيد لا يمكن، وكذلك الفن، وكذلك العلم، وكذلك الناحية القومية، وكذلك العادات الإِجتماعية، والسلوك، كل هذه النواحي وغيرها، مجالات يتسع لها الدين.

وأيضاً كتبك تعكس رؤيةً شامِلةً ومستقبلية وعميقة لمجتمعاتنا، ولأهمية ودور عالِم الدين في المجتمع، وعِلاوةً على هذا العدد الضخم من الكتب والمؤلفات والإصدارات والإِنتاج الفكري، يبدو أن العمل السياسي والحزبي، وقيادة الجماعة الإسلامية كأمير للجماعة، يضع على عاتقك مهاماً كبيرة وخطيرة أيضاً، لكن على الرَّغم من هذا، أنت مثابِرٌ على الإِنتاج الفكري تأليفاً ومحاضرة ...

ــ أنت خلال هذه الأيام التي رافقتني فيها، اطلعت على أسفاري واجتماعاتي ونشاطاتي، صحيح أنا دائماً منشغل، والحمد لله وأسألُ الله تعالى البركة والقبول.

الحقيقة أنا أحسدك حسداً حميداً، أنك رغم هذه المشغوليات وهذه الإِجتماعات والإِستقبالات وهكذا، لديك الوقت وتحرص دائماً على تخصيص الوقت الملائم للانتاج الفكري.

قال الله الكريم سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۝٥٣﴾النحل.

نحن أمام رؤية لاتقْصُر العَمَلَ في العمل السياسي والحزبي، وإنما تتّسعُ لجوانب كثيرة، وأعتقد أن قيادة الجماعة الإسلامية جزء أو جانب فقط، ولايمثل كلَّ ما يشغلك.

ــ نعم، ولكن هذا هو الصحيح، لأن الحزب والتنظيم، أخي الكريم! ليس سوى وسيلة لخدمة الناس، ولخدمة المجتمع، والله سبحانه وتعالى أنزل كتابه لإسعاد البشر كلِّهم، يقول سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ ﴿٢﴾﴾الزمر، هذا الكتاب المبارك، كتاب الله العظيم، إنما أنزله الله سبحانه وتعالى للناس كلهم، لذا عندما نُنشيءُ حزباً أو تنظيماً، يجب أن ننظر إليه كوسيلة وليس كغاية، فالأحزاب، والتنظيمات كُلُّها إنما هي وسائل وأساليب لخدمة المجتمع، من خلال منهج الله سبحانه وتعالى، وهكذا فعلت، وقد وجِّه اليَّ العَتْب أكثر من مرة، من قبل بعض أعضاءِ الجماعة، أَنَّني لا أولِي الإهتمام الكافي للعمل الحزبي والجماعة، وأجيب دائماً بأن ساحة عملي، هي هذا المجتمع، وأرى نفسي مُلْزَماً أن أنظر إلى المجتمع ككل، نعم أنا أمير لجماعة إسلامية، لكن هذه الجماعة ليست سوى جزءٍ من هذا المجتمع، وأنا مسئول أمام المجتمع ككل، فيجب قدر الإمكان أن نؤدّي حق المجتمع، ثم إن الجماعة الإسلامية وغيرها من الجماعات والتنظيمات إنما تعمل في هذا الفضاء، فضاء المجتمع، فيجب أن نؤثِّر في هذا الفضاء، وأن نصلح هذا الفضاء، حتى يكون بإمكان جماعة إسلامية ما أن تتنفس في هذا الفضاء، وأن تعيش وتترعرع فيه، فالذين يُرَكِّزون على جماعتهم فقط، ثم يرون الحق حِكْراً على جماعتهم ومحصوراً في أنفسهم، هؤلاء شعروا أم لم يشعروا، يُضَيِّقون دائِرةَ الإسلام الواسعة، كما فعل ذلك الصحابي رضي الله عنه، الذي جاء إلى الرسول عليه الصلاة والسلام، ودعا: فقال: (اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي وَمُحَمَّدًا وَلَا تَرْحَمْ مَعَنَا أَحَدًا)، فقال له الرسول عليه الصلاة والسلام (لَقَدْ حَجَّرْتَ وَاسِعًا)[1]، يعني: لقد ضَيَّقت واسعاً، فرحمة الله تسع الجميع!

---

١) البخاري: ٦٠١٠.

وبناءً عليه يجب أن تشمل اهتماماتُنا كل فئات المجتمع، ليس فقط داخل إقليم كردستان، بل داخل العراق وخارج العراق أيضاً، إذ نحن جزء من الأمة الإسلامية، وأنا فرد من أفراد أمة الرسول عليه الصلاة والسلام، ونحن مسئولون أمام الله سبحانه وتعالى تجاه هذه الأمة، بل تجاه البشرية ككل، لأن الله سبحانه وتعالى عندما يُعَرِّف بأمة النبي الخاتم، يقول: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴿١١٠﴾ ﴾آل عمران، (كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ) أي: أفضل جماعة، أُخرجت للناس، وهي جماعة النبي الخاتم: الصحابة رضى الله عنهم فصاعداً إلى الآن، وإلى ما بعد الآن، كلهم جماعة محمد عليه الصلاة والسلام، فهذه الجماعة لم تُخرَج لنفسها فقط، بل للناس، للبشرية كُلِّها: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾.

ويقول تعالى في سورة البقرة: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴿١٤٣﴾ ﴾البقرة.

ويقول في سورة الحج: ﴿ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ... ﴿٧٨﴾ ﴾الحج، ومعنى الشهادة على الناس أي: أن تلتزموا بالإسلام، وتطبِّقوا الإسلام، ومن خلال تجسيدكم للإسلام على أرض الواقع، تشهدون على البشرية، بأن دين الله هو الدين الصحيح، بدليل أن تلك الأمة الملتزمة بهذا الإسلام الحنيف: أُنظروا إلى حياتها السياسية والإجتماعية والفكرية والخُلُقية، فهي في القمة في كلِّ النواحي! وكانت الأمة الإسلامية هكذا، عندما كانت ملتزمةً بالإسلام، ويجب أن نكون هكذا، حتى نستحق هذا التعريف المبارك: (كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ)، وإنما نكون خير أمةٍ، عندما نكون في القمة في كل شيء، ثم نكون جديرين بالشهادة للإسلام على الناس، وليس بالشهادة للناس على الإسلام!! (لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ) بعد أن نكون في مستوى الإسلام الرفيع في كلِّ الجوانب، الدينية والدنيوية.

هذا يعني - رغم تقديرنا للجماعة الإسلامية، وكل الأحزاب والجماعات - أن دائرة هذه االجماعات والأحزاب مهما اتسعت، تظل قاصرة وضيقة، لكنك تطمح إلى دوائر أوسع للتأثير، وبالتالي وسيلة من وسائل هذا التأثير وإفادة المجتمع والمسلمين، هي الإِنتاج الفكري والتأليف، أنا شرُفت بأن أرى مكتبتك، وأعلم أن لك عدة مكتبات، وبالتالي: فإنه ليس غريباً بعد ما رأيته، أن يكون نتاج القراءات والعمر الطويل من القراءة، هو هذا الإِنتاج، فما هي مساحة القراءة اليومية في حياتك؟ وما أوقات القراءة، رغم هذه الأعباء الضخمة؟

ـــ ليس بإمكاني أن أذكرلك المُعَدَّلَ اليومي لقراءاتي، لكن كلما وجدت فراغاً، أنتهز الفرصة للقراءة، حتى في السيارة وأنا في الطريق، وحتى داخل الطائرة في الجو، وفي السفينة عندما أُبحر، أنتهزُ كلَّ الفرص، ليس لدي فراغ: فإمّا أن أذكر الله سبحانه وتعالى، أو أقرأ، أو أتأمَّل، أو أُحدّث أحداً، أو أُعلِّمه، أو أن أَتعلَّم وأستمع، فليس لدي وقت أن أجلس فارغاً، بدون شغلٍ، والحمد لله.

ووقتي كله ليس للقراءة طبعاً، حيث إِنَّني أكتب وأُحضِّر وأُفكِّر وأَستنتج وأَتَتَبَّع القضايا وأُفتِّش وأرجع إلى المصادر، وربما أستعين بالكمبيوتر وبالمكتبة الشاملة الموجودة على الإِنترنت، وعلاقاتي الإِجتماعية واسعة، ثم علاقاتي السياسية، وكذلك نشاطاتي الحزبية: الإِجتماعات، إلقاء محاضرات، وعقد ندوات، كما أني أخطب يوم الجمعة، و وفود الأحزاب تأتينا، ونزور الأحزاب، والمشاركة في الأفراح، وتقديم التعازي بالمشاركة الفعلية أحياناً، وبالإِتصال الهاتفي، أو إِرسال الرسائل في الأعم.

من خلال المدة التي قضيتها معك مرافقاً لك في كثير من الأماكن والمناسبات، وبالإطِّلاع على المؤلفات، أستطيع أن أقول: إن لك أسلوباً مُمَيِّزاً، هذا الأسلوب يعتمد على البساطة والتسهيل والتيسير على القاريء، وأيضاً يعتمد على استخدام لغة سهلة، تستطيع أن تصل بها سريعاً إلى القارئ، تراعي مستويات مختلفة

من الثقافة والفهم، هل ترى أن هذه هي الأدوات المناسبة فعلاً، دفع الناس للقراءة والإستفاذة؟

ـــ نعم هذا هو الصحيح، يَجبُ أن لا تُتْعِبَ الناسَ بأن يُفتِّشوا عن المعنى في كلامك، يجب أن يكون كلامك واضحاً وسهلاً، وسمَّى الله سبحانه وتعالى كتابه العظيم (مُبيناً) و (تبياناً): ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ①﴾النمل، و﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾النحل، إذن: نَتعلَّم من كتاب الله المبارك الوضوح، ومع الوضوح العمق في المعنى، وجديرٌ بالذكر: أن كثيراً من كتبي كانت محاضرات، مثلاً: هذا الكتاب (**مسائل عصرية رائجة**) كان في الأصل محاضرات، وكذلك: (**الإيمان والعقيدة الإسلامية**)، وهو موسوعة في ستة (٦) مجلدات، كانت في الأصل خمسين (٥٠) محاضرة، وكذلك كتاب: (**خلاصة سيرة الرسول عليه الصلاة والسلام**) كان في الأصل اثنتين وخمسين (٥٢) محاضرة، وكذلك كتاب: (**العمل الإسلامي**)، أيضاً كان (٩) محاضرات، وكذلك موسوعة: (**الإسلام الدولة والحكم**) كانت في الأصل ثمانين (٨٠) محاضرة، خلاصة الكلام: يجِبُ أن نحدّث الناس بما يفهمونه بوضوح، وأن نختصر لهم، وأن يكون هدفنا إيصال المعنى، وليس إبراز بلاغتنا وفصاحتنا.

ameer.maktab@yahoo.com

/AliBapir /AliBapir /MediaAmeerOffice

www.alibapir.net

٣٣

موسوعة:
الإِسلام كما يتجلَّى في كتاب لله تعالى

نتناول الآن أهمَّ ما كتبه الشيخ علي باپير، وهو موسوعة: (الإسلام كما يتجلّى في كتاب الله)، وأعتقد: رغم أنه ما شاء الله، لكم إِنتاج فكري كبير، إلا أن كتابكم: (الإسلام كما يتجلّى في كتاب الله)، أعتبرهُ درَّة تاج أعمالك الفكرية الدينية، وأيضاً هذا الكتاب له ملابسات، وله قصة، والكثير مما يمكن أن نتحدث عنه، ويضيف إلى هذا الكتاب ويزيده مكانة، أن هذا الكتاب هو في الحقيقه موسوعة متكاملة، وأعتقد أن لها أهمية كبيرة.
هذا الكتاب أعلم أن له قصة خاصة، كما أن هناك رؤيا مبشرة مرتبطة به، فنَودُّ منك أن تحدثنا عن تلك القصة وتلك المبشرة.

ــ هذا الكتاب طبع لحد الآن مرَّتَيْن، الأولى: استخدمنا له لفظ الكتاب، وكان في ثمانية مجلدات، طبع في بيروت(سنة ٢٠١٥م) من قبل: مكتبة الغرباء ومؤسسة الضحى، وعندما أردنا أن نطبعه طبعة ثانية في دار الحكمة/ لندن، ارتأيتُ أن أُغيِّر الإسم، لأن هذا الكتاب موسوعة، فسميتها: موسوعة (**الإسلام كما يتجلى في كتاب الله**)، وغيّرت ترتيب الفصول، بدون أن أمس المحتوى، - باستثناء تنقيحه من بعض الأخطاء المطبعية، وبعض الإِضافات البسيطة، وتعديلات في بعض العناوين - وغيَّرت ترتيب الفصول والمباحث، وجعلت الموسوعة في اثني عشر كتاباً.

وقبل أن أخوض في تفاصيل الموسوعة ومحتوياتها، أريد أن أشير إلى أن اعتقالي من قبل أمريكا، وبقائي مدة ٢٢ شهراً تقريباً، في معسكر (كروپر) قرب مطار بغداد الدولي، وذلك في الفترة من ١٠ يوليو(تموز) ٢٠٠٣ إلى ٢٨ إبريل(نيسان) ٢٠٠٥م، أتاح لي بقائي هناك، فرصةً جيدة للتأمل الذاتي والإِعتكاف الذي كنت أَحِنُّ إليه، وما كنت أفكِّر أَنْ أؤلف كتاباً ذاك الوقت في البداية، وفي أحد الأيام عندما ذهبوا بي إلى المحقِّقين كعادتهم، وكانوا أحياناً: يُحَقِّقون معي ثلاث ساعات، أربع ساعات، خمس ساعات، إحدى المرات ذهبوا بي إلى التحقيق، فإذا لهجتهم قد تغيَّرت وأسلوب كلامهم معي تغيرَّ ــ وهذا بعد ستة أشهر تقريباً من اعتقالي ــ وقالوا: تبين لنا أن التُّهمَ التي أُلصقت بك، ورُميتَ بها، كُلّها كذب وافتراء، والآن تأكَّدْنا من صدقك، لأن كلامك الأول معنا عندما تعرَّضت للتعذيب، وكلامك الآن، كلام واحد لم يتغير، فقلت لهم: الحق لا يتغير، اثنان زائد اثنان يساوي أربعة(٢+٢=٤)، لا تتغير هذه النتيجة، فقالوا: الآن نحن نعتذر لك، ولكن ليس بإمكاننا أن نُطْلِقَ سَراحَكَ، لأن أمر اعتقالك جاءنا من واشنطن، ويجب أن يأتينا الأمر بإِطلاق سراحك من هناك، ولكن نحن بخدمتك ما الذي تطلبه، مع أنك هنا باق؟

قلت: إذا كان الأمر هكذا، رُدُّوا عليَّ ساعتي، قالوا: ماذا تصنع بها؟ قلت: أضبط بها أوقاتي، أنا أؤذن للصلوات الخمس، كنت أؤذن للمعتقل.

قالوا: واذا لم تكن ساعتك موجودةً؟

قلت: بِإمكانكم أن تُعطوني عِوَضاً عنها ساعة أخرى.

ثم قلت: وأعطوني رخصة أن تكون لدي قلم وأوراق، قالوا: ماذا تصنع بها؟ قلت: أُسَجِّل بعض خواطري عن القرآن، عند تلاوتي للقرآن تَرِدُ إلى ذهني خواطر أريدُ تسجيلَها.

قالوا: هذا مسموح لك، فَأَعَطْوني رخصة أن أمتلك القلم والأوراق، ومنذ ذلك الوقت بدأت أُسَجِّل بعضَ خواطري عن كتاب الله سبحانه وتعالى، ولم يكن في نيتي

أصلاً أن أؤلف كتاباً، فكيف بموسوعة! لكن الله سبحانه وتعالى هو الـذي يسَّـر، وإذا أراد الله شيئاً، هَيَّأ له أسبابه.

بالنتيجة حصلت هذه الموسوعة بمنِّ الله الكريم وفضلِهِ وتيسيره، وإخراج الأوراق التي كتبت عليها مسودَّة الموسوعة — في المعتقل - أيضاً له قصـة سـأحكيها فيمـا بعـد باختصار.

وأما كيفية حصولي على الأقلام والأوراق، فقـد ذكرتهـا في كتـاب (أمـير وراء القضبان): كيف سخَّر الله سبحانه وتعالى لي بعض الحُرَّاس الذين كانوا يتعاطفون معـي وكانوا يتأثرون بصلاتي وبوضعي، عندما كانوا يرونني مُكِبًّا على التلاوة وعلى الدراسة والصلاة والدعاء، لأنهم كانوا في غضون الأربع والعشرين ساعة يومياً يراقبوننا، يـأتون فينظرون في الزَّنازين(٤٨)مرة، كل نصف ساعة مرة، وهذا — باعتقادي - كان لتحقيق غرضين: أولا: للإزعاج، والثاني: ليُراقِبوا ماذا نفعل في كل نصف ساعة؟ وكانوا يُعَلِّقون الدفتر الذي تكتب فيه الملاحظات بجانب الغرفة بالخارج، كنت أنظر فيـه، فأجـدهم كتبوا (pray) أي دعاء وصلاة، في كلِّ أو أغلبـية أوقات المراقبة، إذ كثيراً ما كنـت أقرأ القرآن أو أُصَلِّي، فيبدو أنهم وثقوا بـي وتَبـيَّن لهم أن كلَّ الوشايات التي قيلـت بحقي، كانت باطلة، وكان بعض الحراس يتعاطفون معـي، وذكـرت اسـم أحـدهم (جوزيف) هو كان يتعاطف معي إلى درجة كبـيرة، كان أحياناً يأتيني بأربعـة أقـلام معاً، وكان أحياناً يأتيني بدفترين ضخمين، وبما أنني كان مرُخَّصاً لي أن أمتلـك القلـم والأَوراق، فما كانوا يأخذونها مِنِّي.

وقد أكملت كتابة الموسوعة قبل أسبوع من إطلاق سراحي، فكـأن الله سـبحانه وتعالى ذهب بـي إلى هذا المعتقل، لتحقيق هذا الهدف، وأهداف أخرى، تحققـت إن شاء الله تعالى.

إما قصة إخراج مسودة الموسوعة، فكانت بالشكل الآتي:

عندما أتوني ليُخبِروني أَنَّني سَيُطلقُ سراحي، قالوا: اجمع حوائجك، فجمعتها في (كرتونة) غذاءٍ، كانوا يأتون بها إلينا، وكنَّا نَضَعُ فيها ملابِسَنا، فوضعت مسودة الكتاب، في أسفل الكرتونة، ووضعت عليها ملابسي، وكانوا لا يسمحون بأن تخرج ولا ورقة، وكان أحد أصدقائي اسمه أبو علي (دكتورسطام القعود)، كتب كتاباً فأعطاه لهم، حتى ينظروا فيه، فكان ينصحني كثيراً ويقول: يا شيخ! أعطهم الكتاب شيئاً فشيئاً، حتى ينظروا فيه، ويردّوهُ إليك، فلا يأخذوا منك الكتاب ويستولوا عليه عندما تخرج من السجن! فكنت أقول له: "يا أبا علي! والله لا أُعطيهم ولا ورقة، فإذا أراد الله سبحانه وتعالى أن يخرج هذا الكتاب، سيخرج، وإذا لم يُردْ، فأنا أَتْعَبت نفسي وجاهدت لمرضاة الله سبحانه وتعالى، وأرجو أن يكون أجرى محفوظاً عند الله سبحانه وتعالى.

في اليوم الأخير قبل يُركِبوني في (المدرَّعة) لنقلي، سألوني: ماذا في هذه (الكرتونة)؟ قلت: فيها ممتلكاتي الخاصة، فلم ينظروا في الكرتونة ولم يُفتِّشوها، اذ كانوا يثقون بي جداً، ولم تكن لي مخالفات، ولم يكن لدي إزعاج لهم، سواء: الحراس أو المحققين أو مسئولي السجن، كان بعض المعتقلين يصيح ويبكي، وينتقدون الطعام ويشتكون كثيراً، أما أنا فما كان عندي هذه التصرُّفات، ما كنت أُتعِبُ أيَّ أحدٍ منهم، فكانوا يثقون بي – والحمد لله كانت ثقتهم في مَحلِّها – وهكذا أخرج الله سبحانه هذه الموسوعة.

هذا بالنسبة لقصة كيفية تأليف هذه الموسوعة، وإخراجها من السجن، وبالنسبة للمُبشِّرة فسأقرأها كما نشرتها في بداية الموسوعة:

"كنت متردِّداً في نشر هذه المبشرة ولكنِّي قرَّرْت أخيراً نشرها، لحديث النبي الخاتم محمد صلى الله عليه وسلم: ((**إِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ رُؤْيَا يُحِبُّهَا فَإِنَّمَا هِيَ مِنْ اللَّهِ فَلْيَحْمَدْ اللَّهَ عَلَيْهَا وَلْيُحَدِّثْ بِهَا**))[١].

١) أخرجه البخاري برقم: (٦٩٨٥).

بعد خروجي من السجن الأمريكي الظالم، وعودتي بأيام في بداية الشهر الخامس، سنة ٢٠٠٥ الميلادية، زارني أحد الإخوة من أهل العلم، فيمن زارني، بمناسبة إطلاق سراحي، وحدَّثني بالرؤيا الآتية: (رأيت في المنام -ليلة ٥-٦/٥/٢٠٠٥- أنني زرتك بمناسبة عودتك من السجن، وإذا أنا برسول الله محمد صلى الله عليه وسلم، قد زارك بنفس المناسبة، فتوجَّه إليك وقال: "من ضمن كلام تكلم به معك": "سُرِرْنا جداً بكتاباتك"، وكان يحمل بيده اليمنى كرتوناً، فقال: "هذا هو الكتاب الذي كتبته في السجن".

وما كنت ذكرت بعد، أنّي ألَّفتُ كتاباً في السجن، ولما سألت الأخ صاحب الرؤيا، عن شكل ولون الكرتون الذي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحمله بيمناه، وصف لي الكرتون، بما كان متطابقاً مع الوصف الذي عليه الكرتون، الذي جئت به من السجن، والذي أودعته الأوراق التي كتبت عليها الكتاب، ثم ذهبت وجئت بالكرتون وأريته إياه، وسألته: أهكذا كان الكرتون المذكور؟ فأجاب: نعم، هكذا كان بعينه.

ومبعث سروري بهذه الرؤيا: أن رسول الله محمداً صلى الله عليه وسلم ذكر فيها سرورَه بمؤلَّفاتي عامة، وبهذا الكتاب خصوصاً، ومعلوم أن النبـيَّ الخاتم صلى الله عليه وسلم لا يقول يقظة ومناماً إلا الحق، إذ لا يَتَمَثَّل به الشيطانُ في المنام، كما قال: ((مَنْ رَآني فِي الْمَنَامِ فَسَيَرَانِي فِي الْيَقَظَةِ، وَلاَ يَتَمَثَّلُ الشَّيْطَانُ بِي))[1].

وهذه الرؤيا وإن لم أرها بنفسي، ولكن رآها من أثق به، وقال نبي الله صلى الله عليه وسلم في هذا المجال:

((إِنَّهُ لَمْ يَبْقَ مِنْ مُبَشِّرَاتِ النُّبُوَّةِ إِلاَّ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ، يَرَاهَا الْمُسْلِمُ أَوْ تُرَى لَهُ))[2].

١) أخرجه أحمد برقم: (٢٢٦٥٩)، ومسلم برقم: (٢٢٦٦)، وأبوداود برقم: (٥٠٢٣).
٢) أخرجه أحمد برقم: (١٩٠٠)، ومسلم برقم: (٤٧٩)، وأبو داود برقم: (٨٧٦).

وأعتقدُ أنَّ حَمْلَ رسول الله للكتاب وإشارته إليه، يُقصد به تذكيري أن الله تعالى هو الذي خَلَّص الكتاب من قبضة الأمريكان، إذ ما كانوا يسمحون بـإخراج أيـة ورقـة مكتوبة من السجن، فكيف بكتاب كبـير!

وكان رفقائي في السجن كثيراً ما يُشيرون عليَّ بإعطاء الكتاب لمسئولي السجن للنظر فيه، ثم السَّماح بإخراجه من السجن، وكنت أقول لهم: " لا أُطْلِعهم على الكتاب، وإذا أذن الله الحكيم القدير بإخراجه، سَيُخْرِجُه، وعندما أُطلق سراحي، تَأَبَّطْـتُ الكرتـونَ المذكور، ولما استفسروا عما فيه؟ أجبتهم أن فيه ملابسي وبعض حوائجي، وتصـوَّرت أنهم سيفتشون الكرتون، ولكن لم ينظروا فيه أصلاً.

وجدير بالذكر أنني لم أفهم من سرور رسول الله صلى الله عليه وسلم بمؤلَّفاتي، أنهـا خالية من الخطأ والقصور، إذ لم تُضْمَنْ العصمَةُ إلا في كتاب الله تعالى وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وأهديت الكتاب إلى: (الذين يبتغون فقه الإسلام بعمق وشمول، كما هـو عليـه في كتاب الله العظيم وسنة رسوله الكريم صلى الله عليه وسـلم، ليجسِّـدوه في حيـاتهم الشخصية والأُسَرية والعامة، ابتغاء رضوان الله سبحانه وتعالى).

ما الأهداف التي ترمي إلى تحقيقها من وراء هذا الكتاب الموسوعي؟

ـ أردت من تأليف هذه الموسوعة، أن أتحدث عن الإسلام كما يُجلّيه كتـاب الله سبحانه وتعالى، وكثير من الإخوة وأهل العلم استفسروا: هل تقصد أن الإسـلام هـو الذي يتضمنه كتاب الله فقط؟ قلت: لا، لكن لم يكن في السجن عندي إلا كتـاب الله المحفوظ في صدري، إذ ما كانوا يسمحون لي أن أستفيد من المراجـع الأخـرى، لِـذا اعتمدت في تأليفي لهذه الموسوعة، على كتاب الله سبحانه وتعالى، وعلى ما في ذاكـرتي من نصوص السنة النبوية، فَحَسْبُ، وبعد أن خرجت من السجن راجعت بمساعدة بعض الإِخوة نصوص السنة النبوية وتخريجها.

أردت بهذه الموسوعة أن أقول: إن الإسلام الذي يريده الله سبحانه وتعالى ديناً ومنهجاً لنا، يتضمنه كتاب الله سبحانه وتعالى في خطوطه العريضة، وفي بعض جزئياته التي هي خارجة عن مدارك البشر، وليست سنة النبي صلى الله عليه وسلم، إلا تجسيداً لكتاب الله وتطبيقاً له، على أرض الواقع، وأنا أُكرِّرُ هذه الحقيقة كثيراً لأنني أرى انحرافاً كبيراً وخطيراً في هذا المجال، من الذين يكتفون بالقرآن ويُسَمُّون أنفسهم بـ(القرآنيين) مع أن القرآن هو الذي يأمرنا باالتأسِّي برسول الله صلى الله عليه وسلم، واتِّباعه

يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۝٧﴾الحشر، والذي يريد أن يطبق القرآن، لا يتمكن من تطبيقه إلا من خلال اقتدائه بالنبي عليه الصلاة والسلام، والتزامه بِسنَّته لأن طريقة النبي صلوات الله وسلامه عليه، تطبيقٌ لكتاب الله سبحانه وتعالى على أرض الواقع، على المستوى الشخصي والأسري والمجتمعي وعلى مستوى الحكومة والدولة، نعم الذي يريد أن يطبق القرآن ويتبع القرآن، لا يتمكن من تحقيق هذا الهدف، إلا إذا اقتدى بالنبي عليه الصلاة والسلام، واتَّبع سُنَّته المشرَّفة.

وأثبتُّ في هذه الموسوعة أَنَّ الإسلام مُبيّنٌ في كتاب الله سبحانه وتعالى، بخطوطه العريضة وبعض جزئياتِهِ الأساسية، وبعض تفاصيلة الأخرى، تولَّتْها السنة النبوية المشرَّفة، خصوصاً التفاصيل العملية، مثلاً: يقول سبحانه وتعالى: (أقيموا الصلاة) كيف نقيم الصلاة؟ نَبينا الخاتم صلوات الله وسلامه عليه قام على المنبر مرَّتين في الأقل وصلَّى أمام أنظار الصحابة وقال: (صلُّوا كما رأيتموني أصلي)[1]: وكذلك حج واعتمر ثم قال: (لتأخذوا عني مناسككم)[2]، وكذلك فعل الشيءَ نفسه، في الأمور العبادية والعادية ليُجَسِّدَ ما جاء به كتاب الله الحكيم نظرياً، على أرض الواقع.

---

١) رواه البخاري وتقدم تخريجه.

٢) رواه مسلم وتقدم تخريجه.

هذا هو المقصود من تأليف هذه الموسوعة، ومن ينظر في هذه الموسوعة بكتبها الاثني عشر، يتحقق أنه فعلاً الإسلام مُبيَّنٌ في خطوطه العريضة نظرياً في كتاب الله، كما أنه مُطبَّقٌ ومُجَسَّدٌ عملياً في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

نحن فاتنا أن نقول إن هذه الموسوعة، وُضعت وألِّفت بالأساس باللغة العربية.

ـ نعم، وكنت أخشى أن أُقَصِّر بحق تأليف هذا الكتاب، فدعوت الله سبحانه وتعالى كثيراً، فقلتُ: ياأَلله! يارب العالمين! كما ليَّنت الحديد لداوود عليه الصلاة والسلام، ليِّن لي اللغة العربية، إذ أنا كرديُّ اللِّسان، فإنه لا يعجزك شيءٌ وأعتقد أن الله سبحانه وتعالى تَقبَّل دعائي، وليَّن لي اللغة العربية: لغة القرآن والسنة النبوية، ولغة السلف الصالح، وأكثرية تراثنا الإسلامي في كل المجالات.

نريد منك أن تلْقِيَ مزيداً من الضوء للتعريف بالكتب الإِثني عشر المكونة لهذه الموسوعة؟

ـ بداية في طبعتها الأولى سميت هذه الموسوعة، كتاباً، وجعلته في أربعة أبواب، وسبعة عشر فصلاً:

الباب الأول، كان يتضمنه المجلد الأول.

والباب الثاني، كان تتضمنه المجلدات الأربعة التالية.

والباب الثالث، كان يتضمنه المجلدان السادس والسابع.

والباب الرابع، يتضمنه المجلد الثامن والأخير.

لكن فيما بعد وفي الطبعة الثانية ارتأيت تسمية الكتاب: (موسوعةً) وتوزيعها على اثني عشر كتاباً، في ثلاث وستين فصلاً.

ومما يجدُرُ ذكره هنا:

أَنَّني كتبتَ هذه الموسوعة كلَّها إِجمالاً وفي خطوطها الكلِّيةِ العريضة، في ضوء سورة الفاتحة المباركة وآياتها السبع، ثم تفصيلاً وفي محتوياتها وتفاصيلها، في ضوء سور القرآن المباركة كلِّها، ووضَّحت هذه المسألة تفصيلاً في بداية الكتاب الأول تحت عنوان: (كيفية انبثاق فكرة هذه الموسوعة...).

ولمزيدٍ من التعريف بـ(**موسوعة: الإِسلام كما يتجلَّى في كتاب الله**) أقول: وَزَّعْنا الكتاب في طبعته الأولى، على أربعة أبواب:

الباب الأول: بعنوان "الإسلام: معرفة صحيحة بالخالق والخلق".

الباب الثاني: يتضمن الإيمان بأركانه الخمسة، وعنوانه "الإسلام: إيمانٌ بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر"، وتضمنته المجلدات: الثاني والثالث والرابع والخامس.

الباب الثالث: خَصَّصْنا له: المجلدين السادس والسابع، بعنوان" الإسلام: إِلتزامٌ جادٌّ بالشريعة، على الصعيدين الفردي والجماعي".

الباب الرابع: خَصَّصْنا له المجلد الثامن، تحت عنوان: "الإسلام: نظرة سديدة تجاه الناس وتعامل صحيح معهم".

هذا في الطبعة الأولى، ولكِنَّني في الطبعة الثانية، ارتأيتُ أن يَتَغيَّر العنوان من (كتاب) الى: (موسوعة)، في اثني عشر كتاباً، حتى تَسهل قراءة الكتب، وَيَتَيسَّر ٱقتناؤها فغيّرتُ ترتيب بعض الفصول والأبواب، في السابق كان هناك: كتاب في أربعة أبواب وسبعة عشر فصلاً، لكن في الطبعة الثانية، ستصبح موسوعة في اثني عشر كتاباً، وفي ثلاث وستين فصلاً.

الكتاب الأول: الإسلام معرفة صحيحة بالخالق والخلق.

وكان هذا الكتاب: الباب الأول في الطبعة الأولى.

والباب الثاني: بفصوله الستة والمعنون: " الإسلام: إيمانٌ بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر"، تحوَّل في هذه الموسوعة إلى سبعة كتب، كل كتاب مخصَّصٌ لبحث

موضوع أساسٍ من مواضيع الإيمان، وذلك بعد أن جعلنا الفصل الخامس: "الإيمان برسل الله وأنبـــيائه" فصلين، ففي الأول منهما بحثنا موضوع الإيمان بالرسل والأنبـــياء عليهم السلام عموماً، وفي الثاني منهما تحدثنا عن خاتم النبـــيين صلى الله عليه وسلم خصوصاً، فصار الباب الثاني في هذه الموسوعة بهذه الصورة:

الكتاب الثاني: مفهوم الإيمان والكفر والمقارنة بـــينهما.

الكتاب الثالث: الإيمان بالله سبحانه وتعالى الخالق الرب الإله الحكم .

الكتاب الرابع: الإيمان بالملائكة وبالجن .

الكتاب الخامس: الإيمان بكتب الله سبحانه وتعالى.

الكتاب السادس: الإيمان برسل الله وأنبـــيائه عليهم الصلاة والسلام .

الكتاب السابع: خاتم النبـــيين محمد صلى الله عليه وسلم: اسمه، ومـــوجز ســـيرته، وبراهين نبوته، وواجبه على أمته.

الكتاب الثامن: الإيمان باليوم الآخر وحديث مختصر عن القدر.

الباب الثالث بفصوله الثلاثة، والمعنون: "الإسلام: إِلتزامٌ جادٌّ بالشريعة على الصعيدين الفردي والجماعي" تحول في هذه الموسوعة إلى ثلاثة كتب، بالصورة التالية:

الكتاب التاسع: الإهتداء بهدى الله تعالى، وتحدثت فيه عن العبادة والتقوى والتزكية والصفات التي يجب أن يُحلّي بها الإنسانُ نَفْسَه، في تعامله مع الله، والخصال الحميدة التي يجب على الإنسان أن يُحلّي بها نَفْسَه، في تعامله مع الناس.

الكتاب العاشر: إِلتزامُ المجتمع بدين الله سبحانه وتعالى.

الكتاب الحادي عشر: تطبـــيقُ المجتمع للشريعة في جميع جوانب الحياة.

الباب الرابع بفصوله الأربعة والمعنون: "الإسلام: نظرة سديدة تجاه الناس، وتعامـــل صحيح معهم" بقي على حاله، وصار **الكتاب الثاني عشر** والأخير في هذه الموسوعة.

وراعينا في ترتيب هذه الكتب الإِثني عشر، في ثلاث وستين فصلاً، التسلسل المنطقي المتدرِّج، وهاكم البـــيان:

الإنسانُ يحتاج قبل كلِّ شيء: المعرفة الصحيحة بهذا الوجود: بنفسه، وبما حوله من المخلوقات، وبالله سبحانه وتعالى، فجاء الكتاب الأول استجابة لهذا المطلب بعنوان: "الإسلام: معرفة صحيحة بالخالق والخلق".

ثم تُنتِجُ المعرفَةُ الصحيحةُ بالوجود ـــ طالما التزَمَ صاحبُها بمقضياتها المنطقية: ـــ الإيمانَ بالله الخالق الرب المالك، وهذا هو الركن الأول والأساس للإيمان، يعني: مَـــنْ يعـــرف الوجود على حقيقته، تجعله هذه المعرفَةُ: يؤمن بالله، صاحب هذا الوجود ومدَبِّر أُمـــوره ومتولِّي شؤونه.

كذلك تقتضي المعرفة الصحيحة بالوجود: أركان الإيمان الأخرى: الإيمان بملائكة الله وكتبه ورسله واليوم الآخر، عِلاوةً على أن الإيمان بالله تعالى يَستَلْزِمُ الإيمـــانَ بأركـــان الإيمان الأُخرى: الملائكة والجن، والكتب الربانية، والرسل والأنبـــياء الكـــرام علـــيهم السلام، واليوم الأخر، إذ: الملائكة: سُفراءُ الله الحاملون لوحيِهِ والمُبَلِّغون لكتبه الحاويـــة لرسالته ووحيِهِ للبشر، واليوم الآخر: يوم لقاء الله تعالى وحسابه لعباده.

وتَكَفَّلت بموضوع الإيمان وأركانه الخمسة الرئيسة، الكتب: الثاني والثالث والرابـــع والخامس والسادس والسابع والثامن.

ثم الإيمان يدفع الإنسان – فرداً ومجتمعاً– إلى الإلتزام بـــدين الله القـــيم وشـــريعته الحكيمة، فجاءت الكتب: التاسع والعاشر والحادي عشر، تحت عنوان: "الإسلام: إلتزامٌ جادٌّ بالشريعة على صعيدي الفرد والمجتمع" لتوضيح كيفية التزام الفرد والمجتمع والدولة، بالشريعة السمحاء.

وهذه هي عناوين هذه الكتب الثلاثة:

١ــ الإهتداء بهدى الله، أو الإلتزام الفردي بشريعة الله تعالى.

٢ــ إظهار الدين الحق، أو التزام المجتمع بدين الله تعالى فكراً وشعائر وآداباً.

٣ــ تطبـــيق المجتمع للشريعة في جميع جوانب الحياة.

وأخيراً: بعد المعرفة الصحيحة، والإيمان الراسخ، والإلتزام الجادِّ بالشريعة، بإمكان المسلمين أفراداً ومجتمعاً ودولةً، أن يتعاملوا مع الناس: المسلمين وغير المسلمين، على أساس النظرة السديدة إليهم، بصورة شرعية صحيحة بعيدة عن الإفراط والتفريط، وبيان هذا الموضوع، تكفَّل به الكتاب الأخير (الثاني عشر) والذي جاء بعنوان: "الإسلام: نظرة سديدة تجاه الناس، وتعامل صحيح معهم".

وفي المُحَصَّلة: بينا من خلال هذه الموسوعة، بكتبها الإثني عشر، تجلية كتاب الله الحكيم المبارك لكون الإسلام:

أولاً: معرفةً صحيحةً بالوجود: الخالق والخلق.

ثانياً: وإيماناً بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر.

ثالثا: والتزاماً بالشريعة على المستويات الثلاثة: فرداً ومجتمعاً ودولة.

رابعاً: وتعاملاً صحيحاً مع الناس، على أساس نظرة سديدة تجاههم.

لو نتطرّق إلى الكتاب الأول من الموسوعة ونعطي فكرة عنه.

ـــ الكتاب الأول (والذي يتضمن الباب الأول في الطبعة الأولى) هو بعنوان (**الإسلام معرفة صحيحة بالخالق والخلق**)، وحكمة بحث (المعرفة) قبل (الإيمان) هي أنَّني أرى أن من الخطأ عندما ندرس الإسلام، أن نَبدأ بالعقيدة والإيمان، بل لابدَّ أن تَسْبِقَ المعرفَةُ الإيمانَ، وذلك لأنك إذا لم تعرِفْ نَفْسَك، ولم تَعْرِفْ ربَّك وخالقِكَ، ولم تعرف الوجود، فكيف تؤمن بالله سبحانه وتعالى؟ ولهذا خصَّصْتُ هذا الكتاب الأول، للمعرفة، ولم أَرَ في السابق أنّ أحَدَ العلماء عند الحديث عن الإسلام، خَصَّص كتاباً لموضوع المعرفة، والمعرفة بالإنجليزية: (ontology) (أنطولوجيا) أي: علم الوجود، المعرفة بالوجود، والوجود أقصد به: الخلق والخالق سبحانه وتعالى، وجعلت هذا الكتاب في أربعة فصول:

الفصل أول: تحدثت فيه عن الخالق سبحانه وتعالى، وعنوانه: (الله جل جلاله: فاطر

السموات، مالك الملك، رب العالمين)، وتحدثت في هذا الفصل عن الله سبحانه وتعالى، في أحد عشر مبحثاً:

الأول: الإِعتقاد بخالقية الله ومالكيته وربوبيته: أعظم الحقائق الفطرية وأوضح البدائه العقلية.

الثاني: الله تبارك وتعالى مُنَزَّهٌ عن كل نقص، وله الكمال المطلق، وكل المخلوقات قاطبة تُسبِّح بحمده.

الثالث: أَللهُ سبحانه وتعالى له كل الأسماء الحُسنى، وجميع الصفات العُلى.

الرابع: أَللهُ تبارك اسمه وتعالى جدُّه ولا إله غيره، لا يُشْبِهُ شيئاً من خلقه.

الخامس: ليس لشيء ولا لأحد أي نسبة مع الله تعالى، إلا نسبة المخلوقية والإِنتساب إليه بالعبودية.

السادس: أَللهُ جل وعلا مهيمنٌ على خلقه كله، فهو على كل شيء قدير، وفعّالٌ لما يريد، وهو بكل شيء عليم وخبير.

السابع: أَللهُ سبحانه وتعالى حيٌّ قيُّوم، يُدَبِّرُ أمرَ مخلوقاته، ولا يغفل عن شيء منها، ولو لحظة، ولا يعرف التَّعَبُ والإعياءُ إليه سبيلاً.

الثامن: كلُّ المخلوقات خاضعة لإِرادة الله تعالى ولِسُنَنِه، ولا يَحيدُ مخلوق عما رُسِمَ له قيد أنملة.

التاسع: جعل الله لخلقه سُنناً صارمة محدَّدة، ولكن مشيئته مطلقة لا يُقَيِّدُها شيء إلا حكمته وعدله المطلق.

العاشر: أَللهُ تعالى فوق خلقه، مستوٍ على عرشه، على الوجه الذي يليق به.

الحادي عشر: أَللهُ تبارك وتعالى، هو الأول والآخر والظاهر والباطن.

أما الفصل الثاني، فعنوانه: الخلق بمجموعه، خَلَقُه الله تعالى بحق، وكل شيء فيه مخلوق بحكمة وإتقان.

وهذا الفصل في ثمانية مباحث.

والفصل الثالث، تحدَّثْتُ فيه عن الإنسان، وعنوانه: الإنسانُ خليفة الله في الأرض، وجاءِ هذا الفصلُ في ستة مباحث.

والفصل الرابع والأخير من هذا الكتاب عنوانه: حياة الدنيا ابتلاء، وحياة الآخرة بقاء.

فتحدَّثْتُ في هذه الفصول الأربعة عن المعرفة أو علم الوجود(ontology)، وحاولت تلخيص نظرة الإسلام للوجود، خالقاً جلّ شأنه، وخلقاً في الكتاب الأول.

أما الكتاب الثاني، فتحدَّثت فيه عن، **مفهوم الإيمان**، ولتجلية مفهوم الإيمان، بما أنه (بضدِّها تتبين الأشياء) تحدثت أيضاً عن الكفر، وعددتُ ثمارَ وآثارَ كلٍ من الإيمان والكفر، ثم المقارنة بينهما.

والكتاب الثالث، تحدثت فيه عن **الإيمان بالله سبحانه وتعالى: خالقاً ورباً ومالكاً ووليًا وحاكماً**، وخصصت لكل مِن: خالقية الله، وربوبيتهِ، ومالكيتهِ، وولايتهِ، وحاكميَّتهِ، سبحانه وتعالى، فصلاً خاصاً.

والكتاب الرابع، تحدثت فيه عن **الإيمان بالملائكة والجن**، وذلك في فصلين: خصَّصْتَ الفَصلَ الأول للحديث عن الملائكة في عدة مباحث، وخصَّصتُ الفصل الثاني للحديث عن الجن والإيمان بالجن، في عدة مباحث.

والكتاب الخامس، عنوانه: **الإيمان بكتب الله سبحانه وتعالى**، وهو أيضاً في عدة فصول، فتحدَّثْتُ فيها عن الإيمان بكتب الله، وعدد الكتب المذكورة أسماؤهم في القرآن، وهي خمسة (صحف إبراهيم، توراة موسى، زبور داوود، إنجيل عيسى، وقرآن محمد صلوات الله وسلامه على الجميع)، ولاشك هناك كتباً أخرى لم تُذكر أسماؤها في كتاب الله سبحانه وتعالى. فَتَحَدَّثتُ عن الكتب السابقة، وغَرْبَلْتُ العهدين القديم والجديد، وانتقدهما في ضوء العقل والعلم والواقع، وضوءِ وحي الله المعصوم المُتَجسِّد في القرآن.

وتحدثت في الفصل المخصص للقرآن – والذي أخذ حِصَّةَ الأسد في الكتاب الخامس – عن القرآن: أسماء القرآن، وأوصاف القرآن، وإعجاز القرآن، وكيف نتعامل مع

القرآن؟!

والكتاب السادس، خَصَّصته للحديث عن **الإيمان برسل الله وأنبيائه عليهم الصلاة والسلام**: عدد الأنبياء وأسماؤهم، والمِساحة المُخَصَّصة للحديث عن الأنبياء في كتاب الله، والتي تُعتبر ثلث كتاب الله، وأوصاف الأنبياء والرسل ومواقفهم، ثم مواقف أعدائهم، وخصَّصْت الفصل الأخير منه للحديث عن الوحي الحَدَث الأبرز والمنعطف الأهم في حياة الأنبياء والرسل عليهم الصَّلاة والسلام.

والكتاب السابع، خصصته للحديث عن **خاتم النبيين محمد عليه الصلاة والسلام**: أسماؤه، ونسبه، وموجز سيرته، في واحد وعشرين مبحثاً.

ثم تحدثت عن براهين نبوته، حيث أتيت ببراهين مستنبطة من القرآن، وبراهين مستنبطة من التأريخ، وبراهين علمية وعقلية، لإثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم.

ثم تحدثت عن معجزاته، وتحدثت عن واجب الأمة تجاه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وواجبنا تجاه آله، وأهل بيته من ضمن آله، وصحابته الذين هم من ضمن آله، لأن آل النبي عليه الصلاة والسلام هم خاصَّتُهُ، بخلاف تصوُّر الشيعة: أن أهلَ بيت النبي هم وحدهم آلُهُ[(١)]!

والكتاب الثامن، خصصته للحديث عن **الإيمان باليوم الآخر**: معنى الإِيمان باليوم

---

١) إذ يقول الشاعر:

آل النبي هم أتباع مِلّته ... من السودان والعجم والعرب
لو لم يكن آله إلا قرابته ... لصلّى المصلّي على الطاغي أبي لهب

وذلك عندما تقول: أللهم صل على محمد وعلى آل محمد، أما أهل بيته، فهم أزواجه بالدرجة الأولى، ثم قرابته بالدرجة الثانية، و لم يردْ لفظُ (أهل البيت) في القرآن الكريم، إلا وكان المقصود به الزوجات أو الزوجة، وجاءت كلمة (أهل البيت) في القرآن في موضعين اثنين:

١- ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾﴾الأحزاب، والمخاطبون هم أزواج النبي رضوان الله عليهن، كما هو واضح في السياق جلاء الشمس في الظهيرة.

٢- ﴿رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾﴾هود، والمخاطبة هي زوجة إبراهيم، سارة رضي الله عنها، وصلوات الله وسلامه على خليل الله إبراهيم.

الآخر، ومراحل اليوم الآخر، ثم الجنة والنار، وتفاصيل ما في الجنة وتفاصيل ما في النار، أعاذنا الله من النار، وأكرمنا بإدخالنا الجنة أجمعين، ثم تحدثت بٱختصار عن الإيمان بالقدر.

والكتاب التاسع، عنوانه: **الإهتداء بهدى الله**، تحدثت في هذا الكتاب عن: كيف يهتدي الفرد بهُدى الله سبحانه وتعالى، فتحدثت فيه عن العبادة، والتقوى، والتزكية، والصفات التي ينبغي للمؤمن أن يتصف بها في تعامله مع الله سبحانه وتعالى، فذكرت سبعاً وثلاثين(٣٧) صفة، ثم ذكرت الخصال الحميدة التي يجب على المسلم أن يتحلّى بها في تعامله مع المجتمع، وعَدَدْتُ منها أربعاًوستين(٦٤) صفةً.

والكتاب العاشر، عنوانه: **إلتزام المجتمع بدين الله تعالى**، تحدَّثت فيه عن التصوُّرات والقيم والموازين، ثم شعائر التعبد، والآداب الإجتماعية، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

والكتاب الحادي عشر، تحدثت فيه عن **تطبيق المجتمع للشريعة**، والتزامه بها في كافة جوانب الحياة، وقد قلت في مقدمة الكتاب الحادي عشر: إنه بخلاف ما يتصور كثير من العاملين في مجال العمل الإسلامي: (٩٠%) من تطبيق الشريعة مختص بالفرد وبالمجتمع وليس بالدولة، ولَرَبَّما(١٠%) من الإلتزام بالشريعة، يعود إلى الدولة أي: الحكومة والسلطة، ولهذا عندما لا تكون للمسلمين سلطة ولا دولة، لا يُعفَونَ عن الإلتزام بالشريعة، لأن معظم الشريعة، إنما يلتزم بها الأفراد، سواء في خاصة أنفسهم، أو في تعاملهم مع أسرهم، ومع ما حولهم، أو يلتزم بها المجتمع من شعائر وآداب وتصورات وقيم وموازين ... ألخ.

والكتاب الثاني عشر والأخير، عنوانه: **الإسلام نظرة سديدة تجاه الناس، وتعامل صحيح معهم**، تحدثت فيه في أربعة فصول عن: كيف ينظر الإسلام إلى الناس، المسلمين وغير المسلمين، وقسمت غير المسلمين إلى كفار وفتريين، والفَتْرِيُّ هو الذي لم يَصِلْهُ البلاغُ المبينُ، بدون أن يكون له تقصير، والكافر هو الذي يأتيه الحق، فَيَطَّلِعُ على الحق

ويرفضه، إِذن: هناك ثلاثة أقسام رئيسة، من الناس.

أولاً: من يعرف الحق ويلتزم به، فهو مسلم.

ثانياً: من يعرف الحق ولا يلتزم به، فهو الكافر.

ثالثا: من لا يعرف الحق ولا يلتزم به، هذا لا يعتبر كافراً، إنما يُسمَّى (فترياً) يعني: هو من أهل فترة، لأنه لم يعرف الحق، ولهذا لم يلتزم به.

ثم قسمت الكفار وصَنَّفْتهم إلى خمسة أصناف:

١- الملاحدة (أو الزنادقة)، أوالدهريين (الذين لايؤمنون بشيء).

٢- المشركين.

٣- أهل الكتاب.

٤- المنافقين.

٥- المرتدين.

فتحدثت عن كل هذه الأصناف وعرّفت بهم:

مَنْ هو الملحد؟ وهل الملاحدة مذكورون في القرآن؟

ومن هم المشركون؟ وما معنى الشرك والإشراك بالله؟ وما الذي يجعل الإنسان يدخل في دائرة الشرك؟ وما الفرق بين الشرك الأكبر والشرك الأصغر؟

وتحدثت عن أهل الكتاب، أي اليهود والنصارى وغيرهم: المجوس والصابئة والبوذيون، والذين ينسبون أنفسهم إلى الكتب السماوية للأنبياء، سواء سُلِّمَ ذلك لهم، أم لا.

وتحدثت عن المنافقين، ما معنى النفاق؟ وما هي خصال المنافقين؟ وذكرت أكثر من مائة صِفَةٍ من صفات المنافقين.

ثم تحدثت عن المرتدين، أي الذين عرفوا الإسلام وآمنوا به ثم ارتدوا، وتحدثت عن كيفية تعامل المسلمين، سواء داخل المجتمع الإسلامي، أو خارج إِطار المجتمع الإسلامي والدولة الإسلامية، مع كل صنفٍ من هؤلاء، مع الفتريين أولاً، ثم مع الكفار بأصنافهم الخمسة، وخضت في تفاصيل كثيرة.

ameer.maktab@yahoo.com

/AliBapir /AliBapir /MediaAmeerOffice

www.alibapir.net

٣٤

المشروع الفكري وأصوله السَّبعة

ننتقل الآن إلى الحديث عن المشروع الفكري للشيخ علي باپير، نريد منك أن تحدثنا عن الأصول التي بنيت عليها مشروعك الفكري؟

ــ منذ أن فهمت الإسلام، ومنذ أن هداني الله سبحانه وتعالى بِمَنِّه وفَضْله لفهم كتابه المبارك، وسنة نبيه الكريم - واللَّذَيْن يتجسَّد ويتمثَّل فيهما الإسلام، فَهُما المصدران الوحيدان اللذان ينبثق منهما الإسلام، أما غير الكتاب والسنة، فكلَّها أياً ما كان المصدر الذي خرج منه، إنما يعتبر تراثاً وتجربةً وفهماً للإسلام- أجل: منذ ذلك الحين بَنَيْتُ المشروعَ الفكري الذي أعتقد أنه يجب أن يسير عليه العاملون للإسلام على سبعة أصول:

الأصل الأول: المعرفة الصَّحيحة بالوجود (الخالق والخلق) هي الأساس الذي يُبْنى عليه الإسلام:

أشرت سابقاً إلى أن كثيراً من العلماء عندما يتحدثون عن الإسلام، يُقَسِّمُون الإسلام إلى عقيدة وشريعة، وهذا صحيح إجمالاً، لكنَّهم دائماً يبدأون من الإيمان والعقيدة، لكنِّي أرى أنَّ الإسلام لا يبدأ من الإِيمان والعقيدة، بل يبدأ من المعرفة، ما المقصود بالمعرفة؟ المقصود بالمعرفة هو الذي بحثت عنه الفلسفة طوال تأريخها الطويل، كلّ الفلاسفة: اليونانيون والإغريق والرومان والفرس والمصريون وأهل ميزوبوتاميا والهنود والصينيون،

بحثوا عن معرفة سر الوجود، ما هو هذا الوجود؟ ومن صاحبه الذي جاء به؟ ولِمَ جاء به؟ وإلى أين يتجه؟ ومن أنا؟ ولماذا جئت؟ ومن أتى بي؟ وما هي وظيفتي؟ وهذه الأسئلة الوجودية لم يستطع أن يطرح أمامها أجوبة صحيحة، إلا وحي الله سبحانه وتعالى المبارك، على يد أنبياء الله الكرام.

أما الفلاسفة من اليونان ومن غير اليونان، وكما ذكرت في بداية الكتاب الأول من موسوعتي: (**الإسلام كما يتجلى في كتاب الله**)، بما أنهم أَعْمَلوا عقولهم بِمَعْزِلٍ عن الوحي فلم يرجعوا ــ كما يقال ــ إلا بِخُفَّي حُنَيْنٍ، لماذا؟ لأن: خالق هذا الوجود ومالكه، جَلَّ شأنه هو الذي يعرف سِرَّهُ وقصَّتَه، وحِكْمَتَهُ من خلقه لهذا الوجود، والغاية التي تغيَّاها من وراء هذا الوجود، ومن ضِمْنه الإنسان، إذن يجب أن نحصّل أَجْوِبَةَ هذه الأسئلة من الوحي.

وأكثرية علماء الإسلام عندما يتحدثون عن الإسلام، يبدؤن بالإيمان وأركان الإيمان، ولكن عندما ننظر إلى كتاب الله سبحانه وتعالى، نرى أن كتاب الله سبحانه وتعالى يُعطي الإنسانَ المعرفة بالخالق والخلق، قبل أن يطلب منه الإيمان، فلننظر إلى الآية المباركة السابعة من سورة هود، والتي هي متضمنة لأسس المعرفة في الإسلام، (المعرفة بالخالق والخلق)، يقول سبحانه وتعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۗ وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِنۢ بَعْدِ ٱلْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ ﴾ هود، هذه الآية المباركة احتوت - حسب نظري - على كل أصول المعرفة اللازمة للإنسان:

١- يقول سبحانه وتعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾، فالله سبحانه وتعالى يريد أن يُعْلِمَنا بأنه هو خالق هذا الوجود، وأنه أبدع هذا الوجود في ست مراحل زمنية، ما المقصود بستة أيام؟ هل المقصود بالأيام، - والأيام

جمع يوم - تلك الأيام التي نعرفها ونعيشها؟ لا، لأننا اصطلحنا نحن البشر على هذه الكرة حسب مقياسنا: أن اليوم عبارة عن نهار وليل، وكل يوم يستغرق ٢٤ ساعة، أي: اليوم عبارة عن دورةٍ لِلأرض حول نفسها أمام الشمس، فيحدث اليوم، أي الليل والنهار ويتعاقبان، ولكن بعض النجوم يستغرق يومها مليون سنة أو أكثر، وبعض النجوم تدور حولها نفسها في ملايين السنين، وقد جاء هذا في كتاب الله العظيم: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾﴾الحج، وجاء في كتاب الله أيضاً: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾﴾المعارج، إذن هناك يوم عبارة عن ألف سنة، وهناك يوم عبارة عن خمسين ألف سنة، فالمقصود بستة أيام، أي ست مراحل زمنية، لأن اليوم في اللغة العربية معناه مدة من الزمن، أما كم هي هذه المدة؟ قد تكون أربعاً وعشرين (٢٤) ساعة، وقد تكون ألف (١٠٠٠)سنة، أو خمسين ألف (٥٠,٠٠٠) سنة؟ وفي المثل العربي: "يوم لك ويوم عليك"، وكذلك في اللغة: (أيام العرب) أي حوادثهم التي حدثت لهم.

فالله سبحانه وتعالى خلق هذا الوجود المنظور أو غير المنظور لنا، في ست مراحل زمنية.

٢- ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾، إذن: قبل أن يخلق الله السموات والأرض، كان هناك مخلوقان آخران: (عرش) و(ماء) ولكن ما المقصود بالماء؟ الماء الذي نعرفه، ورمزه الكيماوي H_2O يعني ذرتين من الهيدروجين وذرة من الأوكسجين، يتكون منهن جُزَيء(molcol)الماء، هذا هو الذي نعرفه عن الماء، هل المقصود بهذا - كما رجَّحتُ في تفسيري لسورة يونس - أنَّ سلطان الله تعالى في ذلك الوقت كان مُتَجسِّداً في عنصر الهيدروجين الذي كان هو الأكثر وجوداً في الكون، وهو أبسط حالة للمادة؟ أم المقصود به شيء آخر؟

٣- وما الحكمة من وراء خلقه سبحانه وتعالى لهــذا الوجــود؟ يقــول تعــالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾، أي يمتحنكم، ومعنى هذا أن ذلــك الوجــود بأسره: بِعُلْوِيِّه وسُفْلِيِّه، بسمائه وأرضه، أُوجِدَ من أجل أن يُخْتَبَر فيه الإنسانُ، وهذا مهم جداً، إذ علماءُ الفلك يقولون: إن كرتنا الأرضية عبارة عن كوكب من ضــمن تســعة كواكب، تُكوِّن المجموعة الشمسية، والشمس ليست إلا نجماً واحداً من مليار نجم، أي ألف مليون(١,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠) نجم، تُكوِّن (مجرَّة درب التبّــان)، و(درب التبّــان) ليست سوى مجرة من ضمن ملايين المجرات!! إذن: هناك مخلوقات لا تُعدُّ ولا تُحصــى، فما نسبة هذه الكرة الأرضية لهذا الوجود، بل حتى لهذا الكون؟ إنها شيء صغير جداً — من حيث الحجم - بلا أدنى شك، ولكن من حيث جوهرها ومحتواها، مهمة جــداً، إذ الأجواء التي هيأها الله سبحانه وتعالى للإنسان، كي يعيش على هذه الأرض، لا توجــد - حسب علمنا الحالي - في كل الكون، لا المريخ ولا القمر...الخ.

٤- وستَعْقُب هذه الحياة الدنيوية الإبتلائية: حياة أخرى ضروية ستظهر فيها نتائج الإبتلاء والإمتحان المفروض على الإنس والجن، كما قال تعالى: ﴿وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِنۢ بَعْدِ ٱلْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾﴾هود، كما رأيْنا: تَضَمَّنت هذه الأية، الأسس الأربعة الرئيسة للمعرفة (علم الوجود) وقد شرحتُ (المعرفة) في الكتاب الأول من موسوعة: (الإسلام كما يتجلى في كتاب الله)، وأُؤكِّدُ مرةً أخرى أن الإيمانَ القوي الراسخ المتين، إنما ينبني على المعرفة الصحيحة، فيجب أن تَسْبِقَ الإيمانَ المعرفَةُ، (معرفة الوجود)، وعلى أساس هذه المعرفة الصحيحة، ينبني الإيمانُ وبِقَدَر ما تكون المعرفة: صحيحةً وقويةً وراسخةً ومتبلورةً، في قلب الإنسان وذهنه، يكون إيمانُه راسخاً، والصحابة رضوان الله عليهم لم يكونوا فلاسفة وحكماء، ولكنَّ الله سبحانه وتعالى أعطاهم ما لم ولن يصل إليه الفلاسفة ولا الحكماء، أعطاهم كُلَّ هذه الحقائق في آيات قليلة، منها هذه الآية المباركة التي قرأتها،

وكذلك الآية رقم (٥٤) من سورة (الأعراف) إذ يقول سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾الأعراف، وهناك آيات كثيرة جداً تتحدث عن المعرفة، وتُعطي الإنسانَ: معرفة بالوجود، بالخالق والخلق، وبالسماء والأرض، والدنيا والآخرة.

هذا هو الأصل الأول الذي بَنيْتُ عليه مشروعِيَ الفكريَّ الإسلاميّ.

الأصل الثاني: الإيمان ثمرة المعرفة الصحيحة:

الإيمان بأركانه الخمسة، إذ توجَدُ في القرآن خمسة أركان للإيمان، يقول سبحانه وتعالى في الآية (١٧٧) من سورة (البقرة): ﴿لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ ﴿١٧٧﴾﴾، فهذه خمسة أركان، فأين الإيمان بالقدر؟ الإيمان بالقَدَر يتضمَّنه الإيمانُ بالله، إذا آمنت بالله، فأنت تؤمن بعلمه المحيط، وبقدرته اللامتناهية، وبعدله المطلق، وحكمته المطلقة، وبرحمته المطلقة، وبإرادته، وبكل صفاته الأخرى، وليس الإيمان بالقدر، إلا الإيمان بصفات الله سبحانه وتعالى، وقد أضاف رسُول الله الأعظم (محمد) صلى الله عليه وسلم الإيمانَ بالقدر إلى الأركان الخمسة المذكورة في القرآن، من أجل التوضيح وتجلية لأهميَّةِ القدر، وكونه سِرّاً لا يَطَّلِعُ عليه كثير من الناس، ولا تستوعبه كثير من العقول، كما جاء في الحديث النبوي: {الإِيمَانُ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْقَدَرِ كُلِّهِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ}[1]، وقد خصَّصت موسوعة، (الإيمان والعقيدة الإسلامية) في ستة مجلدات، ببحث الإيمان والعقيدة، وكذلك خصصت

---

١) أخرجه مسلم برقم: (٨).

سبعة كتب من موسوعتي: (الإِسلام كما يتجلَّى في كتاب الله)، بتوضيح أركان الإيمان الخمسة.

والملاحظة التي تجدر الإشارة إليها هنا، أنَّ: العقيدة في الإسلام، يجب ألاَّ تُقيَّدَ العقيدة بأي وصف إلا الإسلام، فَنقولُ: (العقيدة الإسلامية) لا: (العقيدة السلفية) أو (العقيدة الأشعرية) أو (العقيدة الصوفية)، هناك عقيدة واحدة وهي: (العقيدةُ الإِسلامية)، وإذا كان العلماء اختلفوا في مسائل الفقه وفروع الدين، فإنهم لم يختلفوا في أصول الدين، نعم اختلفوا في بعض التفاصيل، لكن لم يختلفوا في أصول الدين، وأنَّ أركان الإيمان هي هذه الخمسة، أو هذه الستة.

والأصل الثالث: العبادة، مُتَمَخَّضة عن الإِيمان:

كما أن الإيمان ينبني على المعرفة الصحيحة، بل المعرفة الصحيحة تقتضي الإيمان، المعرفة الصحيحة بالخالق والخلق، مقتضيةٌ للإيمان بالله سبحانه وتعالى خالق ومالك هذا الوجود، والإيمان بالملائكة، سفراء الله سبحانه وتعالى إلى الأنبياء، والإيمان بكتب الله، التي هي إرشادُاته إلى البشر، والإيمان برسل الله الذين أرسلهم سبحانه وتعالى، وهم وسطاء بينه وبين البشر، والإيمان بلقاءِ الله أي اليوم الآخر، والإيمان بقدر الله، أي تخطيطه سبحانه وتعالى لكيفية إدارته للخلق:

كذلك العبادة يتمخَّض عنها الإيمانُ، فكلُّ مَنْ آمن بالله سبحانه وتعالى، إيماناً صحيحاً، وآمن بملائكة الله وكتبه ورسله واليوم الآخر، لا يمكنه إلا أن يعبد الله سبحانه وتعالى، فكلٌّ من كان مؤمناً بالله، فهو يكون عابداً لله، لا مجال لغير هذه النتيجة، إلا إذا كان الإيمان مغشوشاً، وكان إيماناً أجوف غير حقيقي، وإلا فالإيمان الحقيقيُّ، يقتضي العَمَلَ الصالح، ولهذا ما ذكر الله سبحانه وتعالى الإيمانَ، إلا وأردفه بالعمل الصالح: (ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ)، لأن الإيمانَ، يقتضي العَمَلَ الصالح، فالذي يعرف الحقَّ، يَتَّبِعُ الحق، الذي يستوعِبُ الحقَّ ويهضمه ويتفاعل معه، سيتمخض هذا الإيمان والتفاعُلُ،

عن العمل الصالح، وأفضل العمل الصالح، وأحسنُ ما يُعبِّرُ عنه هو: العبادة والعبودية، ولهذا قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾الذاريات.

وللعبادة معنيان:

١- معنى شامل، وهو المعنى الحقيقي لكلمة (عبادة)، والمعنى الشامل للعبادة، هو: أن يكون الإنسانُ مُحِبّاً لله أقصى الحُبِّ، ومطيعاً لله أفضل إطاعة، وأن يكون: مُعَظِّماً لله، خائفاً من الله، ومتوكِّلاً عليه: أقصى التعظيم والخوف والتوكل.

٢- وهناك مفهوم آخر للعبادة، وهو مفهوم ضيق، وينحصر هذا المفهوم في شعائر التعبّد، كالصلاة والصيام والدعاء والذبح والنذر والتوكل، وهذا المفهومُ عُرفيٌّ، ولهذا قسّم العلماءُ كُتُبَ الفقه إلى: عبادات ومعاملات وجنايات .. إلخ، ويقصدون بكلمة العبادة هنا، معناها الضيِّق.

أما المعنى الحقيقي والواسع لكلمة العبادة، فهو الخضوع المطلق لله سبحانه وتعالى، وهذا يشمل العبادات والمعاملات، ويشمل كلَّ مجالات الحياة، وأَلَّفت موسوعة باللغة الكوردية: (العبادة في الإسلام)، في أربعة مجلدات، تحدثت فيها عن العبادة بمفهومها العام الحقيقي الشامل، ثم عن الطهارة، وعن الصلاة، الصلوات المفروضة والمندوبة، وعن: الزكاة والصيام والحج والعمرة والذكر والدعاء...الخ.

الأصل الرابع: التزكية والتقوى، نتيجة للعبادة:

كل من كان عابدا لله، عبادة حقيقيةً: فَسَتُنْتِجُ له هذه العبادةُ: التقوى والتزكية، والتقوى نتيجة للتزكية، يقول سبحانه وتعالى: ﴿ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾ ﴾الشمس، أجَلْ: مَنْ زَكّى نَفْسَه، فنتيجة للتزكية، يحصل لديه التقوى، ومن دسَّى نَفْسَهُ، فَسَتُنتِجُ التدسيةُ: الفجورَ، وجديرٌ بالذكر أنّنا تحدَّثنا عن موضوع (تزكية النفس) وموضوع (التقوى) في كتابنا: (طريق الصلاح

والسير إلى الله)، وكذلك في كل من كتابـي: (التوبة) و(روح الحياة)، بحوث جديرة بالقراءة، لكنَّهما لم يُترجما بعد الى اللغة العربـية.

الأصل الخامس: الخُلق الحسن، أو فضائل الأخلاق والآداب، ثمرة الإِيمان والعبادة والتقوى:

وقد ألّفت موسوعةً: ضخمة ضَمَّنتُها (١٥٥) مفردةً أخلاقيةً، سواء فيما بين الإنسان والله سبحانه وتعالى، أو فيما بين الناس بعضهم مع بعض، وفي كل المجالات.

والخُلق الحَسَن ثمرة تُثْمِرُها شجرة الإيمان والعبادة، وشجرة التقوى والتزكية، لأن الخُلق الحَسَن، سوَّاه النبي صلى الله عليه وسلم، بالعبادة والتقوى، إذ قال صلوات الله وسلامه عليه: (إن المؤمن ليُدْرِك بحُسن خُلقه، درجَةَ القائم الصائم)، [1]... يعني: مَنْ هو حَسَنُ الخُلُقِ، فهو بدرجَةِ مَنْ يكون صائماً صياماً مستمراً، وقائماً بالليل طِوال اللَّيل، فهما متساويان، لماذا؟ لأنه لا يتمكن الإنسانُ من حُسن الخُلق، إلا بعد أن يكون عابداً لله ومتقياً وزكيَّ النفس، لأن الخُلق الحسن والفضائلَ، إنما يَتَمكَّن الإنسانُ منها، ومن تحلية نفسه بها، بعد أن يُمَكِّن من نفسه، للعبادة لله والتقوى منه.

الأصل السادس: الأسرة أساس المجتمع السَّلِيم المتين:

قضية الأسرة، والعلاقة بين الرجل والمرأة، والوالدين والأولاد، والأسر بعضها مع بعض، قضيَّة مهمة وحَسّاسة جداً، وقد ألّفت موسوعة في هذا الموضوع باللغة الكوردية، بعنوان: (المرأة والأسرة في ظل الشريعة)، وهي موسوعة في أكثر من ألف صفحة، ضمَّنتها كثيراً من الأحكام، وما يلزم كلاً من الزوج والزوجة والأولادِ، التحلِّيُ بها من الأخلاق الحسنة والآداب الفاضلة في التعامل فيما بينهم.

وكذلك تطرقت لهذا الموضوع المهم، في الكتاب الحادي عشر في موسوعة: (الإِسلام كما يتجَلّى في كتاب الله) بشيء من الإِسهاب، وسلَّطت الضوء على كثير من مسائلة الأساسية.

---

١) رواه أبوداود: ٤٧٩٨، وابن حبان: ٤٨٠، وأحمد: ٢٤٣٩، وصححه الألباني.

الأصل السابع والأخير: الكيان السياسي والدولة في الإسلام، الحلقة الأخيرة في سلسلة الإِلتزام بالشريعة:

وخَصَّصت الكتاب الحادي عشر (تطبيق المجتمع للشريعة في جميع جوانب حياته) من موسوعة: (الإِسلام كما يتجلّى في كتاب الله) في حجمٍ كبير - (٦٠٠) صفحة – بموضوع: الحكم والدولة في الإِسلام، وكذلك ألّفت باللغة الكوردية موسوعةً في هذا المجال، عنوانها: (الإسلام والدولة والحكم)، في أربعة مجلدات:

خصَّصت المجلد الأول للمحور الأول، وهو عبارة عن التعريف بالدولة الإسلامية، وضرورة وجود الدولة والكيان السياسي في الإسلام، وما الدواعي والأسباب المقتضية للدولة في الإسلام؟ وهل يجوز للمسلمين أن يَتَخَلّوا عن الدولة، كما كان يقول علي عبد الرازق في بداية القرن الماضي، وعندما انهدمت الخلافة في تركيا، في سنة ١٩٢٤م، وفي سنة ١٩٢٥ أصدر علي عبد الرازق كتابه: (الإسلام وأصول الحكم)، وقد ردَّ عليه العلماءُ وخلعوه من لباس العلماء، وطردوه من زمرة علماء الأزهر، بسبب اجترائه على هذا الإفتراء: بأن الإسلام لا يوجد فيه كيان سياسي، وأن الرسول عليه الصلاة والسلام لم يكن بانيَ دولةٍ، وإنما كان واعظاً ومبلِّغاً!! فردّ عليه العلماء رداً مُفْحِماً ومن ضمن من رد عليه: محمد الطاهر بن عاشور، صاحب تفسير (التحرير والتنوير)، وكذلك الدكتور محمد عمارة، وغيرهما، ردوا عليه وأفحموه، وقد قرأت أنه تراجع عن رأيه فيما بعد.

والمحور الثاني، تحدثت فيه عن الأسس العشرة التي يُبنى عليها الحكم الإسلامي والكيان الإسلامي، ويتضمن هذا المحور المجلَّد الثاني.

والمحور الثالث ذكرت فيه السلطات الثلاث في الإسلام: التشريعية والتنفيذية والقضائية، وكيفية العلاقة بينها، وخصصت لهذا المحور الثالث: المجلَّد الثالث.

والمحور الرابع والأخير خصصت له المجلد الرابع والأخير،هو: (غير المسلمين في المجتمع الإسلامي والدولة الإسلامية)، كيف يتعامل المسلمون مع غيرهم وذكرت فيه من سماحة الإسلام التي لامثيل لها في الأنظمة الغابرة والمعاصرة، وقد وضحت أن الإسلام لا يفرِّق

بين المسلم وغير المسلم في الحقوق والواجبات، إلا ما اختص به أحدهما، من حيث: دينُهُ وتَدَيُّنه وطقوسه، وخصوصيات دينه، مِمَّا يَخُصُّ المسلمَ أو غير المسلم.

هذه هي الأصول السبعة التي بنيتُ عليها مشروعي الفكري.

هذه الأصول السبعة بنيت عليها مشروعك الفكري، وهذا نلمحه في تعدُّد المؤلَّفات، وتعدُّد مجالات الكتابة، بما يخدم ويحقق هذه الأصول السبعة، بعد ذلك نَوَدُّ لو أننا ننتقل إلى القواعد الأساسية التي تَسْتَنِدُ إليها، أو التي راعيتها في مشروعك الفكري.

ـ سأذكر لك هذا، لكن أريد أن أستكمل الحديث عن الأصول التي بنيت عليها مشروعي الفكري، في فهمي للإسلام، واهتمامي بالإسلام، وكيفية السعي لتطبيق الإسلام، هناك موضوع مهم في هذا المجال أريدُ إِلقاءَ شيء من الضوء عليه:

إِن الدولة في الإسلام ليست غاية في حد ذاتها، بل هي وسيلة، وإنما أردتُ أن أُنبِّه على هذا، لأن كثيراً من الجماعات الإسلامية والتنظيمات العاملة للإسلام، تنظر إلى الدولة كهدف نهائي وكغاية قصوى، وأن أي جماعة إسلامية، إذا لم تتمكن من إقامة الدولة الإسلامية، أو إقامة كيان سياسي، فكأنه خابت في مسعاها! وهذا خطأ فادِحٌ، لأنه إذا وَزَنَّا جهودَ الأنبياء عليه الصلاة والسلام بهذا الميزان المختلِّ، يجب أن نقول: إن أكثرية الأنبياء خابوا في مسعاهم! لأنه لم يتمكن من تكوين الكيان السياسي من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، إلا قِلَّة، يُعَدُّون بأصابع اليد الواحدة:

١- سيدنا نوح بعد الطوفان، لأنه بعد الطوفان لم يبق من البشر أَحدٌ إلاّ مَنْ حُمِلوا على السفينة، وكانوا مجموعة قليلة: ﴿وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾﴾هود، فهو الذي أدار شئوهم وأمورهم.

٢- سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام، إذ كوّن كياناً لبني إسرائيل خاصةً، في صحراء سيناء.

٣و٤- داوود وسليمان، وكانا نبيين مَلِكَيْنُ وهذا ثابت.

٥- ملك جزئيٌّ لإبراهيم خليل الله عليه الصلاة والسلام، لأن الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾﴾النساء، لكن لم نسمع بأنه بنى دولةً.

٦- وفي الأخير خاتم الأنبياء محمد صلى الله تعالى عليه وسلم، والذي أسس دولة وأقام كياناً سياسياً، ولكن هل كلُّ الأنبياء الآخرين الذين لم يتمكَّنوا من بناء دولةٍ، وإقامة كيان سياسي، خابوا في مسعاهم؟ لا، إذن: الكيان السياسي ليس هو الغاية القصوى، وإنما هدف من الأهداف، فإذا وصلنا إليه، فبِها ونعمت،وإذا لم نصل إليه، فلا شك أنَّ كلاً من:

١- تحقيق العبودية في ذات أنفسنا، لله سبحانه وتعالى.
٢- بَذِلَ الجُهْدِ في تعريف الله سبحانه وتعالى بالناس، ودعوتهم اليه والى دينه.
٣- تعبيد الناس لله سبحانه وتعالى، وتفهيمهم حقائق الإسلام (ومنها وجوب بناء الكيان السياسي).
٤- نَشرِ الفضائل الشخصية والجماعية التي جاء بها القرآن وَجَسَّدها في حياته رسولُ الله صلى الله عليه وسلم.
٥- إجتثات الرذائل النفسية والخلقية على الصعيدين الفردي والجماعي التي نهت عنها الشريعةُ الرَّبانية الحكيمة....الخ.

كُلُّها أهداف، وأهداف عالية ومهمة، وإذا وصلنا إلى ذاك الهدف الآخر، فَبِها ونِعمْت، والاّ (فلا يكلِّف الله نفساً إلا وسعها).

ameer.maktab@yahoo.com

/AliBapir /AliBapir /MediaAmeerOffice

www.alibapir.net

٣٥

القواعد الإِحدى عشرة للمشروع الفكري

نواصل الحديث مع الشيخ علي باپير، أمير الجماعة الإسلامية في كردستان العراق، في حلَقَة أخرى من هذه السلسلة المتواصلة والمهمة جداً من اللقاءات التي أبحرنا فيها مع الشيخ علي باپير عن: تأريخه، وتأريخ الجماعة الإسلامية، وعن المشروع الفكري له وعن كتبه المتعدِّدة، والتي تناولت موضوعاتٍ شتّى تهُمُّ الأمة الأسلامية والشعب الكوردي، وحتى الشعب العربي، للتعايش بين الشعوب، وتقَدِّم فهماً جديداً للإسلام، فهماً معاصراً للإسلام، وصورة معاصرة للإسلام وللمسلمين.

تحدثت عن الأصول التي بنيت عليها مشروعك الفكري، نَوَدُّ لو تطْلِعَنا على القواعد الأساسية التي وضعتها لنفسك في فهمك للإسلام، وفيما تريد أن تقدّمه من فهم للإسلام، للمسلمين، مما تراه فهماً صحيحاً وعميقاً.

ــ كما لَخَّصْتُ الأصول التي بَنَيْتُ عليها مشروعي الإسلامي، أو الفهم الذي ارتأيته للإسلام، لتجسيده على أرض الواقع، في سبعة أصول، كذلك بإمكاني أن أُلَخِّصَ القواعِدَ التي بَنَيْتُ عليها مشروعي الفكري، في هذه القواعد الإحدى عشر:

القاعدة الأولى: الفهمُ الصَّحيحُ للإسلام المُتَجسِّد في الكتاب والسنة، والبصر الدقيق بالواقع، هو أساس التديُّن الصَّحيح والعمل الإسلامي:

- كلُّ مَنْ يريد الإلتزامَ بالإسلام تَعبُّداً لِلَّه تعالى، وأَنْ يعمل للإسلام، سواء بمفرده، أو من خلال جماعة، أو جهازٍ، أو جمعية، أو مؤسسة، يجب عليه قبل كلِّ شيء، أن يفهم الإسلام فهماً صحيحاً، والإسلام ليس سوى الكتاب والسنة، لكن هل فهمه للكتاب والسنة يكفي لتنزيل الإسلام على أرض الواقع ؟ لا، بل لابد من البصر بالواقع، وفقه الواقع ومعرفةٍ بالمجتمع الذي يعيش فيه، وكان علماؤنا السابقون رحمة الله عليهم وجزاهم الله عنّا خيراً، أهلَ فِقْهٍ بالدين، وبَصَرٍ وخُبْرةٍ بالمجتمع، وبالواقع الذي كانوا يعيشون فيه، وإنما يأتي الخَلَلُ للعاملين للإسلام من إحدى هاتين الجهتين:

١- إما أن فهمهم للإسلام ناقِصٌ، فَيَحْسَبون ما ليس بإسلامٍ إسلاماً، من: إجتهادٍ وفقهٍ ومذهبٍ وطريقةٍ ومدرسةٍ وحزب ...الخ، فَيَحْسبونَه على الإسلام، وهو ليس من الإسلام، وإنما هو فهم للإسلام، أومحاولة لتطبيق الإسلام.

٢- أو أنهم لا يعرِفون الواقع الذي يعيشون فيه، معرفةً حقيقيةً منطبقةً على الواقع، فيأتيهم الخَلَل من إحدى هاتين الجهتين، أو من كلتا الجهتين، إذ هناك من لا يفهم الإسلام فهماً صحيحاً، ولا يعرف الواقع معرفة حقيقية، فيأتيه الخلل من الطرفين.

القاعدة الثانية: العمل الإسلامي بمفرداته الثلاث: الدعوة، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، واجب فرديٌّ على كل مسلم على حِدَةٍ، وواجب جماعي على المجتمع الإسلامي كَكُلٍّ:

كما يقول سبحانه وتعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾آل عمران، فالعمل الإسلامي بهذه

المفردات الثلاث الأساسية: الدعوة للخير، دعوة الناس لما هو خير، وأمرهم بالمعروف، ونهيهم عن المنكر، واجب على كل مسلم على حدة، وكذلك واجب جماعي على المجتمع المسلم، إنما قلت واجب على كل مسلم على حدة، لأن الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾التوبة، وهذا يعني: أن كل المؤمنين والمؤمنات، أي ذكوراً وإناثاً تلزمهم: موالاةُ بعضهم مع بعض، ويَلْزَمهم: الأمرُ بالمعروف والنهي عن المنكر، كل منهم على حدة، وكلٌّ حسب استطاعته.

وأما الدليل على كون: الدعوة إلى الخير، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر- وأنا أعتقد أن هذه المفردات الثلاث، تُكوِّن مفهومَ العمل الإسلامي - والعَمَلِ للإسلام، واجباً جماعياً، فهو أن سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴿١٠٤﴾﴾آل عمران، والأمة هنا: الجماعة، ثم يقول: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾، يعني هؤلاء فقط هم المفلحون، وفي سورة (التوبة) قال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ... ﴿٧١﴾﴾التوبة، إذن: غيرهم لا يرحمهم الله، فمن أراد أن يكون مرحوماً لله، فعليه: أن يَعقِدَ الموالاة بينه وبين أهل الإيمان، ذكوراً وإناثاً، وأن يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، وأن يقيم الصلاة، ويؤتي الزكاة، ويطيع الله والرسول، وبالتالي: يكون مشمولاً برحمة الله.

ومن أراد أن يكون مُفلِحاً في دنياه وأخراه، ينبغي عليه: أن يدعو إلى الخير، ويأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر.

وإنما ذكرت هذه القاعدة وأكَّدْتُ عليها، لأن هناك من يريد أن يخدش في مشروعية العمل الإسلامي، والجماعات الإسلامية، والتيَّار الإسلامي عامة! لكن عندما ننظر إلى

كتاب الله سبحانه وتعالى، نراه يصَرِّحُ بجلاءِ ووضوح: أَنَّ من أراد أن يكـون مُفْلِحـاً، مؤمناً، مرحوماً، يجب أن يكون داعياً الى الخير، وآمراً بالمعروف، وناهياً عـن المنكـر، وجديرٌ بالذكر: أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، مفهومُهما شامِلٌ وواسع جـداً، لكن مع الأسف تقلَّص مفهوما الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، تَقَلُّصـاً شـديداً في أذهان كثير من الناس، مع أن كلمتي: (المعروف) و(المنكر) مُعرَّفتان بالألف واللام الدالة على الجنس، (يأمرون بالمعروف) أي: جنس المعروف، سواء في مجال الفكر، أو مجـال العقيدة، أو مجال الحكم والسياسة، أو الإقتصاد، أومجال الأسرة، أو مجال الإعلام، فَيَجبُ على المسلمين أن يأمروا بالمعروفات كلِّها، وينهوا عن المنكرات كلِّهـا، أي: يجـب أن يقوموا بتطهير المجتمع من المنكرات، أي كل ما هو مصادم للشريعة وللعقل وللفطـرة، وأن يأمروا بكل ما تأمرُ به الشريعة، وكلِّ ما هو موافق للشريعة أو الشـريعة تقتضـيه، وكل ما تأمر به الشريعة وتقتضيه، يوافِقُ العقولَ الصَّحيحة والفِطَرَ السليمة.

إذن: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، يدخلان في كل مجالات الحياة، وليسا شيئين مختصَّين بالحياة الفردية، بل هما عامّان لكل مجالات الحياة: الفردية والأسرية والسياسـية والإجتماعية والإِقتصادية .. ألخ.

القاعدة الثالثة: تغيير الواقع نتيجة لتغيير الأنفس:

يقـول سـبحانه وتعـالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ ...﴿١١﴾﴾ الرعـد، فإذا أردنا أن نُغَيِّر واقِعَنا، يجب أن نُغَيِّر أنفسَنا أولاً، ومـا بأنَفُسـنا يَتكوّن من ثلاثة أشياء: الأفكار، والمشاعر، والأخلاق، فيجب أن نُصَحِّح أفكارَنا، بحيث تنطبق وتوافق وحي الله سبحانه، وأن نُصَحِّح مشاعِرَنا، بحيث تكون منبثقة من الإيمـان والعقيدة، ونابعة من وحي الله سبحانه وتعالى، وأن نُصَحِّح سُلوكَنا وأخلاقَنـا، بحيـث تكون منسجمة مع شرع الله تعالى، فإذا قام الأفراد، كل فرد على حِدَةٍ، ومجمـوعهم، بتغيير أنفسهم: بتصحيح أفكارهم، وتنقية مشاعرهم وجعلها منطبقـة مـع الشـرع،

وتصويب سلوكهم وأخلاقهم، عند ذلك يَتَغيَّرُ واقِعُهُم، لأن واقع أي مجموعـــة، لـــيس سوى انعكاسٍ لأفكارهم ومشاعرهم وسلوكياتهم.

القاعدة الرابعة: التعامل الصحيح مع المجتمع هو المداراة، والصَّبر على الأذى، والتصميم على إِصلاحه والسَّير به الى اللّٰه تعالى ورضوانه:

للتعامل مع المجتمع، سواء كان مجتمعاً سليماً، أو مجتمعاً منحرفاً، ليس أمام العـــاملين للإسلام إلا أربعة طرق:

١- إما الهروب من المجتمع والفرار، أن يَفِرَّ المرءُ بدينه، كما فعل أصحاب الكهف رضوان الله عليهم.

٢- وإما الإِصطدام بالمجتمع على طول الخط: فإمّا أن نُبـــيدَ المجتمع، أو نُباد، إما أن نتخلَّص من المجتمع، أو يتخلَّص مِنّا، والإحتمال الثاني هو الأكثر، ولا خير في الأول، لأنه إذا أبدتَ المجتمع، فمع من تعيش؟

٣- أو التسليم للمجتمع المنحرف وآنحرافاته، والسكوت على الباطل.

٤- أو المداراة مع المجتمع، والصبر على أذاه، لكن التصميم على إصلاح المجتمع والسير به إلى الله سبحانه وتعالى.

وأرى أن الرابع هو المُتَعَيِّن لأن الطرق الثلاثة الأخرى غير صحيحة:

١- أما أن نفعل كما فعل أصحاب الكهف، فأصحاب الكهف، إما كانوا ستة وسابعهم كلبهم، أو سبعة وثامنهم كلبهم، أَحياناً أمزح مع الإِخوة، فأقول: أين نذهب بآلاف الناس إلى الكهوف؟ وأي كهف يسعنا؟ ثم كيف نعيش في تلك الكهوف؟ الله سبحانه وتعالى نوّم أصحاب الكهف ثلاثمائة سنة وتسعة أعوام، لأنهم كانوا بحاجة إلى الطعام والشراب وما كان بِإمكانهم تحصيلُهُ، فأنامهم، إذن: هذا المسلك غير صحيح، ثم إننا لسنا مضطرين أن نفعل هذا، ولسنا مجازين.

٢- وأما الإِصطدام مع المجتمع والإِشتباك معه، فقد جُرِّب هذا في مصر والجزائر وأفغانستان، وفي كثير من بلدان العالم، لكن ما جنينا إلا الخسارة والضِّياع، على مستوى كل الأطراف.

٣- وأما التسليم للمجتمع والخنوع للباطل الذي يفرضه المجتمع، فهذا لا يجوز، ما هكذا فعل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، بل قال الأنبياء عليهم الصلاة والسلام: ﴿وَلَنَصۡبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيۡتُمُونَا ...﴾ (١٢) إبراهيم، يعني: مهما آذيتمونا، لنصبرَنَّ على أذيَّتكم، لكن لن نستسلم.

٤- فبقي الطريق الرابع، وهو المداراة مع المجتمع والصبر على أذاه، لكن مع التصميم على تغيير المجتمع وإصلاحه وتطهيره من الفساد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر داخل المجتمع، وهذه هي وظيفة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام مع مجتمعاهم.

القاعدة الخامسة: الشريعة الإِسلامية أَجْملَتْ في الحديث عن المُتَغيِّرات، وفصَّلَت في الثوابت:

هذه قاعدة شرعية وضعها العلماء، وهي قاعدة رصينة وحكيمة، بَنَوها على أساس الإِستقراء لأحكام الشريعة: والثوابت هي القواطع التي أجمعت عليها الأمة، الشريعة الإِسلامية دخلت في التفاصيل عند الحديث عن الثوابت، ما الثوابت؟ هي: المعرفة الصحيحة بالخالق والخلق، ثم الإيمان بأركانه الخمسة أو الستة، ثم العبادة بشعائرها، ثم الأخلاق، ثم الأحوال الشخصية، ثم قواطع الحلال والحرام، هذه كلها من الثوابت، وجاءت الشريعة بالتفصيل في الثوابت، أما المتغيرات، التي تحدثت عنها الشريعة إِجمالاً، يُقصد بها الأحكام المتعلقة بالجانب المادي من الحياة: الحكم والسياسة، الإِقتصاد والإِجتماع، والحرب والسلم، العلاقات، وكيفية إِدارة المجتمع، هذه كلها من المتغيرات،

لِذا اكتفت الشريعة فيها بالإجمال، فمثلاً: في مجال الحكم والسياسة، لدينا نصوص قليلة، مثل:

١- ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ ... ﴿٥٨﴾ ﴾النساء.

٢- ﴿ وَأَمۡرُهُمۡ شُورَىٰ بَيۡنَهُمۡ ... ﴿٣٨﴾ ﴾الشورى.

٣- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ ﴿٥٩﴾ ﴾النساء.

ولكن: ما هو شكل الحكومة؟ وكيف ننتخب أعضاء مجلس الشورى؟ وكيف نسند المسئولية إلى المسئولين؟ وكيف ندير الشورى؟ وقضايا أخرى كثيرة، سكتت عنها الشريعة، وتركتها لعقول الناس واجتهاداتهم وظروفهم وأحوالهم المتغيرة، لأن الله سبحانه وتعالى لو أَلزَمهم بشكل واحدٍ من الحكومة، وبنوع واحدٍ من الإِدارة، لكبّلهم وقَيّدهم، لكنه تركهم أحراراً، لأن الله سبحانه وتعالى وهو العليم بكل شيء، علِم أن هذه الحياة ستتطور، لذا اكتفت شريعة الحكيمة بوضع معايير عامة وإطارعام، وتركت فراغاً كثيراً، ليملأه العقل البشري حسب حاجته، وحسب مقتضيات زمانه ومكانه.

القاعدة السادسة: {الأصل في العبادات الحظر، والأصل في المعاملات الإباحة}:

هذه أيضاً قاعدة اتفق عليها العلماء، والمقصود بها أَنَّ في مجال التعامل مع الله سبحانه وتعالى، سواء التعامل الفكري، والذي يتمثل في الإيمان والعقيدة، أو التعامل العملي والذي يَتَمَثَّلُ في العبادات بأنواعها: الصلاة والصيام والدعاة والذكر والحج والعمرة...الخ، الأصل في هذا المجال: هو التقيُّد بالوحي والإلتزام بالشرع، لماذا؟ لأن الله سبحانه وتعالى هو الذي يعلم من هو؟ وما هي صفاته؟ وكيف نتعامل معه؟ وكيف نتعبد له؟ وما الذي يرضيه عنا؟ والآخرة ما هي؟ الحياة بعد الموت، والجنة والنار،

والملائكة والجن، كلها غيب لايعلمه إلا الله سبحانه وتعالى، فيجب أن يُخبِرنا هو به، لأن هذا لا يُعرف بالتكهُّنات ولا بالرجم بالغيب، نعم: التعامل مع الله، سواء كان نظرياً، أو عملياً، فهو من اختصاص الله سبحانه وتعالى.

لكن العادات والمعاملات الجارية بين الناس، تركتها الشريعة فراغاً عفواً، كما قال العلماء: (الأصل في العبادات الحظر، إلا ما شرّعه الشارع، والأَصل في المعاملات العفو، أو الإباحة، إلا ما منعه الشارع).

وذلك لأن المعاملات الجارية بين الناس، تُدركها عقولُ الناس، لهذا تركها الشرع فراغاً، إلا إذا جاء نص بتحريم عادة، أو معاملةٍ ما، وإلاّ فإنَّ الأصل في المعاملات العفو وإطلاق لليد.

القاعدة السابعة: تطبيق معظم الشريعة الإسلامية، مرتبط بالفرد والمجتمع، وأَقلُّها تطبيقها مرتبط بالدولة والسلطة:

وإدراك هذه الحقيقة يجعلنا نحن المسلمين والإسلاميين، أن نُراجِعَ أنفسنا ولا ننتظر الدولة أو الحاكم يطبق علينا أو يطبق لنا الشريعة، هناك كثير من أحكام الشريعة، بإمكاننا أن نطبقها، نعم هناك أحكام ليس بإمكان الأفراد ولا بإمكان المجتمع أن يطبقها، وإنما تطبيقها متوقف على السلطة والدولة، مثلاً: إنزالُ العقوبات بالجناة والمجرمين والمتجاوزين للحدود، هذا من مختصات السلطة، وكذلك تطبيق العدل ورفع الظلم، لكن هناك الكثير جداً من الأحكام، بإمكان المجتمع وبإمكان الأفراد أن يُطَبِّقوها على أنفسهم.

القاعدة الثامنة: الكيان السياسي في الإسلام، ينبثق من رحم المجتمع:

المجتمع الإسلاميُّ هو الذي يُقرِّر أن يبني الكيان الإسلامي، فالكيان الإسلامي لا يُفْرضُ على المجتمع فرضاً، كما يتصوَّر تنظيمُ داعش وغيره، لا يمكن أن يُفرَضُ الكيان السياسي على مجتمع ما، لماذا؟ لأنه إذا ما فُرِض على إنسانٍ ما أو مجتمعٍ ما: الإلتزام

بالشريعة من دون اقتناع، فنحن نضطرهم الى النِّفاق، لذا إن أمكن فرض أي فكرة أو منهج على مجموعة من الناس، فلا يمكن فرض الإسلام، لأن الإسلام أول ما ينظر، ينظر إلى القلب، وينظر إلى ما بينك وبين الله سبحانه وتعالى.

وإدراك هذه الحقيقة يجعلنا ننظرإلى الكيان السياسي، ليس كأنه نهاية الأمر أو الغاية القصوى، وإنما ننظر إليه كوسيلة لتطبيق جزءٍ من الشريعة.

القاعدة التاسعة: إذا لم يتمكَّن المسلمون من تأسيس الكيان السياسي، لا يعني أنهم خابوا في مسعاهم:

كثير من العاملين للإسلام – في هذا العصر – يتصوَّرون: أنهم إذا لم ينجحوا في تأسيس الكيان الإسلامي، فهم إِمّا أنهم ضَلُّوا الطريق، أو أنَّهم خابوا في مسعاهم.

لكن كما قد قلتُ سابقاً: هذا فهم خاطيء لأن كثيراً من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لم يتمكنوا من تحقيق هذه الغاية، ولا يجوز لأحد أن يعتبرهم خائبين في مسعاهم، لأنهم قاموا بما كان في وسعهم: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ... ﴿٢٨٦﴾ ﴾البقرة، وكذلك كثير من علماء الإسلام والأئمة الأعلام، لم يتمكَّنوا من تطبيق شريعة الله تعالى في حياة الناس وفيما حولهم من المجتمعات، ولكن لا يعتبرون مُقَصِّرين، لأنهم بذلوا ما في وسعهم، وقاموا بأعمالٍ جليلة كل منها هدفٌ شرعي كبير في حدِّ ذاته، مثل:

الدعوة الى الخير، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وَرَدْع الظالم، ونصر المظلوم، وتَنبيه الغافل، وتعليم الجاهل ....الخ.

القاعدة العاشرة: إِن الكيان السياسي في الإسلام، وسيلة لتحقيق الأهداف التي هي متوقفة عليها:

أجل الكيان السياسي ليس غاية في ذاته، وإنما هو وسيلة، حتى إِنَّ بعض الخوارج قالوا: إن وجود الدولة، أو وجود حاكم أعلى في الإسلام، ليس فرضاً، بل الذي يجبُ على المسلمين، هو أن يجتمعوا ويُطَبِّقوا شَرْعَ الله، فلا يَلْزَمهم أن يُعَيِّنوا أحدهم رئيساً عليهم لأن هذا وسيلة، وإنما يَلْزَمُ وجودُ الأمير، أو الإمام، أو السلطان، للمؤمنين، فقط، لتطبيق شرع الله، فإذا تمكن المسلمون من تطبيق شرع الله بدونه، فهذا هو الأحسن، لأنه قد يتغوَّلُ السلطان ويطغى، لكنِّي أرى أن هذا خيالٌ أو شيء نادِرٌ جداً.

القاعدة الحادية عشرة: اقتباس المسلمين من غيرهم، في مجال السياسة والحكم، أو في مجال الإدارة، أو الثقافة والإعلام أو الصناعة والزراعة، وكل مجالات الحياة الأخرى، ما لم يتصادم مع نصٍ شرعي قاطع وواضح، ليس أنه جائز فحسب، بل قد تكون واجباً أو مندوباً، حسب درجته من حيث الإحتياج إليه:

وهذا من الأمور الجلية التي تُدْرِكُها العقولُ السليمة والفِطَرُ المستقيمة، فليس بحاجةٍ الى الدليل النقلي، ولكن علاوة على الدليل العقلي يقول سبحانه وتعالى: ﴿...فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾﴾الزمر.

(**فبشر عبادي الذين يستمعون القول**)، القول مُعرَّف بالألف واللام أي: يستمعون كُلَّ الأقوال، لكن يتَّبعون أحْسَنَها، فلم يُحَدَّد القائِلُ للقول، وفي المثل: (أُنظر إلى ما قيل، ولا تنظر إلى مَنْ قال)، وفي الأثر وبعضهم يعتبره حديثاً نبوياً (الحكمة ضالة المؤمن فحيث ما وجدها فهو أحق بها) رواه الترمذي وغيره.

نعم يجب على المسلمين أن يقتبسوا العلوم والمعارف والخبرات من غيرهم، في مجالات الحياة كلها، ما لم يتصادم مع نص شرعي، هكذا فعل أسلافنا، وهكذا فعل الخلفاءُ الراشدون، بَلْ وقبلهم: هكذا فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم، فعلى سبيل المثال:

١- اقتبس فكرة حفر الخندق حول المدينة، من سلمان الفارسي رضي الله عنه، عندما أشار عليه به في غزوة الأحزاب. (١)

٢- استعمل المنجنيق والدبابة في فتح بعض الحصون. (٢)

٣- استعمل الختم، عندما أخبره أحد الصحابة أن الملوك لا تقرأ كتباً غير مختومة، فأمر أن يُصنع له خَتْمٌ عليه: (محمد رسول الله) (الله) فوق و(الرسول) وسط و(محمد) تحت، وختم به كُتُبَهُ التي أرسلها إلى الملوك، كما جاء في صحيح البخاري. (٣)

وسار على دَرْبِ الرسول صلى الله عليه وسلم في هذا المجال وكل المجالات الأخرى، ونَسَجوا على مِنْوالِهِ، خلفاؤه الراشدون الأَربعة: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم، وخصوصاً سيدُنا عمر، إذ في زمنه توسَّعت الدولة الإسلامية توسعاً كبيراً، ودخلت الإسلام أقوامٌ وشعوبٌ كثيرة، فقام بإبداعِ واستحداث كثيرٍ من الأمور الإدارية التي لم تكن موجودةً من قبل، مثل تدوين الدواوين: (ديوان الخراج، ديون الجند، ديوان الزكاة)، وتمصير الأمصار (بناء مدن)، ووضع البريد، والسجن ...الخ، وكانت الدواوين في الجانب الرومي باللغة الرومية، وفي الجانب الفارسي باللغة الفارسية، وما عُرّبت الدواوين إلا في زمن عبد الملك بن مروان، بعد أكثر من مائة سنة، عند ذلك عُرّبت الدواوين، أي جُعلت باللغة العربية، وما رأى المسلمون عيباً ونقصاً في أن يستفيدوا

١) السيرة النبوية لابن هشام، ج٣، ص١٠٩

٢) السيرة النبوية لابن هشام، ج٣، ص٢٧٤.

٣) صحيح البخاري: ٣١٠٦.

من تجارب الآخرين، في تنظيم حياقم السياسية والإدارية والإجتماعية والإقتصادية، فاستفادوا من تجارب الأمم والشعوب، بغض النظر عن انتماءاقم الدينية.

إذن: نحن أيضاً استماعاً لكتاب الله، وائتساءاً برسول الله صلى الله عليه وسلم، واقتداءاً بخلفاء رسول الله الراشدين، ليس أنه جائزٌ لنا فحسب، بل قد يجب علينا، أن نستفيد من تجارب الآخرين، وثقافاقم وأفكارهم، فيما يخدم مشروعَنا الإسلامي، ويخدم مجتمعاتنا، والشرط الوحيد، هو أن يكون هذا الشيء المُقْتَبَسُ، مِمَّا يُحَقِّقُ لنا مصلحةً حقيقية، وكل ما يُحقِّقُ مصلحةً حقيقية، لا يتصادَم، لا مع الشرع، ولا مع العقل، ولم تأت الشريعة إلا بما يوافق العقول السليمة والفطر المستقيمة، وكما يقول ابن تيمية رحمة الله عليه، في كتابه "درء التعارض بين العقل والنقل": (لم تأتِ الشريعةُ بما يخالف العقل السليم، أو الواقع، أو العلم)، لكن المهم أن نتحقق: هل هذا الذي جاء به العلم، أو جاءت به الحضارة الفلانية، صحيح في ذاته، ويحقق مصلحة أم لا؟ ثم بعد ذلك نحن في سعة من الأمر أن نستفيد منه، ولنكن مطمئنين بأنه لا تتصادم شريعة الله، مع أي مصلحة حقيقية، أو مع أي شيء، يُحَقِّقُ لنا مصلحةً دنيوية أو أُخروية، في مجال الحياة الفردية، والأسرية، أو مجالات الحياة الإِجتماعية والسياسية والإِقتصادية.

هذه هي القواعد الإحدى عشر، وبالإمكان أن نضيف إليها كثيراً، من التفاصيل والجزئيات، لكن لَخَّصتُ هذه القواعد، والتي أرى أنها تَصْلُح لأن تكون أساساً لفهم صحيح للإسلام، وإنطلاقة سديدة لإعادة الإسلام إلى الحياة، على مستوى الفرد والأسرة والمجتمع، وعلى مستوى الدولة، كما هو الإسلام في ذاته.

٣٦

التعاملُ الشرعيُّ الصَّحيح مع المستجدَّات بأنواعها

ـ في هذا العصر للأسف، الإسلامُ يتعرَّض لكثير من الهجمات التي يمكن أن نصفها بالمشبوهة، وهناك مخططات ضدّ الإسلام والمسلمين تلعب فيها أطراف داخلية وخارجية دوراً كبيراً، وبالتالي نجد أن على عالم الدين والمؤسسات الدينية، واجباً ثقيلاً في مواجهة مثل هذه الهجمات، وللدفاع عن الإسلام، ونعلم أن لديك مشروعًا فكريًا، يدحض هذه الإفتراءات ويواجه هذه الهجمات، ويدافع عن الإسلام حق الدفاع، ويُبْرِزُ الوجْهَ الحقيقي والسمح والمعتدل للإسلام.
نريد أن نتعرَّف منك: كيف يتعاملُ الإسلامُ مع بعض القضايا المعاصرة ومستجدات العصر، وهل هو يتعارض معها أم يستوعبها؟

ــ بإمكاننا أن نُقَسِّم أحكامَ الإسلام إلى قسمين: ١- قسم يسمى بالثوابت، والثوابت تتعلق بالجوانب الثابتة في حياة الإنسان. ٢- القسم الثاني هو المتغيِّرات، والمتغيرات تتعلق بالجوانب المتغيرة والمتطورة في حياة الإنسان، وعلماء الإسلام إنما قاموا بتقسيم أحكام الإسلام الى هذين النوعين، نتيجة استقرائهم للنصوص الشرعية، ولواقع الحياة التي تطبق عليها الأحكام الشرعية.

١-<u>الثوابت:</u> القسم الأول من الأحكام، والتي تتعلق بالجوانب الثابتة في حياة الإنسان:

(١)- فأساسها: المعرفة (الأنطولوجيا-ontology) علم الوجود، كيف ينظر الإنسان إلى الله سبحانه وتعالى؟ وإلى الوجود الذي أبدعه الله سبحانه وتعالى على أحسن ما يكون، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَىۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ۝٧ ﴾السجدة، ونظرة الإنسان إلى الدنيا، وإلى الآخرة، وإلى الإنسان ووظيفة الإنسان، وحكمة الله سبحانه وتعالى في خلق الإنسان....الخ، وقد وضع الإسلام لهذا الجانب (المعرفة) أحكاماً ثابتة راسخة لاتتغيَّر، وذلك بسبب أن هذا الجانب ثابت، لماذا؟ لأن الله سبحانه وتعالى وهو الحقيقة الكبرى والحقيقة المطلقة، وهو خالق الوجود، ومالِكُهُ، ثابت بأسمائه الحسنى، وصفاته العُلى، وبذاته التي ليس كمثله شيء، وكذلك جوهر الإنسان شيء ثابت، وكذلك الآخرة حقيقة ثابتة، والحياة الدنيا حقيقة ثابتة.

(٢)- وجانبٌ آخر من الثوابت: الإيمان والعقيدة، الإيمان بالله سبحانه وتعالى، وبملائكته، وكتبه، ورسله، وباليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره، فهذا الجانب أيضاً ثابت، لأن الإيمان يرتبط بهذه الحقائق الثابتة التي لا تتغير ولا تتبدَّل.

(٣)- وجانب ثالث آخر من الجوانب الثابتة، والمرتبطة بحياة الإنسان، والذي وضع له الإسلام أحكاماً ثابتة: جانب العبادة، كيف نعبد الله سبحانه وتعالى؟ وكيف نؤدي واجبنا تجاهه؟ وكيف نُحَقِّق الحكمة التي خلقنا الله عزوجل من أجلها؟: ﴿ وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ۝٥٦ ﴾الذاريات، وللعبادة مفهومان:

أ- مفهوم عرفي ضيِّق، كما يقول العلماء: "العبادات المحضة"، وهذا المفهوم الضيق، يشتمل على الصلاة والصيام والزكاة والحج والعمرة والذكر والدعاء والذبح...الخ، هذه المسائل التي جمعها الفقهاء تحت عنوان "العبادات المحضة".

ب- وللعبادة مفهوم واسع وشامل يشمل كل حركات ونشاطات الإنسان، فإذا ما أراد بها وجْهَ الله سبحانه وتعالى، يشملها مفهومُ العبادة، فمن يتصدَّق، ومَـنْ يصافِحُ غيره، ومَن يحسن إلى غيره، ومن يتكسب كسبًا حلالاً ...الخ، هذا كله يشمله مفهوم العبادة بمفهومها الواسع.

فالعبادة جانب ثالث آخر من الجوانب الثابتة، وضع له الإسلام أحكامًا ثابتة، فمثلاً: الصلوات المفروضة الخمس، والزكاة بأنصبتها ومقاديرها، والحج والعمرة ومناسكهما، وكذلك الدعاء، والصيام، وضع لها الإسلامُ أحكاماً ثابتة لا تتغير، على سبيل المثال: الوضوءُ بأركانه الستة، مذكورٌ في الآية السادسة من سورة المائدة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِ ...٦﴾المائدة، وكل جوانب العبادة، وضع الإسلام فيها النقاط على الحروف، لأن التعامل مع الله سبحانه وتعالى، سواء التعامل الفكري النظري: (المعرفة والإيمان والعقيدة)، أو التعامل العملي: {إقامة شعائر التعبد}، مما لا يُدْرِكُها العقلُ، ولهذا وضع الله سبحانه وتعالى فيها النقاط على الحروف.

(٤)- والخُلق أو الأخلاق، سواء الأخلاق الفاضلة، (الخلق الحسن)، أو الأخلاق السيئة، أيضًا حدَّدها الإسلامُ، وضع لها أحكاماً ثابتة، فمثلاً: الصدق خلق حسن، والكذب خلق سيئ، وهكذا كل الأخلاق الأساسية، سواء الحسنة منها أو السيَّئَة.

(٥)- وجانب آخر من الثوابت في الشريعة الربَّانية الحكيمة، هو: الأحوال الشخصية: كيفية العلاقة بين الرجل والمرأة، وكيفية تكوين الأسرة، وحقوق الوالدين على الأولاد، وحقوق الأولاد على الوالدين، والزوَّجان كيف يتعاملان بعضهما مع بعض؟ وكذلك الأَقارب.

٢-المتغيِّرات: القسم الثاني من الأحكام، وهذا القسم أنواع:

١- الحكم والسياسة، ٢- الحرب والسلم، ٣- علاقة الدولة الإسلامية مع الدول الأخرى، ٤- الإِقتصاد، ٥- كل ما يَمُتُّ بصلةٍ الى الحياة في جوانبها المادية.

فالقسم الأول(الثوابت) يرتبط بالله سبحانه وتعالى وبجوهر الوجود وماهو ثابت فيه، وبروح الإنسان وحقيقة الإنسان، أي الجانب المعنوي، لكن القسم الثاني (المتغيرات) يتعلق بالجانب المادي، والجانب المادي يتغير ويتطور، لكن الجانب الروحي ثابت راسخ، ومن هنا استنبط العلماء قاعدة شرعية تقول: (الأصل في العبادات الحظر، (أي المنع) والأصل في المعاملات الإباحة، أو العفو)، كما يقول ابن تيمية رحمة الله عليه في كتابه: (**القواعد النورانية الفقهية**)، [(١)] وكذلك العلماء الآخرون ومنهم عبد الرحمن بن ناصر السعدي في كتابه: (**أصول الفقه المهمة والقواعد الشرعية**) [(٢)] والشاطبي في كتابه: (**الموافقات**)، وكذلك العز بن عبد السلام في كتابة: (**قواعد الأحكام في مصالح الأنام**)، وأبو حامد الغزالي، وغيرهم، كلهم يقولون إن الجانب الثابت في حياة الإنسان، والذي تحدثت عنه وضع له الإسلام أحكامًا ثابتة، لأن هذا الجانب لا يتغير ولا يتبدل، فيحتاج إلى أحكام ثابتة، وَوَضْعِ النقاط على الحروف، ولم يَتْرُكْهُ الله سبحانه وتعالى لعقل البشر، لأنه ليس في وسع الإنسان أن يُحَدِّد من هو الله؟ وماهي صفات الله وأسماؤه الحسنى؟ وكيف نتعامل مع الله؟ وما الآخرة؟ والجنة والنار؟ والروح والقدر؟ والأنبياء والكتب والملائكة؟ إذ هذا الجانب كله غيب، وبالتالي: فليس بإمكان الإنسان أن يُحَدِّد كيفية التعامل مع هذا الجانب، إيمانًا واعتقادًا، أوعملاً وممارسة.

لكن الجانب الثاني، (المتغيرات) والذي يُسمِّيه العلماءُ بالعادات أو المعاملات، فهذا الجانب بإمكان عقل الإنسان أن يُبْدِعَ فيه ويجتهد، ولهذا: (الأصل في العبادة: الإتباع)، الجانب العبادي يجب أن نتبع فيه النصوص الشرعية، لكن الجانب الدنيوي، (جانب

---

١) ينظر: ص١١٢.

٢) ينظر: ص ١٠٦.

المعاملات والعادات، الأصل فيه هو الإبداع)، فلا يُمنع من العادات والممارسات الدنيوية، والعادات المرتبطة بجانب الحكم والسياسة، والإدارة والإقتصاد، والسلم والحرب، إلا ما يصادم الشرع، لكن العبادة بالعكس: لا يُسمح بشيء من العبادة إلا ما نصَّ عليه الشرع، فالأصل في العبادات: الحظر أو المنع، فلا يمكن أن تبتدع شيئًا من العبادات، وكل إضافة في جانب العبادات، تُسمَّى ابتداعًا في الدين(بدعة)، ولهذا قال الرسول صلى الله عليه وسلم: (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه، فهو رد)، متفق عليه، وكلمة (أمرنا) هنا أي الجانب العبادي، الجانب الذي لا يُدْرِكه العقل، لكن هل يقصد الرسول صلوات الله وسلامه عليه الإبداعَ المتعلِّق بالعادات والمعاملات؟ لا، لأنه هو نفسه صلوات الله وسلامه عليه، كان يُبْدِعُ ويجتهد ويتشاور مع أصحابه، في الحرب والسلم والحكم والإدارة، والإقتصاد، ومختلف الجوانب المعيشية، بل قال في حديثه المشهور: (أنتم أعلم بأمور دنياكم)، يعني: في الجوانب الفنية والإختصاصية، وكان الرسولُ عليه الصلاة والسلام يستشير أهلَ الإختصاص ويُقِرُّهم بعد أن يتبين له أن نظرهم صحيح، كما فعل مع (الحباب بن المنذر) في معركة بدر، عندما أراد الرسول عليه الصلاة والسلام أن ينزل في مكان، فقال: يارسول الله! أهذا منزل أنزلكه الله إيّاه، أم هي الحرب والرأي والمكيدة؟ فقال الرسول عليه الصلاة والسلام: بل هي الحرب والرأي والمكيدة، فقال: فليس هذا بالمنزل، يعني: ليس هذا بالمكان المناسب، وشرح له وجهة نظره، وبعد أن استمع إليه النبي عليه الصلاة والسلام قال: (لقد أشرت بالرأي)[1]، وكذلك قصة تَلْقيح النخل، والتي أَورْدناها في السابق فلا نعيدُها هنا، والتي قال لأصحابه في نهايتها: (أنتم أعلم بأمور دنياكم)، إذن هل يستوعب الإسلام مُستَجدَّات العصر؟ نعم، ولكن إذا ما فهم المسلمون دينَهم، كما هو، ولم يُقيِّدوا أنفَسهم ولم يُكبِّلوا أيديَهم بآراءٍ واجتهاداتٍ، ليست ديناً، وما أنزل الله بها من سلطان، وإنما هي نتاج العقل البشري في عصور أخرى وفي بيئات أخرى، وهكذا فعل

١) السيرة النبوية لابن هشام، ج٢ص ٣٣٦.

أئمتنا وعلماؤنا، فلم يَرَ عالِمٌ من العلماء، أنه مُلْزَمٌ بالأخذ بآراء وفتاوى واجتهادات مَنْ سبقه من العلماء، بل اجتهدوا: فكما اجتهد سابقهم، اجتهد لاحقهم، بل إن الشافعي رحِمَهُ الله وهو من الأئمة المجتهدين البارزين، لما كان في العراق كان له مذهب في الفقه، ولما انتقل إلى مصر، أعاد النظر في كثير من فتاواه ورؤاه واجتهاداته، وأنشأ لنا مذهبًا آخر، سُمِّي بالمذهب الجديد، ولو أن الشافعي رحِمَهُ الله عاش في عصرنا هذا، فأنا على يقين على أنه لأبدع وأنشأ لنا مذاهب أخرى كثيرة، كلٌّ منها حسب البيئة التي ينشأ فيها، وحسب الأعراف والعادات، وتغيُّر الأحوال والأزمان.

ولا شك أن الشافعي أوغيره من الفقهاء، إنما تغيَّرت وجهات نظرهم، في مجال الأمورالمتعلقة بالمتغيرات، وليس في مجال الثوابت، وكثير من الناس، بل وبعض العلماء، يتصورون أن المذهب الشافعي، يختلف عن المذهب الحنفي، أو الإِباضي، أو المالكي، أو الحنبلي، أو الظاهري، أو الزيدي، أو الجعفري، في كل الأمور!! لكن ليس الأمر هكذا، وإنما الإختلاف هو فقط في المجال الذي يقع فيه الأخذ والرد، وهي المسائل الفرعية التي لم تَحسِمها النصوصُ القطعيَّةُ الواضِحَةُ، والاّ لم يختلف إمامان أو فقيهان، حول أن: الصلوات المفروضة خمس، في كل يوم وليلة، وكذلك لم يختلفوا على الزكاة، أو صيام رمضان، أو أركان الحج والعمرة، وكذلك لم يختلفوا في الأخلاقيات، أن هذه قائمة الأخلاق الحسنة، وهذه قائمة الأخلاق السيئة، وكذلك الحلال والحرام، في كثير من المجالات ثابتان.

ولهذا استنبط العلماءُ قاعدة أخرى تُعَبِّر عن هذا التغيّر في الجانبين الأساسيين في الإسلام: جانب الثوابت، وجانب المتغيرات، تقول: (هناك تفصيلٌ في الثوابت، وإجمالٌ في المتغيرات)، يعني: الأمور الثابتة، جاءت النصوص الشريعة بالتفصيل فيها، ووضع النقاط على الحروف، وكل أمور المعرفة والإيمان والعقيدة، هكذا، لم يتركها سبحانه وتعالى حتى للرسول صلوات الله وسلامه عليه، كما أَثْبَتُّ هذا وبينْتُه في موسوعتي: (الإسلام كما يتجلى في كتاب الله).

وهناك إجمالٌ في المتغيرات، الأمور التي تتغير بتغيُّر الحياة، أجْمَلَ فيها الإسلامُ، ووضع إطارًا واسعًا، وخطوطًا عريضة، وترك فراغات كثيرة، ليملأها العقلُ البشريُّ، حسب المستجدات التي تحصل في حياته الفردية والأسرية والإِجتماعية والسياسية.

ameer.maktab@yahoo.com

/AliBapir /AliBapir /MediaAmeerOffice

www.alibapir.net

٣٧

دَحْضُ اتِّهام كون الإِسلام سبب تخلُّف المسلمين

هنـاك مَـنْ يقـول: إن الإسـلام هـو سـبب تـأخُّرِ وتخلُّـف المسـلمين والمجتمعات الإسلامية، فيتّهِمون الإسلام بقواعـده ونصوصـه وسـنته وقرآنـه، أنـه هـو السـبب في تـأخر المسـلمين والمجتمعـات الإسـلامية كيف تردُّون على هؤلاء؟

ـــ الردُّ على هذا الإِتّهام سهل، وأكتفي بثلاثة أجوبة على هذا الإِتّهام الباطل:

١- الإسلامُ كان سبب تقدُّمِ المسلمين، عندما كان المسلمون فاهمين لدينهم فهمًا صحيحًا، ومتمسكين به تمسكًا جيدًا، وهذا ما ثبت خلال ثلاثة عشر قرنًا، وهي عُمر الدولة الإسلامية بحلقاتها المتعدِّدة، منذ تأسيس الرسول عليه الصلاة والسلام للدولة الإسلامية في المدينة المنورة، ثم زمن الخلفاء الراشدين، وبعد ذلك زمن الأُمويِّين، وزمن العباسيين، وزمن العثمانيين، ثلاثة عشر قرنًا والإسلام وكيانُهُ السياسيُّ كانَ ظلاً وارِفاً يُظَلِّلُ المُنْضَوين تحت رايته، من الشرق إلى الغرب، ومن الشمال إلى الجنوب.

إذن: نحن لدينا دليل من الواقع، والتجربة أحسن برهان.

٢- من يقولون هذا، يقيسون الإسلام على النصرانية، والمجتمعات الإسلامية على المجتمعات الغربية:

أ- أما بالنسبة للدين النصراني - المُحرَّف وليس الحقيقي، لأن شرائع الله سبحانه وتعالى كلها صحيحة، لكن النصرانية حُرِّفَت كما حُرِّفت اليهودية وكل الشرائع السماوية السابقة على الإسلام - كان فعلاً سبب تخلُّف الغربيين، {ووضحت هذا في كثير من كتبي، على سبيل المثال: (مسائل عصرية رائجة)، والعلماء المعاصرون تحدثوا حول هذا الموضوع بإسهاب وتفصيل}، لأن النصرانية بعد تحريفها، تحوَّلت إلى ألعوبة بيد البابا والقساوسة وطبقة الأكليروس (رجال الدين)[1]، أجل النصرانية بعدما انحرفت وحُرِّفت على يد (قسطنطين) في مجمع (نيقية) في سنة (٣٣٠م)، وبعدما أُدخل فيها الثالثوث، (الأب والإبن والروح القدس)[2]، وأُدخلت فيها أشياء أخرى، مثل: صكوك الغفران، وادِّعاءِ البابا أنه نائبٌ عن الله، يغفر الذنوب، ويُعطي الجنة، ويمنع من جهنم!! فهذه التحريفات

١) مع الأسف يستعمل كثير من المسلمين هذا المصطلح لعلماء الإسلام، لكن لا يجوز أن نسمِّي علماءَ الإسلام، رجال الدين؟ لأن في الإسلام، يُعتبر كلُّ من هو عالم وفقيه في الدين: "عالم دين" بدون أن يكون له زيٌّ معين، وشكل معين، وبدون أن ينتمي إلى طبقة معينة، وبدون أن يدَّعي أن فهم القرآن والسنة حِكْرٌ عليه، لكن في النصرانية الوضع يختلف.

٢) الدين المسيحي كبقية شرائع الله سبحانه وتعالى كان دين التوحيد، والمسيح لم يكن إلا عبدًا لله سبحانه وتعالى ورسول الله ، نعم لم يكن له أب، لكن الله سبحانه وتعالى هكذا خلقه من أمه فقط، كما خلق آدم، يقول سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ﴾آل عمران، ولما جاء وفد نصارى نجران إلى مدينة الرسول عليه الصلاة والسلام، وناقشوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا له: لماذا تَشْتُمُ صاحِبَنا؟ قال: كيف نشتمه؟ قالوا: أنت تقول عبد الله ورسوله، قال: وأي شئ في هذا؟ قالوا: فمن يكون أبو المسيح، إذا لم يكن ابنًا لله؟ فأنزل الله سبحانه وتعالى هذه الآية المباركة:
﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ﴾آل عمران، أي إذا كان المسيح له أم، وليس له أب، فآدم ليس له أب ولا أم!.
ينظر: الإستيعاب في بيان الأسباب، ج١ص٢٤٤-٢٤٧، حيث أورد عدة روايات بهذا الصدد، لكن تكلم في أَسانيدها وضعّفها كلها.

الجِسامُ والبِدَعُ العِظام، جَعَلتِ المسيحية حَجَرَ عثرة وسبب تأخر المجتمعات الغربية، ثم باسم الدين والمسيح وباسم الله سبحانه، تحالف البابا والقساوسة ورجال الدين المسيحي، مع الإقطاع من جانب، والملوك من جانب آخر، فنشأ ثالوث مشئوم: (البابا + الإقطاع + المَلِك)، كان البابا يمثل الإستبداد الديني والروحي، والإقطاع يمثل الإستبداد الإقتصادي، والمَلِكُ يُمَثِّل الإستبدادَ السياسي، هذا الثالوث صار كابوسًا ثقيلاً على صدور الغربيين، ولهذا انتفضوا وثاروا بوجهِهِ، وتَخلَّصوا منه، فرفضوا حكم الملك، ورفضوا الإقطاع، ورفضوا الحكم الديني: (الثيوقراطي)[1].

فهؤلاء الذين يقيسون الإسلام على النصرانية، والمجتمعات الإسلامية على المجتمعات الغربية، يُخْطِئون بحق دينهم، خطأً فظيعًا جدًا.

٣- ثم من جانب آخر: عندما ننظر إلى دين الله الخاتم، إلى القرآن وإلى السنة النبوية المباركة، لا نجد شيئاً يمنع من العلم، ومن حُرِّية الرأي وحرية الفكر، بل القرآن مليءٌ بالآيات التي تدعو إلى إعمال العقل والتفكير، وتُنَدِّدُ بمن يتَّبعون أسلافَهم ويقلِّدونهم، هذا بعكس (الكتاب المقدس) الذي هو الآن لدى أهل الكتاب بعهديه القديم والجديد، واللَّذين قد طَالعْتُهما بدقة، ووجدت في الكتاب المقدس

---

١) كثير من المتعلِّمين أو المتعالمين من العلمانيين، يخلطون الأوراق ويدَّعون أن الإسلام أيضاً فيه حكم ثيوقراطي، حكم ديني! لكن لا، الحكم في الإسلام مَدَنِيٌّ، وذلك لأن الفرق بين الحكم الديني والمدني، هو أن الحكم الديني، يدَّعي فيه أحد أنه نائب عن الله ويتكلَّم باسم الله، ولكن لا يوجد في الإسلام مثل هذا: والدليل أن سيِّدَنا أبا بكر رضي الله تعالى عنه عندما انْتُخب خليفةً، قال: (فَإني قد وُلِّيتُ عليكم ولست بخيركم، فإنْ أَحْسَنْتُ فَأَعِينُوني، وإنْ أَسَأْتُ فَقَوِّمُوني. أَطِيعُوني ما أَطَعْتُ اللَّهَ ورسولَه، فإذا عَصَيْتُ اللَّهَ ورسولَه فلا طاعةَ لي عليكم. والضعيفُ فيكم قويٌّ عندي حتى آخذ الحقَّ له، والقويّ فيكم ضعيفٌ عندي حتى آخذَ الحقَّ منه)، السيرة النبوية لابن هشام، ج٤ ص٣٩٣، إذن هذه كانت سياسة الخليفة الأول في الإسلام: لا ٱدعاء فيه أنَّ له امتيازاً على غيره من الناس.

أشياءً كثيرة لا يستسغيها العقل،[١] خصوصًا: العهد القديم، لكن القرآن: نَتَحَدَّى الإنس والجن، أن يأتوا بآية منه تتعارض مع العقل أو العلم أو الواقع!

١) ينظر: الكتاب الخامس من موسوعة: (الإسلام كما يتجلى في كتاب الله)، والذي خصّصناه بالحديث عن كتب الله تبارك وتعالى.

٣٨

الأسباب الحقيقية لتقدُّم الغربيين وتخلُّف المسلمين في مجالات الحياة المادية، في هذا العصر

كنا نتحدث عن كيف يدحض الشيخ مقولة أن: (الإسلام هو السبب وراء تخلُّف المسلمين وتراجعهم)، أوضح الشيخُ أن هذه شبهة واهية وردَّ عليها وفنّدها.

وليسمح لنا الشيخ أن نواصل الإجابة عن هذا السؤال بسؤال آخر: لماذا تقدم الغرب، وتأخر المسلمون؟ هل هذا الأمر عائد إلى ابتعاد الغرب عن الدين، أم الى تمسكهم بالدين؟ وهل تأخر المسلمين راجع إلى تمسكهم بالدين، أم ابتعادهم عنه؟

ــ كما قلنا في السابق: عندما كان المسلمون فاهمين لدينهم، ومتمسكين به، تَقَدَّموا وبزّوا غيرهم، وهذا واضح في طول التأريخ الإسلامي، وفي مختلف المجالات: الحكم والسياسة، والإدارة، والإقتصاد، والأخلاق، والعلم والثقافة، والمدنية والحضارة...

إنما جاء تراجع المسلمين وانكسارهم وهبوطهم، بعدما ابتعدوا عن الفهم الصحيح للإسلام، فهم ظَلُّوا مسلمين، ولكنهم ابتعدوا عن الفهم الصحيح للإسلام، بعدما أغلقوا باب الإجتهاد بعد القرن الرابع الهجري، وعَطّلوا عقولَهم وَقلَّدوا أسلافَهم، فانطبق عليهم قول الله عزوجل: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُوْاْ

﴿حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ...﴾ (١٠٤) المائدة، هنا يُندِّدُ الله عزوجل بالمشركين، لكن انتحل المسلمون بعض صفات المشركين، ومن ضمنها هذه الصفة: تقليد الأسلاف وتعطيل عقولهم، فيجب أن نجدِّد فهمَنا للإسلام – أي الجوانب الخاضعة للأعراف والعادات والأوضاع المتغيِّرة منه – حسب تَغَيُّر الظروف والأحوال، وعند ذاك فقط، – أي عندما لانَتَخلَّفُ عن ديننا – لا يتخَّلَفُ دينُنا عن واقع حياتنا.

وبالنسبة لتقَدُّم الغربيين المادي، نُسَجِّلُ هذه البنود الثلاثة:

أولاً: عندما كان المسلمون متقدِّمين في مختلف المجالات الحياة، كان الغربيُّون متأخرين جداً، وعندما يَعُدُّون العصور الوسطى – أي القرون العشرة من القرن السادس إلى القرن السادس عشر– بالعصور المظلمة، هذا صادق بالنسبة للغرب، أما بالنسبة للمسلمين، فكانت تلك العصور، عصور ازدهار وتطور، حتى بعدما أغلقوا باب الإِجتهاد، لكن بقي الزخم الذي أَطْلَقُه الجيلُ الأول والأجيال الخَيّرة في الإسلام، بقي هذا المد وهذا الزخم، يَمُدُّ الأجيال الأخرى بالطاقة والحيوية.

نعم كان الغرب في ظلام دامس من كل النواحي، خصوصاً من الناحية السياسية، كانوا يؤلِّهون حكامهم، لكن في الإسلام لم يَدَّعِ على الإطلاق أي حاكم من حكام المسلمين شيئاً من الألوهية أو الربوبية على الناس، نعم انحرف بعضُهم من ناحية تَغَوُّل السلطة خصوصاً في زمن الأُمويين، ثم في زمن العباسيين، وكذلك في زمن العثمانيين، فَضَخَّموا الدولة على حساب إِرادة الجماهير، لكن لم يدَّعِ حاكمٌ، بأن له حق التشريع والتحليل والتحريم والنهي والأمر بإطلاق، وإنما المرجعية الوحيدة كانت تتمثل بالشريعة (الكتاب والسنة)، وكان العلماء هم الذين يُصْدِرون الفتاوى، ويتصدَّون لقضايا الحلال والحرام والأمر والنهي.

ثانياً: إنّما تقدَّم الغربيون عندما تخلَّصوا من دينهم المحرَّف، وليس دينهم الصحيح، الدين المحرّف الذي أُدخلت فيه أشياء كثيرة، ما أنزل الله بها من سلطان، وقد أشرت إلى بعضها في السابق.

ولكن وضع المسلمين، كان بعكس الغربيين، الغربيون لما تَخلَّصوا عن دينهم المحرَّف، تقدموا، والمسلمون لَمّا تخلَّوا عن دينهم الصحيح، تَخلَّفوا، وعندما كانوا متمسكين به، كانوا مُتَقدِّمين ومُتَطوِّرين!

وموضوع: سبب تقدُّم الغربيين، وسبب تأخر المسلمين موضوع قديم جديد، المرحوم أديب البيان: شكيب أرسلان رحمه الله، في بداية القرن العشرين، طرح هذا السؤال في كتاب (**لماذا تأخر المسلمون وتقدم غيرهم؟**) فأجاب حسب ما يرتئيه في عصره إجابة رصينة، والآن نحن نقول: إن الغربيين لم يتقدَّموا بسبب تمسُّكهم بدينهم، حتى يكون هذا دليلاً على أن النصرانية، تتفوق على الإسلام، وقد ردَّ على هذا الزعم وفنَّده الشيخ محمد عبده المصري رحمه الله في كتابه: (**العلم والمدنية بين الإسلام والنصرانية**)، في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين.

وخلاصة القول:

أن النصرانية ليست سبب تقدم الغربيين، بل إن التقدم والتأخر ظاهرتان مستندتان إلى أسباب موضوعية، فالغربيون اكتشفوا بعض سنن الله سبحانه وتعالى في خلقه، فاتبعوا تلك السنن، والتي منها:

أ- أن الإجتماع سبب النصر، والتفرُّقَ سبب الهزيمة، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ ... ﴿٤٦﴾ ﴾الأنفال.

ب- وكذلك إعمال العقل والتجديد والإبداع سبب التقدُّم، وإقفال العقل وإغلاق باب الإجتهاد، سبب التخلُّف.

وإنَّما تُكتَشف السُّنَنُ الكونية بالبحث والسير في الأرض، كما قال تعالى: ﴿ قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ بَدَأَ ٱلۡخَلۡقَ ... ﴿٢٠﴾ ﴾العنكبوت، ومن اكتشف سنن الله وقوانينه في خَلقه، ثم اتَّبعها والتزم بها، أوصله هذا الى الأهداف التي يرومُ تحقيقَها، كما يقول سبحانه وتعالى عن ذي القرنين: ﴿ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَن ذِي ٱلۡقَرۡنَيۡنِۖ قُلۡ

﴿سَأَتۡلُواْ عَلَيۡكُم مِّنۡهُ ذِكۡرًا ۝٨٣ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَءَاتَيۡنَٰهُ مِن كُلِّ شَيۡءٖ سَبَبٗا ۝٨٤ فَأَتۡبَعَ سَبَبًا ۝٨٥﴾ الكهف، أجل: عندما تكتشف تلك السنن وتتَّبِعها وتستفيدُ منها، ستَتقدَّم، وعندما تَتنكَّرُ لسنن الله سبحانه وتعالى، أو تَعرِفها، ولكن لا تلتزم بها، تَتخلَّف.

وللإِنصاف نقول: اليابانيون دينهم وثني، والهنود يعبدون البقر، والصينيون في أغلبيتهم يعبدون بوذا، فهم وثنيون، ليس لديهم دين سماوي، سواءٌ صحيح أو محرّف، بل لهم أديانهم الوضعية، لكن لم تمنعهم أديانهم الوضعية والوثنية، من التقدُّم، لماذا؟ لأنهم اتبعوا سنن الله سبحانه وتعالى في خلقه.

لكن هنا يجب أن نُذَكِّر بهذه الحقيقة: إن تَقَدُّم الغرب وكذلك الشرق: (اليابان والصين والهند)، ليس تقدُّمًا وتطوُّرًا متكاملاً، بل هناك تَقَدُّمٌ في الجانب المادي، ولكن هناك تَخَلُّفٌ في الجانب الروحي والإنساني والمعنوي والخلقي، وهذا واضح للعيان.

وكذلك نحن المسلمين نعم انحدرنا وانكسرنا مادياً، بسبب تَخَلفُنا عن ديننا، ولكن مازال لدينا خير كثير، في الجانب المعنوي والروحي، والذي تحتاجُهُ البشرية أَيَّمَا حاجة، نعم بما أن المسلمين ظلوا متمسكين بالإسلام في الجوانب: الفردية والأسرية والإِجتماعية، فالبشرية بحاجة إلى كثير من القيم الروحية والإِجتماعية والإنسانية، التي يجسِّدها المسلمون في حياتهم الشخصية والأسرية والإِجتماعية.

خلاصة القول:

تقدم الغرب أو الشرق، ليس بسبب صِحَّةِ أديانهم، وتَأَخُّرنا ليس بسبب خَطَأٍ في ديننا، بل بالعكس: نحنُ تخلَّينا عن ديننا، طبعاً لا أقول: تخلَّينا عنه كلّيا، وأصبحنا ملاحدة أو زنادقة!! لا، بلْ تخلَّينا عن ديننا من حيث أن نفهمه فهمًا صحيحًا، ونلتزم به التزامًا صحيحًا، وهذا على كل المستويات: على مستوى الحكام، وعلى مستوى العلماء، وعلى مستوى الجماهير، نعم من العلماء مُجَدِّدون ومُبْدِعون، ولكن أولئك يُمثِّلون الأقلية من علماء الأمة – حسبما أرى – والأكثرية منهم أهل جمودٍ وتقليد.

ثالثاً: ثم إنهم – أي الغَربـيون – استفادوا أيضًا من الحضارة الإسلامية، إذ متى تقدَّم الغرْبُ؟ بعدما تَرْجَموا كُتُبَ المسلمين: القانون في الطب لابن سينا، وكتب الرازي في البصريات والفيزياء، وكتب جابر ابن حيان التوحيدي في الجبر والكيمياء، وكتب أبو حامد الغزالي، وابن رشد في الفكر والفلسفة، ومقدمة ابن خلدون في علم الإجتماع.

ثم لما نظروا في حياة المسلمين بعد اطّلاعهم عليها، من خلال الحروب الصليبية، ومن خلال السفر والتجارة، الى بلاد المسلمين، ومن خلال الدولة الإسلامية في الأندلس التي دامت ثمانية قرون، فالغربيون استفادوا كثيرًا من المسلمين من كل النواحي: الفكرية والخلقية والإدارية والسياسية، والصناعية والعلمية، ثم أضافوا من عندهم إلى ما أخذوه من المسلمين، بعدما أَعْمَلوا عقولهم وتَخلَّصوا من خرافات دينهم المحرَّف، فَتَقدَّموا وتطوَّروا.

أعتقد أن ما أشرت إليه فضيلتك، أشار إليه الشيخ محمد عبده قبل نحو مائة عام، عندما قال: (سافرت إلى فرنسا فوجدت إسلامًا، ولم أجد مسلمين، فلما عُدْتُ إلى مصر وجدتُ مسلمين، ولم أجد إسلامًا)، ما رأيك في هذه المقولة؟

ـــ هذه المقولة فيها كثير من الصحة، نعم فيها شيءٌ من المبالغة، لكن فيها كثير من الصحة، لماذا؟ لأنه لحَدِّ الآن عندما تذهب إلى الغرب والدول الغربية، تجد فيها كثيراً من القِيَمِ الإسلامية التي جَسَّدوها في حياتهم بدون أن يُسْنِدوها إلى الإسلام، فمثلاً: في مجال الحياة السياسية، هناك: التداول السلمي للسلطة، إذ طبقوا الآية المباركة: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ...﴿٣٨﴾﴾ الشورى.

وكذلك طبقوا كثيراً من تعاليم الإسلام في حياتهم الإجتماعية، مثل: الدفاع عن المظلومين وحقوقهم، وتثبيت الحريات والحقوق، لكل شرائح المجتمع، وصَوْنِهِ كرامَةَ الناس، وهذه كلها من بديهيات الإسلام، وكذلك التعامل مع الناس كناس، بدون النظر

إلى انتماءاتهم الدينية والعرقية والقومية والحزبية، وهذا كُلُّه يخالِفُ ما نعيشه في واقعنا الحالي.

وهذا يجرُّنا إلى قضية أخرى: فقهاؤنا القُدامى قَسَّموا الدنيا، إلى: دار الإسلام، ودار الكفر، أو دار الحرب، ودار السلم، وهذا التقسيم لم يأت به الإسلام، ولا يوجد هذا التقسيم لا في آيات القرآن، ولا في السنة النبوية، وإنما استنبطة العلماءُ من الواقع الذي كانوا يعيشون فيه، لكن الآن أين هي دار الإسلام، دار السلم والأمن، بالنسبة للمسلمين؟ كثير من الدعاة والعلماء عندما يَضِيقُون ذرعًا ببلدانهم، ويُضْغَطُ عليهم، يذهبون إلى الغرب والدول الغربية، وهناك يجدون الأمن والإستقرار والسلم، إذن أصبحت تلك الدول: دار أَمْنٍ وسِلْمٍ بالنسبة لكثير من المسلمين، وبالعكس: أصبحت بلدانهم: دار حرب ودار تضييق خناق عليهم، لذا يجب أن نعيد النظر في كثير من الأمور.

المهم أن تكون هذه الحقيقة واضحة للعيان: أنَّ المسلمين لم يُعطِهم الله حقَّ القيتو بأنهم طالما سَمَّوا أَنْفُسَهم: مسلمين، سيكونون فوق الجميع، وسيكونون في المستوى الأعلى! لا، يقول سبحانه وتعالى: ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾﴾ النساء، فعندما يتخلَّى المسلمون عن دينهم، كلِّياً أو جزئياً، يُعرِّضون أنفسَهم لعقاب الله العدل، على سبيل المثال: عندما يَتخلَّى الحُكَّامُ عن الشورى في إدارة دفّة الحكم، وقبلها في كيفية إِسناد السلطة إِليهم، كما يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ...﴿٣٨﴾﴾ الشورى، فَيَتسلَّطونَ على رقاب الشعوب بدون أن يستشيروهم! هل يتوقَّعون ويأملون أن يكونوا بمنجاة من عقاب الله الدنيوي قبل الأُخروي!!

وكذلك عندما يتخلَّى الأغنياء والأثرياء عن الإلتزام بالشريعة، ويكون همّهم الوحيد: تكديس الثروة، دون أن يسألوا عن الحلال، والحرام؟ حيث الآن استشرى فسادٌ كثيرٌ في

المجتمعات الإسلامية، والكلّ يُسْنِدُ نفسَه إلى الإسلام، ولكن تصرُّفاته، وخُلُقه الشخصي، وتعامله مع عائلته، ومع مجتمعه، يخالِفُ ما يقولُهُ الإسلام، فينطبق عليهم قولُ الله سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ٣﴾الصف، لكن الغربيين جسَّدوا كثيراً من قيم الإسلام في حياهم، من الناحية الإِجتماعية والمادية، لكنهم في نفس الوقت يفتقدون كثيراً من القيم الروحية والخُلقية والإنسانية، والتي لا يمكن أن يحصلوا عليها إلا بعد أن يعرفوا الإسلام ويلتزموا به دينًا وعقيدة وعبادة.

ameer.maktab@yahoo.com
/AliBapir /AliBapir /MediaAmeerOffice
www.alibapir.net

٣٩

كيف نُقوِّمُ الشباب المسلم المنحرف، ونعيدهم الى الثقة بدينهم والإِلتزام به؟

مع الأسف الشديد مجتمعاتنا تعيش حالة ابتعاد عن الإِسلام فهماً وسلوكاً، وهذا الإِبتعاد قد يكون تكاسلًا أو انشغالاً بالحياة اليومية ولقمة العيش، والسعي والجري وراء الثراء وتحقيق مصالح دنيوية، وقد يكون ـ وهذا أشد وأخطر ـ عن قصد، بعض المسلمين سواء المفكرين أو الذين يزعمون أنهم مفكرون، أو الشباب بصفة خاصة، يتباهون بالإِبتعاد عن الإسلام ويقولون: نحن لسنا مسلمين، نحن مسلمون بالهوية، فما رأيك في هذه المسألة، وكيف نُقَوِّم هؤلاء؟ كيف نعيدُهم مرة ثانية إلى الدين الإسلامي وفَهْمِه فهماً صحيحاً واتّباعهِ؟

ـــ أخي العزيز! الأجواء التي يعيشها الإنسان، لها تأثير عليه سلبًا أو إيجاباً، فالآن عندما يفتح الشاب المسلم عينيه على الدنيا، ويرى مجتمعه المسلم مُتخَلِّفًا في أغلب جوانب الحياة، ويرى المجتمعات الإسلامية عالَةً على المجتمعات الغربية في كل أمورها، إذا المسلمون الآن: يأخذون كلَّ مُسْتَلزَمات حياهم من الشرق والغرب – هذا الشباب يحصل لديه إعجاب بالغرب، يقول ابن خلدون رحمهُ الله في مقدمة كتابه القيِّم:

(المقدمة): (المغلوب مُوْلَعٌ بتقليد غالبه، في زِيِّه ولباسه وسائر شئونه)، [١] والآن يرى المسلمون أنفسهم مغلوبين للغرب، وهذا واقع لا يُنكر، ولكن ليس هذا دليلاً على صِحَّة دينهم، بدليل أنه لما جاء التتر والمغول في القرن السابع الهجري، كانوا مُتَوحِّشين غاية التوحش، ولكنهم غلبوا المسلمين، وأسقطوا الدولة الإسلامية، واستولوا على عاصمة الدولة العباسية (بغداد) في سنة (٦٥٦) هجرية، فهل كان هذا دليلاً على أن التتر والمغول كانوا أكثر تقدمًا وتطورًا من المسلمين؟.

نعم عندما يرى المسلم وضعه السياسي والإقتصادي والإجتماعي والفكري والعلمي منحدرًا مُتَخَلِّفًا، ويقيس حالَته السيِّئة، بالحالة الجيِّدة للغربيّين، يحصل لديه إعجاب بهم، ثم كثير من العلمانيين يُطَبِّلون ويُزَمِّرون: بأن الغربيين إنما تقدموا عندما تخلَّوا عن دينهم، كذلك نحن إذا أردنا أن نتقدَّم، يجب أن نَتَخَلَّى عن ديننا، مع أن الأمر بالعكس: الغربيون تخلَّوا عن دينهم المحرّف، فتقدَّموا وتطوَّرت حياتهم، لكن نحن عندما كنا متمسكين بديننا الصَّحيح فهماً وسلوكاً، كنا متقدمين، ولما ابتعدنا عنه، أصبحنا متخلفين، فيجب أن تُوضَّح هذه الحقيقة للشباب.

وهناك بهذا الصَّدد حقيقة أخرى يجب فهمها وتجليتها، وهي: أنه لا يتقدم مجتمع ما إلا بمجموعه، وكذلك لا يتخلَّف إلا بمجموعه، هناك سنن الله سبحانه وتعالى في حياة المجتمعات، يجب أن يأخذ بها المجتمع كله، اذا أرادوا أن يتغيَّر الْمُجتمع ويتطوّر، وإلاّ اذا ما قام بعض الأفراد كأفرادٍ، ببعض الأمور الجيدة، وبالأخذ ببعض سنن الله سبحانه وتعالى، هل يُغَيِّر هذا من الواقع؟ لا، لأن الله سبحانه وتعالى يقول في سورة الرعد: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ...﴿١١﴾﴾الرعد، نعم ربما يُغَيِّر الله تعالى الحالة السيِّئةَ لشخص، إذا ما صحَّح عقيدته، وقَوَّمَ فِكرَهُ وسلوكَهُ، لكن بالنسبة للمجتمع، يجب أن يتجه كُلُّه نحو الطريق الصحيح، وإلاَّ فقيام بعض الأفراد ببعض

---

١) المقدمة، ص١١٧، ١١٨ (فصل: في أن الأمة إذا غُلبت وصارت في ملك غيرها أسرع اليها الفناء)

الأعمال الجيدة، هذا يعود عليهم بالنفع لهم وحدهم، هذا بالنسبة للجانب الإيجابي أو جانب البناء، ولكن الوضع بالنسبة للجانب السَّلبي أو جانب الهدم، يختلف: يقول الله سبحانه وتعالى في سورة الأنفال: ﴿وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ... ﴿٢٥﴾﴾ الأنفال، يعني: فئة ظالمة في مجتمع ما عندما تمارس الظلم، يعود الوَبالُ على الجميع، فالهَدْمُ أسهل من البناء، الهدم بإمكان واحدٍ أن يقوم به، لكن البناء لا يتم إلا بالعمل الجماعي، والبناء يحتاج إلى زمان وتضافر الجهود.

فيجب على الجميع: الجماعات الإسلامية، والمسئولين والعلماء والمؤسسات الرسمية والدعاة والأفراد والأسر، أن يَبْذُلوا قصارى جهودهم لإصلاح هذه الأوضاع السيئة، إذ سببُ انحراف الشباب وغيرهم عن الجادة الصحيحة، هو هذه الأجواء التي يعيشها الشباب، وعلى الجميع أن يُكَثِّفُوا جهودَهم ويتضامنوا فيما بينهم، لتغيير هذه الأحوال، كما يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ... ﴿١١﴾﴾ الرعد.

> **حتى يغيروا ما بأنفسهم، إذن هناك شرط: إن الله لا يغير ما بنا، إلا إذا كان لدينا العقيدة والعزم الصحيح، وسَعَيْنا في الإطار الصَّحيح.**

ـــ نعم، يقول العلماءُ: (مَا بِأَنفُسِهِمۡ)، أي ما بحالهم من حيث الواقع، ويقولون هذه الكلمة تعطي ثلاثة مفاهيم:

١- ما يعتقدونه من الأفكار والآراء.

٢- وما يحملونه من المشاعر القلبية والأحاسيس.

٣- ما يَتَخلَّقون به من التصرُّفات والسلوكيات.

إذن يجب أن تَتَغيَّر في ذوات: الأفراد ثلاثة أشياء، ثم بعد ذلك ليس الواقع إلا انعكاسًا لما يحمله الأفراد من آراء وأفكار، ومشاعر وأحاسيس قلبــية، وسلوكيات وخُلق، فــإذا أردنا لمجتمعٍ مّا أن يتغير، يجب أن نركِّز على تغيير ما بالأنفس، حتى يتغير الواقع والحال.

٤٠

التَهجُّم على الإِسلامِ المُتَجسِّد في الكتاب والسنة:
سببه الرَّئيس الحقد الدَّفين، والحرص على المصالح اللاّشرعيّةِ

للأسف الشديد في هذه المرحلة التي نعيشها لا نجد دينًا من الأديان يتعرَّضُ لهجمات تشويهٍ مثل الإسلام، سواء من الغرب، أي بعض القوى الغربية، وهذا منطقيٌّ وربَّما مبرَّر، أو - للأسف - من الداخل أيضًا، مِمَّن يدينون بالإسلام، في رأيك لماذا يتعرَّضُ الإسلامُ لهذه الهجمات الدائمة، وكأننا أمام مُخطَّطٍ مُسْتمِرِّ الحلقات؟

ـــ قبل أن أجيب على سؤالك: لماذا يَتَعرَّض الإسلامُ للهجوم؟ أريد أن أُبين حقيقة مهمةً جدًا، وهي أنَّ الإسلام هو دينُ الله الخاتَمُ المتمثِّلُ في القرآن العظيم - وهو آخر كتب الله سبحانه وتعالى التي أنزلها للبشر - وفي سُنَّةِ النبي صلى الله عليه وسلم، وليست سنة النبي إلا تطبيقًا للقرآن وتجسيدًا له على أرض الواقع، ولا أقصد بهذا أن وحي الله منحصر في القرآن، بل جزء من الوحي مُتَجَسِّدٌ في السنة، ولكن سنة النبي صلى الله عليه وسلم ليست شيئاً مغايراً ومخالِفاً للقرآن، بل السنة النبوية ليست إلا تجسيدًا وتطبيقًا لما يقوله القرآن، كما تقول سيدتنا عائشة رضي الله عنها، أم المؤمنين الصديقة بنت الصديق، لما سُئلت عن خلق النبي؟ فقالت: (كَانَ خُلُقُهُ

الْقُرْآنَ)[١]، أي إن تصرفات الرسول عليه الصلاة والسلام ومواقِفَهُ وممارساتِهِ، كانت مُستندَةً إلى كتاب الله سبحانه وتعالى، هذه التصرّفات والممارسات والسلوكيات والخُلَق، سواء ارتبطت بالجانب الشخصي، أو الجانب الأُسرَيِّ، أو الإِجتماعي، أو السياسي.

وقَصْدي من إِيضاح هذه الحقيقة التي بينْتها في أكثر من مُناسبة، هو: أن لانَخْلِطَ بين مَنْ يَنْتَقِدون فهوم المسلمين وتصرُّفاتهم التي قد يُجانبون فيها الحق والصَّواب، وبين مَنْ يُهاجمون الإسلامَ المتجسِّد في وحي الله المعصوم: قرآناً وسنة، ولا نَحْسِبَ كلَّ مَنْ يَنْتَقِدُ شيئاً من فكر المسلمين وتُراثهم، عَدوّاً للإِسلام ومهاجماً عليه!

وجواباً على سؤالك أقولُ: إن الإسلام أنزله الله سبحانه وتعالى ليكون آخر نسخة من هداية الله سبحانه وتعالى للبشر، فلا يأتي بعد الإسلام دين مُوحى به من الله سبحانه وتعالى، ولا ينزل بعد القرآن كتاب، إذن: أنزل الله سبحانه وتعالى الإسلام ليكون منهاج البشرية، منذ عصر الرسول عليه الصلاة والسلام وإلى آخر إنسان يعيش على هذه الأرض، ولهذا جعل الله سبحانه وتعالى في الإسلام المقوِّمات التي تجعله باقيًا وقائمًا على ساقِهِ إلى قيام الساعة، وهذا هو الجانب المهم والأساسي الذي يختلف فيه الإسلام عن الشرائع الأخرى، ولا أقول: الأديان الأخرى لأن الدين عند الله سبحانه وتعالى واحد، وإنما الشرائع مختلفة: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ...﴿٤٨﴾﴾المائدة، لكن الدين واحد، وهو الإسلام فحسب: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ...﴿١٩﴾﴾آل عمران، الشرائع والمناهج المنزلة من الله سبحانه وتعالى، حسب الظروف والأحوال المختلفة والمتغيرة للبشر وحسب المجتمعات، كانت متنوعة ومتعددة، لكن الدين واحد في أصوله وخطوطه العريضة وجوهره وأساسياته، فهذا الدين الذي بإمكانه أن يستمر ويعيش ويحافظ على حيويته، هذا الدين هو الذي يُهاجَم، مَنْ يُهاجَمُ؟ ومَنْ يُعادى؟ لاشك أنه

١) أخرجه أحمد برقم: (٢٤٦٤٥) تعليق شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح. وجاء في صحيح مسلم بهذا اللفظ: (كان خلق نبي الله القرآن): ٧٤٦.

لا يهاجم ولا يعادي إلا مَنْ له وجود، لأنك قلت: لا يوجد دين يُعادى ويُهجَمُ عليه كما يُهْجَم على الإسلام، وسبب هذا معلوم: الأديان الأخرى، لا تمتلك تلك الحيوية وتلك المقوِّمات التي تجعلها قائمة على ساقها، محافظة على وجودها، إذن: الهجوم الذي يتعرَّض له الإسلام والمسلمون، دليل على حيوية الإسلام، وعلى أن الإسلام بإمكانه أن يعيش ويستمر.

هذه الحقيقة يجب أن ندركها، وبعد ذلك ندرك السبب الأساسي والرئيس لمحاربة أعداء الإسلام للإسلام، وهجوم أعداء الإسلام على الإسلام والمسلمين، لأنهم يرون فيه وفيهم، تهديدًا على مصالحهم غير الشرعية، ويرون في الإسلام بديلًا لحضارتهم التي قامت على ساق واحدة، الحضارة الإسلامية تقوم على ساقين: (مادي ومعنوي) لكن هذه الحضارة العَوْراء العرجاء الحالية، تنظر بعين واحدة، وتقوم على ساق واحدة، يقول سبحانه وتعالى: ﴿ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ۝٧ ﴾الروم، فالحضارة والمدنية المزدهرة والمتطورة الآن، إنما هي مزدهرة ومتطورة في الجانب المادي فقط، وتنظر إلى الإنسان كَجَسَدٍ، وإلى الحياة كجانب مادي فقط، فالغربيون والشرقيون وأعداء الإسلام، يعلمون أن في الإسلام قوة كامنة، وفي القرآن قوة كامنة، وأن الإسلام بديل فكري، وبديل حضاري، وبديل ثقافي لحضارتهم العرجاء العوراء، ولهذا يهجمون على الإسلام، ويريدون أن يقتلعوا شجرة الإسلام من جذورها، بسبب ما يرون فيه من تهديد لوجودهم غير الشرعي، وجودهم الظالم، اذ الحضارة الغربية الآن، قائمة على ساق سحقِ المجتمعات الإسلامية وغير الإسلامية، ونهب خيراتهم والإستيلاء على مصائرهم، وهذا وضع لا يقبله الإسلام، عندما يكون بالمسلمين قوة، وتكون لهم حيوية ونشاط، فهم يُرَكزِّون هجومهم على الإسلام، حتى يُفْقِدوه تلك الحيوية، ويجعلوا المسلمين يتخلَّون عن دينهم.

أَتذكَّرُ أنَّني قرأت في كتاب: (**الغارة على العالم الإسلامي**)، والذي يتحدث عن عمل المبشرين، أن أحد المبشرين والقساوسة النصرانيين جَمَع المبشِّرين وخَطَبَ فيهم ـــ وهذا

في بداية القرن العشرين ــ فقال: ماذا فعلتم ببلدان المسلمين؟ فتحدث كل مبشِّر عن نشاطه وإنجازه، فقال: أنا لا أريد منكم أن تُدْخِلوا المسلمين في الدين النصراني، وإنما الذي أريده: أن تجعلوا المسلمين يخلعون الإسلام عن أنفسهم، ويَتَخلَّون عن دينهم، هذا هو الهدف المهم، لماذا؟ لأنهم يخافون الإسلام، ويعرفون ماذا في جعبة النصرانية المُحَرَّفة، مع احترامنا للمسيحيين كَبَشَرٍ، ومَكَوِّن أساسي لأهل الأرض، واحترامنا الكامل للدين المسيحي أو للشريعة المسيحية الصحيحة التي لم تُمَسّ، والتي تمثلت في الإنجيل الوحيد الذي أنزله الله سبحانه وتعالى على سيدنا عيسى، ولكن مع الأسف النصارى الآن لديهم أربعة أناجيل: (متّى ومرقس ولوقا ويوحنا)، وهذه الأناجيل الأربعة انتُخبت من بين أكثر من خمسين أو سبعين إنجيلاً، وإلاَّ نحن المسلمين، دينُنا يُلْزِمَنا أن نُكِنَّ كلَّ احترام لسيدنا المسيح عليه الصلاة والسلام، وكذلك لإنجيله وشريعته الصحيحة، قبل أن تُمَسَّ وتُحَرَّف.

كيف نواجه مثل هذه الهجمات؟

ــ هذه الهجمات يجب أن نجابهها بأن نعود إلى أصالتنا الإسلامية، نعود إلى الينبوع الصافي للإسلام، وهو القرآن والسنة النبوية المشرَّفة، فَبِقَدَرِما يتعمَّقُ فهمُنا للإسلام ويزدادُ تمسُّكنا بالإسلام، نُصبِح جدارًا صَلْبًا أمام تلك الهجمات، إذ ضعفُ المسلمين في واقعنا الحالي يعود إلى وهنهم في تديُّنهم، يعود إلى ابتعادهم عن دينهم ولجوئهم إلى الأفكار المستوردة من الشرق والغرب، ولكن كما يقول المثل: (مَنْ جرَّب المجرَّب حَلَّتْ به الندامة)، وكتب الشيخ الدكتور يوسف القرضاوي عدة كتب عن الحلول المستوردة، وجناياتها على المسلمين، نحن استوردنا سواء في مصر أوالبلدان العربية الأخرى، كثيراً من النظريات من الشرق والغرب، والتي تَتَمثَّلُ كلُّها في الإتجاه العلماني، والعلمانية هي أَلاَّ تَحْسِبَ حسابًا لله سبحانه وتعالى وللوحي وللرسول صلى الله عليه وسلم، وأن تَتَمحَّضَ للحياة الدنيا وتُفَكِّر فقط في حدود الدنيا، ولا تَحْسِبَ حسابًا للآخرة، هذا هو

جوهر العلمانية، فالمسلمون استوردوا كثيرًا من النظريات، لكن لم يستفيدوا منها شيئًا، ولم يَتَغيَّرْ واقِعُ حياتهم، مع أنهم قلَّدوا الغربــيين منذ القديم، منذ أن قال سلامة موسى: (يجب أن نقلِّد الغرب في كلِّ شيء، ونأخذ بحلوه ومُرِّه وخيره وشــرّه)، وكــثير مـــن الكُتاب المُتغَرِّبـــين طَبَّلوا وزَمَّروا لتقليد الغرب، من دون أن يَجْنَوا من تقليدهم هذا أدْنى فائدةٍ.

ذات يوم ناقشت أحد الأشخاص المنخلعين من الإسلام، فقـــال: إذا ابتعـــدنا عـــن الإسلام، نَتَقَدَّمْ، أنظر الى الغربـــيين صعدوا القمر، وكذلك الروس صعدوا القمر، ونحن مازلنا نركب الحمير والبغال!!

قلت له: أنت منذ متى تخَلَّيْتَ عن الإسلام؟

قال: منذ أن عَقَلتُ وترعرعت، تخلَّيت عن الإسلام.

قلت: لكنَّك مازلت في الحضيض ولم تصعد القمر! ياهذا! العيب فيـــك ولـــيس في دينك، وهم لم يصعدوا القمر بسبب تَمسُّكهم بأناجيلهم، ولا بتلمودهم ولا بتـــوراتهم، بل التقدُّم والتأخُّر ظاهرتان لهما أسباب أخرى، يجب أن نبحثها، لا أن نـــتَّهم أنفسَـــنا ونتصوَّر بأن الخطأ في ديننا!! بل للتطور والتقدم أسباب وسنن، يجـــب البحـــث عنـــها واكتشافُها ثم التمسك بها.

هل المشكلة في الإسلام، أم في المسلمين؟

ــ لا شك أن المشكلة في المسلمين، لماذا؟ لأن هذا الإسلام الذي في أيدينا الآن، هو الإسلام الذي بسببه؛ بسبب فهمه فهمًا صحيحًا، والتمسُّك به تَمسُّكاً حقـــاً، تقـــدم المسلمون وبزّوا جميعَ الأقوام والشعوب، بل إنهم أصبحوا مصدر خير لجميـــع الأقـــوام والشعوب، من حيث الفكر والعلم والتطور الإجتمـــاعي والعـــدل والقـــيم الكـــبرى، فاستفادت البشرية كثيرًا من المسلمين، عندما كان المسلمون متمسكين بإسلامهم، إذن: العيب فينا، والواقع التأريخي يثبت لنا هذا.

المهاجمون للإسلام سواء من الخارج أو من أبناء المسلمين، ينظرون إلى الإسلام وإلى القرآن والأحاديث الشريفة على أنّها تحُضُ على العنف والإرهاب، ويذكرون بعض الآيات طبعًا هم يُؤوِّلونها خطأ، ويقولون: إن القرآن الكريم مليء بآيات القتال والقتل وإرهاب الآخرين، فمثلاً: آية: ﴿وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً ...﴿١٢٣﴾﴾التوبة، هم يفسِّرونها على أنها دعوة إلى العنف والدموية، فماذا تقول لمثل هؤلاء؟

ـــ أقول لمثل هؤلاء، كما قلت لملا بختيار رئيس المكتب السياسي للإتحاد الوطني الكوردستاني، في مناظرة جرت بيني وبينه في (٢٠١٦/٤/١٠م)، اذْ قرأ بعض الآيات وكان يقرأها خطَأً، وما كنت أَلْحَقُ أن أُصَحِّح له الآيات، على أي حال، قال: كل هذه الآيات في القرآن: (وقاتلوهم)، ﴿وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً﴾، قلت له: ما الذي تقصده من وراء هذا؟ هل تريد أن تقول: إنه يجب على المسلمين ألاّ تكون لديهم أَظافِرُ يَحُكُّون بها أنفسهم! وأي دولة في الدنيا لا تملك ترسانة وقوة عسكرية، أمريكا والتي تتبجَّحُ على الدنيا بأنها تمثل الديمقراطية وتنشرها في العالم، ولو على ظهر الدبابات! أولا تملك أكبر ترسانة نووية ؟! إتفاق (كيوتو) للحدِّ من صنع الأسلحة الثقيلة، التزم به كل الدول، لكن لم تلتزم به أمريكا، والآن كما يقول: (نعوم تشومسكي)، المفكر الأمريكي اللامع الناقد الجريء، يقول: إن أمريكا تُنتِجُ من الأسلحة الثقيلة والفتاكة وحدها بِقَدَر ما تُنتِجُ كلُّ دول العالم، ولهذا لم تلتزم أمريكا باتفاق كيوتو للحد من الأسلحة، لماذا؟ لأنها ترى أن مصلحتها الإقتصادية فوق مصلحة البشر، اذ من جراء صنع تلك الأسلحة الثقيلة والمصانع التي تُصْدِرُ دُخاناً كثيفاً مُضِرًّا، تأثرت طبقة الأوزون ونـزلَتْ من خلال ثقوبها، أشعة تَضُرُّ البَشَرَ والحَجَرَ والبحر وكلَّ شيء، لكن أمريكا لا تلتزم، وكذلك الدول الكبرى الأخرى، كلٌّ على قَدرِهِ.

لِذا نقول لكل مَن يَتَّهِمُ الإسلاَمَ والمسلمين باللجوء الى القوة: هل الدولة الإسلامية يجب أن تكون مخلوعة الأظافر؟ هل يجب أن تكون عاجزة ضعيفة؟ في أي سياق يأمر الله

سبحانه وتعالى المسلمين بأن يكونوا أقوياء.

يقول سبحانه وتعالى في سورة الأنفال: ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٥٥﴾ ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنۡهُمۡ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهۡدَهُمۡ فِي كُلِّ مَرَّةٖ وَهُمۡ لَا يَتَّقُونَ ﴿٥٦﴾ فَإِمَّا تَثۡقَفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡحَرۡبِ فَشَرِّدۡ بِهِم مَّنۡ خَلۡفَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوۡمٍ خِيَانَةٗ فَٱنۢبِذۡ إِلَيۡهِمۡ عَلَىٰ سَوَآءٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡخَآئِنِينَ ﴿٥٨﴾ وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَبَقُوٓاْۚ إِنَّهُمۡ لَا يُعۡجِزُونَ ﴿٥٩﴾ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمۡ لَا تَعۡلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعۡلَمُهُمۡۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيۡكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تُظۡلَمُونَ ﴿٦٠﴾ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ فَٱجۡنَحۡ لَهَا وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٦١﴾ وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخۡدَعُوكَ فَإِنَّ حَسۡبَكَ ٱللَّهُۚ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٦٢﴾﴾ الأنفال.

في هذا السياق نزل قوله سبحانه تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ﴾، لماذا؟ وما الهدفُ من إعداد القوة؟! ﴿تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ﴾، فمن يعاديك، يجب أن تُرْهِبَهُ، لا يقول سبحانه وتعالى تُبيدون به، وإنما قال: ﴿تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ﴾، أي: ليرتَدِعوا ولا يَطْمَعوا فيكم، إذ السِّباعُ تطمع في الغزلان والحيوانات الضعيفة، هل رأيت ذئبًا يطمع في أسدٍ، أو نمرٍ، أو فَهدٍ؟ فهؤلاء العلمانيون الذين يَتَهجَّمون على الإسلام وآيات الجهاد والقتال في الإسلام، هل يريدون من المسلمين أن يزدادوا ضعفًا على ضعفهم؟ لماذا بلاد المسلمين الآن مستباحة للقوى الكبرى؟ ولماذا خيراتهم منهوبة، وإراداتهم مسلوبة؟ لاشك أنه

بسبب ضعفهم، فهل يريد هؤلاء أن نزداد ضعفًا؟ من الواضح أن: مثل هذه الأفكار والتوجُّهات لا تَخدِمُ إلا المشاريع الظالمة للدول الكبرى المُتسلِّطة على رقاب البشرية.

يقول سبحانه وتعالى في سورة البقرة: ﴿ وَقَـٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ ﴾البقرة، أي: قاتلوا وحاربوا من يَتعَرَّضُ لكم، ولا تتعرَّضوا لمن لا يقاتلكم، ﴿ وَقَـٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ ﴾، فمن لم يقاتِلْنا، لا يجوز أن نقاتِلَه، فكيف أن نَقْتُلَه؟ فإذا لم يَجُزْ قِتالُ طرفٍ، فالأحرى ألاَّ يجوز قَتْلُه، إذ ربما يتقاتل طرفان من الصباح إلى المساء، ولا يُقتل منهم أحدٌ.

والله سبحانه وتعالى يأمر المسلمين أن يكونوا أقوياء، حتى لا يطمع فيهم العدو: ﴿ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ﴾، وهذا مع من يقاتلنا، أو يعادينا، فالآيات الآمرة بالغلظة والشدة والعزة، يجب أن نتأمَّلها في سياقاتها التي وردت فيها، من الأخطاء الفادحة في التعامل مع كتاب الله سبحانه وتعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، أن ننتقي جملًا وكلمات من سياقاتها ونجتزئها ونخرجها من سياقاتها، فتعطي معاني خاطئة، كالذي تعامل مع هذه الآية المباركة: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَـٰرَىٰ ...﴿٤٣﴾ ﴾النساء، فحذف كلمة (سُكَـٰرَىٰ)، فصارت الجملة: (لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ)، هل الله أمر بعدم قربان الصلاة؟ لا، (وأنتم سكارى) يعني إذا كنتم سكرانين لا تُصَلُّوا حتى تعلموا ما تقولون.

وهذا هو سياق الأمر بالغلظة، يقول سبحانه وتعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَـٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا۟ فِيكُمْ غِلْظَةً ...﴿١٢٣﴾ ﴾التوبة، (يَلُونَكُم

﴿مِّنَ ٱلْكُفَّارِ﴾، أي: الأعداء المتربصين، الذين إذا لم تقاتلْهم، أبادوك، وإذا لم تكن قويًا، طمعوا فيك.

وهذا هو سياق الأمر بالشدة، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴿٢٩﴾﴾ الفتح، أشداء على الكفار، أي الكفار المقاتلين والمعتدين.

وهذا هو سياق الأمر بالعزّة على الكافرين: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ... ﴿٥٤﴾﴾ المائدة.

إذن: العزة على الكفار الأعداءِ المُقاتلين، وليس على كل الكفار، بدليل أن الله سبحانه وتعالى يقول في سورة الممتحنة: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾﴾ الممتحنة، وكذلك في سورة الأنفال: ﴿وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦١﴾ وَإِن يُرِيدُوٓا۟ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ... ﴿٦٢﴾﴾ الأنفال، حتى من أبدى لك صفحة السلم مخادعة، يجب أن تَقْبَلَ منه السِّلْمَ، ولا تتذرَّع بأنه يريد أن يخدعك: ﴿وَإِن يُرِيدُوٓا۟ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ﴾، يجب على المسلمين أن يقبلوا السلم من أي طَرَفٍ يَعْرِضُه لهم، لأنهم هم أصحاب السلم، والإسلام نفسه اسم مأخوذ من السِّلم، عندما يقول سبحانه وتعالى في سورة البقرة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً ... ﴿٢٠٨﴾﴾ البقرة، بعض المفسرين يُفسِّرون كلمة (السلم) هنا بالإسلام، أي: أُدخلوا في الإسلام كافة، والتزموا بالإسلام بكافة جوانبه.

لكن أسلوبهم أن يجتزئوا الآيات القرآنية ويَبْتروها من سياقاتها، الواردة فيها.

ـــ نعم، وهذا خطأ، وإذا تعاملنا مع القرآن أو مع السنة، أو مع أي نص آخر، غير الكتاب والسنة، حتى الكتب العلمانية، أو أي كتاب آخر، إذا تعاملت معه ومع نصوصه بهذه الطريقة المغلوطة، فسوف تستخرج وتستنبط أشياء، تتعارض مع ذالك الكتاب، أو النصوص التي يحتويها ذلك الكتاب، والأهداف التي يتغيَّاها.

إذن هذه الآراء التي تخرج منهم، تعَبِّرُ عن رؤية منقوصة وقاصرة للآيات القرآنية والأحاديث النبوية، وللمفاهيم التي وردت في الشريعة الإسلامية، وبالتالي لو كانت لديهم رغبة حقيقية في التفكير، في مجرد التفكير، لَنظروا إلى مثل هذه الآيات نظرة شاملة وفي سياقاتها، لكنهم لديهم نوايا سيئة، كالهجوم على الإسلام، لكن هل في نقاشاتك مع مثل هؤلاء، منهم من يرجعون إلى جادة الصواب، أم أنهم يَظَلُّون على طريقهم؟

ـــ يا أخي السيد! البشر كائن مُعَقَّد، ليس الإنسان عَقْلاً مجرَّداً، أو قلباً صافياً، وإنما الإنسان عقل ونفس وقلب وأشياء مشتبكة ومتشابكة، نعم فيهم مَنْ يرجع، ولكن هل يملك كل أحد الجرأة، جرأة القرار بالعودة إلى الصواب؟ هذا لا يمتلكه كل أحد، مشكلة هؤلاء، وعيب هؤلاء أنهم يحملون أفكارًا مُبيّتة ونظراتٍ خاطئة في قلوبهم وعقولهم، فيريدون إِسقاط هذه الأفكار والنظرات الخاطئة على النصوص الشرعية، وهم لا يَتَمكَّنون من هذا، إذا مانظروا إلى الآيات في سياقاتها، وإلى الأحاديث النبوية في سياقاتها، فيأتون إلى النصوص ويبترونها من سياقاتها ويجتزئونها، ثم يُسْقِطون عليها تلك الأفكار والرؤى الخاطئة التي بيّتوها سابقًا، لكن علماء المنطق والبحث والمناظرة يقولون: لا يصل الإنسانُ إلى النتيجة الصحيحة، إلا إذا تجرَّد من نيّاتٍ مُبيتة سابقة، يجب أن تتجرد وتكون موضوعيًا، وهؤلاء مع الأسف كثيرًا ما يدَّعون العِلْمَ والموضوعية

والحيادية، لكن عندما يتعلَّق الأمر بالتعامل مع القرآن والسنة، يخلطون الأوراق بعضها ببعض، وكما قلت: يريدون إسقاطَ الأفكار المبيتة والنظرات الخاطئة على النصوص، ويُحَمِّلُوها إِيّاها حملًا، وهذا أسلوب بعيد جدًا عن الموضوعية والحيادية، وعن الطريقة العلمية.

كنت تتكلم عن الطاعنين في الإسلام والذين يجتزئون الآيات القرآنية، ليصلوا إلى تصورات ما بأفكار مسبقة، تعبِّر عن مواقف سيِّئة تِجاهَ الإسلام، مثل هؤلاء كيف ترى التعامل معهم، هل يكون الأمر بتجاهل ما يطرحونه من أفكار، أم يكون بمزيد من الدحض والمناقشة وربما المناظرات؟

ــ أخي السيد! الذي يخاف المواجهة، هو الذي لا يثق بما يحمله من أفكار وآراء ومعتقدات، عندما ننظر إلى سيرة سلفنا الصالح رضوان الله عليهم ورحمة الله عليهم، سواء الصحابة أو التابعين أو تابعي التابعين، أي القرون الثلاثة المشهود لهم بالخيرية على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم: (خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ)[1]: هذه الأجيال الثلاثة المباركة والمشهود لها بالخيرية، يجب أن ندقق النظر في كيفية تديُّنهم وكيفية فهمهم للإسلام، وكيفية تعاملهم مع الواقع، عندما ننظر إليهم من هذه الزاوية، نرى أنهم تفاعلوا مع مَنْ حولهم ومع مجتمعاتهم، وناظروا الناس وناقشوهم، فناظروا: الخوارج والمرجئة والمعتزلة والشيعة والقَدَريّة والرافضة والناصبة والجهمية والمُعَطِّلة والمُشَبِّهة ...الخ، كان علماؤنا في الأجيال الثلاثة وكذلك الأجيال الأخرى، الذين اتبعوا المنهج الذي سار عليه السلف الصالح، لا يخافون من مواجهة الآخرين، بل يتناظرون معهم ويناقشوهم، وكثيرًا ما يرجعوهم إلى جادة الصواب، فيجب على أهل العلم أن يناقشوا مَنْ يحملون أفكارًا وآراءً غير صحيحة، يجب أن يناقشوهم، ويُقِرُّوا بما

---

١) أخرجه البخاري: ٣٦٥١ ومسلم: ٢٥٣٣.

لديهم من صواب، ويَدْحَضوا ما لديهم من خطأ، ويُصَحِّحوه لهم، هذا هو السبيل القويم للتعامل مع الآراء والأفكار التي تنشأ في المجتمعات، وعلى أهل العلم وفقهاء المسلمين، أن يَتَصدُّوا لتلك الأفكار، ويناقشوا أصحابَها بأسلوب هادئ ورصين ورزينٍ يليق بأهل العلم، ويليق بمن يعتبرون أنفسهم وُرّاث النبي صلى الله تعالى عليه وسلم، ونُوّابهُ والسائرين على دربه.

٤١

قضيَّة التكفير والموقف الصحيح المُتَّزِن تجاهَهُ

أعتقد أن تركهم _أي عدم التصدّي للمنحرفين لمناقشتهم افكارهم الإنحرافية- سَيُثِيرُ بَلبلةً عند بعض العوام من المسلمين، الذين ليسوا على درايةٍ كاملة بدينهم، وهذا ما نلحظه في بعض المواقف والأطروحات التي يطرحها مثل هؤلاء سواء الذين يتكلمون في صحيح البخاري أو غيره، يأتون بموضوعات معينة، ويَدَّعون أنهم يُعْمِلون فيها العَقْلَ، ويقولون: إنها تتناقَضُ مع بعضها البعض، ونظرًا لِقِلّةِ علم عوام المسلمين، ربما يقتنع بعضهم بأفكارهم، ومن ضمن الأمور الشائكة والتي تتردَّد كثيرًا على ألسنة هؤلاء، مسألة التكفير ومسألة الكفر والكفار، فهم دائمًا يتَّهِمون علماءَ الدين الإسلامي، بأنهم كثيرًا ما يذكرون كلمة الكفر والكفار في غير مَحلّها، وهم يستندون في هذا المجال إلى المواقف غير المقبولة من التيارات والتنظيمات المتطرفة، مثل تنظيم داعش، فهم يحسبون أن الإسلام والتيارات الإسلامية كلها داعش، فماذا تقول مسألة الكفر والتكفير؟!

ـــ قبل أن أجيبك على هذا السؤال، أوضح مسألة أخرى: إنَّ الأفكار الصحيحة تعشق جَوَّ الحرية والصراحة، وأن تعيش تحت الشمس، الأفكارُ الصحيحةُ تُحِبُّ أن تتنفس الهواءِ النقي، لكن الأفكار الضالّة الخاطئة، تَعْشَقُ الظّلامَ ولا تعيش إلا في أجواء غير طبيعية، لذا على الجميع: مسئولين، ومؤسسات رسمية، وعلماء، وجماعات، وأُسَر،

أن يعملوا متكاتفين متضامنين لِتَكون هناك أجواء صِحِّية، حتى تعيش وتنمو وتترعرع فيها الأفكار الصحيحة. -والآراء الصحيحة هي التي تعشَقُ الشمسَ والهواءَ النَّقِيَّ- وأن يسُدُّوا الطريق أمام الأفكار المنحرفة، والتي لا تعيش ولا تترعرع إلا في الظلام.

أما بالنسبة لقضية التكفير، فهذه قضية طويلة عريضة، وقديمة جديدة: أول من كفّر أهل القبلة، هم الخوارج، والخوارج جماعة مارِقَةٌ خَرَجوا من طاعة الخليفة الراشد الرابع علي ٱبن أبي طالب رضي الله تعالى عنه، وكانوا يحملون أفكارًا سطحيةً، ومفاهيم سقيمة غير صحيحة، بسبب عدم فهمهم العميق لِكتابِ الله وسنة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، بل حتى هذه البدعة، (بدعة الإِكتفاء بالقرآن والتَّخُلُّص من السنة)، أول من جاء بها، هم الخوارج، كما جاءَ في (صحيح البخاري) أن امرأة جاءت إلى سيدتنا عائشة رضي الله تعالى عنها، فسأَلَتها: أَتَجْزِي إِحْدَانَا صَلاَتَهَا إِذَا طَهُرَتْ؟ فقالت سيدتنا عائشة رضي الله تعالى عنها، {وهي الفقيهة العالمة}: أَحَرُورِيَّةٌ أَنْتِ؟ {الحرورية اسم من أسماء الخوارج(الحروريين) وحروراء اسم منطقة وكانوا مستوطنين في تلك المنطقة، تعني: هل أنتِ من الخوارج، الذين يتنكَّرون للسنة، ويكتفون بالقرآن؟}

فسكتت المرأة السائلة: أي لستُ حرورية، وإنما أسأل، فقالت أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها: (**كُنَّا نَحِيضُ مَعَ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَلاَ يَأْمُرُنَا بِهِ، أَوْ قَالَتْ: فَلاَ نَفْعَلُهُ**)،(1) أي لا نقضي الصلوات التي فاتتنا أثناء الحيض أو النفاس.

إذن: هذا أمرُ الشرع، لكن من أين علمنا هذا؟ لاشكَّ، عَلِمناهُ من السنة النَّبويَّة.

قصدي إِنَّ الخوارجَ هم أول من كَفَّروا أهلَ القبلة، وجاءوا بانحرافاتٍ وبدَعٍ أخرى، والتي منها قضية الإِكتفاء بالقرآن والتخلِّي عن السنة، بذريعة أن فيها ما عليه ملاحظات! نقول: نعم، السنة يجب أن نُصَنِّفها، إِذ السنة ليست على درجة واحدة، وهذه من البديهيات، أنَّ القرآن كلَّه متواتر، لكن السنة فيها المتواتر، وخصوصًا في الجانب العملي، وفيها الصحيح، وفيها الحسن، والضعيف، وأيضًا يُنسب إلى السنة ما

1) صحيح البخاري: ٣٢١، كتاب الحيض، باب: لا تقضي الحائض الصلاة.

هي منه براء، من الأحاديث الموضوعة والمُلفَّقة على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم، لكن جهابذة العلماء قاموا بتصنيف السنة وتمييز صحيحها من سقيمها، فليس لأحدٍ ذريعةٌ أو عذرٌ، أَن يَرفُض السنة النبوية كلَّها، لِأن في نصوص السنة النبوية، ما هو غير صحيح.

فالخوارج أول مَنْ كَفَّر المسلمين، كفَّروا عليًا رضي الله تعالى عنه، وهو ابن عم الرسول عليه الصلاة والسلام، وصِهْرُهُ، وهو من رَضَع الإسلام وهو صَبي، وعلي هو علي رضي الله تعالى عنه، عِلماً وتُقىً وزُهداً وشجاعة وفهماً وعبادةً، كبقية الخلفاء الراشدين رضي الله تعالى عنهم، وعليٌّ هو الخليفة الراشد الذي انتخبه المسلمون، بعد مقتل سيدنا عثمان رضي الله تعالى عنه ظلمًا، من قِبَلِ المشاغبين والثوار.

لكن لما سُئل سيدنا علي رضي الله تعالى عنه عن الخوارج: أَكُفّارٌ هم؟ قال: من الكُفر فرُّوا، قيل: أمنافقون هم؟ قال: إن المنافقين لايذكرون الله الا قليلاً، {أي: المنافقون يقول الله سبحانه وتعالى فيهم: (وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا)، وهؤلاء كثيرو الذكر، كما جاء في حديث الرسول عليه الصلاة والسلام: (يَحقِرُ أحدُكم صَلاَته إلى صلاتهم، وصيامَه إلى صيامهم، وقراءَتَه إلى قراءتهم)، لكنَّ العيب فيهم أنهم: (يقرأون القرآن لا يجاوز تراقِيهَم، أو حناجرَهم)، يعني: بدون فقهٍ، بل فهمٌ سطحيٌ وتمسُّكٌ بالنصوص تمسكاً ظاهرياً حرفياً}.

فسئل عليّ رضي الله عنه: فماهُم؟ قال: {**هو قومٌ أصابَتْهم فِتنةٌ، فَعَموا فيها وصَمُّوا، وبغَوا علينا وقاتلونا، فقاتلناهم**}[1]، أنظروا إلى هذا الإنصاف! كَفَّروه - وبعد ذلك قتلوه- لكن هو لم يَخرُجْ من الإنصاف، قال: إخوانُنا بَغَوا علينا، أي: هم إخواننا في الدين، لكنهم أهل بغي وعدوان وظلم، اكتفى بهذا.

---

١) رواه عبدالرزاق في العقول (١٠/١٧٤) وابن أبي شيبة في (الجَمَل): ٣٩٠٩٧، والبيهقي في (الكبرى) (٨/ ١٧٤) عن علي رضي الله عنه.

وفي نص آخر، أنه قال: (مَنْ أراد الحق فأَخْطَأَهُ، ليس كَمَنْ أراد الباطِلَ فأصابه)، من أراد الحق وأخطأه، وهم الخوارج، ليس كَمَن أراد الباطل فأصابه، يقصد معاوية ومن معه.

والخوارج بإجماع العلماء، فرقة ضالة منحرفة، لكن لم يخرجهم من دائرة الإسلام إلا قليل من العلماء، هناك شبه إجماع على أن الخوارج فرقة من فرق المسلمين، لها أخطاء، لكن على أي حال، هي داخلة في دائرة الإسلام.

وقضية التكفير قضيَّة شائكة، وهناك تفريط وإفراط في هذه القضية:

أ- **فهناك تفريط**، إذ هناك مَنْ يطالِبُ المسلمين ألاّ يكفِّروا الكفارَ!! لكن (التكفير) على وزن تفعيل، فالتكفير هو أن تُكَفِّر من ليس بكافر، كما أن التفسيق هو أن تُفَسِّق مَنْ ليس بفاسق، والتبديع هو أن تُبَدِّعَ مَنْ ليس بصاحب بدعة، لكن من هو في نفسه كافر، هل إذا قلنا: إنه كافر، كاليهودي والنصراني والملحد والزنديق الذي لا يعتقد بالله سبحانه وتعالى، ولا يعتقد بنبوة محمد عليه الصلاة والسلام، ومن لا يعتقد بِصحَّةِ القرآن، فهل عمَلَنا الذي نمارِسُهُ بِحَقِّه، أي عندما نُكَفِّره، يُعتبر عَمَلُنا تكفيراً؟ لا، إذ التكفير هو أن تُكَفِّر من ليس بكافر.

ب- **وهناك إفراط** وهو: أن تُكفّر من هو ليس بكافر.

فيجب أن نَتَجنَّب كلا الأمرين: الإفراط والتفريط، والطريق الوسط والصحيح هو أن نقول لمن هو مسلم، هو مسلم، ولمن هو كافر، هو كافر، وأصحاب الكبائر الذين يرتكبون الكبائر، فإنَّ جمهرة المسلمين، والذين سُمُّوا فيما بعد، بأهل السنة والجماعة[1]،

١) لي ملاحظة على هذا الإسم، وأُحِبُّ أن نستعمل الإسم الذي أَطلَقَهُ الله سبحانه وتعالى علينا: (**هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَٰذَا**)الحج-٧٨-، أما مصطلح (أهل السنة والجماعة)، فهو مصطلح اصطلح عليه العلماء، ولايوجد له أصل في الكتاب ولا في السنة، نعم الرسول عليه الصلاة والسلام ذكر طريقته باسم السنة: (عليكم بسُنتي) والمقصود بها الطريقة، طريقة الرسول عليه الصلاة والسلام، لكن أن يُطلق هذا الإسم على جمهرة المسلمين، فهو من صنيع العلماء، وذلك بعدما رأوا الفرق الضالة المبتدعة والمنحرفة وأهل الأهواء، كلّ يُطلق على نفسه اسمًا:

لايكفِّروهم، بل يعتبروهم آثمين مستحقين للعذاب الأخروي، إذا لم يتوبوا، ولم تشملهم مغفرة الله تعالى من غير توبة.

أجل في موضوع (التكفير)هناك إفراط وتفريط، فيجب أن نَتَجنَّبَ الإفراط والتفريط، ونسلك الطريق الوسط، حيث يصفنا الله تبارك وتعالى فيقول: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ...﴿١٤٣﴾ ﴾البقرة، وبقدر ما نلتزم بالإسلام كدين وشريعة ومنهج للحياة، نَحْظى بالإتِّزان والتوسُّط، ونكون بَمنْأىً من الإفراط والتفريط، والغُلُوّ والجفاء، ونستحق هذا الوصف: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾، متى نكون جديرين بأن نكون شهداء على الناس؟ وما المقصود بـ(شهداء على الناس)؟ يعني: أن تكونوا شهداء الله على صِحَّة دينه، على الناس، أي: أن تشهدوا على البشرية بلسان الحال والواقع، أنَّ الإسلام دين صحيح، وإنما نستحق هذا الوصف، إذا ما التزمنا بالمنهج الوسطي والطريقة الوسط، والصراط المستقيم المتمثل في كتاب الله وسُنّة رسوله صلى الله عليه وسلم.

الشيعة، الخوارج، الرافضة، الناصبة، القدرية، الجبرية، وهم في المقابل قالوا: نحن (أهل السنّة) مقابل أهل البدعة، و(أهل الجماعة) مقابل أهل الفرقة، فهذا كما قلت: مصطلح استحدثه العلماء، والأفضل أن نكتفي بالإسم الذي سمَّانا الله سبحانه وتعالى به، بل هذا هو الصحيح، اذ يُوجَدُ الآن مَنْ يُحْسَب على أهل السنة والجماعة، وهو مُلحدٌ، أو هو علماني قُح، لا يعترف بدين سماوي، ووحي إلهي، ولا بتدخل الله في حياة البشر، - وهذا هو المفهوم الحقيقي للعلماني - لكن بانتمائه الجغرافي والتأريخي، يُعتبر داخل دائرة أهل السنة، وأي سُنّيةٍ هذه، وأي سُني هذا الذي لا يعترف بالإسلام، أن يكون منهج حياة؟ ولا يعترف بالرسول عليه الصلاة والسلام أن يتحكَّم في حياتنا من خلال سُنته المشرَّفة، أي سُنّي هذا؟ وكذلك الشيعي كان في الأصل آسماً لمن يُؤَيِّد علياً رضي الله عنه وأهلَ البيت، في مواجهة ظُلم بني أمية وبني العباس، ولكن أي شيعي هذا الذي لا يعترف لعلي بالمنهج الذي سار عليه رضي الله عنه، وهو المتمثِّل بالقرآن والسنة؟

إذن: تُطْلِقُ الوصفَ فحسب، ولا يستتبع هذا إجراءاتٍ أخرى، أي قد يكون هناك شخص ماتُطْلِقُ عليه كلمة (كافر) لكن هذا لا يبيحُ دَمَهُ، ولا يبيحُ عِرْضَه، ولا التضييق عليه؟

ـ هناك موضوعان: من هو الكافر؟ وكيف يُعامل الكافر؟

أولاً: من هو الكافر، ومتى يُعتبر المسلم خارجًا عن دينه؟

هذا موضوع بحثه العلماء بإسهاب وإطالة ودقة، خُلاَصتُه: أَنَّهَ يجب أن نُعمِل مع أيِّ شخصٍ يُتَّهَمُ بأنه مارق وخارج من الإسلام، قاعدة: **(ثبوت الشروط وانتفاء الموانع)**، فيجب أن تتحقق في الشخص المعني، شروط ثلاثة:

١- العقل، ٢- البلوغ، ٣- وصول البلاغ المبـــين.

فإذا لم يكن الشخص المَعْنيُّ عاقلاً بل كان مجنونًا، أو كان عاقلاً، ولكن لم يكن بالغًا، أو كان عاقلاً وبالِغاً، ولكن لم يصله دين الله سبحانه وتعالى بالشكل الصحيح، فهذا لم تتحقق في حقه الشروط الثلاثة التي يجب توفرها.

ثم يجب أن تنتفي عنه الموانع، وهي في الأقل ستة:

١- الجهل

٢- والإكراه

٣- والنسيان

٤- والخطأ

٥- والتأويل

٦- والعجز.

يجب أن تنتفي هذه الموانع عن الشخص المذكور.

وعليه: إن كان هناك شخص:

١- وصله البلاغ المبـــين.

٢- وكان عاقلاً يتمتع بالعقل.

٣-وكان بالغًا.

ثم انتفت عنه الموانع الستَّة كلُّها:

١- فلم يكن مُؤَوِّلاً.

٢- ولا جاهلاً معذورًا بجهله

٣- و لم يكن مُضطرًا ولا مُكْرَهًا.

٤- و لم يكن ناسيًا.

٥- ولا مخطئًا.

٦- ولا عاجزًا، بل كان في كامل صحته وعافيته.

لكن يُنكرُ الإسلامَ، أو يُنكر حقانية الرسول عليه الصلاة والسلام، أو يتنكر لإحدى الآيات، أو لشيء من المعلوم من الدين بالضرورة، أي: بديهيات الإسلام، هذا هو الذي نعتبره كافرًا، أي خارجًا عن دائرة الإسلام وداخلاً في دائرة الكفر، وهذا أمر يحتاج إلى تفصيل وتدقيق.

فمثلاً: من يقومون بالحكم على شخصٍ ما، بأنه كافر أو خارج من دائرة الإسلام، هل هم كل مَنْ هبَّ ودبَّ؟ لا، بل العلماء المختصون فقط، لماذا؟ لأن الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧﴾ ﴾الأنبياء.

وهذه التفاصيل لا يعلمها إلا العلماء، ويقول سبحانه وتعالى: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾ ﴾النساء.

وقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ ﴾.

دليلٌ على أنه ليس أولوا الأمر كلُّهم بإمكانهم الإستنباط، وقوله تعالى: ﴿لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡ﴾، أي: لَعَلِمَ أهلُ الإستنباط: هل يُنشر ذلك الخبر، أم لا؟!

ثم يقول: ﴿وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ إِلَّا قَلِيلٗا ٨٣﴾النساء، وفضل الله ورحمته يتمثّلان في أن الله سبحانه وتعالى يُرشِدُنا إلى أن نرجع إلى أهل العلم والإختصاص، وبديل هذا هو اتباع الشيطان.

إذن: أهل العلم والإختصاص هم الذين يقومون بحسم الموضوع: هل هذا الشخص خارج من الإسلام، أو باقي في دائرة الإسلام؟!

ثانياً: كيف يُعامَلُ الكافِرُ؟!

بالنسبة لشخصٍ اُعتبِرَ كافرًا، أوهو كافر أصلي، يهودي أو نصراني، هل يجوز قتله؟ أو هل يجوز التعدِّي عليه؟ طبعًا لا، لماذا؟ لأن الأصل في الإنسان أن يكون مُكرّمًا مُحترمًا، وأن تُحفُظ حقوقه وكرامته وحرياته، وتُصان، هذا هو الأصل، وأول الحقوق والحريات المكفولة لِمواطني الدولة في الإسلام، وأهمُّها، هو حق الإعتقاد وحرية الرأي والفكر والتعبير، كما قال تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡ ... ٢٩﴾الكهف.

٤٢

موقف الإِسلام من الحرِّيات

هؤلاء يتكلمون كثيرًا عن الإسلام بدون وعي أو فهم، يقولون إن الإسلام لا يعترف بالحريات، سواء حرية المعتقد، أو حرية الفكر، أو حرية المرأة، فما موقف الإسلام من الحريات بكل مجالاتها وفروعها؟

ــ قال الله سبحانه وتعالى في الآية(٣٠)، من سورة البقرة: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً...﴿٣٠﴾﴾البقرة، والمقصود به سيدنا آدم صلوات الله وسلامه عليه، وزوجه حواء سلام الله عليها، أبوي البشرية، وإذا كان آدم خليفة الله في الأرض، فإن ذريته أيضًا خلفاء الله في الأرض، كما يقول الله سبحانه وتعالى في الآية الأخيرة من سورة الأنعام: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَـٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ ...﴿١٦٥﴾﴾الأنعام، فنحن خلفاء الله في الأرض، ٱستخْلَفنا الله سبحانه وتعالى، على هذه الأرض، نُصلِحُ فيها أو نُفْسدُ، وخلفاء الله على الأرض، يجب أن يكونوا أحرارًا، إذ غير الحرية لا تليق بخلفاء الله سبحانه وتعالى، لماذا؟ لأن المقصود بخلافة الإنسان لله على الأرض: أن الله سبحانه وتعالى أطلق يَدَ الإنسان في هذه الأرض، نعم، في الأصل وَضَعَنا الله عزوجل على هذه الأرض كي نُعَمِّرَها، كما يقول سبحانه وتعالى:

﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ...﴿٦١﴾﴾هود، (وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا)، أي طلب منكم تعمير الأرض، وقال: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ...﴿٥٦﴾﴾الأعراف، أي: إن الله سبحانه وتعالى قد أصلح الأرض، وجعل فيها كلَّ مُقوِّمات الحياة والعيش، فلا تُفْسدوا فيها.

أجل في الأصل نحن وُضعنا هنا، للإصلاح والتعمير، لكن إذا ما انحرف الإنسانُ عن صراط الله المستقيم، وقام بالإفساد وسفك الدماء والخراب، فهذا خروج عن الوظيفة المُعيَّنة للإنسان، والتي هي التعمير والإصلاح في الأرض.

وعليه: فموقف الإسلام من الحقوق والحريات، موقف إيجابي مائة في المائة(١٠٠%)، لأنه لا يمكن للإنسان أن يؤَدِّي امتحانَه إلا إذا كان حُرًّا، ولا يمكن للإنسان أن يعيش على هذه الأرض وهو مُكبَّلُ اليدين، ولهذا فكُلُّ الحقوق والحريات: حرية الدين والرأي، والفكر، والحريات الشخصية، والحرية الإقتصادية، والحرية الإجتماعية، والحرية السياسية...الخ، كلّها مضمونة ومكفولة في الإسلام، لكل المواطنين المسلمين وغير المسلمين سواء، وذكرت هذا في كتابي: (**مسائل عصرية رائجة**)، بإسهابٍ وتفصيلٍ، وعندما ننظر للمجتمع الأول الذي بناه الرسولُ صلى الله عليه وسلم في المدينة المنورة، نجد أن هذا المجتمع كان مجتمعًا إثنيًا متعدِّدًا(plural)، إذ كان ذلك المجتمع يتكون من المسلمين، وغير المسلمين، والمسلمون: المهاجرون والأنصار، والمهاجرون: عدة قبائل، والأنصار عدة قبائل، وغير المسلمين: اليهود بقبائلهم الثلاث: بنوقينقاع وبنوالنَّضير وبنوقريظة، والمشركون، وبعض النصارى، والمنافقون، هذا المجتمع المتعدِّد وضع له نبي الله الحكيم صلى الله عليه وسلم، صحيفة أو وثيقة بمثابة الدستور الحالي، تتعامل على أساسه المكونات المتعددة بعضها مع بعض، وكان أحد بنودها: (أن

لِلْيَهُودِ دِينُهُمْ وَلِلْمُسْلِمِيْنِ دِينُهُمْ)[١]، وكذلك في تلك الوثيقة: (أنه لا يجوز لأَحدٍ أن يُؤْوِي مُحْدِثًا)، أي: من يقوم بجرائم، بل يجب أن يكونوا يدًا واحدة على كلِّ مَنْ ينحرف ويُخطيءُ ويَتعدّى على حقوق الناس وحرياهم.

ثم الشريعة الإسلامية وضعت، خمس عقوبات:

١- عقوبة القصاص، لمن يقتل آخر ظلمًا: ﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ... ﴿١٧٩﴾ ﴾البقرة.

٢- عقوبة قطع الطريق، لمن يَتَصدَّون لأمن الناس وأموالهم وحياهم: ﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِي ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوْ يُصَلَّبُوٓاْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ ٱلْأَرْضِ ... ﴿٣٣﴾ ﴾المائدة.

٣- عقوبة قطع اليد، لمن يعتدي على أموال الناس: ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾ ﴾المائدة.

٤- عقوبة مائة جلدة، لمن يرتكب الزنا: ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ... ﴿٢﴾ ﴾النور.

٥- عقوبة ثمانين جلدة، لمن يقذف امرأةً محصنة أو رجلاً محصناً: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُواْ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً... ﴿٤﴾ ﴾النور، هذه

[١] هذه المعاهدة ورد ذكرها في كتاب الأموال لأبي عبيد ص ٢٩٢ - ٢٩٥، والأموال لابن زنجويه / ٤٦٦ - ٤٧٠، وسيرة ابن هشام ٢ / ٩٢، والروض الأنف ٤ / ٢٩٣، وقد قام بتحليل هذه المعاهدة أ. د. أكرم بن ضياء العمري.

العقوبات الخمس، وضعها الله سبحانه وتعالى لمن يعتدي على حياة الناس، أو أموالهم، أو أمنهم، أو نسلهم أو عرضهم، والمجتمعات التي لا تكون فيها: حياةُ الناس وأموالهم وأَمنهم ونَسْلُهم وعِرْضهم، مصونة، هي مجتمعات مريضة!

فالإسلام يُوَفِّر أولاً الأجواء التي يعيش فيها الناس بحرية وكرامة، ثم يضع عقوبات لمن يعتدي على شيءٍ من هذه الحقوق والحريات.

٤٣

الإِسلام وشريحة الشباب

سنتحدث في هذا المحور عن شريحة مهمة جدًا في المجتمع الإسلامي و أي مجتمع آخر، وهي شريحة الشباب الذي له دور كبير جدًا نهضة الأمم وتماسك مجتمعاتها وتقدمها، ولكن ما نلاحظه المجتمعات الإسلامية، أن الشباب يعاني من التهميش والإقصاء، وأيضًا لديه بعض الممارسات الخاطئة والبعيدة عن الدين، فكيف نوضح حقيقة الإسلام للشباب؟ ثم ماهي معالم التربية الإسلامية للشباب التي تقيهم الوقوع في الإِنحراف الخُلقي والفكري، والإِبتعاد عن الإسلام؟!

ـــ مرحلة الشباب مرحلة حسّاسة ومهمّة جداً في حياة كل إنسان، وكذلك في حياة المجتمعات، ومستقبل المجتمعات مرهون بشبابها، ومقياس تَقَدُّم المجتمعات وتطورها، هو الشباب، فإذا كان الشباب بخير وعافية، فالمجتمعات بخير، وإذا كان الحال بالعكس، فبالعكس.

ومرحلة الشباب تبدأ بعد البلوغ، وتَسْتَمِرُّ الى سِنِّ الخامسة والعشرين أو الثلاثين، وبعضهم يوصلون نهاية مرحلة الشباب إلى سن الأربعين، وفي تلك المرحلة يضع الإنسان لبنات شخصيته، ولهذا قال أحد شيوخ أهل التصوف: (من لم تكن له بداية مُحْرِقة، لا تكون له نهاية مشرقة)، ولهذا أمر الإسلامُ الوالدَين والمجتمعَ، بتربية الشباب والأطفال

منذ الصغر، يقول الرسول صلوات الله وسلامه عليه: (**مُرُوا أَوْلادَكُمْ بِالصَّلاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعٍ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرٍ، وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ**)[1]. يقصد الرسول عليه الصلاة والسلام أن نهتم بالأطفال، وهم في مرحلة ما قبل المراهقة.

وعندما ننظر إلى أتباع الرسول الخاتم محمد صلى الله عليه وسلم، نراهم من جيل الشباب على الأكثر، إذ كان أكبر الصحابة سنًّا في المرحلة المكية، سيدُنا أبو بكر رضي الله تعالى عنه، وكان في سن الثامنة والثلاثين، أي يَصغُرُ النبي عليه الصلاة والسلام بعامين، والبقية كانوا شُبَّانًا، ولهذا جاء في بعض الآثار: (خالفني الشيوخ وحالفني الشباب)، إذ الإنسانُ عندما يدخلُ في السن، يثبت على ما كان عليه: (مَنْ شبَّ على شيءٍ شاب عليه)، قلما يترك الإنسانُ أفكارَهُ ومعتقداته وعاداته، إذا ما دخل في السن، حيثُ تصبح هذه الأشياء جزءاً من شخصيته، وتَتَرسَّخُ جذورُها في عقله ونفسه.

وما ذكرتَهُ بالنسبة لواقع الشباب في المجتمعات المسلمة، صحيحٌ، هناك أمورٌ تضغط على الشباب، أهمها هذه الأربعة:

أولاً: وأهَمُّ هذه الأمور، هو الأنظمة الحاكمة والتي لا تسمح حتى للشيوخ والمُسنِّين، فكيف بالشباب أن يشاركوا في الحكم ويحملوا هَمَّ الوطن وهَمَّ المجتمع، فالطغم الحاكمة في كثير من بلدان المسلمين، تَنْفَرِد بكلِّ شيء، بالثروة والسلطة والإعلام وبكل شيء، فلا تَسْمَحُ لأحد ولا تَدَعُ له مجالاً أن يشارِكَها في إدارة دفة الحكم وإدارة البلاد، لا الشيوخ ولا الشباب.

ثانياً: جانب آخر، يقع فيه ضغطٌ كبيرٌ على الشباب، هو الجانب الفكري، بلدان المسلمين والمجتمعات المسلمة تموج بالأفكار والإتجاهات المستوردة من الشرق والغرب، ولا تجد اهتمامًا، أو قلَّما تجد اهتمامًا بالإسلام، الإسلام الذي يحوي على تأريخ تلك المجتمعات وتراثه ونتاج عقولهم وأدبهم، وكل خيرٍ لديهم، إنما أنتجها لهم الإسلامُ المتمثل في الكتاب والسنّة، بل كثيرًا ما نجد تهميشًا للإسلام، وتعتيمًا عليه، أو تحريفًا له، كما

---

١) حديث حسن رواه أبو داود بإسناد حسن: ٤٩٥، وصحّحه الألباني في صحيح أبي داود.

يقول سبحانه وتعالى في وصف أهل الكفر: ﴿ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا... ﴿١٩﴾ ﴾هود، أي: يطلبون العِوَجَ للإسلام، الذي هو سبيل الله وشريعته، فالمتحكِّمون على رقاب المسلمين، يريدون أن يطوِّعوا الإسلام، أو يُبرِزوا الوجه الذي يروق لهم من الإسلام، مع التحريف والإعوجاج، وبالمقابل: يروِّجون للأفكار المستوردة والغريبة التي رُبَّما تَرَكها أصحابُها من زمان!

ثالثاً: جانب آخر، يُضغط به على الشباب، هو الجانب الخُلُقي والمعنوي والروحي، فعندما يُرَوَّجُ لكل العادات والأخلاق السيئة والمستوردة، ويُسَخَّرُ لها الإمكانيات الإعلامية والإمكانيات المادية والبشرية، هذا يُسَبِّبُ ضغطًا كبيرًا على الشباب من الناحية الخُلقية والروحية والمعنوية.

رابعاً: وجانب آخر، هو الجانب الإجتماعي، وذلك عندما يُضَيَّقُ الخِناقُ على الشباب من أن يَتَمكَّنوا من الزواج، وأن يَبْنوا أُسَرَهم، ثم في المقابل: تُفتَحُ الأبوابُ الأخرى، تُوصَدُ أبواب الزواج الشرعي النظيف، ثم تُفْتَحُ أبوابُ الفساد والإِنحلال الخُلقي، ويُشجَّع الشبابُ على الإنحراف.

بإمكاننا أن نُعَدِّد عدة جوانب أخرى، يُضغط بها على جيل الشباب ذكورًا وإناثًا، وهذا كله يُسَبِّبُ مشكلات كثيرة للشباب وضغوطات كثيرة عليهم، ثم تحت تأثير هذه الضغوطات، ينحرف الشباب يُمْنَةً ويُسْرَةً، وشمالاً وجنوبًا، والمُتضرِّر هو المجتمع، ولهذا نرى مجتمعاتنا الإسلامية، سواء في العالم العربي أو غير العربي، تعيش التخلُّف والإنحطاط والهبوط، على كل المستويات، بسبب إهمالنا للشباب، وعدم السَّعي لتربيتهم تربيةً صحيحة من النواحي: الفكرية والعقدية والخُلقية والإِجتماعية والسياسية، وعدم إتاحة الفرصة لهم، لكي يحملوا هَمَّ المجتمع والوطن، ويعتبروا أنفسهم شركاء في إدارة هذه المجتمعات، وَتَحمُّلِ المسئولية تجاهها.

لكن لِنَنْظُر إلى سيرة الرسول عليه الصلاة والسلام، كيف تعامل مع الشباب؟ أَمَّرَ رسولُ الله صلوات الله وسلامه عليه، أسامة بن زيد رضي الله تعالى عنهما، على جيش

كان من بين جنوده: سيدُنا أبو بكر قبل أن يُنتْخَبَ خليفةً، وكذلك سيدُنا عمر رضي الله عنه، وانتقد بعضُ الناس الرسولَ عليه الصلاة والسلام، وأبدوا ملاحظة أنَّ سيِّدَنا أسامة شاب صغير، حيث كان عمره في بعض الروايات ثمانية عشر عاماً أو عشرين عاماً، وأمّره على جيش مكوَّنٍ من ثلاثة آلاف جندي أو أكثر، فانتُقد الرسول عليه الصلاة والسلام لصغر سن أسامة، فقال ما معناه: إنكم تنتقدوني أنّني أَمَّرْتُ أسامة على هذا الجيش، وتطعنون في إمارته، وهو خليق بها (أي جدير بها)، وأبوه (زيد بن حارثة والذي كان عبدًا أعتقه الرسول عليه الصلاة والسلام)، كذلك كان خليقًا بالإمارة (والذي استُشهد في غزوة مؤتة)، كما جاء في السيرة النبوية لابن هشام.(١)

وكذلك كان نبي الله الخاتم عليه الصلاة والسلام يسمح للشباب أن يشاركوا في كل المجالات، خصوصًا في ذلك الوقت، في القتال والجهاد والدفاع، حتى ينشأوا على البسالة والشجاعة والتضحية والفداء، ومجالس العلم للرسول عليه الصلاة والسلام كان فيها الشباب، بجَنْبِ الكهول والشيوخ.

وأحد الذين كان سيدُنا عمر رضي الله عنه، وهو خليفة، يُشاورهم، هو ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، وكان بعضهم انتقد عمر رضي الله عنه بسبب مجالسته الكثيرة لابن عباس، وذات يوم امتحن عمر المجلس، وكان ابن عباس جالسًا، وكثير من الصحابة المجتهدين والشيوخ موجودين، فسألهم عمر: ما المقصود بقول الله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ۝٢ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ۝٣﴾النصر، فذهبوا هنا وهناك للإجابة عن هذا السؤال، وابن عباس ساكت، فقال عمر: ما ترى أنت يا ابن عباس؟ فقال: أرى أن هذا أجل رسول الله نُعي إليه وأُخبرَ بأجَلِهِ! مُستَنبِطاً ومُسْتَنْتِجاً

---

١) ج٤ص٣٨٤. وهذ نص الحديث: {أَيُّهَا النَّاسُ! أَنْفِذُوا بَعْثَ أُسَامَةَ! فَلَعَمْرِي لَئِنْ قُلْتُمْ فِي إِمَارَتِهِ لَقَدْ قُلْتُم فِي إِمَارَةِ أَبِيهِ مِنْ قَبْلِهِ، وَإِنَّهُ لَخَلِيقٌ بِالإِمَارَةِ، وَإِنْ كَانَ أَبُوهُ لَخَلِيقًا بِهَا}.

من: مَجيءِ النصر الكبير والفتح العظيم (فتح مكة) - والتي كانت آنذاك تُمثِّلُ القلعة الحصينة الكبرى للشرك والمشركين - أنه ما اكتمل أمرٌ، إلا جاءه النقصُ، ولما أدى الرسولُ صلى الله عليه وسلم دوره واكتمل الدين، إذن: يأتي أجله، وينبغي أن يترك هذه الدنيا، ثم ينصحه الله ويوصيه: ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ﴿٣﴾ ﴾النصر، فقال سيدنا عمر: وأنا لا أفهم من هذه السورة غير ما تفهم! [1] فأَيَّده، وهذا تشجيع للشباب، للمشاركة والمساهمة في أمور المجتمع، والإِضطلاع بالمسئولية تجاهَهُ.

وتتميماً لما سبق أقول: يجب أن نربي الشباب تربية متَّزنة، فنركِّزُ على تثقيف عقولهم بالمعلومات الصحيحة، وملء قلوبهم بالإشراقات الروحية والقيم النبيلة، ونزيِّنهم بالأخلاق الحسنة، وينبغي أن نُشَجِّعهم على أن يتحمَّلوا مسئولياتهم، ونُشْعِرَهم بأن لهم هدفاً في هذه الحياة، كي لا يشعروا بتفاهتهم، وبأنهم لا دور لهم وليست لهم قيمة.

ولكن في ظل هذه الأجواء التي أشرت إليها، ولا أريد أن أخوض في تفاصيلها، في ظل هذه الأجواء التي تتحكَّم على المجتمعات الإسلامية طُغَمٌ مُتَسلِّطة على رقاب الشعوب، ولا تسمح لكافة شرائح المجتمع بالتنفُّس، فكيف بالشباب الذين يمتلكون الحيوية والعقول النيّرة والقلوب الصافية، ولم تكبَّلْ عقولهم وقلُوُبهم بالأفكار المتوارَثة التي عَفى عليها الزمن، ولم تُقيَّدْ أيديهم بالعادات والتقاليد والمصالح الشخصية، فهم أحرار في تفكيرهم ومُبْدِعون، وأرواحُهُم لم تأسن، بسبب التمسُّك بالعادات والتقاليد، فالطُّغَم الحاكمة تخاف من مثل هذا الجيل، وكما رأينا المظاهرات التي قامت في أكثر من بلد عربي، كان الشباب يكوِّنون أكثرية المتظاهرين، على الرغم من أنه تم إِجهاض كثير من هذه الثورات والمظاهرات، وسُدَّ الطريق على التغيير! قصدي: أن الشباب لهم دور

١) ينظر: صحيح البخاري: ٤٩٧٠ ولفظ عمر (ما أعلم منها إلاّ ما تقول).

مهم وطليعي، وهم الذين يُعوَّل عليهم في التغيير الإِجتماعي، والثورة على التقاليد البالية، والأوضاع الفاسدة، ولهذا فإن الطُّغَم الحاكمة لا تسمح لمثل هذا الجيل أن يعيش في جو صافٍ وصحيح، وإنما يريدون لهم أن يعيشوا أجواءً موبوءة، أجواء توجد فيها الكثير من الدوافع نحو الإِنحلال الخُلقي والإِنشغال بالغرائز، حتى لا يتفرَّغوا للتفكير في الأوضاع التي تعيشها المجتمعات.

إذن أنت ترى أن فتح الأبواب أمام الشباب للمشاركة في كافة المجالات، هو الذي يقيهم من الوقوع في براثن: ١- إما الإنحلال الفكري، والخُلقي، ٢- أو الإِنضمام إلى التنظيمات الإرهابية المتطرفة، والتي للأسف تجد تربة خصبة عند الشباب المسلم الذي يعاني التهميش والإِقصاء، ولا يَسْمَحُ له أن لا يقوم بدوره؟!

ـــ هذا صحيح، وإذا أَرَدْتَ أن يُفرِغَ الشابُّ طاقَتَهُ في الأهداف النبيلة، ولتحقيق المقاصد الشرعية، يجب أن تَفتحَ له أبوابَ الخير، وإلا فهذه الطاقات التي يمتلكها الشباب، إذا لم يُسْمَح لهم أن يُفْرِغوها لتحقيق الغايات النبيلة، فسوف يُفرِغون طاقاتِهم في عكس هذه الأهداف، وسينشغلون بغرائزهم، ويمارسون نشاطات تَجُرُّ عليهم وعلى المجتمع، أنواع الأضرار، مثل الإِنحراف الفكري، والإِنحلال الخلقي، والتأثُّر بالفكر المتطرِّف المغالي اللابِس زُوْراً ثوبَ الإِسلام، واتِّباع التقاليد الغربية البالية والتغُّرب.

لذا على الذين يعتبرون أنفسهم مخلصين لمجتمعاتهم وأوطانهم، وهم حريصون على مستقبل المجتمعات، أن يُفسحوا المجال للشباب، ليسلكوا الطريق الصحيح إلى النشاطات التي تعود عليهم جسدًا وعقلاً ونفسًا وخُلقًا بالنفع، وكذلك على المجتمع.

ولكن بعيدًا عن الأنظمة السياسية، والتي نعلم أن لها أهدافًا ما ثابتة في التعاطي مع الشباب، أعتقد أن المؤسسات الدينية وعلماء الدين أيضاً يجب أن يكون لهم دور في التوجيه السليم للشباب، بما يقيهم الإِنحراف بشتى أنواعه، ولو كان هناك أداءٌ جَيِّدٌ من المؤسسات الدينية وعلماء الدين، في لعب دورهم لمواجهة عوامل

الجذب والإغراء الكثيرة التي يَتعرَّضُ لها الشباب، للإنضمام إلى التنظيمات المتطرفة، أو الوقوع في الإنحلال الخُلقي، لكان حال الشباب غيرما تراه الآن، فهل حضرتك ترى أن علماء الدين والمؤسسات الدينية، قاموا بدورهم الواجب عليهم نحو الشباب؟

ــ لو أن المؤسسات الدينية لم تُفرَغْ من محتواها، و لم تُستَغَلَّ من قبل الأنظمة الحاكمة، و لم تصلْها يَدُ اللعب بها، لكان بإمكانها أن تضطلع بمهماتها تجاه الشباب، وتجاه كافة شرائح المجتمع، خصوصًا الشباب، ولكن سواء تحدثنا عن الوضع في العراق، أو إقليم كردستان، أو مصر، أو البلدان الأخرى العربية وغير العربية، أي العالم الإسلامي، مع الأسف: الأنظمة المستبِدَّة والطامعة في أن تجعل البلد كُلَّهُ في سَلَّةٍ واحدة تحملها، كما كان يقول القذافي: (من أنتم؟ أنتم جرذان، نحن أحق بليبيا)، فمن يعتبر نفسه سيد العباد والبلاد، ولا يَحْسِبُ حسابًا لأحدٍ، يعمل على أن يُفْرِغَ المؤسسات الرسمية الدينية من محتواها، وعندما تُفْرَغُ المؤسسات الرسمية من محتواها، في أي دولة، فإن الناس يفقدون الثقة بها، وهي تَفقِدُ اعتبارَها، وحنذاك يتَّجهُ الناس هنا وهناك ويسلكونَ شتَّى السُّبل، كي يُعَوِّضوا عن تلك المؤسَّسات المفروغة من المحتوى، وخصوصًا في هذا العصر الذي مَكَّنَتْ فيه التكنولوجيا المعلوماتية المتطورة الشبابَ، أن ينال ما يرومُهُ من معلومات صحيحة أو خاطئة، مُضرة أو مفيدة، كما ضربت مثلاً في السابق أن ينبوع الماءِ إذا ما سُدَّت الطرق أمامه، أن ينبع بطريقة طبيعية، فسوف ينبع بطريقة غير طبيعية، لذا يجب أن نُفْسِحَ الطريق، السَّوي الصحيح للشباب، كي لا يرى نفسه مضطراً أن يذهب هنا وهناك، فَيضِلَّ ويتيه ويبوء بالحسران والضياع! ولكن يجب أن نتساءل: من الذي يُفسِحُ المجال للشباب، أن ينشأوا نشأة طبيعية وصحيحة؟ لا شك أنه: من هو مخلص وحريص على مصلحة العباد والبلاد، وليسَ لديه أهداف وأغراض سيئة، لأن من يحمل أهدافًا سيئة، ومقاصد غير شرعية، يبحث لتحقيق تلك الأهداف بالطرق السيئة غير الشرعية، وهذه قاعدة لا استثناء فيها: كل من يروم تحقيق

هدف شرعيٍ شريف، سيبحث له عن وسيلة شريفة، ومن كان يبحث عن تحقيق هدف وضيع، سيبحث له عن وسيلة وضيعة وسيئة!

فيما يتعلق بالتعامل مع الشباب، أعتقد أنه من الضروري أن يتم التعامل معهم وفقًا لتطورات ومتطلبات العصر، ووفقًا لإختلاف الرؤية والتكوين الثقافي المختلف من جيل إلى جيل، يجب ألاَّ نتعامل معهم بنفس الأسلوب الذي كان يتم التعاملُ به مع أجيال سابقة.

ــ هذا صحيح بلا شك، لأنه عندما يتغير الحال، يجب أن تتغير الفتوى، فالفتوى تختلف زمانًا ومكانًا وعُرفًا وحالًا، وهذه القاعدة تنطبق على كل المجالات في الحياة، فيجب أن نعامل الشباب الذين يعيشون في العصر الحالي، كما يتطلب العصر الحالي، وبما يتوافق مع هذا العصر وحسب مقتضياته، وهناك قول حكيم لسيدنا علي رضي الله عنه: (**ربّوا أولادكم لزمان غير زمانكم**)، وهذا القول كان بالنسبة لزماهم الذي قَلَّما كان يتغير الوضع فيه، فما بالُك بهذا العصر الحالي الذي كلُّ شيء فيه سريع التغيُّر والتطور.

ولكن هذا بلا شك مع الإحتفاظ بالثوابت والقواطِع الشرعية التي يجب ألاّ تُمسَّ، إذ حلال محمد حلال الى يوم القيامة، وحرامُهُ حرامٌ الى يوم القيامة، كما قال علماؤنا رحمة الله تعالى عليهم.

يعني أن نتكلّم بلغتهم في دائرة ما لا يمس الثوابت؟

ــ نعم، وهناك أثر يقول: (**كلِّموا الناس على قدر عقولهم، أتُحبّون أن يُكذَّب الله ورسولُهُ؟**)[1]، فيجب أن نطرح الإسلام ونشرح جوانبه للشباب بلغة العصر، ونُثقِّفهم بالثقافة الإسلامية الصحيحة، ولكن بأسلوب عصري جَذّابٍ مقنع، إذ الحق يجب أن يُعْرَضَ كما هو، ولكن بأسلوب حق وصحيح، كما قال تعالى: ﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ

١) هذا قول سيدنا علي بن أبي طالب، رواه البخاري، وقد خرّجناه سابقاً.

﴿وَبِٱلۡحَقِّ ...﴿١٠٥﴾﴾ الإسراء، أي: كما أن القرآن يحتوي على الحق، كذلك أُنزلَ بطريق حق، كل سورةٍ، بل كل آية في زمانها ومكانها المناسبين، والحالة التي توافق الحق والمصلحة، هكذا كان إنزال القرآن الأَول.

وهكذا ينبغي أن يكون إِنزالُهُ مرة أخرى، في أي مجتمع، وأي زمان ومكان، الى أن يرث الله الحكيم الأرض ومن عليها.

ameer.maktab@yahoo.com

٤٤

التفكير الإسلاميُّ بين الوحي والواقع

شيخ علي باپير! نواصل الحوار معك حول القضايا التي تشغَلُ بالَ جميعِ المسلمين في مختلف الأقطار الإسلامية، نرى أن هناك قضيَّةً من أهم القضايا، وهي قضية التفكير، والإسلام أعلى من شأن التفكير، وطالب المسلمين في آيات كثيرة بأن يُعْمِلوا عقولَهم ويُفكِّروا، كيف ترى نظرة الإسلام إلى التفكير وإعلائه لهذه القيمة الكبيرة؟!

ـــ أعلى الإسلامُ من شأن التفكير كثيراً، حيث جعل التفكير فريضة، وقد كتب في القرن الماضي الأستاذ المرحوم: عباس محمود العقاد، كتابًا بهذا العنوان: (**التفكير فريضة إسلامية**)، واقتبس هذا الحكم من منطوق كثير من الآيات القرآنية المباركة، فعلى سبيل المثال: يقول سبحانه وتعالى في سورة آل عمران: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾﴾آل عمران، ففي هاتين الآيتين والآيات التي

تليها، يصف الله سبحانه وتعالى من يتأمَّلون في خلق الله ويذكرون الله، فهم أهل ذكر وفكر، ويصلون إلى نتيجة: إدراك حكمة الله في خلقه، ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا﴾،

فأهل التفكير والتأمُّل يصفهم الله بأولي الألباب: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾﴾، (الأَلْبَاب) جمع (لُبّ) واللُب خالص كل شيء وجوهره، والمقصود به العقل، وأولي: أصحاب، أولي الألباب: أصحاب العقول، فالسموات والأرض مملوءة بالآيات، ولكن لمن؟ لأولي الألباب، لأصحاب العقول، ثم يُعرِّفُ سبحانه وتعالى بأصحاب العقول، فيقول: ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾آل عمران، فيُعرِّف بهم كأهل ذكرٍ في البداية، والذكر مرتبط بالقلب: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾الرعد، ثم يُعرِّف بهم أنهم أهل فكر أيضاً، فيقول: ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾آل عمران، ثم النتيجة التي يتمخَّضُ الذكر والفكر عنها، هي: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا﴾آل عمران، فالذكر القلبي والفكر العقلي، يوصلان الإنسان إلى هذه النتيجة المباركة، وهي معرفة الإنسان بسر الخلق وحكمة الوجود، وأن الله سبحانه وتعالى لم يُوجِدْ هذا الخلق بالباطل، وإنما لحكمة وبحق، كما يقول سبحانه وتعالى في سورة الجاثية: ﴿وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾الجاثية، فالله سبحانه وتعالى يقول إنه خلق السموات والأرض بالحق، ثم يوضح هذا الحق، ما المقصود بهذا الحق؟ هو: ﴿وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾، إذن: هذا هو الحق، وهذا هي الحكمة التي خلق الله سبحانه وتعالى الخلق لتحقيقها: ابتلاء الإنسان، ثم أخذ كل إنسان نتيجة عمله وكسبه.

وهناك آيات كُثر في كتاب الله الحكيم، تُوجِبُ التفكيرَ على الإنسان، ويصف الله سبحانه وتعالى الذين يتعاملون بِجِدٍّ مع القرآن الكريم، بأنهم أهل فكر وتدبّر وتذكّر، كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُو۟لَـٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴿١٢١﴾﴾البقرة.

وقال عزَّ من قائلٍ: ﴿كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ إِلَيْكَ مُبَـٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَـٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿٢٩﴾﴾ص.

وقال: ﴿حمٓ ﴿١﴾ وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَـٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾﴾الزخرف.

وقد سمَّى الله الحكيم كلاً من: مظاهر خَلْقِهِ المُتْقَن الصُّنع في الكون المنظور، وجعل كلامَهُ الحكيم في قرآنه المتلو المقروء: آيات، إِذْ هي كلُّها علامات وقرآئن، على الله سبحانه وتعالى الخالق الرب المالك الرازق.

وإذا عَدِمَ الإنسانُ الفِكْرَ، أي: إذا نـزِعَ التفكيرُ عن الإنسان، يبقى هيكلاً من غير جوهر، يكون هناك عظم وشحم ولحم، ولكن بلا لُبٍ، كما قال العرب قديمًا: (**إنما المرء بأصغريه: قلبه ولسانه**)، وقد استُعمل لفظ القلب، سواء في اللغة العربية، أو في كتاب الله الكريم، وكذلك في السنة النبوية، بمعنى العقل، وللعقل والتفكير ارتباط ما بالدماغ بالدرجة الأساسية، وبعد ذلك بالقلب، وهذا شأن يخص الأطباء وعلماء التشريح وعلماء النفس، ونحن لا نخوض في هذه التفاصيل التي ربما لا نُحْسِنُها، فنتركها لأصحابها المختصين.

بإعلاء قيمة التفكير في الإسلام، تدرك أن للتفكير أهميةً كبيرةً بالنسبة لأي مجتمع ولكل إنسانٍ على حدةً، وبصفة خاصة بالنسبة للإنسان المسلم، فما أهمية التفكير وإعمال العقل في المجتمع الإسلامي، وفي حياة الإنسان المسلم؟

ـــ المسلمون إنما يَتمكَّنون من التعامل مع وحي الله المعصوم، التعاملَ الصحيح، ويَتمكَّنون من تنزيل الوحي على واقعهم، إذا ما تَمتَّعوا بالتفكير واستعملوا عقولَهم، والمقصود بالتفكير هو إعمالُ العقل - بالنسبة لنا كمسلمين - في الوحي وفي الواقع، في الوحي الذي أنزله الله سبحانه وتعالى هدايةً للبشر، وفي الواقع الذي يجب أن نُنزلَ فيه الوحيَ ونُجَسِّدَه في حياتنا الشخصية والأسرية والإجتماعية والسياسية، فإذا عطّل المسلمون عقولَهم عن التفكير، لم يَتمكَّنوا من: الفهم اللازم للوحي، ثم تنزيله على واقعهم، والعصور الزاهرة للمسلمين، هي العصور التي أَعْمَل فيها المسلمون عقولهم لفهم الوحي ولفهم الواقع، ثم تطبيق الوحي في الواقع الذي كانوا يعيشونه، ولهذا أَكَّد كلُّ المُحقِّقين من أَئمتنا وعلمائنا سلفاً وخلفاً، على لُزومِ التفكير في وحي الله المعصوم المُتَجسِّد في كتاب الله ثم في السنة النبوية، وعلى القيام بالإجتهاد في كل عصرٍ ومصرٍ، وللسيوطي رحمه الله كتب في هذا المجال بعنوان: (الرَّدُّ على مَن أَخْلَدَ الى الأرض، وجَهِلَ أن الإجتهاد في كلِّ عصر فرض).

أنا أرى أن سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام أعطانا درسًا في التفكير، هو آمن بالله عزوجل عن تفكير في المخلوقات، فأعتقد أن التفكير يزيد الإنسان إيمانًا ورسوخًا في الإيمان.

ـــ نعم: التفكير أحد أسباب زيادة الإِيمان ورسوخِه، وجاءت قِصَّةُ إبراهيم المشار إليها في سورة البقرة، يقول سبحانه وتعالى على لسان إبراهيم: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ۖ قَالَ فَخُذْ

أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾ ﴾البقرة، إبراهيم خليل الله صلوات الله وسلامه عليه، يسأل الله سبحانه وتعالى أن يَرِيَهُ رؤية عَينٍ، (كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ)! فيستفسر منه سبحانه وتعالى وهو عليم بما يُكِنُّه قَلْبُهُ، لكن لحكمة أو لِحِكَمٍ ما يستفسر منه (أَوَلَمْ تُؤْمِن) فيجيبُ إِبراهيم عليه السلام: (بَلَىٰ وَلَـٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى).

إذن: هذه التجربة التي أجراها الله سبحانه وتعالى لإبراهيم، لتوضيح كيفية إحياء الله تعالى الموتى، حيث أَمَره: أن يأخذ أربعة أنواعٍ من الطيور، ثم يذبحهنَّ ويُجَزّئهُنَّ أجزاءً، ويجعل كلَّ جزءٍ على جبلٍ، ثم يدعوهن، وإذا هن يأْتينه سِراعاً! أَجَلْ هذه التجربة، أصبحتْ سبب اطمئنان قلب سيدنا إبراهيم، طبعًا كان قَلْبُهُ مطمئنًا، ولكن كي يزداد اطمئناناً، فيصير في قلبه نور على نور، يقول العلماء: إنه كان لدى سيدنا إبراهيم علم اليقين، لكنه أراد أن يحصل على عين اليقين، وهي درجة فوق درجة علم اليقين.

وإذا نظرنا في آيات كتاب الله الحكيم، نرى أدلّةً جَمَّة وشواهِدَ كثيرةً جداً على أن الله سبحانه وتعالى أَلْزَمَ المسلمين بالتفكير وبالنظر والتأمل، فعلى سبيل المثال:

١- يقول تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ۖ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾ ﴾الأعراف، (مَلَكُوتِ): الملك الواسع، (وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ)، يعني: فلينظروا في مُلك الله الواسع، وأيِّ شيء خَلَقَهُ، ليتأمَّلوه ولينظروا إليه.

٢- وقال تعالى: ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَـٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ ﴾عبس.

٣- وقال: ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَـٰنُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ ﴾الطارق.

٤- وقــــال: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾﴾ الغاشية،

٥- وقال: ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ... ﴿٢٠﴾﴾ العنكبوت.

إذن: العلماءُ الدارسون للأحياء، ولنشوء الكون، ونشوء الأرض، والبحار والجبال، ولمخلوقات الله سبحانه وتعالى، إنما يُطبِّقون أمر الله سبحانه وتعالى ويُنَفِّذون أمره: ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ﴾.

٦- وكذلك يأمرنا سبحانه وتعالى بالسير في التأريخ: ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُ ۚ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ ﴿٤٢﴾﴾ الروم،
يعني: تأملوا التأريخ الغابر والواقع الحاضر.

وكل ما ذكره الله سبحانه وتعالى لإلْزامنا بالتفكير والنظر والتأمُّل في كون الله المنظور، وكتابه المقروء، واللَّذيْن ملأهما الله الحكيم بالآيات البينات، الهدف منه: إطلاعُنا على بديع خَلْقه، ومُتقَنِ صُنعِهِ، وكذلك مَعْرِفَتُنا بكلامه الحكيم وذكره المبين، وذلك لأن من لم يستخدم عَقْلَه في النظرِ والتدبُّر والتأمل، فهو بِمنأْىً عن فهم أسرار كتابه المبارك، ودَرْكَ سنن خَلْقِهِ المُنَظَّم المُتْقَنِ، كما قال تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَـٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَـٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾ الحشر.

وقال في سورة العنكبوت: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾﴾ العنكبوت.

وبعد ذلك يقول: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾العنكبوت.

نَعَمْ، إنَّ فهَم أسرارِ كتاب الله الكريم، متوقِّفٌ على استعمال العقل والتفكير، ومُنحَصِرٌ في أهل العلم والمعرفة فحسب!

وبالنسبة لتوقُّف الإطِّلاع على أسرار الخلق، وإدراك سنن الله فيه، يقول تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾﴾يوسف، (وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ)، أي: لايَتأَمَّلُونَها ولا يَتَفكَّرون فيها، وبالتالي يُحْرَمون من معرفة حِكَمِها وخفاياها.

فهناك الكثير من آيات الله سبحانه وتعالى في كتابه المبارك، تَحُضُّ الناس وتحُثُّهم، بل تُلْزِمهم بالتفكير والنظر والتأمل: في ذات أنفسهم وفي ما حولهم، وفي كتاب الله، كتاب الله المقروء (القرآن)، وكذلك في كتاب الله المنظور(الكون).

إذن عملية التفكير عملية أساسية في رسوخ إيمان المسلم، وأعلم أن كتاباً لك سيصدر قريبًا عن (التفكير)، سيصدر في عدة أجزاء نظرًا لأهمية القضية، أوَدُّ أن أسألك لماذا اخترت كلمة: (التفكير الإسلامي) ولم تخترْ كلمة (الفكرالإسلامي)؟

ـــ الفكر نِتاجُ العقل، فعندما يُعمِلُ الإنسانُ عَقْلَه، يَنتُجُ عن إعمال العقل، شيءٌ، اسْمُهُ (الفكر)، والتفكير هو عملية إعمال العقل، وبما أننا عندما نُطلِقُ هذه الكلمة: (الفكر الإسلامي)، فإنَّ الفكر الإسلامي، يحتوي على الوحي، وعلى ما يَتَمخَّضُ عنه إعمالُ العقل في الوحِي وفي الواقع، لذا استعملتُ كلمةَ: (التفكير)، حتى أجعل الوحي المعصوم بمنأىً عن أن يتوهَّم أحدٌ، أنه من نتاج العقل، اذ الوحي جاء للإنسان من خارجه، من الله سبحانه وتعالى، لكن إعمال الإنسان عَقْلَهُ في الوحي، لفهمه، ولكيفية تنزيله على الواقع، فهذا نتاج بشري، فقصدت بهذا أن أُميِّز بين ما هو صادر من الإنسان، وما

هو صادر من رب الإنسان، وهو الله سبحانه وتعالى، وذلك كي لا تُخلَط الأوراقُ بعضها ببعض، إذ إنَّ بعض الدارسين من ذوي الإتجاه العلماني، يُسَمُّون الإسلامَ كُلَّه، يعني: قُرآنَه وسُنَّتَه، وتأريَخهُ، ومدارِسَهُ الكلامية والفقهية والأصولية والتزكوية، يسمون هذا كُلَّه: تراثاً، وهذا مصطلح موهِمٌ، لماذا؟ لأن التراث هو ما يتوارثه جيل عن جيل، أو تتوارثه الأجيال، بعضها عن بعض، وكلمة (التراث) في اصطلاح أهل الإسلام في هذا العصر، يحتوي على ما هو وحيُ الله تعالى، وهو الكتاب والسنة، وكذلك يحتوي على غير الوحي، وكلمة التراث تُوهِمُ بأنَّ الأجيال السابقة هي التي أنتجت هذا التراث، وهذا ليس صحيحًا، لأنه إذا ما قُصد بالتراث: نِتاجَ الفكر، سواء ما ارتبط منه بالعقيدة، أو بالفقه والأصول، أو بمجال تزكية النفس والتصوف، أو بمجال التأريخ، أو العلوم الآلية، فهذا صحيح، فما يُنْتِجُهُ العقلُ، بإمكاننا أن نسمِّيَهُ تراثًا وفكرًا، لكن ما أنزله الله سبحانه وتعالى بعلمه المحيط: ﴿قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ...﴿٦﴾﴾الفرقان، أو ما أوحاه الله الى نبيه الخاتم صلى الله عليه وسلم من خلال سُنَّتِهِ، فليس فكراً وليس تراثاً! إذن: لكي لا ندخل في هذه المتاهات، ولا نُتيحُ الفرصَةَ لخَلْطِ الأوراق، تَحاشَيْتُ عن استعمال: كلمة: (الفكر الإسلامي) واخترتُ: (التفكير الإسلامي).

والكتاب المُومى اليه، هو باللغة الكوردية، لكن سيُترجم إن شاء الله إلى اللغة العربية، وهو في الحقيقة موسوعة تحتوي على خمسة كتب، كل كتاب مُختَصّ بمحور على حدة:

١- المحور الأول: توضيح مفهوم وماهية التفكير الإِسلامي وكيفيته:

ويشتمل هذا المحورعلى أَربعة مواضيع:

أ- تعريف(التفكير الإسلامي) وكلمات أخرى قريبة منها: الفقه، الفهم، الثقافة، العلم، التراث، الحضارة.

ب- نظرة على تأريخ التفكير الإِسلامي، بين الوحي والواقع.

ج- مصادر التفكير الإِسلامي.

د- أهمية وضرورة (التفكُّر) في الإِسلام.

٢- المحور الثاني: جمهرة المسلمين وخصائهم العقدية والفكرية والسلوكية:

وأحصيتُ إِحدى وخمسين(٥١) خصيصة لجمهرة المسلمين المعروفة تأريخياً بعنوان (أهل السنة) أو (أهل السنة والجماعة)، وإِن كنت لا أُحبِّذُ استعمال كلمة غير (المسلمين) لأن الله تعالى يقول: ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَٰذَا ...﴿٧٨﴾﴾ الحج.

٣- المحور الثالث: التَّيارات الفكرية الرئيسة في تأريخ المسلمين:

وذكرت عشرين اتجاهاً فكرياً وهي:

١- الخوارج.	٢- الشيعة.
٣- الرافضِة.	٤- الناصبة.
٥- القدرية.	٦- المرجئة.
٧- الجبرية.	٨- الجهمية.
٩- المعتزلة.	١٠- الأَشاعرة.
١١- الماتريدية.	١٢- أهل الحديث والأثر.
١٣- التصوف والصُّوفية.	١٤- الباطنية.
١٥- المذاهب الفقهية.	١٦- الفلسفة والفلاسفة.
١٧- الوهابيــة.	١٨- السنوسية.
١٩- المهدية.	٢٠- الجامعة الإِسلامية.

٤- المحور الرابع: أسس التفكير الإِسلامي:

وهي - بنظري - خمسة:

١- معرفة الوجود(علم الوجود)ontulogy.

٢- الإيمان والعقيدة.

٣- التصورات.

٤- القيم.

٦- الموازين.

٥- المحور الخامس والأخير: عشر قضايا راهنة ساخنة:

حيث اخترت عشر قضايا من القضايا الراهنة والساخنة، والتي يدور حولها نقاش وجدل، وهي:

١- العلاقة بين العقل والنقل، أو الوحي والواقع.

٢- نقاط الوفاق والإفتراق بين الشورى والديمقراطية، أين يلتقيان وأين يفترقان؟

٣- غير المسلمين، حقوقهم وحرياتهم داخل المجتمع الإسلامي.

٤- حق تقرير المصير للشعوب.

٥- المرأة والأسرة في ظل متغيِّرات الدنيا.

٦- شرعيَّة التعدُّدية الفكرية والسياسية والدينية.

٧- دين ثابتٌ وحياةٌ متغيِّرة!

٨- التيَّارات والجماعات الإسلامية المعاصرة.

٩- عشرة أسس مهمة، لتآلف وتضامن التَّيارات والجماعات الإسلامية وتعاونها.

١٠- خمسة عشر أصلاً، للتديُّن الرَّصين والتَعبُّد المتين في الإسلام.

وجديرٌ بالذكر أنَّني اخترت هذه القضايا العشر، لأنَّني أراها أكثرها حساسيةً، ويدور حولها جدلٌ وأَخذٌ وردٌ كثير.

نريد منك أن تلقي مزيدًا من الضوء على مصادر التفكير الإسلامي كما ورد في هذه الموسوعة؟

ـــ مصادر التفكير الإسلامي حصرها في الموسوعة المشار اليها، في خمسة مصادر:

١- الحواس الخمس أو التجربة، لأن أول ما يتصل الإنسان بالواقع، إنما يتصل به من خلال حواسه الخمس: النظر والسمع واللّمس والشم والذَّوق، وهذه الحواس الخمس، تُنْتِجُ خبرةً ومعلوماتٍ شَتّى تَتَمّثلُ في: المرئيات والمسموعات والمشمومات والملموسات والمذوقات، وهذه تصبح ذخيرة بيد العقلِ، فيستفيد منها ليخطو خطوة أخرى نحو العالم غير المحسوس، لأن الحواس الخمس ليس بإمكانها إلا أن تَتَّصِلَ وتَلْتَقي بالعالم المحسوس، لكن يوجدُ في النفس البشرية، وكذلك فيما حولنا، جانب محسوس، يمكن إِدراكُهُ بالحواس، وجانب غير محسوس، لا يمكن إدراكه إلا بشيء مِمَّا وراء الحس، وهو العقل.

وتحدثت عن الحواس الخمس، ومدى الإِعتماد عليها وعلى نتاِجها، وكيف أنه ما لم يتدخل العقل في ما تُنْتِجُهُ الحواس الخمس، لا يُستفاد من الذخيرة التي تجمعها الحواس الخمس، كما أن الحيوانات لا تستفيد بما تدركه من خلال حواسه، ولهذا لا تَتَطوَّرُ الحيوانات، بل هي باقية على ما خلقها الله عليه، ولكن الإنسان يتطور ويتقدم بسبب العقل.

٢- ثم تحدثتُ عن العقل والدائرة التي يعمل في نطاقها، ولايمكنه تعدِّيها، ما لم يُساعِدْهُ الوحي الرَّبّانيُّ.

٣- وبعد ذلك تَحَدَّثتُ عن الوحي والذي يتجسَّد في القرآن العظيم وفي سنة النبي الكريم، وبينْتُ أن الإنسان بِإمكانه من خلال الوحي، الوصولُ الى دائرة الغيب، فَيَتَعَرَّفُ على الله الخالق الرب الإِله، وأسمائه الحسنى، وصفاته العُلى، وشؤونه المُثْلى، وكذلك بِإمكانه الإِطِّلاع على العوالم الغيبية من جنٍ وملائكة وجنةٍ ونار وبرزخٍ وآخرةٍ ...الخ.

من الواضح الجلي أن: هذه المصادر الثلاثة: مصادر عامة، أي: بالإمكان نَقْلُ ما تنتجه هذه المصادر الثلاثة، إلى الغير.

وهناك مصدران آخران خاصّان وهما:

٤- الإلهام، (الفراسة، العلم اللَّدُنّي، الحَدْس).

٥- والرؤى، أي ما يُحَصِّله الإنسانُ من العلم والمعرفة من خلال الرؤى.

وهذان الطريقان خاصَّان ويُعَدُّ مايُحصَّلُ من خلالهما: تجربة ذاتية، ليس بالإمكـــان نَقْلُها إلى الغير، أو أن يستفيد منها الغير.

هذه باختصار هي المصادر الخمسة التي حسب نظري واعتقادي، يعمل على أساسها ويستند إليها التفكيرُ الإسلامي.

٤٥

نَقْدُ منهج جماعات العنف والغُلوِّ، والطريقُ الصَّحيحُ للتديُّنِ

أبتليت الأمة الإسلامية ببعض أبنائها الذين خرجوا على صحيح الدين الإسلامي، وشكّلوا تنظيمات زعموا وادَّعوا أنها لخدمة الإسلام والمسلمين، ولإقامة شرع الله والدولة الإسلامية، ومثل هذه الشعارات التي يرفعونها، ولكن هذا التفكير المعوجّ أكثر ما يتضرّر منه، هو الإسلامُ والمسلمون، نريد منك أن تقوم بعملية نقديّة لمثل هذه الأفكار المنحرفة والتي تضُرُّ الإسلام والمسلمين، فنريد أن نعلم من فضيلتك كيف نواجه مثل هذه الأفكار التي تصدر تلك من التنظيمات الإرهابية، والتي صار وجهها الأبرز في هذه الأيام هو تنظيم داعش.

ـــ في البداية أريد أن أَضَعَ النِّقاطَ على الحروف في أربع مسائل، حتى لا تختلط علينا الأوراق.

الأولى: اللجوء إلى العنف، أمر قديم قِدَمَ التأريخ البشري، وهذا ليس خاصًّا بدينٍ معيَّن، أو بَلَدٍ معين، ولا بأمة محددة، إنما استعمال العنف واللجوء إلى القوة لتحقيق أهداف معينة، قديم وجاء هذا المسلك مع التأريخ البشري، أُوضِّح هذه النقطة لأنَّني أعلم وأُدرِكُ جيدًا أن القوى الكبرى والقوى المتربِّصة بالإسلام، وبعض الجهات المرتبطة بتلك القوى، من أحزاب علمانية وأنظمة مُسْتَبِدَّة، تُروِّج: بأن العنف نتاجٌ إسلامي مائة بالمائة!

وهذا ليس صحيحًا إطلاقًا، بل العنف إنما يُلجأ إليه، عندما ينحرف البشر عن الصراط المستقيم، سواء كان هذا البشر مسلمين، أو غير مسلمين، في الشرق أو الغرب، وفي الواقع الحاضر، أو في التأريخ الغابر، والآن نرى في دنيانا هذه، أن في الدول الأوروبية، وفي الشرق والغرب، كما في العالم الإسلامي، هناك تنظيمات وفئات ومجموعات تتبنَّى العنف.

الثانية: للإسلام عاملون يعملون لإعادة الإسلام إلى واقع الحياة، لأن الله سبحانه وتعالى أعلن حقيقةً على الأقل في ثلاث آيات من القرآن الكريم:

١- في سورة التوبة-٢٩-.

٢- وفي سورة الفتح-٢٨-.

٣- وفي سورة الصف-٩-.

وهذه الحقيقة هي: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ﴾.

فالله سبحانه وتعالى كما أنه أنزل كل الشرائع السماوية، كذلك أنزل الشريعة الخاتمة على رسوله النبي الأمي الخاتم محمد صلوات الله وسلامه عليه، لتحكم حياة البشر، اذ يقول سبحانه وتعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ ﴾.

إذن: هناك شيئان:

(١)- (**الهُدى**) ويحتوي على:

١- علم الوجود (المعرفة).

٢- والإيمان والعقيدة.

٣- والعبادة.

٤- والتقوى

٥- والخُلق الحسن،

هذه المحتويات الخمسة تشكل الهدى، لأن الهدى هو ما يحمله الإنسان في ذاته: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ ﴾، أي الهداية للفرد.

(٢)- ﴿ وَدِينِ ٱلْحَقِّ ﴾، الإسلام ليس محصورًا في الهدى أو في الهداية التي يحملها الشخص في ذاته، بل هناك شيء آخر أكبر من هذا، وهو الدين الحق، أي: المنهج الحق، والنظام الذي يجب أن يُطبِّقه المجتمع، يقول سبحانه وتعالى: ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ... ﴿٢٨﴾ ﴾الفتح، وإنما أنزل سبحانه وتعالى كتابه الكريم، وجَسَّده الرسولُ الخاتم في حياته، والذي تَمَخَّض تطبيقُ كتاب الله على أرض الواقع، عن السنة النبوية، أي طريقة النبي صلى الله عليه وسلم لتطبيق القرآن على الواقع، هذه الشريعة الخاتمة الآتية من قبل الله سبحانه وتعالى للبشر، أنزلها الله سبحانه وتعالى على البشر، لتكون مهيمنة على الحياة، (لِيُظْهِرَهُ)، أي: لِيُعْلِيَهُ على الدين كله، أي على كل المناهج، ليس إكراهاً وجبراً، وإنما إذا فهم الناسُ الإسلامَ، سَيَحْتَضِنونه ويَقْبَلونه ويُطَبِّقونه، فيُصْبِحُ صوتُ الإسلام عاليًا.

وعليه: العاملون للإسلام لا يجوز أن يكونوا في قفص الإتِّهام، لأن هناك من يتذرَّعون لضرب الحركات الإسلامية والتيارات الإسلامية العاملة للإسلام، بذريعة محاربة الإرهاب، وهناك مَن يُلْصِقون تُهْمةَ الإرهاب بكل الجماعات الإسلامية العاملة للإسلام، مع أن حيوية المسلمين في تلك الجماعات والتيارات، والعاملين المخلصين للإسلام، الذين يبذلون ويُضَحُّون بالنفس والنفيس في سبيل إعلاء كلمة الله سبحانه وتعالى، هذه حقيقة مهمة، يجب أن نُدْرِكَها كما هي.

الثالثة: الجماعات التي تتبنَّى العنف على طول الخط، من دون تَوَفُّر الشروط الشرعية، هي موضع النقد فَحَسبُ، وذلك لأن بعض الجماعات العاملة للإسلام، قد تُضْطَرَّ لأن تستخدم القوة، ولكن في وقتها وبشروطها الشرعية، والجهاد ماضٍ إلى يوم القيامة، وفي

أحاديث نبوية شريفة، إشارة واضحة إلى هذا، منها هذا الحديث: (لَـن يَبْـرَحَ هَـذَا الدِّينُ قَائِمًا يُقَاتِلُ عَلَيْـهِ عِصَابَةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ)[1].

لكن مشكلة هذه التنظيمات والجماعات والتي الآن تُوصم بالتطرف، هي أنّها لاتُفكِّر بغير السلاح، ولا تُحْسِنُ الاّ القتل والقتال، سواء كان في محلِّهِ أو في غير محلِّه، و سواء تحققت الشروط الشرعية، أو لم تتحقق، وبالتالي كان القِتالُ بغير وجه الحق!

الرابعة: كما ذكرت في كتابي: (نقض التطرف ودحض أفكار المتطرفين)، أَنَّ تعريف الإرهاب، ينطبق على جماعة داعش، وعلى من هم على شاكلتها، ولكن كما ينطبق هذا التعريف على داعش، فإنه كذلك ينطبق على القوى الكبرى التي تريد أن تهيمن على الناس وتبتزَّهم حقوقهم، وتَنْهَب خيراتِهم، وتستولي على بلادهم، سواء كانت دولاً أو منظمات، اذ الإرهابي هو كل مَنْ يُرْهِبُ غيرَه ويُرْعِبُهُ بغير حق، فكل من يستخدم القوة بغير وجه الحق، لفرض إراته ولفرض هيمنته، ينطبق عليه تعريف الإرهاب[2]، سواء أكان دولة عظمى أو صغيرة، وسواء كان تنظيماً إسلامياً أو علمانياً، وسواء كان في المجتمعات الإسلامية، أو غير الإسلامية.

أردت أن أوضح هذه المسائل الأربع، حتى لا تُخْلَطَ الأوراق ببعضها، ولا أحَدَ يتَّهِمَ كلَّ الجماعات الإسلامية، بالعنف، والتي في أغلبيتها المطلقة ترفض الإرهاب والعنف واستخدام القوة لفرض الإراة، بل تسير على منوال الرسول (محمد) عليه الصلاة والسلام

---

١) أخرجه مسلمٌ في «الإمارة» (١٩٢٢) مِنْ حديث جابر بنِ سَمُرَةَ بنِ جُنادةَ بنِ جُنْدبٍ رضي الله عنهما.

٢) كلمة: (إرهاب) ترجمة كلمة (terror)، ولكن لي ملاحظة في هذا المجال، - كما ذكرتها سابقاً- وهي: أَنَّ الإرهاب ليس مذموماً بإطلاق، بل قد يكون ممدوحاً: فإرهاب الإعداء وإرعابهم، كي لا يطمعوا فيك، مُحَبَّذٌ بل واجب، كما قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ...﴿٦٠﴾﴾الأنفال، لكن (terror)، والذي هو استخدام القوة والعنف والإرعاب في غير مَحِلِّة وبغير وجه الحق، فهو مذموم في كل الأحوال بلا استثناء.

ومنهاجه، وكذلك كل الأنبياء السابقين عليه، إذ لم يأْتِ نبي كي يفرض إرادته أو دينه على واقعٍ ما، بل أعداء الأنبياء هم الذين كانوا يُهَدِّدون الأنبياء وأتباعهم: بالحرق، والصلب، والإخراج من الوطن، والرجم، كما يقول الله سبحانه وتعالى:

١- ﴿أَخْرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ۝٥٦﴾النمل.

٢- وقيل لسيدنا إبراهيم: ﴿قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ۝٦٨﴾الأنبياء، إذن إبراهيم هو المُهدَّدُ بالحرق.

٣- ﴿لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۝١٣﴾إبراهيم، وهذا ما قالَهُ كلُّ الطواغيت للأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

٤- ﴿قَالُواْ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ ۝١١٦﴾الشعراء، فالأنبياء عليهم الصلاة والسلام هم الذين هُدِّدوا بالإخراج من الوطن، وبالرجم، وبالحرق، وبالقتل، لكن الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، لم يُهَدِّدوا أحداً، حتى في مقابل التهديد!

والجماعات الإسلامية التي فهمت الإسلام فهمًا صحيحًا، في ضوء القرآن والسنة، تسير على هذا المِنوال وتنتهج هذا النهج، والنبي الخاتم محمد صلى الله عليه وسلم، وهو أسوتنا وقدوتنا، يقول سبحانه وتعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ... ۝٢١﴾الأحزاب، بل كان الأنبياء يقولون: ﴿وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا... ۝١٢﴾إبراهيم، فما الذي فَعَلَهُ الرسولُ عليه الصلاة والسلام في كيفية التعامل مع المجتمع واستخدام القوة؟:

أ- أما في مكة المكرمة، فكان الصَّبر وضبط النفس وعدم الرد على العنف، هو النهج المتَّبع، يقول سبحانه وتعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓاْ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ... ۝٧٧﴾النساء، في المرحلة المكية أَمَر الرسولُ عليه الصلاة والسلام

أتباعَهُ، أن يَكُفُّوا أيديَهم، (كُفُّوا أيديكم)، يعني: لا تقاوِموا واصبروا، وإن ظُلِمْتُم وضُرِبتم.

ب- ولكن في المدينة، بعدما حصل للمسلمين كيان سياسي، بدون أن تُراق قطرة دم، وبدون إكراه أو إجبار من الرسول عليه الصلاة والسلام وجماعته لأحد، وإنما على أساس بيعتين: بيعة العقبة الأولى في عام (١٢) من البعثة، وبيعة العقبة الثانية في عام (١٣)،(١) بعد هذا التحوُّل المهم، أُمِرَ الرسولُ عليه الصلاة والسلام وأتباعُهُ، باستخدام القوة، لا لتحصيل كيانٍ سياسي، ولا لإكراه الناس، بل للدفاع عن أنفسهم وحرماتهم ومقدساتهم: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَـٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾﴾ الحج، إذن: هذا هو الجو الذي أُذن فيه للمسلمين باستخدام القوة، للدفاع عن أنفسهم وعن كياهم السياسي، والذي تكوَّن بدون استخدام القوة، وإنما بالإقناع والحوار وإفهام الناس ودعوهم، واحتضان الناس لهذه الدعوة المباركة، والتي تحوَّلت فيما بعد إلى كيان سياسي، ودولة مباركة، وارفة الظلال للساكنين تحت ظلها ولمن حولها.

١) السيرة النبوية لابن هشام. ج٢ ص٢٢٢-٢٢٩.

هذه التنظيمات الإرهابية تشَكِّلُ خطرًا على الإسلام، هل ترى أن المواجهة لهذه التنظيمات تكون مواجهة مسلحة وأمنية وبالقوة فحسب، أم أن هناك أيضاً أهمية كبيرة للمواجهة الفكرية التي تتصَّدى لمثل هذه الأفكار وتدْحَضُها، وتبْرِزُ الوجْهَ الحقيقي للإسلام والمسلمين، لوقاية كثير من الشباب من الوقوع في براثن هذه الجماعات؟ ثم من يقوم بمثل هذه المواجهة الفكرية وكيف؟

ـــ يجب أن نبحث أولاً ما هي أسباب التطرف والعنف واللجوء إلى القوة، من قبل تلك الجماعات؟ وبعد أن نُحلِّلَ ونوضح تلك الأسباب، بإمكاننا أن نحصل على جواب، سؤال: كيف نواجه مثل هذه التنظيمات والجماعات التي تتبنَّى العنف على طول الخط؟!

وكما ذكرته في كتابي: (**نقض التطرف**) – والذي تناولنا الحديث عنه في محور سابق – عندما ندرس الأسباب والدوافع التي تدفع هذه المجموعات إلى العنف، نجد من ضمنها:

أولاً: الأوضاع العالمية المفروضة على المسلمين وعلى العالم الإسلامي، من قِبَل القوى الكبرى الُمتَسلِّطة على رقاب المسلمين: الناهبة لخيراتهم والسالبة لإراداتهم، وتَسَلُّط هذه القوى الكبرى، لها تأثير كبير في أن يُفَكِّر بعضُ المسلمين في كل شيء، سواء كان يَسَعُهُ الشَّرعُ، أم لا، لِكيفية مقاومة هذا الطغيان والعدوان الخارجي.

ثانياً: الإستبداد الداخلي، كما أن للعدوان الخارجي من جانب القوى الكبرى، تأثيراً كبيراً في أن يفكر أناس في كلِّ شيء، صحيح أو خطأ، لِكيفية رَدْعِ هذا العدوان الخارجي، فيلتجئوا إلى استخدام القوة، كذلك الإستبداد الداخلي من قبل الأنظمة الفاسدة والمتسلطة على رقاب الشعوب، والُمسْتَضعِفَة لشعوبها والناهبة لخيراتها والسالبة لإراداتها، أيضًا لها تأثيرٌ كبير، وخصوصًا عندما تُجرى انتخابات تَتَمخَّضُ عن نتائج، ولكن بعد ذلك يحصل إِجهاضُ هذه الإِنتخابات والإنقلاب على نتائجها! فهذا أيضاً له تأثير كبير في أن يجعل هؤلاء الأُناس يفكِّرون في كل شيء، بعدما يصطدمون بجدارٍ متمثّل في: العدوان الخارجي والإستبداد الداخلي!

ثالثاً: كذلك هناك أمام الشباب: سَدٌ لمنافِذِ الحصول على العلم الشرعي الرصين، والفهم الصحيح، والتربية الصحيحة، على أساس القرآن والسنة، وذلك أن القوى الكبرى الضاغطة على الدول الإسلامية، وكذلك الأنظمة الفاسدة الضاغطة على مجتمعاهّا، وعلى المؤسسات الدينية الرسمية، تُفْرِغُ هذه المؤسسات الرسمية من محتواها، وبالتالي: لايَثِقُ الناسُ، وخصوصاً جيلُ الشباب، بتلك المؤسسات، فيذهبون هنا وهناك لإرواءِ ظَمَئِهم الروحي، ومَلأً فراغهم الفكري، فَينحرِفون ويتيهون في المتاهات، وخصوصًا في هذا العصر وتطوراته المعلوماتية والتكنولوجية التي تتطور يومًا بعد يوم، فمن السهل أن يحصل الشباب على المعلومات التي تحلو له، وليس على المعلومات التي تفيده، والتنظيمات المتطرفة أو المُتخِذَةُ للعنف منهجًا، لهم باع طويل في هذا المجال، لتغذية جيل الشباب المتطلع إلى الحياة، بفكرهم الغالي المنحرف، والشباب كما هو معلوم للجميع: مملوء حماسة ونشاطًا وقوة، وتنقصهم التجربة والخبرة، فيتأثرون بسرعة، سواء كان بالخير أو بالشر.

ثم بعد أن حَلَّلْنا أسبابَ التطرف، بإمكاننا أن نعلم: كيف نواجهُ التطرف والعنف؟ فلا يُواجَهُ التطرفُ والعنف باستخدام القوة فقط، وإنما:

١- القوة في مقابل القوة.

٢- والفكر في مقابل الفكر.

٣- والتربية الصحيحة، في مقابل التربية المنحرفة والمعوجَّة.

٤- والجهة الموثوق بها لتعليم وتربية الناس، في مقابل الجهة المقدوحة وغير الموثوقة، وأقصد بها: المؤسسات الرسمية التي أُفْرِغَت من محتواها.

إذن: على الجميع أن يُعيدوا النظر في حساباتهم، فالدول التي تريد أن تَسُدَّ المنافِذَ أمام الإرهاب، والتفكير العنيف، يجب أن تسعى إلى تربية الشباب تربية صحيحة، وتَغْذِيتهم تغذيةً صحيحة بالعلم الشرعي الصحيح.

وكذلك يجب على هذه الدول أن تجعل المؤسسات الرسمية موثوقاً بها، بحيث تُؤْخَذُ منها الفتوى والتوجيهات، بَدَلَ أن تكون مقدوحة ومجروحة، - كما هو الحال الآن في الأعم الأغلب - فَيَفقِدُ الناسُ الثقة بها، ويتَّجهوا هنا وهناك للحصول على المعلومات عن الإسلام، والتدين الذي يريدون أن يمارسوه في حياتهم.

هل ترى أن هذه المواجهة الفكرية، في ظل الظروف التي نحياها، لابد أن تتخذ أساليب تواكب العصر الذي نعيشه، وتناسب جيل الشباب؟!

ـــ نعم ينبغي مخاطبة الناس على قدر عقولهم، وفي الأثر: (**إنا معاشر الأنبياء أُمِرْنَا أَنْ نُحَدِّثَ النَّاسَ عَلَى قَدْرِ عُقُولِهِمْ**)[1]، ولننظر في هذا المجال الى سيرة سيدنا علي رضي الله عنه وهو الخليفة الرابع الراشد، وكان أول من ابتُلي بالتطرف والمتطرفين الذين يلجأون إلى القوة، لفرض إرادتهم، وهم جماعة الخوارج، فكيف تعامل سيدنا علي رضي الله عنه مع الخوارج؟ هل استخدم القوة ضدهم في بداية الأمر؟ لا، وإنما قال:

{**لكم علينا ثلاثة حقوق:**

١- لا نمنعكم مساجِدَنا، أن تُصلُّوا معنا.

٢- ولا نمنعكم الفيء والغنيمة، إذا شاركتمونا في القتال.

٣- ولا نبدأكم بالقتال ما لم تبدأوا}.[2]

هذه شروط ثلاثة للمعارضة السياسية، وإن كانت مُسَلَّحة.

وبعد ذلك أرسل إليهم عبد الله بن عباس رضي الله عنه وعن أبيه، وحاورهم وجادلهم وناقشهم، فقال: ما الذي تنقمونه على الخليفة (علي رضي الله عنه)؟ قالوا: ننقم عليه أنه حكّم الناس، والحكم لله سبحانه وتعالى! وذلك عندما رضي علي رضي

---

١) أخرجه الديلمي عن ابن عباس مرفوعاً، ينظر: المقاصد الحسنة فيما اشتهر على الألسنة للسخاوي، رقم ١٧٧.

٢) خرّجنا هذا الأثر من قبل.

الله عنه، وهو رضي مُجْبَراً ومُكْرَهاً، أن يُمَثِّلَهُ: أبو موسى الأشعري، ويُمَثِّل جماعة معاوية: عمرو بن العاص، رضي الله عن الجميع وغفر للجميع، وكان سيدنا عليٌّ يُلِحُّ أن يُمَثِّلَهُ عبد الله بن عباس، لكن الخوارج لم يرضوا بهذا، وقالوا: يجب أن يُمَثِّلنا أبو موسى الأشعري، وكان علي رضي الله عنه يعلم أن عبد الله بن عباس في هذه الناحية: ناحية الدبلوماسية والمفاوضات، أكثر ذكاءً من أبي موسى الأشعري.

ولما ذهب الحَكَمان الى (دومة الجندل) وخَسِرَ طَرَفُ علي رضي الله عنه صوريًا، المفاوضات، ثم بعد ذلك انتقد علياً الخوارجُ، وهم الذين أكْرهوه على قبول المفاوضة والصلح، وقالوا: كيف رضيت بالتحكيم؟ فأجابهم عبد الله بن عباس، وقد أرسلَهُ الخليفة الرابع الراشد رضي الله عنه ممثِّلاً عنه لمحاورتهم وثنيهم عن رأيهم: أَأَمْرُ الأُمَّةِ أعظم، أم أمر الزوجين؟ قالوا: أمر الأمة، قال: لكن الله سبحانه وتعالى قال بالنسبة للزوجين المتشاجرين: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُواْ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴿٣٥﴾ ﴾النساء، فإذا كان التحكيمُ جائزًا للإصلاح بين الزوجين، فهو للإصلاح بين فئتين عظيمتين، أولى وأحْرى!

ثم قال: وقال الله سبحانه وتعالى، بالنسبة لمن يقتل صيدًا وهو مُحْرِمٌ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْتُلُواْ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ ﴿٩٥﴾ ﴾المائدة، ذوا عدل منكم يعني: حكمان عدلان! فرجع وندم أغلبهم.

مشكلة الخوارج كانت هي الفهم السطحي للإسلام، والفهم الظاهري للآيات المباركة، وبَترِها عن سياقاها، وكانوا يستغنون بالقرآن عن السنة، وإنَّما يُتَمَكَّنُ من تطبيق القرآن بالشكل الصحيح وتجسيده على أرض الواقع، مَنْ يلتزمُ بالسُنّة، والسُنّة هي طريقة النبي صلوات الله وسلامه عليه لكيفية تطبيق القرآن، فالذي يتخلّى عن

السنة، لا يمكنه أن يُطَبِّق القرآن، وإنما يُطَبَّقُ القرآنُ من خلال طريقة النبي صلى الله عليه وسلم، وليس القرآنُ شيئاً مبايناً للسُنة، بل روحُ السنة وجوهرها هو القرآن، والسنة ليست إلا تطبيق القرآن وتجسيده على أرض الواقع، كما ذكرنا مرارًا.

قصدي: أن سَيِّدَنا علياً رضي الله عنه حاور الخوارج وجادلهم وناقشهم بنفسه مباشرة، ومن خلال موفَدِه، وثم بعد ذلك لم يبدأهم بالقتال، إلى أن بدأوا هم وقتلوا وسفكوا الدم الحرام، وبعد ذلك كرد فعل، قام الخليفة الراشد بقتالهم، في واقعة (نهروان) التي أُبيد فيها أكثرية الخوارج، وَبَقِيَتْ قِلَّةٌ منهم.

حضرتك تؤكد على ضرورة أن تكون هناك وسائل مواكبة للعصر، يتيسَّرُ لعالِم الدين من خلالها أن ينفذ إلى جيل الشباب، ويحاورَهم بلغتهم التي يفهمونها، خاصة أن هذه التنظيمات - تجيدُ كما ذكرت فضيلتك - استخدام التكنولوجيا والتأثير على الشباب، لأننا نلحظ أن كثيراً من علماء الدين الذين يتصدَّون لمثل هذه الأفكار، إنما يتَّبعون أساليب ربما تكون قديمة، وهذا لا يساعِدُهم على إنجاز مهمتهم.

ـــ هذا شيء وجيه، قبل أن نتحدث عن كيفية مواجهة التطرف، يجب أن نقدِّم الإسلام في كل عصر، تقديمًا عصريًا أصيلاً، بحيث يكون هذا الإسلام، هو النابع من الوحي، من القرآن والسنة، ولكن بأسلوب عصري، وهكذا فعل سلفنا الصالح رحمة الله تعالى عليهم، لم يأت عالم وإمام من أئمتنا، قلّد سَلَفه في كيفية عرض الإسلام، أو في كيفية اجتهاده واستنباطه للأحكام، إنما كل عالِمٍ راعى عصره وظرْفَه ومجتمعه وعاداتِهِ وتقاليده، ونظر إلى الوحي، و لم يُقَلِّدْ أحدُ الأئمة المجتهدين سابقَهُ، اذ حرام على المجتهد أن يُقَلِّد مجتهدًا مثله، بل يجب أن يجتهد كما اجتهد، وأن ينظر في الوحي، كما نظر.

وبالنسبة للحوار مع تلك المجموعات: فإن بعض العلماء والمؤسسات، يُنَفِّذون ما يُملى عليهم من السلطات الحاكمة، فيرفضون كلَّ شيء (حقاً كانَ أو باطلاً) طالما كان صادرًا عن جماعة معينة من هذه الجماعات المُتَّخِذَة للعنف منهجًا، والمتطرفة والغالية!

وهذا مَسْلَكٌ مُجحِفٌ وباطل، إِذْ ليس كلَّ ما يقولونه، غيُر شرعي وغيُر صحيح، بل يجب أن نميِّز بين الغَثِّ والسَّمين، والحق والباطل، يقول سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ ...﴿٧١﴾﴾ **آل عمران**، حتى أهل الكتاب: اليهود والنصارى وغيرهم، يمكن أن يكون لديهم بعض الحق، طبعًا القليل يُخْلَطُ بالكثير، يعني: لديكم حق قليل، ولكن تخلطونه بباطل كثير، فالله عزوجل يُقِرُّ أن أهلَ الكتاب لديهم بعض الحق! وتلك الجماعات أيضًا، وهم أهل قبلتنا، قد يكون لديهم كثير من الحق أو في الأقل بعض الحق، فيجب أن نُسَلِّمَ لهم ونُقرّ لهم بحقهم، لا أن نرفضهم ونشطبهم شطبًا، اذ هذا يجعلهم: يزدادُ ردُّ فعلهم، ويزداد يأسهم، ثم تحصل لديهم حجة: أن هذا المجتمع لا يقبل الحق، وهذه الدولة أو المؤسسة الرسمية، لا تقبل الحق! لذا ينبغي أن نميِّزَ بين الغث والسمين، والحق والباطل، فنقبل الحق منهم، ونرفض باطلهم.

نعم الحوار والمواجهة الفكرية، هي الأساس في كيفية التعامل مع تلك الجماعات الغالية المتطرفة، وبعد ذلك: (آخر الدواء الكيُّ) كما فعل سيدنا علي رضي الله عنه، وأُكرِّر: إِن سَيِّدَنا علياً رضي الله عنه الخليفة الرابع الراشد، هو مَثَلُنا الأعلى وقدوتنا، في كيفية التعامل مع المعارضة السياسية المسلحة، المتَّخِذَة للعنف واستخدام القوة، منهجاً لتغيير الواقع.

٤٦

تصويبات حول موضوع الجهاد والقتال

من القضايا والمفاهيم التي تطرحها هذه الجماعات وتعتمدها، ومن المُؤكَّد أنها تنظر إليها نظرة سطحية ومغلوطة: ١- الجهاد، ٢- الدعوة للإسلام، ٣- الجاهلية، ٤- الحكم بما أنزل الله، أو تطبيق الشريعة، ٥- الحاكمية، ٦- الولاء والبراء، ٧- دفع الصائل، وغيرها من المفاهيم، والتي حولها غموض والتباس كبير، سواء في فهم هذه التنظيمات الإرهابية، أو حتى لدى رجل الشارع العادي، نريد منك إِلقاءَ الضوء على هذه المفاهيم بشكل مفصَّل، وبما يقول به صحيح الدين، وليس كما تطرحه تلك الجماعات!

ــ بداية أودُّ جَلْب انتباهك إلى مسألة، وهي: أَنَّني لا أُحَبِّذُ أن نستعمل كلمة (التنظيمات الإرهابية) أو (الإرهابيين)، لماذا؟ لأن لدينا مصطلحات وكلمات أخرى بديلة عنها وأدق منها، مثل: الجماعات الغالية أو المغالية، الجماعات العنيفة، الجماعات المُتطرِّفة، الجماعات المتنطِّعة، الجماعات المتشدِّدة، والإِشكال في: كلمة الإرهاب، إذ الإرهاب ليس مرفوضًا بإطلاق – كما ذكرنا في السابق - بل قد يكون مطلوباً، يقول سبحانه وتعالى في سورة الأنفال: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمۡ لَا تَعۡلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعۡلَمُهُمۡ...﴿٦٠﴾﴾الأنفال، أن تُرْهِبَ أعداءك، فهذا شيء مُحَبَّذٌ ومطلوب، هل تريدُ أن

تُطْمِعَ عدوَّك فيك، بسبب ضعفك؟ من يُطْمِعُ فيه أعداءَهُ، فهو يساعد أعــداءَه عليــه، وهذا شيء مَرفوض، بل يجب أن ترْدَ ع أعداءَك، بسبب امتلاك القوة، حتى لا يَطْمَعــوا فيك، الأعداء لهم طبــيعة سَبُعيَّة، السباع تطمع في الصــيد الســهل المنــال، فكلمــة (الإرهاب) إذا استعملناها هكذا بإطلاق، يُسَبِّبُ لنا إشكالاتٍ كثيرة: الدول العُظمــى الآن تُرهِبُ الدنيا: أمريكا، وروسيا، وكذلك الأنظمة المُسْتَبِدَّة: تُرْهِبُ شعوبها، تُرهِبُهــا بالسجن والقتل والذبح وبالدوس على رقبتها وقطع أرزاقها ....الخ، والإرهــاب لــيس مرفوضًا بإطلاق، وإنما إرهاب الأبرياء والمدنيين، إرهاب مــن لا يســتحق الإرهــاب، وإرعاب من لا يستحق الإرعاب، هذا هو المرفوض، أما أن تُرْهِبَ عَدُوَّك، فهــذا هــو المطلوب، وكل دول العالم هكذا تفعل، أمريكا وروسيا والصين، سواء بحق أو بغير حق، الآن لماذا لا تجرؤ الدول العربــية الإسلامية على التصدِّي لإسرائيل؟ لاشك أنه بســبب ما تمتلك من ترسانة نووية، فإسرائيل تُرْهِبُ وتُرْعِبُ ما حولها من الدول، وبحسب وجهة نظرها، فإنَّها تقوم بشيء جيد: اذ تمتلك الأسلحة التي تُرْهِبُ بها أعداءَها.

إذن: يجب أن نحذر، من استعمال الكلمة (الإرهاب)، ولهذا أنا كــثيرًا مــا أقــول: الجماعات المنتهجة للعنف، أي تنتهج العنف، وتستخدم القوة في غــير محلــها، وبغــير شروطها.

هذه ملاحظة مهمة يجب أخذها بنَظَرِ الإعتبار، كي لا نَتَطَّرف نحن أيضاً في مقابــل المتطرِّفين! أما بالنسبة لتلك المفردات التي أشرت إلى بعضها، فيجب أن نأتي عليها واحدة تلو الأخرى.

مـثلاً: (الجهـاد) وفقـًا لمـا تطرحـه هـذه التنظيمـات المتطرفـة أو المنتهجـة للعنـف، هـي تطـرح موضـوع الجهـاد، وتـرى أن الجهـاد هـو الفريضة الغائبة التي يجبُ القيامُ بها، مـاذا تقـول لهـم في توضـيح

المفهوم الحقيقي للجهاد، وهل مفهوم الجهاد مقتصر فقط على القتال والحرب؟!

ـــ أقول:

استعملت كلمة الجهاد في السور المكية كثيراً، فعلى سبيل المثال:

أ- يقول سبحانه وتعالى في بداية سورة (العنكبوت): ﴿وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦﴾.

ب- ويقول في الآية الأخيرة من نفس السورة: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا...۝٦٩﴾**العنكبوت**، وسورة العنكبوت مكية.

ج- وكذلك جاء في سورة(الفرقان) المكية: ﴿وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ۝٥٢﴾، والضمير هنا يعود الى القرآن، أي جاهد المشركين بالقرآن جهاداً كبيراً، والجهاد الكبير الذي يُمارَسُ على أساس القرآن، وبالقرآن: هو دعوة الناس الى الإِسلام، وتفهيمهم إِياه، ودحض أباطيل المشركين ومفترياتهم، هذا هو الجهاد الكبير.

د- ويقول سبحانه وتعالى في سورة (الحج) وهي من السور المكية: ﴿وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۝٧٨﴾، إذن: هناك استعمال لكلمة الجهاد في السور المكية، قبل السور المدنية، فما المقصود بالجهاد؟ يقول علماء اللغة: الجهاد: (هو بذل أقصى ما في الوسع)، إذا استعمل لفظ (الجهاد) بدون إضافة، فهو بَذْلُ أقصى ما في الوسع، والجهاد في سبيل الله: (هو بَذْلُ أقصى ما في الوسع، لإرضاء الله، ولإعلاء كلمة الله سبحانه وتعالى).[1]

وفي الحديث النبوي: (جَاهِدُوا الْمُشْرِكِينَ بِأَمْوَالِكُمْ وأيديكم وَأَلْسِنَتِكُمْ

---

١) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن، ص٢٠٨، لراغب الأصفاني، ومختار الصحاح، ص١١٤.

وقلوبكم)(١)، إذن: هناك غير القتال، ثلاثة أنواعٍ من الجهاد: الجهاد المالي، والجهاد اللساني، والجهاد القلبي، وعليه: القتالُ نوع من أنواع الجهاد فحسب، ولم يُفْرَض القتال ويُؤْذَنْ به، الاَّ في المدينة المنورة، لكن المسلمون مأمورون بالجهاد في كل مراحل الحياة، وجاء في بعض الآثار أن الرسول عليه الصلاة والسلام رجع من إحدى الغزوات فقال: (رَجَعْنَا مِنْ الْجِهَادِ الْأَصْغَرِ إِلَى الْجِهَادِ الْأَكْبَرِ)(٢)، وإذا لم يكن الحديث صحيحًا من حيث السند، لكن معناه صحيح، لأنَّ مَنْ لم يجاهِدْ نَفْسَهُ، فَلَمْ يتعلَّمْ القرآن والسنة ولم يفهم الإسلام: معرفةً بالوجود، وإيماناً واعتقاداً، وعبادةً، وخُلقاً، فهو لم يجاهِدْ نَفْسَه، كما يقولُ الرسول صلى الله عليه وسلم في أحد الأحاديث: (المجاهِدُ مَنْ جاهَدَ نَفْسَهُ في طاعة الله)(٣)، فالذي لم يجاهِدْ نَفْسَه، لحمل نَفْسِهِ على الإلتزام بالشريعة، وَقبْلَه على الفهم الصحيح للإسلام، والتخلُّق بالخلق الحَسَن، لا يمكنه أن يقوم بالجهاد خارج نفسه، هذا هو المفهوم الواسع الأصليُّ الصحيح للجهاد.

ومن أنواع الجهاد: القتالُ في سبيل الله سبحانه وتعالى، وللقتال شروطه وظروفه وملابساته، والتي بإمكاننا أن نختصرها فنقول: لايجوز قتال من لا يقاتلُنا، كما هو منطوق كثير من الآيات المباركة، ومنها على سبيل المثال: ﴿ وَقَٰتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ ﴾البقرة، أي لا تقاتلوا من لا يقاتلكم، هذا في سورة البقرة، وكذلك في نفس السورة: ﴿ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ

---

١) رواه أحمد: ١٢٢٤٦، وأبوداود: ٢٥٠٤، والنسائي: ٣٠٩٦، وابن حبان: ٤٧٠٨١، والحاكم (٢/٨)، وصححه على شرط مسلم ووافقه الذهبي.

٢) رواه البيهقي بسند ضعيف، وقال العراقي: وقال ابن حجر العسقلاني: هو كلام إبراهيم بن أبي عبلة وليس حديثاً، مجموعة فتاوى ابن باز: ٢٦/٣٨١

٣) رواه أحمد: ٢٣٩٥٨، وابن حبان: ٤٨٦٢، والطبراني في المعجم الكبير: ٧٩٦، والحاكم: ٢٤، والنسائي في الكبرى: ١١٧٩٤، والترمذي: ١٦٢١.

عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ... ﴿١٩٤﴾ البقرة، أي: اتقوا الله ولا تعتدوا على من لم يعتد عليكم.

وكذلك في سورة النساء يذكر الله سبحانه وتعالى أقوامًا اختاروا الحياد بين أهل الإسلام، وبين قومهم، فيمنع الله تعالى المسلمين من التعرُّض لهم، كما يقول: ﴿فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَخُذُوهُمۡ وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡۖ وَلَا تَتَّخِذُواْ مِنۡهُمۡ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرًا ﴿٨٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٌ أَوۡ جَآءُوكُمۡ حَصِرَتۡ صُدُورُهُمۡ أَن يُقَٰتِلُوكُمۡ أَوۡ يُقَٰتِلُواْ قَوۡمَهُمۡۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمۡ عَلَيۡكُمۡ فَلَقَٰتَلُوكُمۡۚ فَإِنِ ٱعۡتَزَلُوكُمۡ فَلَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ وَأَلۡقَوۡاْ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمۡ عَلَيۡهِمۡ سَبِيلٗا ﴿٩٠﴾ النساء، فمن اختار الحيادَ بيننا وبين أعدائنا، يجب أن نحترم موقِفَهُ ولا نتعرَّض له بسوءٍ.

وجاء الأمر بالجنوح للسَّلم، عند جنوح الكفار المُقاتلين له، في سورة الأنفال: ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ فَٱجۡنَحۡ لَهَا وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ... ﴿٦١﴾ الأنفال.

وهناك إِشكال – لدى بعض الناس – حول إِحدى آيات سورة التوبة المباركة، وهي الآية الخامسة من سورة التوبة والتي يسميها كثير من المفسرين بآية السيف، مع أن السيف لم يُذكر في القرآن، ولم ترد كلمة السيف في القرآن، نعم وردت كلمة (القوة) وكلمة (أسلحة)، لكن كلمة السيف لم ترد في القرآن، ومع هذا فإن بعض المفسرين سَمَّوا هذه الآية المباركة بآية السيف، ثم قالوا: إن هذه الآية المباركة نسخت عشرات الآيات، وما هي الآيات المنسوخة؟ هي - في نظر كثير من المفَسِّرين - كل الآيات التي تأمر بالصبر والعفو والصفح والدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، قالوا: هذه الآيات كلها منسوخة! مع أَنَّني لا أعتقد أنه توجد آية منسوخة في القرآن، بالمعنى الإِصطلاحي والعرفي للنسخ، وهو: (**إزالة حكم سابق بحكم لاحق**)[1]، ولا توجد آية

١) مفردات ألفاظ القرآن، ص٨٠١ (ونسخ الكتاب: ازالة الحكم بحكم يتعقبه).

في القرآن لا يُعمل بها، نعم هناك آيات وأحكام لا يمكن أن نَطَبِّقها، لأن الأرضية غير مُمَهَّدة والأجواء غير مناسبة، لكن لا نقول: إنها منسوخة، وإنما نقول: إنها موقوفة، ولا يمكننا تطبيقها الآن، وهذا هو نصُّ الآية الخامسة في سورة التوبة - والتي سُمِّيت بآية السيف - يقول سبحانه وتعالى: ﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ ﴾التوبة، ما المقصود بالأشهر الحرم؟ المقصود بالأشهر الحُرُمِ، مُبين في بداية سورة التوبة، يقول سبحانه وتعالى: ﴿ بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١﴾ فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢﴾ وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُۥ... ﴿٣﴾ ﴾التوبة، وعليه: فالأشهر الحُرُم الأربعة، هي: الأربعة أشهر التي جُعِلَت مُهْلَةً ورخصة لأهل الكفر والشرك المعاهدين للمسلمين، الذين بينهم وبين الدولة الإسلامية عهد وميثاق، أن يُمْهَلُوا أربعة أشهر(١)، كي يُحْسِمِوا أمرَهم: هل يلتزمون بتلك العهود والمواثيق، أم يستمرون على نقض العهد والميثاق، ويضربون المسلمين من الخَلْفِ؟ فإذا التزموا وأثبتوا أنهم مُلْتزِمَون، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ فَأَتِمُّوٓا۟ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ... ﴿٤﴾ ﴾التوبة، يجب أن يتم الوفاء بتلك العهود التي يلتزم بها أصحابُها من الكفار والمشركين المعاهدين.

---

١) وتلك الأشهر الأربعة حِسابها هكذا: تبدأ من اليوم العاشر من شهر ذي الحجة عام (٩) للهجرة النبوية، ثم: محرم وصفر وربيع الأول، وعشرة أيام من بداية شهر ربيع الثاني من عام (١٠) للهجرة، فيكتمل العدد أربعة أشهر، وهكذا، (٢٠) يوما من ذي الحجة+ محرم+ صفر+ ربيع الأول+ (١٠) أيام من ربيع الثاني= ٤ أشهر.

ثم إِن جملة: ﴿فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ...﴿٥﴾﴾التوبة، هل الألف واللام في كلمة (المشركين) للإِستغراق، أم للعهد؟ من الواضح أنها للعهد، أي: فاقتلوا المشركين الذين لم يلتزموا بالعهود، لماذا؟ لأن الله سبحانه وتعالى يذكر في الآية السابعة: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمۡ عِندَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۖ فَمَا ٱسۡتَقَٰمُواْ لَكُمۡ فَٱسۡتَقِيمُواْ لَهُمۡ ...﴿٧﴾﴾التوبة، وكذلك يقول: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ثُمَّ لَمۡ يَنقُصُوكُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَمۡ يُظَٰهِرُواْ عَلَيۡكُمۡ أَحَدٗا فَأَتِمُّوٓاْ إِلَيۡهِمۡ عَهۡدَهُمۡ إِلَىٰ مُدَّتِهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٤﴾﴾التوبة، وقولُه تعالى: ﴿ثُمَّ لَمۡ يَنقُصُوكُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَمۡ يُظَٰهِرُواْ عَلَيۡكُمۡ أَحَدٗا﴾، يعني: لم يقاتلوكم مباشرين ولا غير مباشرين، فهؤلاء الملتزمون بالعهود: ﴿فَأَتِمُّوٓاْ إِلَيۡهِمۡ عَهۡدَهُمۡ إِلَىٰ مُدَّتِهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٤﴾﴾، إذن: المقصود بالمشركين في قوله تعالى: ﴿فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ ...﴿٥﴾﴾التوبة، أي: المشركين الناكثين لعهدهم والناقضين لميثاقهم، هؤلاء هم الذين يجوز قتالُهم، وحتى هؤلاء أيضًا لا يجوز قتالهم، إذا أعلنوا الرضوخ للدولة الإسلامية، وقرَّروا أن يعيشوا مسالمين موادعين، أو اعتنقوا الإسلام واستعدوا للإِلتزام بالإسلام: إقامةً للصلاة وإيتاءً للزكاة.

ameer.maktab@yahoo.com

/AliBapir /AliBapir /MediaAmeerOffice

www.alibapir.net

٤٧

مفهوم الدعوة الى الله تعالى، وكيفيَّتُها، والهدف منها

الموضوع الآخر هو: الدعوة ونشر الإسلام؟

ــ يقول الله سبحانه وتعالى في سورة آل عمــران: ﴿ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٠٤ ﴾، والآيــة جليَّة في أَنَّ الله تعالى يوجِبُ على المسلمين، أن تكون فيهم أمة (جماعــة) تقــوم بهــذه الأمور الثلاثة:

١- يدعون الناس إلى ما فيه خيرهم وصلاحهم.

٢- ويأمروهم بالمعروف، أي: يأمروهم بكل ما هو معروف عقلاً وشرعاً، أنه شيء جيد، كُلِّ ما تأنَسُ به وتعرفه العقول والفطر السليمة، والشرائع.

٣- وينهون عن المنكر، يعني: ينهون الناس عن كل ما تُنْكِــرُهُ العقــولُ الســليمة والشرائع الرَّبانية.

وكلُّ مايعرِفه العقلُ مفيداً نافعاً، يأمر به الشرعُ، وكل ما يسمح به الشرعُ، يُؤيِّــده العقلُ، كما أن كلَّ ما يرفُضُه العَقلُ ويَراهُ قبــيحاً ضارًّا، يَمنَعُهُ الشرع ويحرِّمُهُ، فالعقــل والشرع، أو العقل والنقل، أو الحكمة والشريعة، متوافقان ويُعَضِّدُ أَحدُهما الآخَرَ، طالما كان العقلُ صريحاً، والنقل صحيحاً.

وربط الله سبحانه وتعالى الفلاح، بالقيـــام بهـــذه الأمـــور الثلاثـــة: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾، وجملة: ﴿وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ﴾، لها معنيان:

١- قال بعضهم: إن كلمة (من) تبعيضية أي لتكن داخل الأمة الإسلامية مجموعـــة تقوم بهذه المهام الثلاث.

٢- وهناك من يقول: إن كلمة (من) بـــيانية، والمعنى: كلُّكم كونوا يا أمة الإسلام، أمةً وجماعةً تقوم بهذه الأمور الثلاثة، وأنا أُرجِّح هذا المعنى، لماذا؟ لأن الله سبحانه وتعالى يقول في الآية رقم (٧١) في سورة التوبة: ﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ (٧١)﴾التوبة، فيُعَرِّف كلَّ المؤمنين ذكورًا وإناثًا، بأنهم بعضهم أولياء بعض، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، فآية سورة آل عمران، تأتي في ضوء آية رقم(٧١) من سورة التوبة، وتُعضِّد إحداهما الأخرى: أن المقصود بالأمة أيضًا في سورة آل عمران، هو الأمة الإسلامية جمعاء، وليس مجموعة خاصة، وعلى كلا التفسيرين يجب على المسلمين أن يقوموا بالدعوة إلى الخير، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.

والمقصود بالدعوة: أن تدعو غيرك الى الله ودينه، وعندما تدعو غيرك، فـــإن قضـــية استعمال القوة والإرهاب والإرعاب والضغط والإجبار والإكراه، منفية بـــإطلاق، لأن استخدام القوة بأي شكل كان، متناقض مع الدعوة ومتصادِمٌ معها، فالـــدعوة، قضـــية العنف منتفية فيها بإطلاق، ولا يمكن أن يَرِدَ في ذهننا – في مجال الدعوة الى الله تعالى – معنى من معاني الخشونة والضغط والإكراه والإجبار، ثم إن هذه الأمور منتفية بصـــريح الآيات المباركة:

١- يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِجَبَّارٖ... (٤٥)﴾ق.

٢- ويقول: ﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾﴾الغاشية.

٣- ويقول: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ... ﴿٢٥٦﴾﴾البقرة.

٤- ويقول: ﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾﴾يونس، هذا واضح ومن البديهيات في الإسلام، أنه انتشر الإِسلامُ أَوَّلَ من انتشر على يد نبي الله (محمد) والصحابة، حيث دعوا الناس بأسلوب الدعوة الموجود في القرآن الكريم:

﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ... ﴿١٢٥﴾﴾النحل.

يقول العلماء: إن هناك ثلاث حالات للإنسان: الناس إما حكماء عقلاء، فَيُدعَون بالحكمة، أو تَغْلِبَهم العاطفة، فَيُدعَون بالموعظة الحسنة، أو يَغْلِبُ عليهم حبُّ الجَدَلِ والنقاش، فَيُجُادَلون، ولكن بالتي هي أحسن، ولم تُقيَّدْ كلمة (الحكمة) بأي قيد، لأن الحكمة هي استعمال العقل والحنكة، وهذا لا يحتاج تقييده بوصفٍ آخر، لكن قُيِّدت (الموعظة) بالحسنة، لأنه قد تَعِظُ أحداً، لكن بصورة سيئة: (فمن نصحك في مَلأٍ شانَكَ، ومَنْ نَصَحك في خَلاًٍ، زانَكَ)، ولكن بالنسبة للجدال: بما أنه مظنة إثارة العواطف والغضب، لذا لَزِم تقييده، بأن يكون بأفضل أسلوب وأحسن طريقة، إذن: هذا هو أسلوب الدعوة المنصوص عليه في كتاب الله سبحانه وتعالى، فليس فيه مجال الإجتهاد، بأنه يجوز أن نضغط على الآخرين!! ثم إن هذا الضغط لا يجعلهم مسلمين مؤمنين، وإنما يجعلهم منافقين: ﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾﴾يونس.

وقال تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ... ﴿٢٩﴾﴾الكهف، فهذا الحق الذي أعطاه الله سبحانه وتعالى للبشر، ليس بإمكان أحد أن يسلبهم أياه، ويمارس عليهم الضغط والإكراه والإجبار.

ثم التعامل مع الله سبحانه وتعالى، لايجوز فيه استخدام القوة أبدًا، لأنه إذا ما أمكن فَرضُ أي دين أو منهج على الناس، بالضغط والإكراه والإجبار، فالإسلام بما أن أساس التديُّن والإيمان فيه، هو التعامل مع الله، والتعامل مع الله، يجب أن ينبع من القلب والعقل، لا أن يُفْرَض، إذن: لامجال لفرضه أصلاً، لأن الإكراه يتصادم مع جوهره وطبيعته، ثم إن من يتظاهر بالإسلام، أو يُكْرَهُ على الإسلام، يُعتبر من أهل النفاق، والمنافقون يقول سبحانه وتعالى عنهم: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ ﴾**النساء**، وإذا خُيِّرنا بين أن نجعل الناس كافرين، أو منافقين؟ فَلْيبقوا كافرين، لا أن يَتَحوَّلوا إلى منافقين، ثم يُصْبِحوا أسوأ حالاً من الكافرين، في الدرك الأسفل من النار في الآخرة، وفي الدنيا هم أضر على الإسلام والمسلمين من الكفار.

٤٨

الحكم بما أنـزل الله تعالى، أو تطبـيق الشريعة

ماذا عن مسألة الحكم بما أنـزل الله أو تطبـيق الشريعة؟

ـــ أنـــزل الله سبحانه وتعالى كتابَهُ للفهم والتدبُّر والتـــذكُّر، وتحكـــيم كتـــاب الله الكريم، جزءٌ مهم من تَذَكُّره ونَيلِ فيوضاته وبركاته، قال تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢٩ ﴾ص، وما أنـــزل الله سبحانه وتعالى كتابًا إلا ليُحكم به وتُطبَّق أحكامه، هذا من الأمور الواضحة، ولكن كيفية الحكم بمـــا أنـــزل الله سبحانه وتعالى، يحتاجُ بحثها كلاماً طويلاً، فَلْنتأَمَّلْ! كيف طَبَّـــق الرســـولُ صلوات الله وسلامه عليه كتابَ الله في حياته المباركة؟ مضت ثلاثة عشـــر عامًـــا، ولم يُنـــزِل سبحانه وتعالى الأحكام الشرعية، الظاهرة المحدَّدة، لماذا؟ لأنه لم يكن للمسلمين كيان سياسي يَتَمكَّنون من خلاله من تطبـــيق الأحكام والإلتزام بها وتطبـــيق الشريعة، لذا أنـــزل الله الحكيم سبحانه وتعالى أحكامه: الحلال والحرام والواجبات والعقوبـــات، كلها في المرحلة المدنية، لأنه في المرحلة المدنية، حصل للمسلمين كيان سياسي يَتَمكَّنون في ظله ومن خلاله، من الإلتزام بأحكام الشريعة الظاهرةً المحدَّدة.

إذن: (الحكم بما أنـــزل الله) أوسع معنىً وأشمل مفهوماً من: {تطبـــيق الشـــريعة والإلتزام بأحكام الشريعة} وإن كان كثيرٌ من العلماء والـــدعاة والعـــاملين للإســـلام،

يَحصِرون مفهوم (الحكم بما أنــزل الله) في القرآن المدني! وهذا خطأ، لأنَّ ما أنــزلَهُ الله في مكة، كان ضعفي ما أنــزله في المدينة، وكله أنــزله الله.

هذا من جانب، ومن جانب آخر:

يجب أن نلتزم بما أنــزله الله في مكة أولاً، وبعد ذلك نلتزم بما أنــزله في المدينة، والذي لم يلتزم بما أنــزله الله في المرحلة المكية، لا يمكن أن يلتزم بما أنــزله في المرحلة المدنية، فما الذي أنــزلَهُ الله من القرآن في مرحلة مكة؟:

١- أنــزل المعرفة، والتي خَصَّصْتُ لها الكتاب الأول من موسوعتي: (الإسلام كما يتجلى في كتاب الله).

٢- وأنــزل الإيمان والعقيدة.

٣- وأنــزل العبادة وتزكية النفس والخلق الحسن، وذلك من خلال سير الأنبياء وقصصهم مع أقوامهم ومللهم، فَثُلُثا القرآن الكريم، يعني: (٨٦) سورة من القرآن الكريم، نــزلت في مكة، والبقية (٢٨) سورة نــزلت في المدينة، ومن لم يلتزم بست وثمانين سورة التي نــزلت في المرحلة المكية، كيف يمكنه أن يلتزم بثماني وعشرين سورة التي نــزلت في المدينة؟! لذا يجب على العاملين للإسلام، أن يفهموا الإسلام المتجسِّد في الكتاب والسنة فهماً واسعاً وشاملاً، لا أن يحصروا الإِسلامَ كلَّه في (تطبيق الشريعة) ثم يُضيِّقوا مفهوم (الحكم بما أنــزل الله) في (الشريعة) ثم يحصروا الشريعة فقط في (العقوبات والحدود) وهي ما لا يتمكَّنُ المسلمون من تطبيقه، إلا بعد أن يكون لديهم مجتمع إسلامي!!

بدأ الرسولُ عليه الصلاة والسلام بنفسه ثم بالقريبين منه، وبعد ذلك كوَّن جماعة مؤمنة، وبعد ذلك لما هاجروا إلى المدينة، كوَّن مجتمعاً مسلماً، ثم تَمخَّض المجتمعُ المسلم من كيان سياسي (الدولة الإسلامية)، ولما صارت للمسلمين دولةٌ إسلامية، أنــزل الله سبحانه وتعالى أحكام الشريعة.

وفي واقعنا الحالي: هناك مجتمع إسلامي، وبإمكان هذا المجتمع الإسلامي، أن يُطَبِّق ما يمكنه تطبيقه، من الإسلام، وذلك لأن المرحلة المكية والمرحلة المدنية، كانتا بالنسبة لعهد الرسول عليه الصلاة والسلام، لكن المسلمون الآن مُلْزَمون بتطبيق الشريعة، ما يمكنهم تطبيقها، لكن يجب أن نراعي التدرُّج، فالناس إذا لم يفهموا الإسلام، وإذا لم يمتلكوا المعرفة بالوجود: خلقاً وخالقاً، وإذا لم يعرفوا دنياهم وآخرتهم، ولم يعرفوا مَحلَّهم من إعراب الوجود، ثم لم يبنوا على هذه المعرفة الصحيحة بالخالق والخلق: الإيمانَ والعقيدة، وإذا لم يمارسوا العبادة، ولم يتعبَّدوا لربهم، ولم يَتَخلَّقوا بالخلق الحسن، ولم يحصلوا على التقوى، ولم يُزَكّوا أنفسهم، وإذا لم يلتزموا بالآداب الشرعية، كيف يمكنهم أن يلتزموا بالأحكام الشرعية؟ هذه كلها خطوات متلاحقة ومترابطة يجب أن تراعى، وتقول سيدتنا عائشة في هذا المجال:

{إنما نزل أوّلَ ما نزل منه سورة من المُفصَّل، فيها ذكر الجنة والنار، حتى إذا ثاب الناسُ الى الإسلام، نزل الحلال والحرام، ولو نزل أوّلَ شيء: لا تشرَبوا الخمرَ، لقالوا: لانَدَعُ الخَمرَّ أبداً، ولو نزلَ: لاتَزْنوا، لَقالوا: لانَدَعُ الزِّنا أَبداً...}[1].

وكذلك هناك حديث آخر:.

{عن ابن عباس أن رسول الله عليه الصلاة والسلام لما بحث معاذ بن جبل إلى اليمن قال: إنك تَقْدَم على قوم أهل كتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه: عبادة الله، فَأَخبرهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات، في يومهم وليلتهم، فإذا فعلوا، فأخبرهم ان لله فرض عليهم زكاة تُؤخَذُ من أَغنيائهم فَتُردُّ على فقرائهم، فإِذا أطاعوا بها، فَخُذ منهم، وتوقَّ كرائمَ أموالهم}[2].

---

١) أخرجه البخاري: برقم: (٤٩٩٣).

٢) أخرجه البخاري: (١٤٥٨)، ومسلم: (٣١).

ameer.maktab@yahoo.com

/AliBapir /AliBapir /MediaAmeerOffice

www.alibapir.net

٤٩

إِيضاحات حول:
الإِصلاح والتغيير المنشودين

هذه المرحلة التي نعيشها، تتميَّزُ بتطورات تكنولوجية، وتغييراتٍ مُتعدِّدة في مختلف مجالات الحياة، وهذا يفرض نوعًا من التعقيد على الحياة، ويجعلها غير بسيطة كما كانت من قبل، وسط هذا كله، هناك أمورٌ جديدةٌ، طرأت على المجتمعات الإسلامية، تستوجب نوعًا من الإصلاح والتغيير، ولكن مصطلحي: (الإصلاح) و(التغيير) ارتبطا في بعض الأحيان وفي أذهان الناس بملابساتٍ، ربما تعطي صورة مغلوطة ومنقوصة عن هذين المصطلحين (الإصلاح والتغيير) نريد منك أن تعطينا الإضاءةَ الوافية حول هذين المصطلحين؟

ــ يقول سبحانه وتعالى في الآية(١١) من سورة الرعد المباركــة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ١١﴾، ربط سبحانه وتعالى تغيير الواقع بتغيير الأنفس، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ﴾، التغيير سواء من السيئ إلى الحسن، أو من الحسن إلى السيئ، يبدأ من الأنفس: ﴿حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ﴾، وهذه الحقيقة إِحدى سُنَنِ الله

تعالى في خلقه: أن الواقع ليس إلا انعكاسًا لما في أنفس الناس، وأنفس الناس تحتوي على ثلاثة أشياء رئيسة:

١- الأفكار والرؤى والتصورات، التي تُنْتِجُهَا العقولُ.

٢- المشاعر والأحاسيس، التي تَحْمِلُها القلوبُ والصدور.

٣- السلوكيات والتصرفات والمواقف، هذه هي المحتويات الرئيسة للأنفس، فيجب على مجتمعٍ ما يريدُ أن يُغيِّر واقعه السياسي والإقتصادي والاجتماعي، أن يقوم بتغيير نفسه، من حيث هذه المكونات الثلاثة، لأن الواقع ليس إلا انعكاسًا لما بالأنفس.

أما بالنسبة للإصلاح، فهو عملية بالإمكان — مثله في ذلك مثل التغيير - أن يقوم به الإنسان في ذات نفسه، لكن حسب السياقات الواردة التي وردت فيها هاتان الكلمتان (التغيير) في سورة الرعد، و(الإصلاح) في سورة هود: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾﴾هود، وردتا في سياق يتحدث عن المجتمع وعن الواقع العام، فالإصلاح عملية تَسْتَهدِفُ نَقْلَ المجتمع من حالة رديئة، إلى حالة جيدة، من حيث: الفكر والعقيدةُ، والوضعُ السياسيُّ، والوضع الإقتصاديُّ، والأمنيُّ .. الخ.

هذا باختصار بل إيجازٍ توضيحٌ لمفهومِ كلٍّ من التغيير والإصلاح، فالمقصود بالتغيير، هو تغيير المجتمعات المسلمة من الحالة الرديئة إلى الحالة الجيدة، وليس المقصود أن ننقل المجتمعات المسلمة، من الحالة التعيسة التي يعيشونها إلى حالة أتعس ، وإنما من الحالة التعيسة إلى الحالة السعيدة، وقد قلنا سابقاً: إنَّ تغيير الواقع ليس سوى انعكاسٍ عن تغيير الذات.

وكذلك المقصود بالإصلاح، هو أن نقوم بإصلاح أوضاعنا، لكن إصلاح الأوضاع أيضاً يبدأ من إصلاح الذوات والأنفس، كما صرَّح سبحانه وتعالى بهذه الحقيقة، وكما هو مُشاهَدٌ ومجرَّبٌ وملموس: فالذي لا يُغيِّر نفسَهُ ليس بالإمكان أن يتغيَّرَ حالُهُ، سواء على مستوى الفرد، أو على مستوى المجتمع، فالمجتمع الذي يعاني من تقليد للأسلاف

تقليدًا أعمى، والتمسُّك بالموروثات التي عفا عليها الزمن، والمجتمع الذي يعاني من مشاعر رديئة وسيئة، مثل البغضاءِ والشحناء والنفاق والشقاق والخلاف والحسد، وكذلك المجتمع الذي يعاني من سلوكيات غير جيدة، مثل عدم الإِلتزام بالقانون، وعدم الحرص على النظام، وعلى النظافة، وعلى الأمانة والصدق، وعدم التحلِّي بالفضائل والتَخَلِّي عن الرذائل، مثل هذه المجتمعات، طالما ذواتها تَكْمُنُ فيها هذه الشرور، من حيث الفكر والمعتقدات، ومن حيث المشاعر القلبية، ومن حيث السلوكيات والتصرُّفات، فواقعها انعكاس لما تُكِنُّه أَنفُسها وذواتُها، فإذا أرادت التغيير والإِصلاح، في واقعها السياسي والإِجتماعي والإِقتصادي، يجب أن تُرَكِّز على إِصلاح الذوات، من حيث هذه المفردات الثلاث: الأفكار والمشاعر والسلوكيات.

يعني إذا أراد الإنسان عملية الإصلاح والتغيير، فعليه أن يبدأ بنفسه هو في البداية.

ـــ نعم، لأن من لم يكن لنفسه، فكيف يكون لغيره، ومن لم يُسيطر على نفسه، من حيث إصلاحُها وتهذيبها، فكيف يمكنه أن يمارس هذا الإصلاح خارِجَ نفسه!

ثم إن فاقد الشيء لا يعطيه، فكيف أطالب بالإصلاح في غيري وأنا أفتقده في نفسي؟

هل عملية الإصلاح والتغيير بهذا المفهوم، يجب أن تكون عملية مستمرة في حياة المجتمع، أم أنها تكون مقتصرة على بعض الأوقات، هل في كل مرحلة نقوم بعملية إصلاح ومراجعة؟

ـــ والمجتمع مثل الكائن الحي، نحن تموت في أجسامنا في كل ثانية، ملايين الخلايا، وتَستَجدُّ وتحِلُّ محلَّها خلايا أخرى، والمجتمع كذلك يجب أن تستمر فيه عملية النمو والتقدم والتطور، والتخلِّي عما لا يفيد والتحلِّي بما يفيد، التحلية بالفضائل والتخلية عن الرذائل، وهذا المصطلح، مصطلح لأهل التصوف والتزكية، لكنه أيضًا ينطبق على الواقع المجتمعي.

هناك كتيب للسيوطي رحمة الله عليه - العالم المصري وهو من الأئمة المرموقين والمُكْثِرين من المؤلفات، لديه حوالي (٣٠٠) كتاب — عنوانه: (**الردُّ على من أخلد إلى الأرض، وجَهِلَ أَنَّ الإجتهادَ في كلِّ عصرٍ فرض**)، ما المقصود بالإِجتهاد؟ هو أن نجدِّد فَهمَنا للدين قرآنًا وسُنةً، وتنـزيلاً على الواقع المعيش.

نعم عملية التغيير والإصلاح، عملية يجب أن تكون مستمرة ومستدامة، كما أن الإنسان في ذات نفسه، بحاجة إلى التغيير والتجديد، فجسمه تَتَجدَّدُ خلاياه وتتبدَّلُ، تَحِلُّ محلَّ الخلايا الميتة، ملايينُ الخلايا الجديدة، في كل ثانية وكل لحظة، وكذلك هو بحاجة إلى أن يتنظف ويتطهر ويتغذى، وهذا كله من حيث جسْمُهُ، كذلك هو من حيث روحُهُ وعقلُه، بحاجة الى التغيير والتطهير والتجديد، كذلك المجتمع في هذا المجال، هو على نفس الشَّاكلة، يجب أن تكون عملية التغيير والإصلاح فيه، من كل النواحي، دائمة ومستدامة، وليست مرتبطة بمرحلةٍ ما، بل إنّ سبب تخلُّف المسلمين الأساسيَّ، هو توقُّف عملية التغيير والإصلاح، والقيام بإعادة النظر، أجل، تَخَلَّفت المجتمعات الإسلامية، لما تخلَّت عن التغيير والتجديد، سواء من ناحية فهمهم للدين، حسب الظروف والأحوال المُتَغيِّرة التي يعيشونها، أو في مجال فهمهم للواقع والتعامل الصحيح معه، فهذا كله يحتاج إلى تجديد وتطوير وإعادة النَّظر، في كل مراحل الحياة.

ههنا يثور تساؤل: مَنْ يقوم بهذه العملية؟ وكيف يتم إنجازها؟

ـــ المجتمع إمَّا أن يَتَخلَّف كُلُّه، أو أن يتقدَّم كلُّه، لا يمكن أن تتقدم شريحة من المجتمع بمنأىً عن الشرائح الأخرى، وكذلك بالنسبة لأصحاب السلطة، لا يمكن أن يتقدَّموا أو يتخلَّفوا بمنأىً عن شرائح المجتمع، فيجب أن يكون هناك تكاتف وتضامن وتعاون لتطوير المجتمع، وإعادة النظر والتغيير والإصلاح، هذا واجب على الجميع، وليس على شريحة معينة فحسب، بل واجب على المجتمع ككل بصورة عامة، ولكن بصورة خاصة على أصحاب السلطة الذين يملكون القرار، من بيدهم إدارة البلد وتوجيهها، هؤلاء هم

المسئولون بالدرجة الأساس، لكن المجتمع كذلك ليس بمنأى عن هذه المسئولية، فيجب أن يتحمل المسئولية، والمجتمعات العاجزة هي التي تترك كلَّ شيء لأصحاب السلطة، ويُسْلِمون لهم قيادَهُم، سواء ذهبوا بهم إلى الهاوية، أو ذهبوا بهم إلى القمة! المجتمعات الجاهلة والعاجزة والمغلوبة على أمرها، هي التي تتركُ كلَّ شيءٍ لأصحاب السلطة، أنظر إلى الصحابة رضي الله تعالى عنهم! عندما يقوم الرسولُ عليه الصلاة والسلام بعملٍ ما، إذا استيقنوا أن ذلك العَمَلَ نابعٌ من الوحي، سمعوا وأطاعوا وسكتوا، لأنهم علموا أن علم الله سبحانه وتعالى محيط ومطلق، ولا شائبة للخطأ والقصور فيه، ولكن إذا علموا أن ما يقوم به الرسولُ عليه الصلاة والسلام، أو القرار الذي أصدره، هو نابعٌ عن عقله واجتهاده ورؤيته الشخصية، أبدوا ملاحظات، هكذا علَّمهم الرسولُ عليه الصلاة والسلام، وقد ذكرت هذا من قبل، وهذا مثال في هذا المجال: لما أراد الرسول عليه الصلاة والسلام أن يتصالح مع (غطفان) في السنة الخامسة للهجرة، وذلك لما جاءت قوات مشركي قريش، بقيادة أبي سفيان وتحالفوا مع (غطفان) فأصبحوا عشرة آلاف(١٠,٠٠٠) وطَوَّقوا المدينة المنورة، وهي الغزوة التي اشتهرت بغزوة الخندق، لأن المسلمين حفروا خندقًا أَخْذًا بمشورة سلمان الفارسي رضي الله عنه،[1] وكذلك اشتهرت باسم غزوة الأحزاب، وهذا الإِسم هو الذي ذكره الله سبحانه وتعالى في سورة الأحزاب، في تلك الأثناء أراد الرسولُ عليه الصلاة والسلام أن يُخَفِّف عن المسلمين، فأرسل وفدًا إلى غطفان ليصالِحَهم على ثمار المدينة، فيعطيهم ثلث ثمار المدينة، ولكن قبل أن تُبْرَمَ المعاهدة ويُوَقَّع عليها، استشار (السعدين) سعد بن معاذ، وسعد بن عبادة، رئيسي عشيرتي الأوس والخزرج، فاستفسرا الرسول عليه الصلاة والسلام: يارسول الله! أهذا أمر تعمله لنا، أي من أجل مصلحتنا، أم الله سبحانه وتعالى أمرك بهذا؟ قال: بل هذا أمر أعمله لكم، لأَنَّني وجدتُ العَرَب[2]، رمتكم عن قوس واحدة، فأردت أن

١) ينظر: السيرة النبوية لاْبن هشام، ج٣، ص١٠٩.
٢) أي العرب المشركين وكانوا حينذاك الأكثرية.

أُخَفِّف عنكم شيئاً ما، فقالوا: والله لا نعطيهم إلا السيف، لأنهم قبل أن يُكْرِمَنا الله بك وبالإسلام، ما كانوا يطمعون في ثمارنا، إلا قِرىً أو شراء {أي: إلا إذا كانوا ضيفاً ينزلون علينا، أو يشترون منا}، أو بعد أن أكرمنا الله بك، نعطيهم؟ لا نعطيهم إلا السيف، فقال رسول الله: أنتم وشأنكم، وكان الكتاب مكتوباً، فتناول سعد بن معاذ الصحيفة، فمحا ما فيها من الكتاب، ثم قال: ليجهدوا علينا.(١)

قصدي: أن الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين كانوا ينظرون إلى فعل الرسول: فإذا كان وحياً نزل عليه من الله، فليس لهم كلام، لأنه لا اجتهاد في معرض النص، ولا اجتهاد في مقابل النص، ولكن إذا علموا بأنه اجتهد اجتهاداً ورأى رأْياً، كما في مصالحة غطفان، وكذلك في قضية تلقيح النخل، وإنزال الجيش في غزوة بدر، فالصحابة رضوان الله عليهم ربَّاهم الرسولُ وعلَّمهم أن يُفَكِّروا ويُعْمِلوا عقولَهم، وما دام المسلمون يُعْمِلون عقولَهم في الوحي، لفهمه وتنزيله على الواقع، وكذلك يُعْمِلونها في الواقع لفهمه ومعرفته، فإن بإمكانهم أن يستمرُّوا في التقدم والتطور، ولكن إذا تَخلَّوا عن إعمال عقولهم، وعن الإِجتهاد، عندذاك يَتَخلَّفون، ويتقدَّم من يُعْمِلُ عَقْلَه، كما هو الحال الآن في الغرب والشرق، مع الأسف المجتمعات غير المسلمة، تقدَّموا وتطوروا، وتَخلَّف المسلمون، ليس بسبب إسلامهم الذي يأمرهم بإعمال عقولهم والتفكير والتجديد، وإنما بسبب بُعدهم عن الفهم الصحيح للإسلام، والإِلتزام الجيِّد بأحكامه وتوجيهاته.

---

١) السيرة النبوية لابن هشام، ج٣ ص١٠٨و ١٠٩.

مـع أن عمليـة الإصـلاح والتغـيير - كمـا ذكـرت – يجـب أن تكـون مسـتمرة، ومسـئوليتها بالدرجـة الأسـاس ملقـاةٌ علـى عـاتق مـن يديرون البلاد والمجتمعات الإسلامية، ولكن هل تتم عملية الإصلاح بوسائل يكون فيها شيءٌ من الفرض والإكراه، من السلطات الحاكمة، أم أن الأصـل في عمليـة الإصـلاح والتغـيير، هـو الإقنـاع واسـتخدام الوسائل السلمية؟!

ـــ كلاَّ، لا يمكن أن يتغير المجتمع ويصلح باستخدام العنف وبالضغط عليه، لأن التغيير والإصلاح عملية يجب أن تنبع من العقل والقلب، ويجب على المجتمع أن يقتنع بأنه يجب عليه أن يُغيّر حالَهُ إلى حال آخر، وأن يترك تلك الأفكار، ويَتَخلَّى عن تلك المشاعر، وأن يرفض تلك السلوكيات غير الجيدة، ويَستَبْدِلها بغيرها، إذن: عملية الإصلاح والتغيير: عملية اقتناعٍ ذاتي وقلبي وعقلي لايمكن فرضها، ومن يريدون أن يفرضوا على المجتمعات، ما يرونه خيراً وصلاحاً لتلك المجتمعاتِ، بَغضِّ النظر عن صدقهم وكذبهم في زعمهم وتصوُّرهم، يُعَدُّ فِعلُهم ذلك منافياً لكرامة تلك المجتمعات وحريَّتهم! إذ ما هكذا يُعامَلُ البشر أصحاب الشعور والإرادة!! وذلك كما فعلت أمريكا عندما جاءت الى العراق بالدبابات وأرادت أن تفرض علينا الديمقراطية، أنظر عَمّاذا تمخَّض فرضُ الديمقراطية!! والديمقراطية نفسها لا تُجيزُ أن تُفرضَ على الناس كَرْهاً، وأنا أُحبِّذُ أن نستعمل كلمة (الشورى)، وإن كانت الشورى لم تُفَعَّلْ، بل مع الأسف بقيت كقيمة أخلاقية، وذلك بعدما غُيِّر منهاجُ الحكم على يد معاوية بن أبي سفيان غفر الله له وسامحه، كما قال الرسولُ عليه الصلاة والسلام: (**أولُ مَنْ يُغيّر سُنَّتي رجلٌ من بني أمية**)، والألباني اعتبر هذا حديثًا صحيحًا في (السلسلة الصحيحة)، وقال: لعلَّ المقصودَ به تغيير منهاج الحكم، (١) فمنذ ذلك الوقت و(الشورى) أصبحت مجرد قيمة خُلُقية يَتَحلَّى بها فردٌ ما أو مجتمعٌ ما، لكن لم تُصبِحْ آليةً للحكم، مع أن الله سبحانه

١) ينظر: السلسلة الصحيحة: ١٧٤٩. والبداية والنهاية لابن كثير، ج٢ص٢٤٣، والجامع الصغير للسيوطي: ٢٨٤١، و(الأوائل) (٢/٧) لابن أبي عاصم.

وتعالى ذكر الشورى بين الصلاة والزكاة، كآليةٍ للحكم وإِدارة المجتمع، فقال:

﴿ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾الشورى، فكما أن الصلاة هي ركن الإسلام المعنوي، وكذلك الزكاة والإنفاق هو ركن الإسلام المادي والإِقتصادي، كذلك الشورى هي ركن الإسلام السياسي والإِجتماعي.

نعم لا يمكن أن تُفْرَضُ الديمقراطية، أو الشورى، أو يُفرض الحكمُ الرشيد، بالضغط والإكراه، وإنما يجب أن تتَمَّ توعيةُ الجماهير وتثقيف الناس، ويتعلَّموا ويقتنعوا بما هو صحيح من الأفكار والمعتقدات، وبعد ذلك ينطلقوا، أما أن تُفرض عليهم هذه الأمور من قبل السلطات، كما كان يريدُ وقتها جمال عبد الناصر أن يفرِضَ الإِشتراكية، وكان صدام حسين يريد أن يفرِضَ الأفكار العلمانية، وكما هو الآن يُمارَسُ الإجبار والإكراه على المجتمعات الإسلامية، فهذا ليس إصلاحاً ولا تغييراً، وإنما هو تغيير من الفاسد إلى الأفسد، ومن السيئ إلى الأسوأ .

فضيلتك تشترط لإتمام عملية الإصلاح والتغيير لكي تؤتي ثمارَها، أن يشارك فيها كل المجتمع بشرائحه .

ـــ نعم، وفي مقدمتهم أهل العلم والأئمة والفاهمون لدينهم والفقهاء في الشريعة، فهؤلاء يجب أن يَتَقدَّموا الرَّكب وأن يُوَجِّهوا المجتمع، لكن أهل العلم الأحرار الذين لم تُكبَّل أيديهم ولا يُمارَسْ بحقهم الإملاء، للقناعات والقرارات والأجندات التي تخدِمُ أصحابَ السلطة، لا المجتمع، والعلماء بمختلف أنواعهم، وتخصُّصاتهم علماء الشريعة، وعلماء الطب، وعلماء الهندسة، والقانون والفيزياء والكيمياء والجيولوجيا، لأن كلمة العلماء جاءت في القرآن الكريم، شاملةً للعلماء بالدين وبالحياة، الذين يفقهون الدين، وكذلك يفهمون الحياة، اذ عندما مدح الله سبحانه وتعالى أهل العلم، لم يحصر مدْحَهُ

في علماء الشريعة، وإنما ذكر العلماء بصورة عامة، الذين يفهمون الدين والحياة، والذين يعلمون كتاب الله المقروء، وكتاب الله المنظور (الكون).

> **يعني عملية الإصلاح يجب أن تتم بالشروط التي تشترطها، وفي نفس الوقت يجب أن تدعى للمشاركة فيها كلُّ الشرائح، ولكن بشورى حقيقية، وليس بشورى صورية ومنقوصة ومملاةٍ من السلطة الحاكمة.**

ـ نعم، لأن المجتمعات التي لا تتمتع بالحرية وبالكرامة وبالحقوق والحريات، والمجتمعات التي لا تكون حرياتها وحقوقها مكفولة ومضمونة، لا يمكنها أن تتطور وأن تتقدم، لأن التقدم والتطور عملية يقوم بها الأحرار، وليس العبيد! إذن: عندما نُفَكِّر في تطوير المجتمعات المسلمة وتقدُّمِها، يجب قبل هذا، أن نفكِّر في تحريرها، من نير الطواغيت والأنظمة المستبدة والظروف المفروضة عليها، ويجب أن نفكر في فَكِّ قيودها.

أنظر إلى الآية (١٥٧) المباركة في سورة (الأعراف) يقول سبحانه وتعالى: ﴿ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ... ﴿١٥٧﴾﴾ الأعراف.

أحد أهداف النَّبِـي الأمي الخاتم، والرسول الأَعظم صلى الله عليه وسلم، أنه جاء لِيَفُكَّ القيودَ عن العقول وعن الإرادات، فالمجتمعات إذا لم تتحرَّرْ ولم تتمتع بالكرامة والحرية، وجميع حقوقها، لا يمكنها أن تتقدم وتتطور، لأن التقدم والتطور والإزدهار، عمل يقوم به الأحرارُ، وليس العبيد المستضعفون المستذلون!! ولهذا جاء الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لتحرير الناس، وقال سيدنا عمر رضي الله تعالى عنه لعمرو بن العاص وابنه الذي ضرب الرجل القبطي بسبب أن فَرَسَهُ سَبَق فَرَسَهُ: (متى استعبدتم

الناس وقد ولدهم أمهاتهم أحرارًا)؟[1] فيجب أن نعيد الحرية والكرامة والشعور بالعزَّة، لكل فرد من أفراد المجتمعات المسلمة، وبعد ذلك يمكنهم أن يُفَكِّروا كيــف يطــوِّرون مجتمعاتهم، وكيف يتقدمون في جميع ميادين الحياة، عبادةً ومعاملةً، ديناً ودنياً.

١) ينظر: كنــز العمال (٨٧٣/١٢) وعزاه الى ابن عبدالحكم.

قائمة بكل الإِنتاج الفكري للشيخ علي باپير، كتباً وكتيبات وباللغتين العربية والكوردية:

أ- الكتب الكوردية:

القرآن والسنة

١- خلاصة عن الإسلام في ضوء سورة الفاتحة، ط.الأولى/١٩٨٤،ط.الثانية/٢٠٠٦.
٢- لنكن في خدمة القرآن، ط.الأولى/٢٠٠٨، ط.الثانية/٢٠١٥.
٣- تفسير القرآن العلي المبارك، المجلد الأول، سورتي: (الفاتحة) و(البقرة)، ط.الأولى/٢٠١٢.
٤- تفسير القرآن العلي المبارك، المجلد الثاني، سورة: (آل عمران)، ط.الأولى/٢٠١٢.
٥- تفسير القرآن العلي المبارك، المجلد الثالث، سورة: (النساء) ط.الأولى/٢٠١٣.
٦- تفسير القرآن العلي المبارك، المجلد الرابع، سورة: (المائدة) ط.الأولى/٢٠١٤.
٧- تفسير القرآن العلي المبارك، المجلد الخامس، سورة: (الأنعام) ط.الأولى/٢٠١٥.
٨- تفسير القرآن العلي المبارك، المجلد السادس، سورة: (الأعراف) ط.الأولى/٢٠١٦.
٩- تفسير القرآن العلي المبارك، المجلد السابع، سورة: (الأنفال) ط.الأولى/٢٠١٦.
١٠- تفسير القرآن العلي المبارك، المجلد الثامن، سورة: (التوبة) ط.الأولى/٢٠١٧.
١١- إتباع سنة النبي"صلى الله عليه وسلم" بين التفريط والإفراط، ط.الأولى/٢٠١٥.

العقيدة والفكر الإسلامي

١٢- صراع الإسلام والإيدولوجيات، ط.الأولى/١٩٨٥، ط.الثالثة/٢٠٠٦.
١٣- مشروع: المنهج الفكري للعمل الإسلامي، ط.الأولى/١٩٩٦.

١٤- شرح الأصول الشرعية والخطوط العامة للجماعة الإسلامية، ط.الأولى/٢٠٠١، ط.الثالثة/٢٠١٤، وترجم للعربية.

١٥- مسائل عصرية رائجة: نظرة واقعية وتقييمٌ شرعي، ط.الأولى/٢٠٠٢، ط.السادسة/٢٠١٦. وترجم للعربية والتركية والفارسية.

١٦- معرفة الله، الإيمان، الدين، حقائق الإسلام تتبلور، وأباطيل السُّبُل تتدهور، ط.الأولى/٢٠٠٢، ط.الثانية/٢٠٠٩.

موسوعة: الإيمان والعقيدة الإسلامية في ضوء القرآن والسنة، في ستة مجلدات، ط.الأولى/٢٠٠٦-٢٠٠٨، ط.الثانية/٢٠١٦.

١٧- المجلد الأول: ماهو الإيمان والعقيدة الإسلامية؟

١٨- المجلد الثاني: توحيدالله في الخالقية والربوبية.

١٩- المجلد الثالث: توحيدالله في الأسماء والصفات والألوهية.

٢٠- المجلد الرابع: الإيمان بملائكة الله وكتبه ورسله.

٢١- المجلد الخامس: الإيمان باليوم الآخر وبالقضاء والقدر.

٢٢- المجلد السادس: خصائص وآراء أَتباع الطريق الحق.

٢٣- ماهي طريق النبي "صلى الله عليه وسلم"؟، ط.الأولى/١٩٨٩، أدخل فيمل بعد في كتاب (المسلم الكامل: القسم الأول: عقيدة المسلم).

٢٤- المسلم الكامل/ عقيدة المسلم، ط.الأولى/١٩٩٧، أدخل فيما بعد في كتاب: (الإيمان والعقيدة الإسلامية).

٢٥- التيار الإسلامي والعلماني، نقاط الوفاق والإفتراق، ط.الأولى/٢٠٠٨، ط.الثالثة/٢٠١٥، نشر معظمها بـ(٢٤) حلقة في أسبوعية (المواطن) والبقية (٩) حلقات في أسبوعية (المرآة).

٢٦- شرح الأصول الشرعية والخطوط العامة للجماعة الإسلامية، ط.الأولى/٢٠١٢، ط.الثاتية/٢٠١٤.

٢٧- الترجمة الكوردية لمتن العقيدة الطحاوية، ط.الأولى/٢٠١٤ .

٢٨- شرح العقيدة الطحاوية، ط.الأولى/ ٢٠١٥، ط.الثانية/٢٠١٧.
٢٩- العلمانية والديمقراطية في تجربة كوردستان (مناظرة العام)، ط.الأولى/٢٠١٦.

الفقه الإسلامي

موسوعة: العبادة الإسلامية، ط.الأولى/٢٠٠٠، ط.الثانية/٢٠٠٩.

٣٠- المجلد الأول: العبادة بصورة عامة، المسائل الخلافية، الطهارة.
٣١- المجلد الثاني: إقامة الصلاة أُولى شعائر العبادة.
٣٢- المجلد الثالث: الزكاة والإنفاق.
٣٣- المجلد الرابع: الحج والعمرة، ذكرالله.
٣٤- قواعد مهمة في التعامل الشرعي الحكيم مع المسائل الفرعية الخلافية، ط.الأولى/١٩٩٩ ، ترجم للعربية.
٣٥- الأعياد والمناسبات: تقييمٌ شرعي وعقلي، ط.الأولى/٢٠١٣.
٣٦- موضوعات فنية في ضوء القرآن والسنة، ط.الأولى/٢٠٠٩، ط.الثانية/٢٠١٥، ترجم للفارسية.
٣٧- أصول مهمة في مجال الإنفاق في سبيل الله، ط.الأولى/٢٠١٣.

تزكية النفس والأخلاق والسلوك

٣٨- ذكر الله تعالى، أهمية ذكر الله في حياة الإنسان، ط.الأولى/١٩٨٧.
٣٩- طريق الصلاح والسير الى الله: تزكية النفس في ضوء القران والسنة، ط.الأولى/١٩٩٠، ط.الخامسة/٢٠١٢، ترجم للعربية والفارسية.
٤٠- مساجد كوردستان بين التعمير والتدمير، ط.الأولى/١٩٩٩.
٤١- التوبة الى الله: الإقبال على الله، وترك الذنوب، والمعاصي، والتغيير الجذري في الذات، ط.الأولى/٢٠٠١، ط.الخامسة/٢٠١٠.
٤٢- من هو الشهيد وماهي منزلته؟،ط.الأولى/٢٠٠٢.
٤٣- بحث حول رؤية الله "عز وجل" في الدنيا والآخرة، ط.الأولى/٢٠١٥.

٤٤- حياة الروح: إحسان العبادة والتزكية، ط.الأولى/٢٠١٥.

٤٥- موسوعة: الخلق، والسلوك الإسلامي في ضوء القرآن والسنة، ط.الأولى/٢٠١٦.

الدعوة والعمل الإسلامي

٤٦- حزب الله، ط.الأولى/١٩٨٨.

٤٧- من هو البيشمركة المسلم، أو المسلم المجاهد؟، ط.الأولى/١٩٨٨، ط.الثالثة/١٩٩٨.

٤٨- داء ودواء الحركة الإسلامية، ط.الأولى/١٩٩٠.

٤٩- الحركة الإسلامية بين البقاء والفناء، ط.الأولى/١٩٩٣.

٥٠- الحركة الإسلامية ومرحلتها الجديدة، ط.الأولى/ ١٩٩٤.

٥١- توجيهات لإسلاميي كوردستان، ط.الأولى/ ١٩٩٧.

٥٢- الحركة الإسلامية وأفق مشرق: الأصول الشرعية والأسس الأخلاقية، ط.الأولى/ ١٩٩٧.

٥٣- الإسلام والقضايا الراهنة، ط.الأولى/ ١٩٩٨.

٥٤- علماء الإسلام من هم وماهي صفاتهم؟، ط.الأولى/ ٢٠٠٢، ط.الثالثة/ ٢٠١١، ترجم للعربية.

٥٥- الجماعة الإسلامية: أهدافها ومواقفها، ط.الأولى/ ٢٠٠٢.

٥٦- كيف نتعامل مع الناس؟ ط.الأولى/ ٢٠٠٢، ترجم للعربية.

٥٧- كيف نفهم الجهاد؟، ط.الأولى/ ١٩٩٨.

٥٨- ملاحظات وتنبيهات حول الجهاد في سبيل الله، ط.الأولى/ ٢٠٠٢.

٥٩- لكيلا نتضرّر من جهادنا!، ط.الأولى/ ٢٠٠٢.

٦٠- ماهو الجهاد في سبيل الله، هدفُه وكيفته، ط.الأولى/ ٢٠٠٢.

٦١- توجيهات لإخوتنا في المهجر، ط.الأولى/ ٢٠٠٢.

٦٢- الإسلام والتدين والعمل الإسلامي في ضوء القرآن والسنة، ط.الأولى/٢٠٠٦.

٦٣- التحالف في ضوء القرآن والسنة، ط.الأولى/ ٢٠٠٩.

٦٤- المشاركة في الإنتخابات والبرلمان تقييم شرعي وعقلي، ط.الأولى/ ٢٠٠٩، ط.الثانية / ٢٠١٣.

٦٥- نقض أفكار وتصرّفات داعش المتطرفة، ط.الأولى/ ٢٠١٥، ط.الثانية/٢٠١٧، ترجم للفارسية.

٦٦- لايجوز أن تشككّنا إنحرافات وجرائم داعش في الإسلام، ط.الأولى/٢٠١٥، ترجم للفارسية.

٦٧- التطرف: التعريف، وعلامات المتطرفين، أسباب التطرف، آثار التطرف، علاج التطرف، ط.الأولى/ ٢٠١٥، ترجم للفارسية.

سلسلة: الأصول الشرعية للجماعة الإسلامية

٦٨- الحلقة الأولى: الأدلة الشرعية لتأسيس الجماعة الإسلامية، ط.الأولى/ ٢٠٠١.

٦٩- الحلقة الثانية والثالثة: حكم عزل الخليفة والحكام المسلمين عند الظلم والإنحراف، ط.الأولى/ ٢٠٠١.

٧٠- الحلقة الرابعة: الشيخ أبو بصير وفتواه: تقييم شرعي وعقلي، ط.الأولى / ٢٠٠١.

خطب مؤتمرات الجماعة الإسلامية

٧١- العمل والمشروع الإسلامي (خطبة المؤتمر الأول للجماعة الإسلامية)، ط.الأولى/٢٠٠٥، ط.الثانية/ ٢٠٠٦.

٧٢- التقرير الإيماني والفكري والسياسي للجماعة الإسلامية (خطبة المؤتمر الثاني)، ط.الأولى/٢٠١٠.

٧٣- نظرة الى واقعنا الداخلي والخارجي (خطبة المؤتمر الثالث)، ط.الأولى/٢٠١٦، القومية ومسألة الكورد.

٧٤- لماذا دُمّرت كوردستان وكيف تُعَمّر؟، ط.الأولى/ ١٩٨٩.

٧٥- حكم العودة الى نير الطاغوت، ط.الأولى/١٩٩٠، ط.الثانية/٢٠٠٥.

٧٦- العاطفة القومية والفكر الناسيونالي في ميزان الإسلام، ط.الأولى/١٩٩٠، ط.الثالثة/٢٠٠٥.

٧٧- حلّ قضية الكورد بين الإيمان والبرلمان، ط.الأولى/١٩٩٢.

السياسة والحكم

٧٨- موضوعات سياسية راهنة في ضوء العقل والوحي، ط.الأولى/ ٢٠١٠.

موسوعة: الإسلام والدولة (٤ مجلدات)، ط.الأولى/ ٢٠١٤-٢٠١٦

٧٩- المجلد الأول: الكيان السياسي في الإسلام: أدلة وجوبه، كيفية تأسيسه، طبيعته وأساسه الفكري، تعريف مصطلحات.

٨٠- المجلد الثاني: أُسس نظام الحكم في الإسلام.

٨١- المجلد الثالث: السلطات الثلاث: التشريع، التنفيذ، القضاء.

٨٢- المجلد الرابع: غير المسلمين في المجتمع والدولة الإسلاميين.

٨٣- نظرة إسلامية حول واقعنا المعاصر، ط.الأولى/٢٠١٧.

المرأة والأسرة

٨٤- المرأة الكوردية المسلمة: حقوقها الشرعية ووظائفها المهمة، ط.الأولى/ ٢٠٠٣.

٨٥- موسوعة: المرأة والأسرة في ظل الشريعة، المجلد الأول: ط.الأولى/٢٠٠٢ ، المجلد الأول والثاني: ط.الثالثة/٢٠١٣.

التأريخ

٨٦- خلاصة سيرة رسول الله "صلى الله عليه وسلم" عبرها ودروسها، ط.الأولى/٢٠٠٩ ، ط.الثالثة/٢٠١٣.

٨٧- باقات من بيدر عمري (ذكرياتي) القسم الأول: ١٩٦١-١٩٩١، ط.الأولى/٢٠١٥.

٨٨- خلاصة أعمال ونشاطات وأحداث ومحطات حياتي ١٩٦١-٢٠١٧، باللغات الكوردية والعربية والإنجليزية. ط.الأولى/٢٠١٧.

الحوارات والمقابلات

٨٩- لاتتجاوز الحدود (مقابلة د. حسين محمد عزيز)، ط.الأولى/٢٠٠١ ، ط.الثانية/٢٠٠٤.

٩٠- التعذيب والسجن، بيشمركة أمضى اثنين وعشرين شهراً في سجن المحتل، ط.الأولى/ ٢٠٠٥ ، ط.الثالثة/ ٢٠٠٩، ترجم للعربية والفارسية والإنجليزية.

٩١- الشباب في المفاهيم المعاصرة، ط.الأولى/٢٠١٠.

سلسة : الموضوعات الراهنة

٩٢- شبابنا بين الأصالة والتقليد، (١) ط.الأولى/ ٢٠٠٦، ترجم للفارسية.

٩٣- الإنهيار الأخلاقي يهوي بمجتمعنا، فالحذر الحذر! (٢) ط.الأولى/ ٢٠٠٢، ط.الثانية/ ٢٠٠٦.

٩٤- الأضرار التي نجنيها بإبعاد المرأة عن الإسلام (٣) ط.الأولى/ ٢٠٠٧.

٩٥- كيف نكون قدوة وكيف نبني القاعدة الجماهيرية؟، (٤) ط.الأولى/ ٢٠٠٧.

٩٦- توضيحات عن السياسة الإسلامية، (٥) ط.الأولى/ ٢٠٠٧.

٩٧- أسس مهمة لكيفية إلقاء الخطبة، (٦) ط.الأولى/ ٢٠٠٦، ترجم للفارسية.

٩٨- طلبة العلم الشرعي، ملاحظات وإرشادات، (٧) ط.الأولى/ ٢٠٠٧.

٩٩- الأخلاق الفاضلة معيار الإلتزام بالإسلام، (٨) ط.الأولى/ ٢٠٠٧.

١٠٠- الدعوة الى الله، ماهيتها وكيفيتها، والهدف منها، ومن يقوم بها؟، (٩) ط.الأولى/ ٢٠٠٧، ترجم للفارسية.

١٠١- كيف ينبغي أن يكون الطلاب في هذا الواقع، وماهي واجباتهم؟، ط.الأولى/ ٢٠٠٨.

١٠٢- واقع إقليم كوردستان: نظرة إسلامية، (١١) ط.الأولى/ ٢٠٠٨.
١٠٣- طبيعة الأسرة وأركانها، ومسالة تعدد الزوجات في ميزان الشرع والعقل، (١٢) ط.الأولى/٢٠٠٩.
١٠٤- العمل الإسلامي وتقشيع ضباب الشكوك، (١٣) ط.الأولى/ ٢٠١١.
١٠٥- تقييم قضية الإرتداد عن الإسلام، (١٤) ط.الأولى/ ٢٠١١.
١٠٦- تفسير الملاّ الكبير الكوي، نظرات سريعة، (١٥) ط.الأولى/ ٢٠١١.
١٠٧- تقييم وجود النسخ أو عدمه في القرآن، (١٦) ط.الأولى/ ٢٠١٢.
١٠٨- ابتلاء الله لعباده، ماهو وكيف يكون؟، (١٧) ط.الأولى/ ٢٠٠٣، ط.الثانية/ ٢٠١٢.
١٠٩- إرشادات لإخواننا وأخواتنا في المهجر، (١٨) ط.الأولى/ ٢٠١٢.
١١٠- أم محمد: إمرأة كفوءة وزوجة نادرة، (١٩) ط.الأولى/ ٢٠١٢.
١١١- الشباب والأزمة الروحية، (٢٠) ط.الأولى/٢٠١٧.
١١٢- الحياة في ظلِّ الإِيمان ودحض الشبهات، (٢١) ط.الأولى/ ٢٠١٧،

ب- الكتب العربية:

موسوعة: الإسلام كما يتجلّى في كتاب الله: ط.الاولى/٢٠١٥

كانت في الطبعة الأولى في ثمانية مجلدات، وستكون في الطبعة الثانية اثني عشر كتاباً بالصورة الآتية:

١١٣- الكتاب الأول: الإسلام: معرفة صحيحة بالخالق "عز وجل" والخلق، ط.الثانية/٢٠١٦.
١١٤- الكتاب الثاني: تعريف الإيمان، ط.الثانية/٢٠١٧.
١١٥- الكتاب الثالث: الإيمان بالله تبارك وتعالى: الخالق الرب المالك الإله ذي الأسماء الحسنى والصفات العلى، ط.الثانية/٢٠١٧.
١١٦- الكتاب الرابع: الإيمان بالملائكة و بالجن، ط.الثانية/٢٠١٧.

١١٧- الكتاب الخامس: الإيمان بكـتب الله الحكـيم، ط.الثانية/٢٠١٧.

١١٨- الكتاب السـادس: القرآن العظـيم، ط.الثانية/٢٠١٧.

١١٩- الكتاب السـابع: الإيمان برسـل الله تعالـى وأنبيـائه الكـرام.

١٢٠- الكتاب الثامن: خـاتم النبيين محمـد "صـلى الله عليـه وسـلم": مـوجز سـيـرته وبراهين نبـوّتـه.

١٢١- الكتاب التاسع: إهتداء الإنسـان بهـدى الله، أو الإلتزام الفردي بشـريعة الله.

١٢٢- الكتاب العاشـر: إلتزام الـمجتمع بشريعة الله تعالـى.

١٢٣- الكتـاب الحـادي عشـر: تطبيـق الـمجتمع للشـريعة ومعـالم الدولـة فـي الإسـلام.

١٢٤- الكتاب الثاني عشـر: الإسـلام: نظـرة سـديدة تجـاه الناس وتعامـل صـحيح معهم.

١٢٥- نقض فـكـرة التطـرف، ط.الاولى/٢٠١٦/ لندن، ط.الثانية/ ٢٠١٧/ القـاهرة (نقض التطرف ودحض أفكار المتطرفين).

١٢٦- ضـيف و قضـية (مقابلة مع قنـاة العربية) ط.الاولى/٢٠٠٦.

١٢٧- لقاء خاص (مقابلـة مع قنـاة العـالم) ط.الاولى/٢٠٠٦.

١٢٨- حديث مختصر حول مايجري على الساحة العراقية، ط.الاولى /٢٠١٦.

١٢٩- طريـق الصـلاح والسـير الى الله: تزكيـة الـنفس في ضـوء القـران والسـنة، ط.الاولى/٢٠١٢ .

١٣٠- أمير وراء القضبان، ط.الأولى/٢٠٠٦، ط.الثانية/٢٠٠٩.

١٣١- مسائل عصرية رائجة، ط.الثانية/٢٠١٤.

١٣٢- قواعد مهمة في التعامل الشرعي الحكيم مع المسائل الفرعيـة الخلافيـة، ط.الاولى/ ٢٠١١.

١٣٣- علماء الإسلام من هم وماهي صفاتهم؟، ط.الاولى/ ٢٠٠٥.

١٣٤- الاصول الشرعية والخطوط.العامة للجماعة الإسلامية، ط.الاولى/ ٢٠١٢.

١٣٥- كيف نتعامل مع الناس؟.

الكتب التي تحت الطبع:

١٣٦- تفسير القرآن العلي المبارك، المجلد التاسع، سورة (يونس).

١٣٧- تفسير القرآن العلي المبارك، المجلد العاشر، سورة: (هود).

١٣٨- تفسير القرآن العلي المبارك، المجلد الحادي العشر سورة: (يوسف).

موسوعة: التفكير الإسلامي بين الوحي والواقع:

١٣٩- المجلد الأول: توضيح مفهوم وماهية وكيفية التفكير الإسلامي.

١٤٠- المجلد الثاني: الخطوط العامة لمنهج جمهور المسلمين.

١٤١- المجلد الثالث: التيارات الفكرية والسياسية في تأريخ المسلمين.

١٤٢- المجلد الرابع: أصول التفكير الإسلامي.

١٤٣- المجلد الخامس: عشر مسائل فكرية عصرية متنوعة.

١٤٤- حوارات ساخنة حول قضايا راهنة، في ميادين الفكر والفقه والدعوة والسياسة: لقاء صحفي باللغة العربية.

١٤٥- طريقة النبيِّ "صلى الله عليه وسلم": تعريفها، أهمِّيتُها، ضرورتها.

الفهرس

إهداء.. ٥
مقدمة.. ٧
تقديم.. ٩
١- مدخل ١٥
٢- تعريف شخصيٌّ موجز.. ١٧
٣- تعريف بالجماعة الإِسلامية الكوردستانية.......................... ٢١
٤- سبب اختيار اسم (الجماعة الإِسلامية)............................ ٢٣
٥- أهم الأسس في منهج الجماعة الإسلامية........................... ٢٧
٦- نظرة الى واقع الأمة الإِسلامية..................................... ٢٩
٧- سبب إلصاق طابع الإِرهاب بالإِسلام والمسلمين.................... ٣٣
٨- كيفية مواجهة التطرُّف.. ٣٩
٩- تجديد الخطاب الديني ٤٣
١٠- ضوابط تجديد الدِّين... ٤٧
١١- فصل السياسة عن الدين، بدعة غربية لا محل له في الإِسلام.......... ٥١
١٢- حكم التفجيرات العشوائية واستهداف الأَبرياء...................... ٥٥
١٣- تعريف شخصي مفصَّل، وبعض المحطات الرئيسية ٥٩
١٤- القضيَّة الكوردية والحركة التحرّرية للشعب الكوردي.................. ٦٧

١٥- إقليم كردستان، والتيّار الإسلامي السيّاسي فيه........................ ٧١
١٦- ملابسات وأسباب تأسيس الجماعة الإسلامية ٧٥
١٧- القواعدالشرعيَّة والأسس العامة للجماعة الإسلامية ٧٩
١٨- سبب اختيار لفظ (الأمير) ولفظ (الجماعة)........................ ٩٣
١٩- أسباب ممارسة الجماعة الإسلامية للعمل السياسي، وإيضاحات حول بعض شؤونها ٩٧
٢٠- حول الإحتلال الأمريكي للعراق، واعتقالي من قِبَلِ أمريكا وبقائي اثنين وعشرين (٢٢) شهراً في السجن ١٠٥
٢١- التطرُّف والمُتَطَرِّفون، وأسبابُ التطرُّف، وآثارُهُ السيِّئةِ........................ ١١٥
٢٢- الجهادُ والقتالُ في سبـيل الله: إزالة غموض وتصويب أخطاء ١٣٣
٢٣- أسس التسامح والتعايش في القرآن الكريم ١٤١
٢٤- حقوق الإنسان في الإسلام، مكفولة للكلّ بدون استثناء ١٦٥
٢٥- لا يُجيزُ الإسلامُ الإرهاب(terror) بأي حالٍ من الأحوال ١٦٩
٢٦- عولمة الغرب، وعالمية الإسلام ١٧٣
٢٧- العلمانية في ميزان الإسلام: مالها وما عليها ١٧٧
٢٨- الديمقراطية على محكِّ العقل والنَّقل........................ ١٨١
٢٩- عشرة عوامل لعلاج التطرُّف والغُلوِّ، وسَدِّ الطُّرق أمامَهُ........................ ١٩٣
٣٠- تزكية النَّفس: آفاق رحبة وجوانب متعدِّدة........................ ٢٠٩
٣١- إضاءات حول العلم والعلماء........................ ٢٣٧
٣٢- المشروع الفكري، وقائمة المؤلَّفات ٢٥٥
٣٣- موسوعة: الإسلام كما يتجلَّـى في كتاب لله تعالى ٢٦٧
٣٤- المشروع الفكري وأصوله السَّبعة ٢٨٥
٣٥- القواعد الإحدى عشرة للمشروع الفكري ٢٩٧
٣٦- التعاملُ الشرعيُّ الصَّحيح مع المستجدَّات بأنواعها ٣٠٩
٣٧- دَحْضُ اتِّهام كون الإسلام سبب تخلُّف المسلمين ٣١٧
٣٨- الأسباب الحقيقية لتقدُّم الغربـيين وتخلُّف المسلمين في مجالات الحياة المادية، في هذا العصر ٣٢١
٣٩- كيف نـقُومُ الشباب المسلم المنحرف، ونعيدهم الى الثقة بدينهم والإلتزام به؟ ٣٢٩

٤٠- التـــهجُّم على الإسلامِ المُتَجسِّد في الكتاب والسنة: سببه الرَّئيس الحقد الدَّفين، والحرص على المصالح اللاّشرعيّةِ.. ٣٣٣
٤١- قضيَّة التكفير والموقف الصحيح المُتَّزِن تجاهَهُ ٣٤٥
٤٢- موقف الإسلام من الحرِّيات..................................... ٣٥٣
٤٣- الإسلام وشريحة الشباب.. ٣٥٧
٤٤- التفكير الإسلاميُّ بـــين الوحي والواقع ٣٦٧
٤٥- نَقْدُ منهج جماعات العنف والغُلوِّ، والطريقُ الصَّحيحُ للتديُّنِ ٣٧٩
٤٦- تصويبات حول موضوع الجهاد والقتال.................................. ٣٩١
٤٧- مفهوم الدعوة الى الله تعالى، وكيفيَّتُها، والهدف منها ٣٩٩
٤٨- الحكم بما أنـــزل الله تعالى، أو تطبـــيق الشريعة................................ ٤٠٣
٤٩- إيضاحات حول: الإصلاح والتغيير المنشودين................................ ٤٠٧
محطات من السيرة الذاتية للمؤلف ٤٣١

ameer.maktab@yahoo.com

/AliBapir /AliBapir /MediaAmeerOffice

www.alibapir.net

محطات من

السيرة الذاتية للمؤلف

- الشيخ علي بابير من مواليد: ١٩٦١م في محافظة السليمانية، وبعد إكماله الإبتدائية دخل المعهد الإسلامي عام: ١٩٧٤، وتخرج من ثانوية المعهد الإسلامي عام: ١٩٨٠، وأتمَّ حفظ القرآن العظيم في العام نفسه، ودخل كلية العلوم والشريعة الإسلامية، وفي المرحلة الثانية من الكلية اضطر لترك الدراسة والهجرة عام: ١٩٨١ بسبب صدور الأمر بالقبض عليه من قبل النظام البعثي البائد.
- وفي سنة: ١٩٨٣ أدّى امتحان الإمامة والخطابة في مديرية أوقاف أربيل، وبعد نجاحه المتفوِّق، تعيَّن بصفة إمام في مسجد النورسي في مدينة رانية.
- وألّف أول مؤلفاته باللغة الكوردية سنة: ١٩٨٣ بعنوان: (خلاصة عن، الإسلام) ثم تتابعت مؤلفاته والتي جاوز عدَدُها المائة (١٠٠) بين موسوعةٍ وكتاب وكُتَيْب.
- وفي سنة: ١٩٨٧ دفاعاً عن مظلومية الشعب الكوردي من قبل النظام البعثي البائد، انخرط في العمل الجهادي المسلّح في صفوف (الحركة الإسلامية) السابقة، والتي كان الشيخ من أبرز قادتها وعضو المكتب السياسي فيها الى سنة: ٢٠٠١م، والتي أعلن فيها عن (الجماعة الإسلامية) وانتخب الشيخ أميراً لها.
- وفي: ٢٠٠٣/٧/١٠ اعتقل الشيخ من قبل القوات الأمريكية وبقى في سجن كروبر قرب مطار بغداد (٢٢) شهراً في زنزانة انفرادية، وألف أثناء تلك المدة

موسوعة: (الإسلام كما يتجلى في كتاب الله)، وأطلق سراحه في: ٢٠٠٥/٤/٢٨، واستقبل بحفاوة من قبل الآلاف من مختلف شرائح المجتمع.

- شارك في انتخابات مجلس النواب العراقي (٢٠١٠- ٢٠١٤) كمرشح للجماعة الإسلامية في دائرة محافظة أربيل، فكان الفائز الأول على القوائم كلها.



هذا الكتاب

كان في الأصل حوارًا مباشرًا ومطولًا في ثلاث وثلاثين حلقة، كل حلقة نصف ساعة، تطرق فيها الشيخ علي باپير إلى قضايا راهنة مختلفة، في مجالات الفكر والثقافة والفقه والدعوة والحكم والسياسة والاجتماع، أفرغ فيه عصارة آرائه ورؤاه بصراحة ووضوح، فهذا الكتاب يعد خلاصة لكثير من أفكاره وفهومه حول الدين والدنيا.

مركز القاهرة للدراسات الكردية
Cairo Center For Kurdish Studies